



ذريّة

لحم

لش

لبي

لبي

فرانك هربرت
ترجمة: د. محمد نجيب

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



ذريّة

كثيب

CHILDREN

OF DUNE

فرانك هربرت

FRANK HERBERT

ترجمة: د. محمد نجيب

دار كلمات للنشر والتوزيع

البريد الإلكتروني:

Dar_Kalamat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www.kalamat.com

Copyright © 1976 by Herbert Properties LLC

“Introduction” by Brian Herbert copyright © 2008 by DreamStar, Inc.

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

ردمك: 978-9921-768-65-7



ملاحظات المترجم

• لا يخفى عن قراء كثيب مدى تأثير فرانك هيربرت باللغة العربية ودراسته العميقة للإسلام ضمن اهتماماته الدينية التي رافقته في رحلة بحثه الدؤوب قبل وفي أثناء كتابة كثيب. وهذا ما يتجلى في «ذرية كثيب» بعد أن تجلّى في الجزأين الأول والثاني. وقد استخدم هذا العنصر في صياغة ملحمة «كثيب» التي تعتبر عملاً خيالياً علمياً طموحاً يستلهم من الديانات والأساطير ليضفي عليها جاذبية خاصة تخدم قصته التي تدور حول الصراع على السلطة ومصادر القوة.

• اللغة الفرمنية هي لغة مشتقة من اللغة العربية على كوكب الأرض ولغة التشاكوبسا التي كان يتحدث بها الزنسنيون في أراكس قبل أن يتحولوا إلى الفرمن.

الكلمات العربية التي استعملها المؤلف، سواء باللفظ الأصلي أو بتحريف النطق، مشار إليها بنجمة لينتبه القارئ إليها. فهذا يمنح عالم كثيب طابعاً مميزاً وخاصاً عند ترجمتها إلى العربية، مقارنة بترجمتها إلى لغات أخرى.

أصبحت تعاليم المؤدّب محط استهزاء
السكولاسيّين (1)، وحتى المؤمنين بالخرافات وأولئك
الذين ضلوا الطريق. أرشدنا المؤدّب إلى أسلوب حياة
متوازن، وهي فلسفة تمكن الإنسان من التعامل مع
المشكلات المتولدة عن الكون المتغير باستمرار. وأوضح أنّ
البشرية في تطور مستمر لا نهائي، وأن هذا التطور يسير
وفق مبادئ متغيرة خارج نطاق استيعابنا. فكيف نسمح
للأفكار المضلّة أن تفسد هذه الحقائق العميقة؟

« كلمات المنتات »

دانكن آيداهو

ظهرت بقعة ضوء على السجادة الحمراء الداكنة التي
تغطي أرضية الكهف الصخرية الخشنة. كان الضوء
يتوهج دون أن يُعرف مصدره، ولا يظهر إلا على سطح
القماش الأحمر المنسوج من ألياف الاسبائيس. تحركت
دائرة الضوء التي لا يزيد قطرها على السنتمترين عشوائياً
كأنها تبحث عن شيء ما. كانت تغير شكلها باستمرار، فمرة
تكون بيضوية ومرة تتمدد وتتطاول، ظهرت على جانب
السريّر الأخضر الغامق، ثم قفزت نحو الأعلى وانثنت فوق
ملاءته.

تحت الغطاء الأخضر يرقد طفل ذو شعر بني محمر، لا
يزال وجهه يحتفظ باستدارة الطفولة، فمه كبير ذو شفّتين
مكتنزتين، لم يكن جسمه ضئيلاً وهزيلاً كما يُعرف

الفرمن، ولكنه ليس غنياً بالماء مثل الأفراد القادمين من
العوالم الأخرى. عندما مر الضوء فوق جفنيه المغمضين،
تحرك جسده الصغير. ثم اختفى الضوء!

وبعد ذلك لم يعد يسمع سوى صوت تنفسه المنتظم،
ومن بعيد يسمع صوت تنقيط خافت لقطرات الماء التي
تتجمع في الحوض آتية من مصيدة الرياح أعلى الكهف.

ظهر الضوء في الغرفة مرة أخرى، كان أكبر قليلاً وأشد
سطوعاً، ولكن هذه المرة يمكن تبيين مصدره ومن أين
يأتي: شخص مقنع يملأ بجسمه مدخل الغرفة المقنطر،
والضوء ينبعث من خلفه. ومرة أخرى، انتشر الضوء في
كل زاوية من الغرفة، يستكشف ويبحث، كأن الشخص
الذي يوجهه يشعر بالتهديد والخطر وعدم الرضا عما يجده
أمامه، توقف عند فتحة التهوية الشبكية في الزاوية العلوية،
وتفحص انتفاخاً خلف الستائر الذهبية والخضراء المعلقة
على الجدار لإخفاء الصخور المحيطة.

ثم انطلقاً الضوء. تحرك الجسم المقنع مُصدرًا صوت
حفيف قماش مسموعاً، وشغل مكاناً على أحد جوانب
المدخل المقنطر. أي أحد على دراية بالروتين هنا في
سييتش تبر، لم يكن بحاجة إلى تخمين أنه ستيلجار نائب
السييتش، الوصي على التوأمين اليتيمين اللذين سيحملان
يوماً أمانة والدهما، پول المؤدّب. كان ستيلجار يجري
دوريات تفتيش منتظمة في جناح التوأمين، دائماً ما يبدأ
بالغرفة التي تنام فيها غنيمة، وينتهي بالغرفة القريبة التي

ينام فيها ليتو، ليتأكد من سلامته.

فكر ستيلجار: أنا عجوز أحمق.

استشعر برودة المسلاط الضوئي في يده قبل إعادته إلى حلقاته في وشاحه. كان المسلاط مصدر إزعاج له حتى وهو يستخدمه. كانت تلك الأداة سرًا إمبراطوريًا، مخصصة للكشف عن الكائنات الحية العملاقة. ولم ير المسلاط سوى التوأمن في غرفتي نومهما الملكيتين.

شعر ستيلجار أن أفكاره ومشاعره تتغير بسرعة الضوء. لم يستطع كبح جماح هواجسه الداخلية التي أثارت قلقه، فقد سيطرت قوى أكبر منه على مصيره. وجد نفسه في تلك اللحظة المحفوفة بالخطر. فهنا يقع مركز جاذبية أحلام العظمة التي تمتد في كل أرجاء الكون المعروف. وهنا تختزن الثروات الخالدة، والسلطة الفانية، والسحر الروحي الأقوى؛ الجواهر الإلهي لإرث المؤدب الديني. وفي هذين الطفلين - ليتو وأخته غنيمه - تتجسد قوة هائلة؛ فهما امتداد حياة المؤدب بعد موته.

لم يكونا طفلين عاديين في التاسعة من عمرهما، بل كانا قوة طبيعية تستحق الإجلال والرهبنة. كانا ابني پول آريديز الذي أصبح المؤدب، مخلص الفرمن جميعًا. أشعل المؤدب شرارة في البشرية كلها. وانطلق الفرمن من هذا الكوكب في جهادٍ لنشر تعاليم المؤدب والتزامهم العميق بها في أنحاء العالم البشري في موجة من الهيمنة الدينية التي

تركت أثرها العميق في كل كوكب.

فكر ستيلجار: لكن طفلي المؤدّب من لحم ودم. طعتان
بسيطتان من سكتيني تكفيان لإنهاء حياتهما. وتعود
مياهما إلى القبيلة.

اضطرب عقله الهائم بسبب هذه الفكرة.

قتل طفلي المؤدّب!

لكن ستيلجار اكتسب حكمة التأمل مع مرور السنين.
وعرف مصدر هذه الفكرة الشنيعة.. لقد جاءت من اليد
اليسرى الملعونة، وليس من اليد اليمنى المباركة، فقد أهدته
حقائق وبراهين الحياة ببعض الأسرار. وكان يفتخر في
الماضي بالنظر إلى نفسه على أنه فرماني، وبرؤية الصحراء
صديقة، وتسمية كوكبه كتيب في ذهنه وليس أراكس،
كما هو موضح في جميع الخرائط النجمية الإمبراطورية.

فكر: كم كانت الأمور بسيطة عندما كان مسيحا مجرد
رؤية. باكتشاف مهدينا، منحنا الكون أحلاماً لا حصر
لها بمسيح جديد. وخضع كل شعب للجهاد، نحلم الآن
بقائد قادم.

نظر ستيلجار بسرعة إلى داخل حجرة النوم المظلمة.

إذا حررت سكتيني كل هؤلاء الناس، فهل سيجعلون
مني مسيحا؟

سمع صوت ليتو، وهو يتحرك في سريره.

تهد ستيلجار. لم يعرف قط جد آل آتريديز الذي سمي هذا الطفل باسمه، ولكن كثيرين قالوا إن قوة المؤدب الأخلاقية جاءت منه، فهل ستنتقل هذه الصفة الرهيبة إلى جيل آخر؟ وجد ستيلجار نفسه غير قادر على الإجابة عن هذا السؤال.

فكر: سييتش تبر ملكي. أنا الحاكم هنا. أنا نائب الفرمن. من دوني، لما كان للمؤدب وجود. هذان التوأمان، .. يجري دمي في عروقهما عبر قرابتي من والدتهما تشاني. لي مكان مع المؤدب وتشاني وكل الآخرين. ماذا اقرفنا بحق عالمانا؟

لم يفهم ستيلجار لم انتابته تلك الأفكار ليلاً، ولا لم أثقلت ضميره. انكش في ردائه المثلث. لم يكن الواقع يشبه الحلم إطلاقاً. انحسرت الصحراء الصديقة التي كانت تمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب إلى نصف مساحتها. واللجنة الخضراء التي كانت تحكي عنها الأساطير، أصابته بالرعب. لم تكن كما حلم بها. وبتغير عالمه، تغير هو أيضاً. أصبح أكثر حنكة ومهارة من زعيم السييتش السابق. أدرك الآن أموراً كثيرة - فن الحكم والعواقب الوخيمة التي تنجم عنه حتى في أصغر القرارات. لكنه شعر أن هذه المعرفة والمهارة ليست سوى طبقة رقيقة تخفي جوهراً صلباً لإدراك أبسط وأقوى. هذا الجوهر، كان يستدعيه ويحثه على الرجوع إلى مبادئه النقية.

اخترقت أصوات السييتش الصباحية صمت أفكاره،

وبدأ الناس ينشطون في أرجاء الكهف. شعر بالنسيم يداعب خديه: كان الناس يتدفقون من خلال الأبواب إلى ظلمة مطلع الفجر. دلّ النسيم المشبع بالرطوبة إلى تغير عادات الفرمن مع مرور الزمن. لم يبقَ قاطنو السييتش ملتزمين بالانضباط الصارم في استهلاك المياه كما في الأيام الغابرة؛ فما الحاجة إليه وقد رأى هذا الكوكب المطر، ورأت عيناه الغيوم، وغرق ثمانية من الفرمن في سيل عارم اجتاح أحد الأودية؟ قبل ذلك اليوم، لم تكن كلمة غرق موجودة في قاموس كثيب. ولكن هذا لم يكن كثيب، بل أراكس. وكان صباح يوم مليء بالأحداث.

فكّر: چيسیکا، والدة المؤدّب، وجدة هذين التوأمين الملكيين، تعود إلى كوكبنا اليوم. لماذا تنهي نفسها الاختياري في هذا التوقيت؟ لماذا ترك هدوء كلابدان وأمنه من أجل أخطار أراكس؟

شعر بمخاوف أخرى: هل ستشعر بشكوك ستيلجار؟ كانت ساحرة من بني الجيسيرت، وخريجة أعمق تدريبات الأخوية، وأماً موقرة. كانت حاذقة وماكرة. هل ستأمره بأن يسقط فوق سكينه كما أمر حامي الأمة لبيت كاينز؟

تساءل: هل سأطيعها؟

لم يجد إجابة لهذا السؤال في قلبه، بل وجد فيه صورة لبيت كاينز، عالم البيئات الكوكبية الذي رسم في خياله

كوبًا أخضر مُواتٍ لحياة البشر من صحراء كثيب الشاسعة، وهو الكوكب الذي بدأ يتحقق فعلاً. كان لبيت كاينز والد تشاني، ومن دونه لما كان هناك حلم أو تشاني أو التوأمان الملكيان. تعجب من هذه السلسلة الهشة من الأحداث.

سأل نفسه: كيف التقينا في هذا المكان؟ كيف اجتمعنا؟ لأي سبب؟ هل عليّ أن أنهى كل شيء، وأحطم هذا الجمال الفريد؟

شعر ستيلجار بالإلحاح الرهيب في داخله الآن. كان بإمكانه اختيار هذا الطريق، والتخلي عن الحب والأسرة ليقوم بما يلزم نائب فرمني القيام به أحياناً: اتخاذ قرار بالقتل من أجل القبيلة. من زاوية ما، كان هذا القتل خيانة وقسوة في نهاية الأمر؛ أن يقتل طفلين بريئين! ولكنهما لم يكونا بريئين تماماً. شربا من المزاج، وعاشا في غبار الطاو، واستكشفا الصحراء بحثاً عن يرقات الرمال، ولعبا بالألعاب أطفال الفرمن، وجلسا على العرش الملكي. طفلان في ريعان الصبا، ومع ذلك كانا حكيمين بما يكفي ليجلسا على العرش. كانا طفلين في الشكل، ولكنهما كانا عتيدين في الخبرة، وولداً بكامل الذاكرة الجينية، ووعي مخيف يميزهما وعمتهما عالية عن جميع البشر الآخرين الأحياء.

كان ستيلجار يفكر في هذا الاختلاف العجيب الذي يجمع بين التوأمن وعمتهما في كثير من الليالي؛ وكثيراً ما

انتابته الهواجس التي أيقظته من نومه، فذهب إلى غرفتي نوم التوأمين حاملاً معه أحلامه التي لم تكتمل. ولكن الآن بدأت شكوكه تتضح؛ عرف أن عدم اتخاذ القرار هو قرار بحد ذاته. كان هذان التوأمين وعمتهما واعيّن داخل الرحم، عارفين بكل الذكريات التي ورثوها عن أسلافهم. كان الاسبائس هو السبب في ذلك، الاسبائس الذي أدمنته الأم في كلتا الحالتين - الليدي چيسیکا وتشاني. كانت الليدي چيسیکا قد أنجبت ابنها، المؤدّب، قبل أن تصبح مدمنة. وأنجبت عالية بعد الإدمان. لقد كان ذلك واضحاً عندما نظر إليهما فيما بعد.

أنجبت الأجيال الا متناهية من برنامج التزاوج الانتقائي الذي بدأت به البني چيسيرت- المؤدّب، ولكن لم تكن أي من خطط الأخوية تتضمن تأثير المزاج. كنّ يعلمن بهذه الإمكانية، ولكنهن خشين منها، وسمينها سُنة. وكانت هذه الحقيقة مقلقة جداً. سُنة. لا بد أن هن دوافعهن لهذا الحكم. وإذا كانت عالية سُنة، فكذلك التوأمين دون شك، لأن تشاني كانت مدمنة أيضاً، وجسدها كان مشعباً بالاسبائس، وچيناتها أكملت بشكل ما چينات المؤدّب.

كان ستيلجار مشوشاً بالأفكار. لا شك أن هذين التوأمين فاقا والدهما في القدرات. ولكن إلى أي مدى؟ زعم الصبي أنه يستطيع أن يكون والده - وقد أثبت ذلك. منذ أن كان رضيعاً، كشف ليتو عن ذكريات لا

يفترض أن يملكها إلا المؤدب. هل هناك أسلاف آخرون ينتظرون في هذا الطيف الواسع من الذكريات - أسلاف أحدثت معتقداتهم وعاداتهم رعباً لا يوصف للبشرية؟

قالت ساحرات النبي چيسيرت: سُنعَات. ومع ذلك، تطمع الأخوية في الحصول على الصفات الجينية لهذين الطفلين. تريد الساحرات خلاياهما دون الحاجة إلى علاقة جنسية طبيعية. هل هذا هو السبب في عودة الليدي چيسيكاً في هذا الوقت؟ انشقت عن الأخوية لتدعم خليلها الدوق، ولكن الإشاعات تقول إنها عادت إلى نهج النبي چيسيرت.

فكر ستيلجار: يمكنني إنهاء كل هذه الأحلام. كم سيكون ذلك بسيطاً!

ومع ذلك، تساءل مرة أخرى إن كان يستطيع أن يقبل بمثل هذا الخيار. هل توأما المؤدب مسؤولان عن الواقع الذي أفسد أحلام الآخرين؟ لا، كانا فقط العدسات التي من خلالها تسرب الضوء ليكشف عن أشكال كونية جديدة.

في خضم عذابه الداخلي، لجأ عقله إلى معتقدات الفرمن الأصلية، وفكر:

سيأتي أمر الله فلا تستعجله. الله يهديننا السبيل. والبعض يحيد عنه.

كانت عقيدة المؤدب هي الهاجس الذي يقض مضجع

ستيلجار. لماذا ارتقوا بالمؤدب إلى مصاف الآلهة؟ لماذا عبدوا رجلاً من لحم ودم؟ خلق أكسير حياة المؤدب الذهبي (2) وحشاً بيروقراطياً يعرقل شؤون البشر. اتحدت الحكومة والدين، وصار خرق القانون خطيئة. فاحت رائحة الكفر والتجديف كالدخان حول أي شخص يعترض على القرارات الحكومية. وحكم على المتمردين بأحكام قاسية وبنار الجحيم.

ومع ذلك، كان البشر هم من وضعوا المراسم الحكومية. هز ستيلجار رأسه بأسى، دون أن ينتبه إلى الخدم الذين دخلوا غرفة الانتظار الملكية لأداء واجباتهم الصباحية.

تحسس بأصابعه السكين العاجية في خصره، وهو يتذكر الماضي الذي تحمله، وكيف أنه تعاطف مراراً مع المتمردين الذين سُحِقَتْ ثوراتهم البائسة بأوامره. كان ذهنه مشتتاً، وتمنى لو يجد طريقة لبيده، ويركن إلى البساطة التي ترمز إليها السكين. لكن العالم لن يرجع كما كان. كان محرّكاً عظيماً أضاع الفراغ الرمادي للعدم. لو أن سكينه أودت بحياة التوأمين، لما كان صداها إلا في مواجهة هذا الفراغ، ولما أنجبت إلا تعقيدات جديدة تصدح في تاريخ البشر، ولما أحدثت إلا موجات جديدة من الفوضى، وتدعو البشرية إلى اختبار أشكال أخرى من النظام والفوضى.

تنهد ستيلجار، وهو يلاحظ الحراك المستمر حوله. نعم،

هؤلاء الخدم يجسدون النظام الذي ارتبط بتوأمي المؤدب. كانوا دائماً مستعدين لتنفيذ المهام الضرورية التي تقع على عاتقهم.

حدث ستيلجار نفسه: لعل في التقليد حكمة، لعل في مواجهة الأقدار عند مجيئها صواب.

ثم فكر: ما زلت خادماً حتى هذه اللحظة. وسيدي الله الرحيم الرؤوف. وتلا لنفسه بخشوع وتدبر: {إننا وضعنا على أعناقهم أغلالاً حتى الذقون لرفع رؤوسهم* وجعلنا من أمامهم سداً ومن خلفهم سداً، فأغشيناهم فهم لا يبصرون}.

هكذا كان مكتوباً في ديانة الفرمن القديمة.

أوما ستيلجار برأسه إلى نفسه.

الرؤية؛ توقع اللحظة التالية كما فعل المؤدب برواه المذهلة للمستقبل أضاف قوة معاكسة إلى الشؤون الإنسانية. خلقت أرضيات جديدة لاتخاذ القرارات. أن تكون محرراً من الأغلال، نعم، قد يشير ذلك إلى نزوة إله. تعقيد آخر يتجاوز متناول عموم البشر.

رفع ستيلجار يده عن السكين. سرى وخز خفيف عند تذكره هذا. لكن النصل الذي تلاً ذات مرة في فم الدودة الرملية الواسعة ظل في غمده. علم ستيلجار أنه لن يسحب هذا النصل الآن لقتل التوأمين. حسم قراره. من الأفضل الاحتفاظ بتلك الفضيلة القديمة التي ما زال يعتز

بها؛ الولاء. التعقيدات التي يظن المرء أنه يفهمها أفضل
من التعقيدات التي يصعب فهمها. الحاضر أفضل من
مستقبل حلم. أخبره الطعم المر في فمه كيف يمكن أن
تكون بعض الأحلام باطلة ومقززة.

لا! لا مزيد من الأحلام!

تحدي: «هل رأيت الواعظ؟»

إجابة: «رأيت دودة رملية».

تحدي: «ماذا عن تلك الدودة الرملية؟»

إجابة: «تعطينا الهواء الذي نتنفسه».

تحدي: «إذا لماذا ندمر أرضها؟»

إجابة: لأن الشيء هولود (الدودة الرملية المألّهة) تأمر

بذلك».

- أحاجي أراكس (خرق العادة*) (3)

استيقظ توأما آتريديز قبل الفجر بساعة على طريقة الفرمن. نثاءباً وتمدّداً في انسجام خفي في غرفتيهما المتجاورتين، وشعرا بنشاط ساكني الكهف من حولهما. استطاعا سماع حركة الخدم في غرفة الانتظار وهم يعدون وجبة الإفطار: عصيدة بسيطة مع التمر والمكسرات ممزوجة في سائل مستخلص من اسبايس مُخمَّر جزئياً. أضاءت غرفة الانتظار كرات إنارة، وتسرب ضوءها الأصفر الناعم من خلال المداخل المقوّسة المفتوحة لغرف النوم. لبس التوأمان ملابسهما بسرعة في النور الخافت، كل منهما يسمع الآخر القريب منه. كما اتفقا، فقد ارتديا بذلتي التقطير لمواجهة رياح الصحراء القاحلة.

التقى الثنائي الملكي في غرفة الانتظار، وقد لاحظا سكون الخدم المريب. ارتدى ليتو عباءة بنية بأطراف

سوداء فوق بذلة تقطيره الرمادية الفاخرة، أما أخته فارتدت عباءة خضراء. وعند ياقة كل عباءة ثبت مشبك ذهبي على شكل صقر آتريديزي، يحمل في عينيه جوهرتين حمراوين.

عندما رأتهما حارّة، زوجة ستيلجار، تعجبت من روعة زيهما وقالت: «أرى أنكما تتألقان بألوان الحرملات تكريماً لجدتكما العظيمة».

بعد أن أفرغ ليتو طبق إفطاره، رفع رأسه ونظر إلى حارّة التي تقف أمامه. كان وجهها الأسمر متجعداً بفعل الرياح القاسية. هز رأسه بتعجب وقال: «كيف تعرفين أننا لا نكرم أنفسنا بذلك؟»

وقفت حارّة صامدة أمام نظراته الساخرة، وأجابت بثبات: «عيناى تامتا الزرقة مثل عينيك».

انفجرت غنيمة في ضحكة مجلجلة. كانت تعرف مدى براعة حارّة في لعبة الألفاظ الفرمنية (4). وبكلمة واحدة، قالت: «لا تحاول أن تستهزئ بي يا فتى. قد تكون من العائلة المالكة، لكن كلانا يحمل وصمة إدمان المزاج- أعين نامة الزرقة بلا بياض. ما الذي يحتاج إليه الفرمن أكثر من الاحترام والتقدير؟»

ابتسم ليتو، وهز رأسه بأسف. «حارّة العزيزة، لو أنك في سني ولم تكوني زوجة ستيلجار، لتزوجتك».

قبلت حارّة الإطراء برضا، وأشارت إلى الخدم الآخرين

ليكملوا ترتيب الغرف من أجل الأحداث المهمة التي تنتظرهم اليوم. قالت: «تناولا فطوركما. سوف تحتاجان إلى قوتكما اليوم».

سألت غنيمة وهي تمضغ العصيدة بشهية: «إذن أنت تقرين بأننا لا نرتقي إلى مكانة جدتنا».

قالت حارة: «لا تخافها يا غنيمة».

ابتلع ليتو ملعقة من العصيدة، ورمق حارة بنظرة فاحصة. كانت المرأة ذات حكمة ومكر شديدين، فهي تستطيع رؤية الحقيقة الخفية خلف ذلك التأنق بسهولة.

قال ليتو متسائلاً: «هل تظنين أننا نخافها؟»

«أمر محتمل، فقد كانت أمنا الموقرة كما تذكran. أنا أعرف أساليبها».

قالت غنيمة بفضول: «ماذا تلبس عالية؟»

أجابت حارة باقتضاب فيما تستدير مبتعدة: «لم أرها».

تبادل ليتو وغنيمة نظرة مليئة بالأسرار، وأكلا فطورهما بسرعة. ثم انطلقا إلى الممر الرئيسي الضخم. قالت غنيمة بإحدى اللغات القديمة التي تربطهما بذاكرتهما الجينية: «اليوم سنلتقي جدتنا».

قال ليتو بقلق: «هذا يثير غضب عالية كثيراً».

سألت غنيمة بسخرية: «من يجب أن يفقد هذه

السلطة؟»

ضحك ليتو بهدوء، صوت رجل في جسد طفل: «الأمر أعمق من ذلك».

«هل ستلاحظ عينا والدتها ما لاحظناه؟»

قال ليتو بثقة: «بالتأكيد».

«نعم ... ربما هذا ما تخشاه عالية».

قال ليتو بحدة: «من يعرف الشُّنعة أفضل من شُنعة؟»

قالت غنيمة بتردد: «قد نكون مخطئين، كما تعلم».

«لكننا لسنا كذلك». واقتبس عبارة من كتاب الأزهر

البنى الجيسيرتي «بناء على المنطق والتجربة الرهيبة نسمي

الواعين ما قبل الولادة شُنعة. لأنه من يدري أي شخصية

مفقودة وملعونة من ماضينا الشرير التي قد تستحوذ على

الجسد الحي؟»

قالت غنيمة بتأويل: «أنا أعرف تاريخ الشُنعة. ولكن،

إذا كان هذا صحيحًا، فلماذا لا نتأثر بهذا الاعتداء

الداخلي؟»

قال ليتو: «ربما أبوانا يحمياننا من داخلنا».

«إذا لماذا لا يوجد من يحمي عالية أيضًا؟»

«لا أعرف. ربما لأن أحد والديها ما زال حيًا، وربما

ببساطة لأننا ما زلنا صغارًا وأشداء. ربما عندما نكبر

ونصبح أكثر تشاؤماً..».

قالت غنيمة بحذر: «يجب أن ننتبه جيداً لهذه الجدة». «ولا تناقشي هذا الواعظ الذي يجوب كوكبنا وينطق بالهرطقة؟»

«أنت لا تصدق حقاً أنه والدنا؟!»

«لم أحسم رأبي في ذلك، لكن عالية تخافه».

هزت غنيمة رأسها بحدة. «لا أصدق خرافة الشنعة تلك».

قال ليتو بحكمة: «أنتِ لديك نفس مقدار الذكريات التي لدي. يمكنكِ تصديق ما تشائين».

قالت غنيمة بدهشة: «أنت تظن أن السبب في ذلك هو أننا لم نجرب الإسبائيس، وعالية فعلت».

«هذا هو بالضبط ما أظن»

صمتا، وانطلقا وسط تدفق الناس في الممر الرئيسي. كان الجو بارداً في سييتش تبر، لكن بذلات التقطير كانت تحافظ على دفئهما، وأبقيا غطاءي رأسيهما مرفوعين عن شعرهما الأحمر. كان وجهاهما يعكسان طابع الجينات المشتركة: فان جميلان وعريضان، وأعين واسعة متوهجة بزرق مدمني الاسبائيس.

كان ليتو أول من رأى عمتهما عالية تقترب منهما.

قال محذراً بلغة آترديدز القتالية: «ها هي ذي تأتي الآن». أومأت غنيمة برأسها إلى عمتها وهي تتوقف أمامهما، وقالت: «غنيمة حرب* ترحب بقريبتها المتألقة». باستعمال اللغة التشاكوبسية، أكدت غنيمة معنى اسمها - غنيمة حرب.

قال ليتو: «كما ترين يا عمتي العزيزة، نحن نستعد للقاء اليوم مع والدتك».

عالية هي الشخص الوحيد في الأسرة الملكية الكبيرة التي لم تدهش من سلوك البالغين الذي يظهره هذان الطفلان، راحت تنقل نظرها بين التوأمين، ثم قالت: «أمسكا لسانكما، كلاكما!»

كان شعر عالية البرونزي مرفوعاً إلى الخلف داخل حلقتين مائيتين ذهبيتين (5). ظهرت على وجهها البيضاوي علامات الكآبة والحزن، وأطبقت شفيتها الكبيرتين المنحيتين نحو الأسفل بغرور. كانت عيناها الزرقاوان محاطتين بتجاعيد قلقٍ.

قالت عالية: «لقد حذرتكما من كيفية التصرف اليوم. تعرفان الأسباب تماماً مثلي».

قالت غنيمة: «نحن نعرف أسبابك، لكن ربما لا تعرفين أسبابنا».

جأرت عالية غضباً: «غنيمة!»

حدق ليتو في عمته، وقال: «اليوم من بين كل الأيام، لن نتظاهر بأننا أطفال سدج!»

قالت عالية: «لا أحد يريد منك أن تتظاهرا بالسذاجة. لكننا نعتقد أنه من غير الحكمة أن نثيرا أفكاراً خطيرة في والدتي. إيرولان نتفق معي. من يدري أي دور ستختاره الليدي چيسیکا أن تلعبه؟ إنها، بعد كل شيء، بني چيسيرت».

هز ليتو رأسه متعجباً: لماذا لا ترى عالية ما نشته فيه؟ هل ذهبت بعيداً جداً في طريق الشنعة؟» ثم أشار بنظرة خاصة إلى العلامات الجينية الدقيقة على وجه عالية، التي تدل على جدها لأمها. لم يكن البارون فلاديمير هاركونن شخصاً طيباً. عندما أدرك ذلك، شعر ليتو بالحركات الغامضة لانزعاجه، مفكراً: هو جدي أيضاً.

قال: «الليدي چيسیکا تدربت حتى تحكم».

أومأت غنيمه برأسها. «لماذا اختارت هذا التوقيت للعودة؟»

عبست عالية ثم قالت: «هل من الممكن أنها تريد فقط رؤية حفيديها؟»

فكرت غنيمه: هذا ما تتمنيه يا عمتي العزيزة. لكن على الأرجح ليس هذا مبتغاها.

قالت عالية: «لا تستطيع أن تحكم هنا. لديها كلادان».

ينبغي أن يكون كافيًا».

تحدثت غنيمة بنبرة هادئة: «عندما ذهب والدنا إلى الصحراء حتى يموت، تركك وصية على العرش. كان...».

سألها عالية: «هل لديك أي شكوى؟»

قال ليتو متبعًا خطى شقيقته: «كان خيارًا معقولًا. كنتِ الوحيدة التي عرفت كيف يكون شعور الولادة كما ولدنا».

قالت عالية: «يشاع أن والدتي عادت إلى الأخوية، وأنتما تعرفان ما تفكر فيه البني چيسيرت...».

قال ليتو: «الشُّنعة».

تضايقت عالية وقالت: «نعم!»

قالت غنيمة «من صارت ساحرة، فستظل ساحرة دومًا - هكذا يقال».

فكر ليتو: أختاه، أنتِ تلعبين لعبة خطيرة. لكنه هذا حذوها قائلًا: «كانت جدتنا امرأة أبسط من مثيلاتها الأخريات. أنت تشاركين ذكرياتها يا عالية، بالتأكيد لا بد أنك تعرفين ما يجب أن نتوقعه».

قالت عالية وهي تهز رأسها: «أبسط؟!» ثم نظرت حولها إلى الممر المزدهم، ثم استدارت إلى التوأمين من جديد: «لو كانت أمي بسيطة، ما كنتما ستكونان هنا من الأساس - ولا أنا. وربما كنت ابنتها البكر، ولم يحدث

شيء من هذا..». هزّت كتفها، وقد سرت رعشة خفيفة فيها. «أنا أحذركم، كونا حريصين جداً فيما تفعلانه اليوم».

نظرت عالية. «ها هو ذا حارسي».

سأل ليتو: «وما زلت لا تعتقدن أنه من الآمن لنا مرافقتك إلى الميناء الفضائي؟»

قالت عالية: «انتظراني هنا. سأعود بصحبتها».

تبادل ليتو نظرة مع أخته، وقال: «لقد أخبرتنا مرات عديدة أن الذكريات التي نحتفظ بها من أولئك الذين عاشوا قبلنا تفتقر إلى فائدة معينة حتى نختبر ما يكفي بجسدنا لجعلها حقيقية. أختي وأنا نؤمن بهذا. نتوقع تغيرات خطيرة مع وصول جدتنا».

قالت عالية: «لا تكفا عن تصديق ذلك». التفتت بعيداً. حوّطها حراسها وتحركوا بسرعة أسفل الممر نحو مدخل الحصن حيث كانت تنتظرهم الأورنيثوبترات.

مسحت غنيمة دمعة من عينيها اليمنى.

همس ليتو: «ماء للهوتي». وأخذ ذراع أخته.

استنشقت غنيمة نفساً عميقاً، وتنهدت، وهي تفكر كيف أنها راقبت عمّتها، مستخدمة الطريقة التي تعرفها خير معرفة من تراكم تجارب أسلافها. «نشوة الاسپايس، أليس كذلك؟»

«هل لديك اقتراح أفضل؟»

«من أجل المناقشة، لماذا لم يستسلم أبونا.. أو حتى رضخت جدتنا؟»

تأملها للحظة. ثم قال: «أنتِ تعرفين الإجابة كما أعرفها. تمتعا بشخصيات آمنة وراسخة بالفعل عندما أتيا إلى أراكس. نشوة الاسپايس - حسناً». هز كتفيه. «لم يولدا في هذا العالم وهما يمتلكان بالفعل ذكريات أسلافهم. لكن عالية...».

«لماذا لم تصدق تحذيرات النبي چيسيرت؟» عضت غنيمة على شفها السفلى. «امتلكت عالية المعلومات التي كان بوسعها الاستعانة بها مثلنا».

قال ليتو: «كانوا بالفعل يطلقون عليها سُنة. ألا تجدين أنه من المغربي معرفة إن كنتِ أقوى من كل هؤلاء...».

«لا، لا أجد ذلك مغريباً». أبعدت غنيمة نظرها عن تحديق أخيها، مرتجفة. لم تكن بحاجة إلى الاستعانة بذكريات أسلافها لتدرك خطورة تحذيرات الأخوية. فقد كان من المعروف أن الذين يولدون واعين بالكامل مثلها ومثل عالية، ينحدرون فيما بعد إلى أعماق الفساد والانحلال. والسبب الذي يفسر ذلك ... ارتجفت من جديد.

قال ليتو: «من المؤسف أنه ليس لدينا أمثلة سابقة ولو قليلة عن الواعين تماماً ما قبل الولادة في أسلافنا».

«ربما لدينا».

«لكننا.. أوه، نعم، السؤال القديم غير المجاب: هل لدينا حقًا منفذ مفتوح إلى خبرات جميع أسلافنا».

من الاضطراب المستعر داخله، عرف ليتو كيف أن هذه المحادثة لا بد أنها تُزعج أخته. لقد فكراً في هذا السؤال مراراً، ولم يجداً إجابة. قال: «يجب أن نؤجل، ونؤجل، ونؤجل في كل مرة تحثنا على بلوغ نشوة الاسپايس. الحذر الشديد من جرعة زائدة من الاسپايس. هذا أفضل مسار نمتلكه».

قالت غنيمه: «يجب أن تكون الجرعة الزائدة هائلة جداً».

وافق على ذلك قائلاً: «ربما تكون درجة تحملنا مرتفعة. انظري إلى كم الاسپايس الذي تناوله عالية».

قالت غنيمه: «أنا أشفق عليها. يجب أن يكون إغراؤه خفياً ومخادعاً، حتى يتسلل إليها».

قال ليتو: «إنها ضحية، نعم. سُنة».

«يمكن أن نكون مخطئين».

«حقيقي».

قالت غنيمه مُفكرّة: «أتساءل دائماً، إذا كانت ذكرى الأسلاف التي أسعى إليها ستكون تلك التي».

قال ليتو: «الماضي ليس أبعد عنك من وصادتك».
«يجب أن نستغل الفرصة حتى نناقش هذا مع جدتنا».
قال ليتو: «تحثني ذاكرتها بداخلي على ذلك أيضاً».
التقت نظراتهما، ثم قالت: «المعرفة المفرطة لا تقود أبداً
إلى قرارات بسيطة».

السييتش عند حافة الصحراء

كان ملكاً للبيت، لكائن،

ملكاً لستيلجار، للمؤدب،

ثم بات من جديد ملكاً لستيلجار.

النواب نائباً تلو الآخر ينامون في الرمال،

لكن السييتش يصمد.

- من أغنية فرمنية

شعرت عالية بقلبها يخفق بقوة وهي تبتعد عن التوأمين.
لم تستطع أن تهدأ لثوانٍ قليلة كأنها مجبرة على العودة
والتوسل إليهما لمساعدتها. يا له من ضعف أحق! بعثت
ذكرياته سكوناً تحذيراً عبرها. هل يجرؤ هذان التوأمين على
ممارسة الاستبصار؟ لا بد أن المسار الذي ابتلع والدهما
يستدرجهما بشدة - نشوة الاسپايس وما تحمله من رؤى
مستقبلية تتلاطم مثل شرع ينتفخ في عاصفة شديدة.

تساءلت عالية: لم لا أستطيع رؤية المستقبل؟ مهما
أحاول، لماذا يراوغني؟

قالت لنفسها: لا بد أن التوأمين مخلوقان حتى يحاولا
ذلك. يمكن إغواؤهما إليه. كان لديهما فضول أطفال،
يرتبط بذكريات تمتد إلى آلاف السنين.

فكرت عالية: مثلي تماماً.

انزلت بين حراسها وهم يفتحون أقفال الرطوبة (6) عند مدخل السييتش، وخرجت إلى المهبط الذي تنتظرها فيه الأورنيثوبترات الجاهزة للطيران. هبَّت الرياح الصحراوية الحارة، وحملت معها سحباً من الغبار إلى السماء، لكن النهار كان صحواً. شعرت بصدمة في عينيها وهي تنتقل من ضوء كرات الإنارة داخل السييتش إلى أشعة الشمس الساطعة؛ ما دفع أفكارها بعيداً.

ما الذي أعاد الليدي چيسيكاً في هذا الوقت؟ هل تسرَّبت القصص إلى كلادان، قصص عن كيفية توليها العرش بالوصاية.

قال أحد حراسها وهو يرفع صوته فوق هدير الرياح: «يجب أن نسرع يا سيدتي».

قفزت عالية إلى متن الأورنيثوبتر، وربطت حزام الأمان، وأفكارها تقفز أمامها.

لماذا الآن؟

حين انحنت أجنحة الأورنيثوبتر وانطلقت المركبة في السماء، شعرت بمجد وقوة موقعها كأنهما حقيقتان - لكنهما كانا هشين، أوه، كم كانا هشين!

لماذا الآن وخططها لم تكتمل؟

تلاشى الغبار وتبدد، وتمكنت من رؤية شمس الكوكب الساطعة تنير المشاهد الطبيعية الجديدة للكوكب: حقول

خضراء من النباتات تنمو في أرض كانت يوماً ما صحراء قاحلة.

من دون رؤية المستقبل، يمكن أن أفشل. أوه، ما السحر الذي كنت أستطيع صنعه لو كنت أرى كما رأى پول! تلك المرارة التي رافقت الرؤى الاستبصارية لم تكن تليق بي.

ارتعشت من جوع شديد يعذبها، وتمنت لو أنها تستطيع التخلي عن السلطة التي تثقلها. أوه، أن تكون مثل الآخرين - مطمئنة البال في ظلام الجهل، لو أنها تعيش فقط في حياة الغيبوبة والبساطة التي تسببها صدمة الولادة لمعظم البشر. ولكن هيهات! ولدت آتريديزية، ضحية لذلك الوعي العميق الممتد إلى عصور سحيقة، الذي نتج عن إدمان والدتها الاسپايس.

لماذا تعود أمي اليوم؟

سيكون جيرني هاليك برفقتها - الخادم الوفي دائماً، القاتل المأجور ذو الوجه القبيح، المخلص والصادق، الموسيقي الذي يجيد القتل والعزف على الباليست ذي الأوتار التسعة بنفس البراعة. قال البعض إنه صار عشيق والدتها. هذا أمر يجب التحقق منه؛ فقد تكون تلك المعلومة الأثمن في اللعبة.

غادرتها الرغبة في أن تكون مثل الآخرين.

يجب استدراج ليتو إلى نشوة الاسپايس.

تذكرت أنها سألت الصبي كيف سيتعامل مع جيرني هاليك. وقد قال ليتو -مدركا التلهيحات الخفية في سؤالها- إن هاليك كان مخلصاً جداً، مضيفاً: «لقد أحب.. والدي».

لاحظت التردد الطفيف. كاد ليتو يقول «أنا» بدلاً من «والدي». نعم، كان من الصعب أحياناً فصل الذاكرة الجينية عن وتر الجسد الحي. لن يجعل جيرني هاليك هذا الانفصال أسهل على ليتو.

ابتسمت عالية ابتسامة ماكرة.

قرر جيرني أن يرافق الليدي چيسيكاً إلى كلادان بعد وفاة پول. ستثير عودته إرباكاً كبيراً، فبعودته إلى أراكس، سيزيد من تعقيد الأوضاع السابقة. خدم والد پول- وهكذا انتقلت الخلافة: من ليتو الأول إلى پول، ومن پول إلى ليتو الثاني. وبحسب برنامج تناسل البني چيسيرت: چيسيكاً إلى عالية إلى غنيمه - سلالة متفرعة. ربما يكون جيرني -الذي سيعثر الهويات أكثر- ذا قيمة.

ماذا سيفعل إذا اكتشف أننا نحمل دماء الهراكنة الذين يكرههم بشدة؟

ابتسمت عالية متأملة. التوأمان هما طفلان في النهاية. كانا كطفلين لهما آباء لا عدد لهم، ذكرياتهما تنتمي إلى الآخرين وإلى نفسيهما. كانا واقفين على حافة سييتش تبر يراقبان مسار سفينة جدتهما الفضائية وهي تهبط

في حوض أراكين. هذا الأثر المتوهج لسفينة ظاهرة في السماء - هل سيجعل وصول چيسیکا حقيقياً بالنسبة إلى حفيدتها؟

فكرت عالية: ستسألني والدتي عن تدريريها. هل أمزج أساليب الپرانا يندو (7) بيد حكيمة؟ سأجيبها بأنهما يتدربان بأنفسهما- كما فعلت أنا. سأنقل لها قول حفيدتها: «من واجبات القيادة العقاب... ولكن فقط إذا طلبته الضحية».

خطر ببال عالية بعد ذلك أنه إذا استطاعت أن تشغل انتباه الليدي چيسیکا بالكامل بالتوأمين، فربما ينجو الباقون - بمن فيهم هي- من تفتيش دقيق. يمكن أن يحدث هذا. كان ليتو شبيهاً بپول كثيراً. ولمَ لا؟ كان بإمكانه أن يكون پول حينما يشاء. حتى غنيمة كانت تحمل هذه القوة الهائلة.

كما أنني أستطيع أن أكون أمي أو أي شخص آخر عاش معنا.

نبذت تفكيرها، وحدثت إلى المناظر الطبيعية الخلابة خلف الجدار الحامي. ثم فكرت: لماذا تخلت أمي عن الأمان الدافئ في كلابان الغني بالمياه وعادت إلى أراكس، إلى هذا الكوكب الصحراوي حيث قُتل دوقها واستشهد ابنها؟

لماذا عادت الليدي چيسیکا في هذا الوقت؟

لم تجد عالية أي إجابة - لا شيء مؤكد. يمكنها مشاركة وعي ذات أخرى، ولكن عندما تتباين التجارب في مسارات مختلفة، تختلف الدوافع أيضاً. يكمن جوهر القرارات في الأفعال المستقلة التي يتخذها الأفراد. بالنسبة إلى الواعين تماماً ما قبل الولادة -الآترديد الثلاثة الذين ولدوا أكثر من مرة- فقد ظل هذا الواقع الأسمى هو في حد ذاته نوع آخر من الولادة: كان الانفصال المطلق للجسد الحي والمتنفس عندما يغادر ذلك الجسد الرحم الذي ابتلاه بوعي متعدد؟

لم تجد عالية في حبها وكرهها لوالدتها شيئاً غريباً. كان ذلك ضرورياً ومتوازناً دون أن يترك مجالاً للشعور بالذنب أو اللوم. فمن أين تبدأ وتنتهي المحبة والكراهية؟ هل ينبغي أن يكره المرء أخوية النبي چيسيرت لأنهن دفعن الليدي چيسيكاً إلى مصير محدد؟ كانت تشعر بالذنب واللوم عندما انهمرت عليها ذكريات آلاف السنين. كان هدف الأخوية توليد الكويزاتس هاديراك؛ الرجل الذي يمتلك قدرات أم موقرة متطورة وأكثر -إنسان يتميز بحساسية ووعي خارقين. الكويزاتس هاديراك القادر على الوجود في مكانين في آن واحد. أما الليدي چيسيكاً، فكانت مجرد بيدق في برنامج التناسل الانتقائي هذا، ولكنها -لسوء حظها- أحبت الرجل الذي أمرت بالزواج به. وبناءً على رغبة دوقها المحبوب، أنجبت له ابناً بدل الابنة التي طلبتها منها الأخوية، ليكون هذا الابن هو بكرها.

وهكذا ولدتُ بعد أن أصبحت چيسىكا مدمنة على
الاسپايس! والآن هن لا يردنني. الآن هن يخفنني! لسبب
وجيه...

نجحن في حيازة پول، الكويزاتس هاديراك، أبكر بعمرٍ
كامل- خطأ بسيط في التقدير في خطة ممتدة. والآن
لديهن مشكلة أخرى: الشنعة، البنت التي حملت الجينات
الثمينة التي بحثن عنها لأجيال عديدة.

شعرت عالية بظل يمر فوقها، فنظرت إلى أعلى. كان
مرافقها يتولى مهمة الحراسة المشددة استعداداً للهبوط.
هزت رأسها مستغربة أفكارها الشاردة. ما فائدة استدعاء
الأرواح القديمة واجترار أخطائهم؟ كأن هذه حياة
جديدة.

كان دانكن آيداهو قد ركز وعيه المنتاتي في سبب عودة
چيسىكا في هذا التوقيت، وقيم المشكلة بطريقة الكومبيوتر
البشري التي كانت تميزه. زعم أنها عادت لتسيطر على
التوأمين لصالح الأخوية. كان التوأمين يحملان تلك
الجينات الثمينة. ربما كان دانكن محقاً. ربما كان ذلك ما
دفع السيدة چيسىكا إلى التخلي عن عزلتها التي فرضتها على
نفسها في كلابدان. إذا أمرتها الأخوية.. حسناً، ماذا غير
ذلك سيدفعها إلى الرجوع إلى تلك المشاهد الكثيرة التي
كانت لا شك محزنة جداً بالنسبة إليها؟

همست عالية: «سنرى».

شعرت بالأورنيثوبتر تلامس سطح حصنها، وهي إشارة
مفرحة ومقلقة في آن معاً، ملأت قلبها بترقب كئيب.



أصل كلمة المزاج غير معروف (يعتقد أنه مشتق من لغة
الفرانزا تران القديمة):

أ- خليط من التوابل.

ب- اسپايس أراكس (كثيب) ذو خصائص مقاومة
للشيخوخة لاحظها لأول مرة يانشوف أشكوكو،
الكيميائي الملكي في عهد شكاد الحكيم. مزاج أراكين
الموجود فقط في رمال صحراء أراكس العميقة، مرتبط
برؤى پول المؤدب (آتريديز) النبوية، المهدي الفرمني
الأول؛ ويستعمله أيضا ملاحو نقابة الفضاء وأخوية البني
چيسيرت.

- القاموس الملكي (الطبعة الخامسة)

صعد القطان الضخمان على التلال الصخرية مع ضياء
الفجر، وهما يقفزان بخفة. لم يكونا مشغولين بالصيد الآن،
بل بمراقبة أراضيهما. كانا من نمور لازا، سلالة خاصة
جلبوها إلى كوكب سالوسا سوكانداس قبل نحو ثمانية
آلاف عام. تغيرت سمات النمر الأصلية بفعل التدخل
الچيني في موروث الأرض القديم. بقيت الأنياب طويلة.
وكانت وجوهها عريضة، وعيونها متيقظة وحادة. وكبرت
الكفوف لتأقلم مع التضاريس المتعرجة ويمكن أن
تخرج مخالبا المغلفة لتصل إلى طول عشرة سنتيمترات،
وكانت مشحوزة في الأطراف بحواف تشبه الشفرة بفضل
الاحتكاك الخشن لأغلفتها. وكان فروها أملس وأسود

يساعدها في التخفي في الرمال.

كانا مختلفين عن أسلافهما بطريقة أخرى: زُرعت في دماغيهما محفزات تعزيزية عندما كانا شبليين. جعلتهما المحفزات يبدقين في يد من يمتلك جهاز الإرسال.

كان الجو بارداً. توقف القطن لحظة ليستطلعا التضاريس، أحدثت أنفاسهما ضباباً في الهواء. كان سالوسا سوكانداس حولهما قاحلاً، يضم بعض اليرقات الرملية الهاربة من أراكس، التي حافظوا عليها حية بصعوبة راجين كسر احتكار المزاج. كانت الصخور السمراء والشجيرات المتناثرة بلونها الأخضر الفضي تزين المناظر الطبيعية حيث وقف القطن في ظلال الشمس الصباحية الطويلة.

على إثر حركة خفيفة، تأهب القطن فجأة. التفت أعينهما ببطء إلى اليسار، ثم أدارا رأسيهما نحو الأرض المتعرجة. كان طفلان يسيران بصعوبة في الوادي الجاف متشابكي الأيدي. كان عمرهما، ربما تسع أو عشر سنوات. كان شعرهما أحمر وكان كل منهما يلبس بذلة تقطير مغطاة جزئياً ببقع أبيض يحمل عند حوافه شعار صقر آل آترديد المنسوج بخيوط من الجواهر النارية.

وهما يسيران، كان الطفلان يثرثران بفرح. سمع القطن صوتيهما بوضوح. عرف ثمرا اللازا هذه اللعبة، فقد لعبها من قبل، ولكنهما بقيا هادئين، في انتظار إطلاق إشارة

المطاردة في محفزاتهما التعزيزية.

الآن، ظهر رجل على قمة النتوء الصخري خلف القطّين.. وقف ونظر إلى المشهد: القطّين والطفلين. كان الرجل يرتدي زي ساردوكار رمادياً وأسود مع شارة ليغّبريتش؛ مساعد باشار. حمل حزاماً خلف رقبته وتحت ذراعيه، يوجد جهاز الإرسال المؤازر في عبوة رفيعة فوق صدره حيث يمكنه الوصول إلى المفاتيح بسهولة بكلتا يديه.

لم يستدر القطّان مع اقترابه. عرفا هذا الرجل من صوته ورائحته. اندفع نحو الأسفل حتى وقف على بعد خطوتين من القطّين، مسح العرق الذي تصبب من جبينه. كان الهواء بارداً، لكن الأمر مستعجل. نظرت عيناه الفاتحتان إلى المشهد: قطّين، وطفلين. أعاد خصلة مبللة من الشعر الأشقر خلف أذنه تحت خوذة العمل السوداء، ولمس الميكروفون المزروع في حنجرتة.

«الطفلان في مدى الرؤية».

سمع صوت الرد من خلال أجهزة استقبال مزروعة خلف أذنيه: «نحن نراهم».

سأل ليغّبريتش: «هل حان الوقت؟»

رد الصوت: «هل سيقدمان على الهجوم دون أمر مطاردة؟»

قال ليغّبريتش: «هما مستعدان».

«جيد جدًا. لنر إن كانت أربع جلسات تهيئة كافية».

«أبلغني عندما تكون جاهزاً».

«أنا جاهز».

قال ليثنبريتش: «الآن إذا».

لمس مفتاحاً أحمر على الجانب الأيمن من جهاز الإرسال المؤازر بعد أن رفع شريطاً يحميه. تحرر القطن الآن من أي قيود. وضع يده فوق مفتاح أسود تحت المفتاح الأحمر مستعداً لإيقافهما إن التفتا ورأياه. لكنهما لم يباليا به وهو منبسط على الأرض، وبدأ يتقدمان نحو الطفلين. تحركت قوائمهما الضخمة إلى الأمام في حركات انسيابية.

انحنى ليثنبريتش للمراقبة، مدركاً أنه في مكان ما حوله، تنقل عين كاميرا خفية هذا المشهد كله إلى شاشة سرية داخل القلعة حيث يسكن أميره.

وفي تلك اللحظة، وثب القطن ثم ركضاً.

لم يشعر الطفلان المنهماكان في تسلق الصخور بالخطر الذي يتربص بهما. ضحك أحدهما، وعلا صوته في الهواء الخالي. تزلق الطفل الآخر واستعاد توازنه والتفت ورأى القطين. نادى الطفل: «انظر!»

تجمد الطفلان ونظرا إلى هذا المنظر العجيب. كانا لا يزالان واقفين عندما هجم عليهما نمرا اللازا، واختار كل قط طفلاً. مات الطفلان بسرعة ووحشية، وانكسر

عنقاهما بضربة. انهمك القطان في التهامهما.

سأل ليثنبريتش: «هل أستدعيهما؟»

«دعهما يكملان الأكل. كان أدائهما جيداً. كنت متأكداً من أنهما سيفعلان ذلك؛ هذا الثنائي رائع».

وافق ليثنبريتش: «أروع ما شاهدت في حياتي».

«حسن جداً، إذا. سنرسلُ وسيلة نقل إليك. سأقطع الاتصال الآن».

نهض ليثنبريتش وتمطى. تجنب النظر مباشرة إلى الربوة المرتفعة عن يساره حيث برز لمعان يدل على موقع العين الناقلة التي أرسلت أداءه الرائع إلى بإشاره البعيد في أراضي الكابيتول الخضراء. ابتسم ليثنبريتش. سيحصل على ترقية بسبب عمله هذا اليوم. وبالفعل، كان يشعر بإشارة باتور في رقبته - ويوماً ما، بورسيج.. ثم يوماً ما، بإشار حتى.. كل الذين خدموا بولاء في فيلق فارادين، حفيد الراحل شادام الرابع، حصلوا على ترقية سخية. في يوم من الأيام، عندما يعتلي الأمير عرشه الشرعي، ستكون هناك ترقية أعظم. قد لا تكون رتبة بإشار نهاية المطاف. سيكون هناك بارونات ونبلاء في كثير من عوالم هذه المملكة.. بعد التخلص من توأمي آترديز.

على الفرمني أن يستعيد إيمانه الغابر، وذلك النبوغ الذي كان له في تأسيس الحضارات؛ يجب أن يعود إلى الماضي، حيث تعلم درس البقاء في حالة صراع مع أراكس. يجدر بالفرمني أن يكرس جهوده لفتح قلبه أمام التعاليم الداخلية. ليس لدى عوالم الإمبراطورية ومجلس اللاندراد واتحاد تشوم رسالة يهبونها للفرمني. إنما ينوون نهب روحه فحسب.

- الواعظ في أراكين

حاصرت الليدي چيسيكاً جموعاً من البشر، ممتدين فوق سطح سهل الهبوط المنبسط الذي استقرت عليه مركبتها التي راحت تهتز وتئن بعد انحرافها من الفضاء وهبوطها في كثيب. حسبت چيسيكاً أنهم نصف مليون شخص، ربما ثلثهم حجاج. وقفوا في صمت وذهول، مترقبين نزول منصة مخرج المركبة التي خبأتها فتحتها الداكنة هي وجماعتها.

بقيت ساعتان حتى يحل الظهر، لكن الهواء فوق الجموع كان يلمع بغبار ويوحى بحرارة النهار.

لمست چيسيكاً شعرها النحاسي المنقط بالفضة، الذي أحاط بوجهها البيضاوي تحت قلنسوة عباءة الأم الموقرة. علمت أنها لا تبدو في أحسن حالاتها بعد الرحلة الطويلة، ولم يكن لون العباءة الأسود لونها المفضل. لكنها ارتدت هذا الثوب هنا من قبل. لن تنسى أهمية العباءة بالنسبة إلى الفرمن. تنهدت. لم تحب السفر في الفضاء قط، وزادت

الذكريات العباء عليها- ذكريات الرحلة من كلادان إلى أراكس عندما أُجبر دوقها على الذهاب إلى هذه الإقطاعية رغماً عنه.

بهدوء، وباستخدام قدرتها البني چيسيرتية المدربة على اكتشاف التفاصيل الدقيقة، نظرت إلى بحر البشر.

رأت أغطية رأس بذلات تقطير رمادية باهتة، أردية الفرم من الصحراء العميقة؛ وججاجاً بلباس أبيض وعلى أكتافهم علامات التوبة. وكانت هناك جيوب متناثرة من التجار الأغنياء دون قلنسوة، وبملابس خفيفة ليظهروا ازدراءهم لهدر المياه في الهواء الجاف لأراكين... وكان هناك وفد من جمعية المؤمنين، يرتدون أردية خضراء ورؤوسهم مغطاة بالقلنسوات، ويقفون بعيداً عن الآخرين في حرمة جماعتهم.

عندما رفعت نظرها عن الجموع، رأت مشهداً مألوفاً لها حينما وصلت مع دوقها الحبيب.

منذ متى كان ذلك؟ أكثر من عشرين عاماً. لم يرق لها التفكير في نبضات قلبها الملتاعة. كان الزمن يثقلها من الداخل، كأن سنوات بُعدها عن هذا الكوكب لم تكن موجودة.

فكرت: مرة أخرى ها أنا ذي في فم التنين.

هنا، على هذا السهل، كان ابنها قد انتزع الإمبراطورية من الراحل شادام الرابع. طبع اضطراب في التاريخ هذا

المكان في عقول الرجال ومعتقداتهم.

سمعت الحركة اللاهثة خلفها، وتنهدت مرة أخرى. يجب أن ينتظروا عالية التي تأخرت. لاحت في الأفق جماعة عالية وهي تبرز من الأطراف البعيدة للحشود، مخلفين وراءهم موجة من البشر، فيما يشق الحرس الملكي طريقًا لهم في الزحام.

نظرت چيسيكًا إلى المشهد مرة أخرى. لاحظت نظرتها الدقيقة كثيرًا من التغييرات، وقد أُضيفت شرفة للصلاة إلى برج التحكم في ساحة الهبوط. وكان يظهر بعيدًا إلى اليسار عبر السهل الكتلّة الهائلة من الهولاذ التي بناها پول لتكون حصنه - سييتشه الخفي في الرمال. كان أضخم بناء منفرد متكامل تشيده يد إنسان على الإطلاق. كان بإمكان مدن كاملة أن تسكن داخل أسواره، ومع ذلك ستبقى مساحة فارغة. الآن يضم أقوى سلطة حاكمة في الإمبراطورية، «جمعية المؤمنين» الخاصة بعالية، التي بنتها على جثة أخيها.

فكرت چيسيكًا: هذا المكان يجب أن يزول.

بلغ وفد عالية سفح منحدر المخرج ووقفوا هناك مترقبين. عرفت چيسيكًا ملامح ستيلجار المفعمة بالحوية. وليساعدني الرب! هناك وقفت الأميرة إيrolان تخفي وحشيتها في ذلك الجسد الفاتن بقبعة من شعرها الذهبي الذي يداعبه النسيم العابر. يبدو أن إيrolان لم تتقدم في

السنّ يوماً واحداً؛ كانت إهانة. وهناك، عند زمرة الحرس الملكي، وقفت عالية بملاح شبابة جريئة، وعيناها ترنوان إلى الأعلى نحو ظلال فتحة المركبة. أطبقت چيسیکا فيها وفحصت وجه ابنتها. اجتاح إحساس بالتعب الشديد جسد چيسیکا وسمعت موج حياتها المنكسر داخل أذنيها. كانت الشائعات صحيحة! رهيبة! رهيبة! سقطت عالية في الطريق المحظور. كان الدليل واضحاً حتى للمبتدئ. سُنة!

في اللحظات القليلة التي استغرقتها لتتعافى، أدركت چيسیکا كم كانت تأمل أن تجد أن الشائعات باطلة.

سألت نفسها: ماذا عن التوأمين؟ هل هما ضائعان أيضاً؟

بهدوء، كما يليق بوالدة إله، تحركت چيسیکا من الظل إلى حافة المنحدر. بقيت حاشيتها في الخلف وفقاً للتعليمات. كانت اللحظات القليلة التالية هي اللحظات الحاسمة. وقفت چيسیکا وحدها أمام أعين الجموع الحاضرة. سمعت جبرني هاليك يسعل بغضب خلفها. كان جبرني قد اعترض سابقاً: «ولا حتى درع طاقة عليك؟ بحق الآلهة، يا امرأة! أنتِ مجنونة!»

ولكن من بين جميع الصفات النبيلة التي يتحلى بها جبرني، كانت طاعته هي الأكثر قيمة. كان يقول ما في نفسه ثم يطيع. وها هو ذا الآن يمثل.

عندما ظهرت چيسیکا، ارتفع صوت الجموع كهدير دودة رملية ضخمة. وبحركة مهيبة، رفعت ذراعها لتبارك

تجهيزات الكهنوت الديني للإمبراطورية للترحيب بها. خرّ
الناس على ركبهم دفعة واحدة كأنهم كان حي واحد مع
أن هناك بعض الذين تأخروا في الركوع. حتى الوفد الرسمي
ركع.

كانت چيسیکا قد حددت أماكن وجود المتأخرين،
وعرفت أن العيون الأخرى خلفها وبين عملائها في الحشد
قد رسمت خريطة لأماكنهم أيضًا.

بينما كانت چيسیکا لا تزال رافعة ذراعيها، ظهر جيرني
ورجاله، وتحركوا بسرعة. تجاوزوها هابطين المنحدر،
متجاهلين نظرات الوفد الرسمي المدهوشة، وانضموا إلى
العملاء الذين عرّفوا عن أنفسهم بإشارة باليد. سرعان ما
انتشروا عبر بحر البشر، يقفزون فوق رؤوس الراكعين،
ويندفعون عبر الممرات الضيقة. لاحظ القليل من
أهدافهم الخطر، وحاولوا الهرب، ولكن هؤلاء كانوا
الفريسة الأسهل: بختجر مرمي، وحلقة خنق سقط
الهاربون. اقتيد الباقون خارج الزحام، وأوثقت أيديهم،
ورُبطت أرجلهم ببعضها.

طوال ذلك، وقفت چيسیکا وذراعاها مرفوعتان،
يباركها حضورها، مُبقية على الحشد راكعين. قرأت
علامات انتشار الشائعات، وعرفت الشائعة السائدة لأنها
زُرعت فيهم بأمرها: «تعود الأم الموقرة للتخلص من
المتكاسلين. باركوا والدة مولانا!»

عندما انتهى الأمر - كانت بعض الجثث متناثرة على الرمال، في حين سيق الأسرى إلى أقفاص احتجاز تحت برج الهبوط ، أخفضت چيسیکا ذراعيها. ربما مضت ثلاث دقائق. كانت تعلم أنه لم يكن هناك احتمال كبير أن يكون جيرني ورجاله قد اعتقلوا أيًا من زعماء التمرد، أولئك الذين شكوا التهديد الأخطر. سيكونون في حالة تأهب وحذر. لكن الأسرى سيفشون بعض الأسرار المهمة بالإضافة إلى المعلومات المعتادة البسيطة.

أخفضت چيسیکا ذراعيها، فهتف الناس، ووقفوا على أقدامهم.

كما لو لم يحدث شيء غير متوقع وبغيض، سارت چيسیکا بمفردها على المنحدر، متجاهلة ابنتها، وأولت ستيلجار كل تركيزها. كانت لحيته السوداء الكثة التي تناسب من تحت ياقة غطاء رأسه مثل دلتا برية تتخللها بقع رمادية، فيما كانت عيناه تشعان بذات البريق الصارم والنقاء الذي لمحت لأول مرة في لقاءهما الأول في الصحراء.

أبلغ ستيلجار بما حدث للتو واستحسنه. وقف هنا فرمياً حقيقياً، ونائباً، وزعيم رجال، وقادراً على اتخاذ قرارات دموية. كانت كلماته الأولى منسجمة تماماً مع شخصيته.

«مرحباً بك في ديارك، يا سيدتي. إنه لمن دواعي سروري دائماً أن أرى إجراءً مباشراً وفعالاً».

سمحت چيسیکا لنفسها بابتسامة صغيرة. «أغلق الميناء، يا ستيل. لا أحد يغادر حتى نفرغ من استجواب أولئك الذين اعتقلناهم».

قال ستيلجار: «نُفذ ذلك بالفعل، يا سيدتي. خططت أنا ورجل جيرني لهذا معاً».

«هؤلاء كانوا رجالك، إذن، من ساعدوا».

«بعضهم يا سيدتي».

قرأت التحفظات الخفية في ملامحه، وأومأت برأسها: «لقد درستني جيداً في الأيام القديمة يا ستيل».

«كما حرصت ذات مرة على إخباري، يا سيدتي؛ يلاحظ المرء الناجين ويتعلم منهم».

تقدمت عالية وتنحى ستيلجار في حين واجهت چيسیکا ابنتها. بينما تعلم أنه لا توجد طريقة لإخفاء ما علمته، لم تحاول چيسیکا حتى التستر. يمكن أن تقرأ عالية التفاصيل الدقيقة عندما تحتاج إلى ذلك، ويمكن أن تقرأ جيداً مثل أي متدربة بارعة من أخوية البني چيسيرت. كانت ستعرف بالفعل من خلال سلوك چيسیکا ما رآته وفسرته. كانتا عدوتين عداوة شديدة لدرجة أن وصفها بالعداوة البشرية لا تفيها حقها.

ارتأت عالية أن الغضب ردة الفعل الأسهل والأنسب.

سألت وهي تقرب وجهها من وجه چيسیکا: «كيف

تجربتين على التخطيط لعمل مثل هذا دون استشاري؟»

تحدثت چيسيكاً بليين: «كما سمعتِ للتو، لم يسمح لي جيري حتى بمعرفة الخطة كلها. كان يعتقد...».

قالت عالية وهي تستدير إلى ستيلجار: «وأنت يا ستيلجار! لمن ولاؤك؟»

قال ستيلجار متحدثاً بصلافة: «قسمي لابني المؤدّب. أزلنا تهديداً كان موجهاً إليهما».

سألت چيسيكاً: «ولماذا لا يشعر هذا بالفرح.. يا ابنتي؟»

رمشت عالية بعينيها، ونظرت فوراً إلى والدتها. هدأت العاصفة التي اجتاحتها، ابتسمت وقالت: «أنا مفعمة بالفرحة.. يا أمي». ولدهشتها، شعرت عالية بسعادة غامرة لأن الحقيقة انكشفت بالفعل بينها وبين والدتها. لم تعد تخشى ما قد يحدث، ولم يتبدل شيء في موازين القوى حقاً.

قالت عالية، موجهة كلامها إلى والدتها وستيلجار: «سنناقش هذا بالتفصيل في وقت آخر مناسب أكثر».

قالت چيسيكاً: «بالطبع». وأشارت بحركة تأذن فيها لعالية بالانصراف، وواجهت الأميرة إيرولان.

وفي غمضة عين، وقفت چيسيكاً والأميرة صامتتين، تنظر كل منهما إلى الأخرى - اثنتان من البني چيسيرت

انفصلتا عن الأخوية لنفس السبب: الحب.. كلاتهما من أجل حب رجل مات الآن. أحببت هذه الأميرة پول دون جدوى، وأصبحت زوجته لكن ليس خليلته.. وهي الآن تحيا فقط من أجل الطفلين اللذين أعطتهما تشاني الحظية الفرمنية لپول.

تحدثت چيسیکا أولاً: «أين حفيدي؟»

«في سييتش تبر».

«الوجود هنا خطر كبير عليهما. أفهم ذلك».

أومات إيرولان إيماة طفيفة. رصدت المحادثة بين چيسیکا وعالية لكنها أضافت إليها التفسير الذي أخبرتها عالية به سابقاً: «چيسیکا عادت إلى الأخوية، وكلاتانا نعرف أن لديهن خطأ من أجل طفلي پول».

لم تكن إيرولان قط المتدربة الأبرع في أخوية البني چيسيرت - كانت أكثر قيمة لكونها ابنة شادام الرابع أكثر من أي سبب آخر؛ كثيراً ما تكون نفورة جداً ببذل قصارى جهدها لتوسيع قدراتها وتنميتها. الآن اختارت التنحي على نحو مفاجئ، اختيار لا علاقة له البتة بتدريبتها. قالت إيرولان: «حقاً يا چيسیکا، كان ينبغي استشارة المجلس الملكي. كان من الخطأ منك العمل فقط من خلال-».

سألت چيسیکا: «هل يجدر بي أن أصدق أن لا أحد

منكم يثق بستيلجار؟»

كانت إيرولان تمتلك من الذكاء ما يكفي لتدرك أنه لا يمكن أن تكون هناك إجابة عن هذا السؤال. كانت سعيدة لأن المندوبين الكهنوتيين غير قادرين على احتمال نفاذ صبرهم بعد الآن، قد تقدموا إلى الأمام، وجنّبوا الإجابة. تبادلت نظرة مع عالية مفكرة: چيسیکا متغطسة وواثقة بنفسها أكثر من أي وقت مضى! تبادرت إلى ذهنها قاعدة بني چيسيرتية مستقلة: «المتغطسون لا يفعلون شيئاً سوى بناء جدران قلعة يحاولون أن يُخفوا وراءها شكوكهم ومخاوفهم». هل يمكن أن ينطبق هذا على چيسیکا؟ بالتأكيد لا. إذن، يجب أن يكون هذا تظاهراً. لكن لأي غرض؟ أثار السؤال قلق إيرولان.

تحمّلت چيسیکا تودد الكهنة المزج إلى والدة المؤدّب بصبر. بعضهم لمس ذراعها، وآخرون انبطحوا أرضاً وهم يهللون. وفي النهاية، جاء دور قادة الوفد لمقابلة الأم الموقرة المقدسة، وقبلوا بالمرتبة المنوطة بهم - «الأول يجب أن يكون الأخير» - بابتسامات مصطنعة، وأبلغوها أنهم أعدوا حفل استقبال رسمياً لها في القلعة، حصن پول القديم.

نظرت چيسیکا إلى الثاني مسمتزة. كان أحدهما جاقيد، شاب ذو وجه حاد وخدين ممتلئين، وعينين داكنتين تخفيان الشكوك الدفينة في نفسه. والآخر كان زباتالف، الابن الثاني لنائب فرمني، الذي عرفته منذ أيامها الأولى

مع الفِرمَن، ولم يفوت فرصة لذكرها بذلك. كان التعرف عليه سهلاً: مرح، ولكنه قاس، وجه مستطيل بلحية شقراء، هالة من الحماس الخفي والثقة البالغة بنفسه. جاقيد كما حسبت، الأخطر بينهما، رجل يملك حكمة خاصة، وجاذبية متناقضة - لم تجد كلمة أفضل - مقرزة. لفت انتباهها لهجته الغريبة، الممزوجة بنبرة الفِرمَن القديمة، كأنه قد أتى من مكان منعزل عن شعبه.

قالت: «أخبرني يا جاقيد، من أين أتيت؟»

قال: «أنا مجرد فِرمَن بسيط من الصحراء»، كل حرف قاله ينفي جملة.

تدخل زباتالف باحترام مشوب بالهجوم، وقال بسخرية: «لدينا الكثير لنناقشه بشأن الأيام الغابرة، يا سيدتي. كنتُ أول من أدرك الطبيعة المقدسة لمهمة ابنك».

قالت: «لكنك لم تكن من أتباعه».

«لا، يا سيدتي. كانت لدي ميول أكثر فلسفية. تعلمت لأصبح كاهناً».

فكرت: وضمنت بذلك الحفاظ على سلامة جلدك.

قال جاقيد: «إنهم ينتظروننا في الحصن، يا سيدتي».

مرة أخرى تعجبت من لهجته.. سؤال مفتوح يطالب بإجابة.

سألت: «من ينتظرنا؟»

قال جاقيد: «مجمع الإيمان، كل من يعملون على الحفاظ على سمعة اسم ابنك المقدس وماآثره».

نظرت چيسیکا حولها، ورأت عالية تبتم إلى جاقيد، فاستفسرت: «هل هذا الرجل من مساعدك يا ابنتي؟»

أومأت عالية برأسها: «إنه الرجل المختار للمهمات الجليلة».

لكن چيسیکا لاحظت أن جاقيد لم يبدي اهتماماً بالتقدير المقدم إليه، فخرّنت هذه الملاحظة في ذاكرتها لتوجه جيرني للتحري عنه بدقة أكبر. وبينما كانت تفكر، ظهر جيرني محاطاً بخمسة من رجاله الموثوقين، معلناً أن المتخاذلين المشكوك في أمرهم قد أُحيلوا للتحقيق. مشى بخطى ثابتة تشي برجل قوي، كانت عيناه تتفحصان المكان حوله بسرعة ودقة، وكل عضلة في جسده تنبض باليقظة المتأهبة التي تعلمها من كتاب أساليب الپرانا بيندو. كان يمثل تجسيدا للتأهب والاستعداد: قاتلاً، مخيفاً جداً للبعض، لكن چيسیکا أحبته، وفضلته على كل الرجال الأحياء الآخرين. كان هناك ندبة سوط سوداء على فكه، ما أعطاه مظهراً شرساً، لكن وجهه أضواء بابتسامة عندما رأى ستيلجار.

قال: «أحسنت يا ستيل». وأمسك كل منهما بذراع الآخر على طريقة الفرمن.

قال جاقيد وهو يلمس ذراع چيسیکا: «حفل الاستقبال».

تراجعت چيسيكًا، واختارت كلماتها بعناية فائقة
وبصوت محكم، حيث كانت نبرتها وإلقاؤها مدروسين
لتحقيق تأثير عاطفي دقيق في جافيد وزباتالف: «جئت إلى
كثيب لأرى حفيدي. أليس هذا الهراء الكهنوتي مضيعة
للوقت؟»

كانت ردة فعل زباتالف الصدمة، فه مفتوح، عيناه
مدعورتان وهو يحدق إلى الحاضرين. تنقلت نظراته بين
الوجوه، محددًا كل مستمع. هراء كهنوتي! ما تأثير مثل
هذه الكلمات عندما تأتي من أم مسيحيهم؟

لكن جافيد أكد تقييم چيسيكًا له. تصلب فه قبل
أن ترسم عليه ابتسامة. لم تبسم عيناه ولم تنظرا إلى
المستمعين. كان جافيد يعرف كل فرد في الجمع بالفعل.
لديه خريطة ذهنية للأشخاص الذين سيحتاج إلى مراقبتهم
بعناية فائقة من الآن فصاعدًا. وبعد لحظات، اختفت
ابتسامته بشكل مفاجئ؛ ما يدل على قدرته على التحكم
في تعبيره بإتقان. لم يخفق جافيد في تحرياته؛ كان على
دراية بقدرات الليدي چيسيكًا الفائقة في الملاحظة. إيماءة
قصيرة مرتعشة من رأسه اعترفت بهاتيك القوى.

في ومضةٍ منتاتيةٍ سريعة، وزنت چيسيكًا الأولويات.
إشارة خفية من يدها إلى جيرني ستأمره بقتل جافيد.
يمكن أن يُقتل هنا ليكون عبرة، أو في وقت لاحق بهدوء
ليبدو كأنه حادث.

فكرت: عندما نحاول إخفاء دوافعنا الداخلية، يصرخ
كياننا كله بالخيانة. وهكذا، تُفعل تقنيات تدريب بني
چيسيرت، تلك التي تعلي من شأن المتدربات وتزودهن
بمهارة تفسير لغة الأجسام المنفتحة للآخرين. أدركت قيمة
ذكاء جاقيد الفائقة، ووزنه الثقيل في كفة الأحداث. إن
استطاعت كسبه في صفها، فقد يكون الرابط الذي تحتاج
إليه، والخط الذي سيوصلها إلى داخل كهنوت أراكين.
وكان رجل عالية أيضاً.

قالت چيسيكاً: «يجب أن تظل جماعتي الرسمية محدودة
العدد. ومع ذلك، لدينا متسع لإضافة واحد. جاقيد،
سوف تنضم إلينا. زباتالف، أنا آسفة. چاقيد، سأحضر
هذا - هذا الحفل - إذا كنت تصر».

تهد جاقيد، وبصوت منخفض قال: «كما تأمر والدة
المؤدّب». رمق عالية بنظرة سريعة، ثم استدار إلى
زباتالف، قبل أن ينظر مجدداً إلى چيسيكاً. «يؤسفني تأخير
لقائك بحفيدك.. لكن توجد، آه، مصالح للدولة..».

فكرت چيسيكاً: جيد، هو في الأساس رجل أعمال. ما
إن نحدد العملة المناسبة، سنشتريه. شعرت بسرور غامر
لإصراره على إقامة حفله الثمين. هذا النصر الصغير سيمنحه
نفوذاً على زملائه، وكلاهما يدرك ذلك - فالموافقة على
حضور حفل الاستقبال ستكون بمثابة دفعة أولى له مقابل
خدمات مستقبلية.

قالت: «أتوقع أنك قد أعددت وسيلة النقل المناسبة».



أعطيك الحرباء الصحراوية، التي قدرتها على الاندماج في الخلفية تخبرك بكل ما تحتاج إلى معرفته حول الجذور البيئية وأسس الهوية الشخصية.

- كتاب الهجاء (من يوميات حياة).

جلس ليتو يعزف على باليست صغير أهداه إياه عازف الآلة الماهر جيري هاليك في عيد ميلاده الخامس. في أربع سنوات من التدريب، بلغ ليتو درجة من البراعة في العزف، رغم أن الوترين الجهوريين الجانبيين كانا يشكلان تحدياً له. ومع ذلك، كانت أنغام الباليست تبعث في نفسه سكوناً تخفف من وطأة القلق - وهي حقيقة لم تغب عن بال غنيمه.

جلس الآن في ضوء الشفق على رف صخري في أقصى الجنوب من التواءات الصخرية التي كانت تحمي سييتش تبر وضرب أوتار الباليست برفق. وقفت غنيمه خلفه، تلفها هالة من الاستياء الصامت. لم تحب الخروج إلى العراء بعد أن علمت من ستيلجار أن هناك سبباً آخر جدتهما في أراكين. اعترضت بشدة على القدوم إلى ذلك المكان مع حلول الظلام. حاولت أن تستعجل شقيقها سألت: «حسناً، ما الأمر؟»

كإجابة، بدأ يعزف لناً آخر.

لم يدرك ليتو الإتقان الحرفي الذي تمتع به صانع الباليست في كلادان حتى قبل الهدية. كانت لديه ذكريات موروثه

ثير فيه حيناً عميقاً إلى ذلك الكوكب الجميل حيث حكم
آل آترديز. كانت الموسيقى كفيلاً بأن تخترق حصونه
الروحية، وتستدعي ذكريات الأيام التي كان فيها جبرني
يعزف الباليست ليهر- ويحفز- صديقه پول آترديز.

بينما كانت أنغام الباليست تتردد من بين يديه، شعر
ليتو بأن روح والده تسيطر على وجدانه أكثر فأكثر.
ومع ذلك، استمر في العزف، وتعمقت صلته بالآلة مع
كل نغمة ينتزعها منها. كان يشعر بالانسجام الكامل مع
الباليست، على الرغم من أن عضلاته الصغيرة، التي
لم تتجاوز التسع سنوات، لم تكيف بعد مع هذا الوعي
العميق.

نقرت غنيمة بقدمها بنفاد صبر، غير مدركة أنها تنسجم
مع إيقاع عزف شقيقها.

بعد أن أطبق فمه بتركيز، انحرف ليتو عن الألحان المألوفة
مستكشفاً لحناً أقدم من أي قطعة موسيقية عزفها جبرني
من قبل، لحناً يعود إلى أيام هجرة الفرمن إلى كوكبهم
الخامس. صدحت الكلمات بصدى فكرة زنسنية، سمعها في
ذاكرته فيما عزفت أصابعه نسخة غير متقنة من اللحن.

شكل الطبيعة الجميل

يحتوي على جوهر عذب،

يسميه البعض اضمحلال.

بهذا الحضور الجميل

تجد حياة جديدة طريقها.

الدموع المنسكبة في صمت،

ليست سوى ماء الروح؛

دموع تجلب حياة جديدة

إلى ألم الوجود-

انفصال عن تلك الرؤية

يجعله الموت كاملاً.

تحدث غنيمة من ورائه وهو يضرب النغمة الأخيرة.

«تلك أغنية قديمة موحشة. لماذا هذه الأغنية بالتحديد؟»

«لأنها مناسبة.»

«هل ستعزفها لجيرني؟»

«ربما.»

«سوف يسميها هراء مزاجياً.»

«أعرف.»

ألقي ليتو نظرة خاطفة من فوق كتفه نحو غنيمة. لم

يتفاجأ من معرفتها بالأغنية وكلماتها لكنه شعر برهبة

مفاجئة من تفرد حياتهما المتطابقة. يمكن أن يموت

أحدهما، ومع ذلك سيظل على قيد الحياة في وعي الآخر،

وستظل كل ذكرى مشتركة بينهما عضية على النسيان؛ إلى هذا الحد كانت علاقتهما وثيقة. ألقى نفسه خائفاً من الشبكة الخالدة لهذا القرب، فصرف نظره بعيداً عنها. كان يدرك أن هناك فجوات في هذه الشبكة. انبثق خوفه من أحدث تلك الفجوات. شعر أن حياتهما بدأت تنفصل، وتساءل: كيف أبوح لها بهذا الشيء الذي حصل لي وحدي؟

نظر إلى الصحراء، ورأى الظلال السوداء خلف الكثبان الهلالية - تلك الكثبان الرملية المهاجرة العالية هلالية الشكل، التي تموج حول أراكس. كانت هذه كديم، الصحراء الداخلية، حيث ندرت في الآونة الأخيرة رؤية تلك الآثار المتعرجة التي تشهد على مرور دودة رملية جبارة فيها. رسم الغروب خطوطاً قرمزية فوق الكثبان، ملقياً بضوئه الناري على حدود الظلال. استحوذ على انتباهه صقر في السماء القرمزية يتحين الفرصة للانقضاض على جمل رومي.

تحت مباشرة على الأرض الصحراوية، نمت النباتات وافرة الخضرة، تسقيها قناة ري يتدفق جزء منها في العراء، والجزء الآخر في أنفاق مغطاة. جاءت المياه من جامعات مصائد الرياح العملاقة المنصوبة خلفه فوق قمة الصخرة. وهناك، كان يرفرف علم آترديدز الأخضر، معلناً عن نفسه للعيان.

الماء والخضرة.

رموز أراكس الجديدة: الماء والحضرة.

انتشرت واحة من الكثبان الرملية المزروعة على شكل ألماسة أسفل مجثم المرتفع، فشر بوعي الفرمن وإحساسهم يتدفق إلى ذهنه. سمع صوت نداء طائر ليلي يشبه صوت قرع جرس من الجرف السفلي، وضخم داخله شعوراً أنه عاش هذه اللحظة من قبل في ماضٍ سحيق.

غمرته إحدى اللغات القديمة التي كان يتقنها هو وغنيمة في خلوتهما: «لقد غيرنا كل ذلك». تنهد: «لا أستطيع أن أنسى».

نظر إلى ما بعد الواحة.. رأى في ضوء الغروب الأرض التي سماها الفرمن «الفراغ» - الأرض التي لا تنبت شيئاً، الأرض التي لا تصلح للزراعة أبداً. لكن الماء والخطة البيئية الكبرى كانا يغيّران ذلك. أصبح هناك أماكن في أراكس حيث يمكن للهراء أن يرى الحضرة الناعمة لتلال الغابات. غابات في أراكس! وجد بعض الشباب من الجيل الجديد صعوبة في تخيل الكثبان الرملية تحت تلك التلال الخضراء المتموجة. ولم تصدمهم رؤية الأوراق المسطحة لأشجار المطر، ولكن ليتو شعر بنفسه يفكر الآن بطريقة الفرمن القديمة، حذراً من التغيير، ومتخوفاً في مواجهة أي جديد.

قال: «أخبرني الأطفال أنهم نادراً ما يجدون ورقة رملية هنا بالقرب من السطح بعد الآن».

سألت غنيمة: «إلى ماذا يفترض أن يشير ذلك؟». كانت لهجتها فظة إلى حدِّ ما.

قال: «بدأت الأمور تتغير بوتيرة كبيرة».

عاد صدى الطائر الليلي في الجرف، وغمر الظلام الصحراء في حين انقض الصقر على الحجل. كثيراً ما أخضع الليل ليتو لهجوم الذكريات - كل تلك الأرواح داخله تطالب بلحظتها. لم تعترض غنيمة على هذه الظاهرة كما اعترض هو. كانت على دراية بقلقه، وشعر بتعاطفها حينما لمست يديها كتفه.

ضرب بغضب على أحد أوتار الباليست.

كيف يخبرها بما يحدث له؟

رأسه ميدان حرب، أرواح لا تُحصى تُفرز ذكرياتها القديمة: حوادث عنيفة، ونحوم حب، ألوان أماكن عديدة ووجوهاً شتى.. الأحزان المدفونة والأفراح الصاخبة لحشود الأسلاف داخله. سمع نواح ينايع على كواكب لم تعد موجودة، ورقصات الخضرة ووهج اللهب، صرخات وهتافات، حصاد حكايات تُعد ولا تُحصى. كان يصعب عليه تحمل هجومها عندما يحلّ الليل في العراء.

سأله: «ألا يجب أن ندخل السييتش؟»

هز رأسه، وشعرت بحركته، وأدركت أخيراً أن مشكلاته أعمق مما تصورت.

سأل نفسه: لماذا أستقبلُ الليل هنا دائماً؟

لم يشعر بغنيمة وهي تسحب يدها.

قالت: «أنت تعرف لماذا تعذب نفسك بهذه الطريقة».

سمع نبرة التأنيب الودود في صوتها. نعم، كان يعلم. الجواب يكمن هناك داخل وعيه واضحاً: لأن ذلك المعلوم-المجهول الهائل في داخلي يدفعني مثل موجة.

شعر بذروة ماضيه كما لو كان يمتطي لوح ركوب أمواج. كانت ذكريات والده الاستبصارية تملأ زمنه، وتتجاوز كل ما حوله، لكنه أراد الاستحواذ على ذكريات الماضي كلها. أرادها. كان ذلك في غاية الخطورة. أدرك ذلك جيداً الآن لا سيما مع هذا الشيء الجديد الذي يجب أن يخبر به غنيمة.

توهجت الصحراء تحت ضوء القمر الأول. راح يحرق إلى جمود دوامات الرمل الزائفة اللا نهائية. إلى يساره، على بعد خطوات، استلقى الخادم، صخرة بارزة هشمتها الرياح العاتية إلى شكل منحني متعرج يشبه دودة داكنة تنخر عابرة الكثبان الرملية. ستنحت الصخرة التي يستند إليها إلى هذا الشكل يوماً ما، ولن يبقى لسيتش تبرأثر، إلا في ذاكرة شخص مثله. لم يتردد في تخيل وجود شخص مثله في المستقبل.

سألت غنيمة: «لماذا تحرق إلى صخرة الخادم؟»

هز كتفيه. في استخفاف بأوامر حراسهم، كثيراً ما ذهب هو وغنيمة إلى صخرة الخادم. اكتشفاً مخبأً سرّياً هناك، وعرف ليتوالآن لماذا جذبهما ذلك المكان إليه.

يختزل الظلام المسافة بينه وبين الأسفل، حيث تتلأأ القنوات تحت ضوء القمر، ويتلاطم سطحها بحركات الأسماك الشرسة التي زرعتها الفرمن دائماً في مياهها المخزنة لإبعاد اليرقات الرملية.

غمغم: «أنا أقف بين السمكة والدودة».

«ماذا؟»

أعاد ما قاله بصوت أعلى.

وضعت يدها على فمها، وبدأت تدرك الشيء الذي أثاره. كان والدها يتصرف هكذا. كان عليها أن تنظر إلى داخلها، وتقارن.

ارتجف ليتوب؛ الذكريات التي جمعتها بأماكن لم تطأها قدمه قط أعطته إجابات عن أسئلة لم يطرحها. شاهد العلاقات والأحداث تنبثق على شاشة داخلية عملاقة. لن تقترب دودة كثيب الرملية من الماء، لأن الماء يقتلها. ولكن، كان الماء موجوداً هنا في عصور ما قبل التاريخ. تشير أحواض الجبس الأبيض إلى ماضٍ مليء بالبحيرات والبحار. اكتشفت الآبار العميقة، وكانت مصدر المياه التي خزنتها اليرقات الرملية. بوضوح كأنه شهد تلك الأحداث بنفسه، رأى ما جرى على هذا الكوكب في سالف

الأزمان، وملاؤه بهواجس التغيرات الكارثية التي أحدثها
التدخل البشري.

قال بصوت خافت: «أعرف ما حدث يا غنيمة».

انحنت مقتربة منه. «نعم؟»

«اليرقات الرملية...».

التزم الصمت. تساءلت غنيمة عن سبب استمراره في
الإشارة إلى المرحلة الأولية أحادية الصيغة الصبغية (8)
للدودة الرملية العملاقة. لكنها لم تجرؤ على حثه على ذكر
المزيد.

تابع: «جاءت اليرقات الرملية إلى هنا من مكان آخر.
كان هذا كوكباً رطباً فيما مضى. تكاثرت اليرقات بما
يفوق قدرة النظم البيئية القائمة على التعامل معها. غلّفت
يرقات الرمال المياه الحرة المتاحة واحتجزتها بداخلها،
وجعلت هذا الكوكب كوكباً صحراوياً.. وقد فعلت ذلك
من أجل البقاء. في كوكب جاف بما يكفي، استطاعت
أن تتحول إلى طور الدودة الرملية».

«يرقات رملية؟» هزت رأسها، غير مشككة فيه، لكنها
تتوق إلى الاستزادة من تلك الأعماق التي جمع منها هذه
المعلومات. وفكرت: يرقات رملية. مرات عديدة في هذا
الجسد وأجساد أسلافها بداخلها، لعبت لعبة الأطفال
المعروفة وهي تغرز عصاها للإمساك باليرقات الرملية،
تستدرجها إلى شبكة من غشاء رقيق قبل نقلها إلى أوعية

تقطير للحصول على مائها. كان من الصعب التفكير في هذا المخلوق الصغير الطائش بوصفه المحرك لأحداث عظيمة.

أوماً ليتو إلى نفسه. لطالما عرف الفرمن زراعة الأسماك المفترسة في خزانات المياه. قاومت اليرقات الرملية أحادية الصيغة بفعالية تراكمات المياه الهائلة بالقرب من سطح الكوكب؛ سبحت الأسماك المفترسة في تلك القناة تحته. يمكن لطور اليرقات الصغيرة من دورة حياة الديدان الرملية التعامل مع كميات صغيرة من الماء - الكميات التي يحتفظ بها الجسد البشري محتجزاً داخل خلية، على سبيل المثال. لكن في مواجهة المسطحات المائية الكبيرة، خرجت مصانعهم الكيميائية عن السيطرة، وانفجرت في تحول مميت أنتج المزاج المرکز الخطر، دواء الوعي المطلق المستخدم بتركيز مخفف في طقوس النشوة بالسييتش.

أخذ هذا التركيز النقي پول المؤدّب عبر جدران الزمن، عميقاً في بئر الشطحات والاحتمالات المستقبلية التي لم يجرؤ أي ذكر آخر عليها.

شعرت غنيمة بشقيقتها يرتجف في مجلسه أمامها. سألته: «ماذا فعلت؟»

لكنه لم يغادر قطار وحيه. «يرقات رملية أقل .. التحول البيئي للكوكب...»

قالت غنيمة: «إنها تقاومه بالطبع». والآن بدأت تفهم الخوف في صوته، وقد انجذبت إلى هذا الشيء ضد

إرادتها.

قال: «عندما ترحل اليرقات الرملية، ستليها الديدان كلها. يجب تحذير القبائل».

قالت: «لا مزيد من الاسپايس».

كانت كلمتهما بالكاد تلامس الحقائق الجوهرية للخطر الذي رأياه متجذراً في التدخل البشري في النظام القديم لكثيب.

قال: «هذا هو الشيء الذي تعرفه عالية. هذا السبب في أنها تتفاخر».

«كيف يمكنك التأكد من ذلك؟»

«أنا متأكد».

الآن عرفت ما الذي أزعجه، وشعرت برجفة المعرفة تسري عبرها.

قال: «القبائل لن تصدقنا إن أنكرت هي ذلك».

سلط تصريحه الضوء على المشكلة الأساسية: أي حكمة يتوقعها الفرمن من طفلين في التاسعة من عمرهما؟ عالية التي تخفي عنهما مكنون صدرها أكثر فأكثر، لعبت على هذا الوتر.

قالت غنيمة: «يجب أن نقنع ستيلجار».

ككيان واحد، أدارا رأسيهما وحدقا إلى الصحراء

المقمرة. كان مكانًا مختلفًا الآن، تغير في أعينهما بسبب
بضع لحظات من الإدراك. لم يكن تفاعل الإنسان مع
تلك البيئة أوضح بالنسبة إليهما من هذه اللحظة. شعرا بأنهما
جزء لا ينفصم من نظام ديناميكي منظم بدقة متوازنة.
تضمنت النظرة الجديدة تغييرًا حقيقيًا في الوعي غمرهم
بالملاحظات. كما قال لبيت كاينز، كان الكون مكان
محادثة مستمرة بين زمرة من الحيوانات. تحدثت اليرقات
الرملية إليهما بوصفهما حيوانات بشرية.

قال ليتو: «ستفهم القبائل وجود تهديد للمياه».

«لكنه تهديد لما هو أكثر من الماء. إنه أ-». صممت
غنيمة وفهمت المعنى الأعمق لكلماته. كان الماء رمز القوة
المطلق على أراكس. في أعماقهم، ظل الفِرمن حيوانات
متكيفين مع بيئتهم، ناجين في الصحراء، وخبراء حكيمين
في الظروف القاسية. وبينما أصبح الماء وفيرًا، طغى تغير
رمزي غريب عليهم حتى وهم يفهمون الضروريات
القديمة.

صححت كلامه: «أنت تقصد تهديدًا للسلطة».

«بالطبع».

«لكن هل سيصدقوننا؟»

«إن رأوا ذلك يحدث، إن رأوا اختلال التوازن».

قالت: «التوازن»، وكررت كلمات والدها منذ زمن بعيد:

«التوازن ما يميز الناس عن الغوغاء».

استدعت كلماتها والدهما في داخله فقال: «الاقتصاد مقابل الجمال - قصة أقدم من سبأ*»، تنهد ونظر إليها من فوق كتفه: «بدأت تراودني أحلام استبصارية يا غنيمة»، أفلت منها شهقة حادة.

قال: «عندما أخبرنا ستيلجار عن تأخر جدتنا - عرفت تلك اللحظة بالفعل. الآن قد تكون أحلامي الأخرى حقيقية».

«ليتو...». هزت رأسها، عيناها دامعتان. «راودت تلك الأحلام أبانا لاحقًا. ألا تعتقد أنه قد يكون...».

قال: «حلمت بنفسي مغلفًا بما يشبه الدرع، وأندفع عبر الكثبان الرملية. وأني كنت في چاكوروتو».

«چاكو...» تنحنت. «تلك الأسطورة العتيقة!»

«مكان حقيقي. غنيمة! يجب أن أجد هذا الرجل الذي يسمونه الواعظ. يجب أن أجده وأستجوبه».

«هل تعتقد أنه.. أبونا؟»

«اسألني نفسك هذا السؤال».

وافقت، «يتلاءم ذلك مع شخصيته، لكن...».

قال: «لا تروق لي الأشياء التي أعرف أنني سأفعلها. لأول مرة في حياتي، أفهم أبي».

شعرت بأنها مستبعدة من أفكاره، فقالت: «ربما يكون الواعظ مجرد روحاني عجوز».

همس: «أدعو من أجل ذلك. أوه، كم أدعو من أجل ذلك!» هز جذعه إلى الأمام، ووقف على قدميه. دندن الباليست في يده فيما يتحرك. «يا ليته كان فقط جبريل بلا صور (9)». كان يحدق بصمت في الصحراء القمرية.

استدارت ونظرت حيث كان ينظر، ورأت وهج النباتات المتعفنة على حافة مزارع السييتش، وخلفها الكثبان الرملية النظيفة. كان ذلك كائنًا حيًا يعيش هناك، حتى عندما نامت الصحراء، بقي شيء مستيقظًا فيها. شعرت بتلك اليقظة وهي تسمع الحيوانات أسفلها تشرب في القناة. غير كشاف ليتو الليل: كانت هذه لحظة نابضة بالحياة، وقتًا لاكتشاف مواطن النظام في تغيير دائم، لحظة للشعور بالحركة الطويلة من ماضيهم الأرضي، كل ذلك محصور داخل ذكرياتها.

سألت، نبرة صوتها الجامدة تشي بتعكر مزاجها: «لماذا چاكوروتو؟»

«لماذا.. لا أعرف. عندما أخبرنا ستيلجار لأول مرة كيف قتلوا الناس هناك وجعلوا المكان محرماً، فكرت... في ما فكرت أنت فيه. لكن الخطر يأتي من هناك الآن.. والواعظ».

لم ترد على ما قاله، ولم تطلب منه مشاركة مزيد من

أحلامه الاستبصارية معها، وعرفت إلى أي مدى أخبره
ذلك عن رعبها. ذلك الطريق أدى إلى الشُّنعة، وكلاهما
يعرف ذلك. علقت تلك الكلمة غير المنطوقة بينهما وهو
يستدير ويقود طريق العودة فوق الصخور إلى مدخل
السييتش. شُنعة

الكون ملك الله. إنه شيء واحد، هو الكل الذي تنضوي ضمنه جميع الأجزاء. وحتى الكائنات - التي تملك إدراكاً لذاتها والقادرة على التفكير - التي نسميها واعية، لا تحمل خلال حياتها العابرة سوى وصاية هشة على جزء محدد من الكل.

- من تعليقات لجنة مترجمي المسكونية.

استعمل هاليك إشارات اليد لإيصال الرسالة الحقيقية وهو يتحدث بصوت عالٍ عن أمور أخرى. لم ترق له غرفة الانتظار الصغيرة التي انتقاها الكهنة، إذ كان يشك في أنها تعج بأجهزة التنصت. دعهم يحاولون فك شيفرة إشارات اليد الدقيقة. كان آل آترديز يستعملون هذه الوسيلة منذ قرون دون أن يعلم بها أحد. كان الليل قد ساد في الخارج، لكن الغرفة الخالية من النوافذ كانت تعتمد على كرات الإنارة الطافية التي تتوزع في زواياها العليا لإضاءتها. أشار هاليك بيده، وهو ينظر إلى وجه چيسيك: «كثيرون من الذين أسرناهم كانوا من أتباع عالية»، وبينما كان يخبرها بصوت مرتفع أن التحقيق لا يزال مستمراً. أجابت چيسيك مستخدمة لغة الإشارة بأصابعها: «هذا ما توقعته». أومأت برأسها وتحدثت بصراحة: «أريد تقريراً كاملاً عندما تنتهي من التحقيق معهم يا جبرني».

قال: «بكل تأكيد يا سيدتي»، وتابع الحديث بأصابعه: «هناك شيء آخر مقلق جداً. تحت تأثير المخدرات القوية،

نكلم بعض الأسرى عن چاكوروتو، وعندما نطقوا اسمها ماتوا».

سألته أصابع چيسيكّا: «هل يتعلق الأمر بجهاز مبرمج لإيقاف القلب؟» وقالت: «هل أفرجت عن أي من الأسرى؟»

قال: «أولئك البسطاء فحسب، يا سيدتي. الذين لا يخفون أسراراً». واندفعت أصابعه: «نظن أنه محفز قلبي قسري، لكننا لسنا متأكدين بعد. لم ينته تشریح الجثث. ظننت أنه من الضروري أن تعلبي عن هذا الأمر المتعلق بچاكوروتو، فأسرعت إليك فوراً».

قالت أصابع چيسيكّا: «كنت أنا ودوقني نعتقد دائماً ان چاكوروتو أسطورة شائعة ربما تركز على حقائق»، وتغاضت عن الشعور المألوف بالحزن وهي تتحدث عن حبيبها الذي مات منذ زمن بعيد.

سأل هاليك متحدثاً بصوت عالٍ: «هل لديك أوامر؟»

أجابت چيسيكّا، وطلبت منه الرجوع إلى مكان الهبوط، وإبلاغها عندما يكون لديه معلومات مؤكدة، لكن أصابعها أرسلت رسالة أخرى: «واصل الاتصال بأصدقائك ضمن المهرين. إن كانت چاكوروتو موجودة، فإنهم سيعتمدون على تجارة الاسپايس لتمويل أنشطتهم. لا توجد سوق أخرى لهم غير المهرين».

أحني هاليك رأسه لحظة فيما قالت أصابعه: «لقد بدأت

بتنفيذ هذه الخطة يا سيدتي». ولأنه لم يستطع تجاهل تدريب عمره كله، أضاف: «احذري في هذا المكان. عالية عدوتك ومعظم الكهنوت تحت سيطرتها».

أجابت أصابع چيسیکا: «ليس جاقيد، إنه يبغض آل آتريديز. لن يستطيع اكتشاف نيّاته إلا شخص مدرب جيداً، لكنني متأكدة من ذلك. إنه يخطط في الخفاء، وعالية لا تعرف ذلك».

«سأزيد من حراسك»، قال هاليك متحدثاً بصوت عالٍ، متجاهلاً وميض الغضب الخفيف في عيني چيسیکا. «هناك خطر، أنا متأكدة. هل ستقضين الليلة هنا؟»

قالت: «سنذهب لاحقاً إلى سييتش تبر»، مترددة في إخباره ألا يرسل مزيداً من الحراس، لكنها سكتت. كان يجب الاعتماد على حدس جيرني. عرف آتريديزيون كثيرون تلك الحقيقة، في ظروف سعيدة وأخرى حزينة. قالت: «لدي موعد آخر - مع معلم المبتدئين (10) هذه المرة. هذا الموعد الأخير، ثم سأغلق هذا المكان بفرح».

وأبصرت وحشاً آخر يقفز من الرمال. كان له قرنان
مثل قرني الكبش، لكن فيه كان ذا أنياب، ونارياً مثل
تين، وجسده يلمع ويشعل بحرارة عظيمة بينما يفحُّ مثل
الأفعى.

- نسخة منقحة من الإنجيل الكاثوليكي البرتغالي.

سمى نفسه الواعظ، وانتشر رعب شديد بين الكثيرين في
أراكس من أنه قد يكون المؤدّب وقد عاد من الصحراء،
ولم يمت قط. المؤدّب يمكن أن يكون حياً؛ فمن شاهد
جثته؟! وفي هذا السياق، من شاهد أي جثة ابتلعها
الصحراء؟ لكن مع ذلك - المؤدّب؟! يمكن عقد مقارنات
عديدة بين الواعظ والمؤدّب رغم أن لا أحد من الأيام
القديمة قد تقدم وقال: «نعم، أرى أن هذا المؤدّب. أنا
أعرفه».

لكن..

كان الواعظ مثل المؤدّب أعمى، محجراً عينيه
أسودان ومملوءان بالندوب كأنه أصيب بسلاح حارق
الصخور (11)، وكان صوته يحمل ذلك الصدى المدوي،
تلك القوة المقنعة نفسها التي تستحث أعماقك للتجاوب
معه. لاحظ الناس هذا الشبه. كان الواعظ نحيلًا،
ووجهه القاسي متجعداً، وشعره أشيب. لكن الصحراء
العميقة فعلت ذلك بكثير من الناس. كان عليك فقط أن
تنظر حولك، وسترى دليلاً على هذا. وكانت هناك حقيقة

أخرى متناقضة: كان يرافق الواعظ فرماني صغير، فتى لا ينتمي إلى سييتش معروف، قال عند استجوابه، إنه عامل مأجور. قيل إن المؤدب، العالم بالمستقبل، لم يكن بعد عمه بحاجة إلى مثل هذا المرشد إلا في النهاية، عندما غلبه حزنه. حينها احتاج المؤدب بالتأكيد إلى مرشد؛ الجميع يعرف ذلك.

ظهر الواعظ في صباح يوم شتوي في شوارع أراكين، يده البنية والمجعدة على كتف مرشده الشاب. تنقل الفتى -الذي يُدعى آسان طارق- عبر الغبار الذي تنبعث منه رائحة حجر الصوان المتطاير من الحشود المبكرة، وقاد الواعظ بخفة حركة يتمتع بها مولود في السييتش، دون أن تفارق يد الواعظ كتفه أبدًا.

وقد لفت الأعمى الأنظار بملابسه البرقعية* التقليدية فوق بذلة تقطيره، التي تحمل علامة تلك البراقع المصنوعة في الماضي في كهوف السييتش في أعماق الصحراء. ما كانت تشبه البذلات البالية هذه الأيام. كان أنبوب الأنف الذي يجمع الرطوبة من أنفاسه لإعادة تدويره تحت البرقع ملفوفًا في جديلة، وكانت جديلة الكرمة السوداء شيئًا نادر الرؤية هذه الأيام. كان قناع البذلة فوق النصف السفلي من وجهه يحتوي على بقع خضراء حفرتها جزئيات الرمل التي تحملها الرياح. كان هذا الواعظ شخصية من ماضي كثيب.

لاحظ كثيرون من الحشود المبكرة في ذلك اليوم الشتوي مروره. فبعد كل شيء، كان مشهد فرماني أعمى حدثًا

نادراً. لا يزال قانون الفرمن يقضي بإرسال الأعمى إلى
الشي هولود. لم يتغير نص القانون منذ الأيام الأولى
مع أنه بات أقل احتراماً في هذه الأزمنة الحديثة الغنية
بالمياه. كان العميان هبة تقدم إلى شي هولود، وكان عليهم
أن يخرجوا إلى البيداء المفتوحة حتى تبتلعهم الديدان
العملاقة. وكانت الروايات التي تصل المدن تشير دوماً إلى
أن هذا يحدث في منطقة سيادة الديدان العظيمة، المعروفة
بـ«شيوخ الصحراء». لذلك، كان مشهد فرمني أعمى محيراً،
واستوقف الناس لحظة لمشاهدة مرور هذا الثنائي العجيب.

ترأى الفتى في الرابعة عشرة من عمره، من السلالات
الجديدة التي كانت ترتدي بذلات تقطير محسنة، ترك
الوجه مكشوفاً أمام الهواء الذي ينهب الرطوبة. وكان لديه
ملاح رفيعة، عينان زرقاوان، وأنف صغير، ونظرة البراءة
الطيبة التي كثيراً ما تخفي المعرفة الجنونية لدى الشباب.
في المقابل، كان الرجل الأعمى يمثل تذكراً لعصور تكاد
تنسى - بخطواته الواثقة والمرنة التي تحكي قصة سنوات
طويلة قضاها ماشياً على الرمال أو راجماً دودة رملية. أبقى
رأسه مرفوعاً في صلابة تنبع من عنقه المشدود، صلابة
لا يستطيع بعض العميان تفاديها. لا يحرك رأسه الملثم إلا
عندما يرفع أذنه لسماع صوت مثير للاهتمام.

اخترق الثنائي الغريب تجمع حشود اليوم، ووصل أخيراً
إلى الدرجات الشاسعة المتدرجة، التي أدت إلى الجرف
الذي كان عليه معبد عالية المتوافق تصميمه مع حصن

بول. صعد الواعظ الدرجات حتى وصل هو ومرشده الشاب إلى مستوى الدرج الثالث حيث كان الحجاج في رحلة حجهم ينتظرون الموعد الصباحي لفتح الأبواب العملاقة فوقهم. كانت أبواباً ضخمة بما يكفي لاستيعاب كاتدرائية كاملة من إحدى الديانات القديمة. قيل إن المرور من خلالها يصغر روح الحاج إلى مثل ذرة، صغيرة بما يكفي لتلج في سم الخياط، وتدخل الجنة.

عند حافة المستوى الثالث استدار الواعظ كأنه يتفقد محيطه، ورأى بمجري عينيه الفارغين سكان المدينة المبهرجين، بعضهم من الفِرمَن، يرتدون ملابس تشبه بذلات التقطير، ولكنها في الواقع مجرد أقمشة ملونة، وشاهد الحجاج المتلهفين الذين نزلوا للتو من مركبات النقابة الفضائية، ينتظرون تلك الخطوة الأولى في مناسك التفاني التي تضمن لهم مكاناً في الجنة.

كان بهو الدرج مكاناً مزدحماً: انتشر فوقه أتباع طائفة روح المهدي الذين كانوا يرتدون أردية خضراء ويحملون صقوراً حية مدربة على الصياح «دعوة إلى الجنة». وكان الباعة الجائلون الذين لا يكفون عن الهتاف يبيعون الطعام. وأشياء كثيرة معروضة للبيع، وكانت الأصوات تعلو بقوة تنافسية: عُرِضت بطاقات تاروت كثيب مع كتيبات تعليقات مطبوعة فوق الشيجواير. وكان أحد البائعين يرتدي قطعاً غريبة من القماش وهو يزعم أن «المؤدّب قد لمسها قطعاً!» وكان آخر يعرض قوارير مياه «لا بد أنها

جاءت من سييتش تبر، حيث عاش المؤدّب».

خلال ذلك كله، جرت محادثات بمئة أو أكثر من اللهجات الجلاكية تتخللها أصوات حلقيه قاسية وصرير من اللغات الأجنبية التي اجتمعت تحت لواء الإمبراطورية المقدسة. قفز راقصو الوجوه والأقزام من كواكب التيللاكسو الحرفية المريبة، وداروا وسط الحشود بملابسهم البراقة. وكانت هناك وجوه نحيلة وأخرى ممتلئة غنية بالماء. وترددت أصداء خطوات متوترة على الدرجات الحديدية العريضة. ومن حين إلى آخر ارتفع صوت متحمس من وسط الأصوات يدعو: «أيها المؤدّدودب! أيها المؤدّدودب، ألقِ السلام على روجي المتضرعة! أنت يا من اختارك الله، ألقِ السلام على روجي! أيها المؤدّدودب!».

بالقرب من الحيج، أدى اثنان من الممثلين الإيمائين عرضاً مقابل بضع عملات معدنية، وكانا يرددان سطوراً مقتبسة من «نزاع أرميستيد وليندغرا» المشهور في هذا الزمان.

أمال الواعظ رأسه ليستمع.

كان الممثلان الإيمائيان رجلين من المدينة في منتصف العمر، وأصواتهما تشي بالضجر. طاعة لأمره، وصفهما المرشد الشاب للواعظ. كانا يرتديان أردية فضفاضة، ولم يكلفا نفسيهما حتى عناء لبس بذلات التقطير على جسميهما الغنيين بالمياه. ظنّ آسان طارق أن هذا مسلّ،

لكن الواعظ وبتّخه.

كان الممثل الإيمائي الذي لعب دور ليندغرا يختم كلامه في تلك اللحظة: «باه! لا يمكن إدراك الكون إلا بيد واعية. هذه اليد هي التي تحرك عقلك الثمين، وتقود كل شيء آخر مستمد من دماغك. أنت ترى ما أنتجته، تدركه، فقط بعد أن تنهي اليد عملها!».

تلقي تصنيفًا متفرقًا على أدائه.

استنشق الواعظ، وشمّ الروائح الغنية لهذا المكان: روائح قوية تفوح من بذلات تقطير مرتدّاة بإهمال، ومِسك قويّ من أصول مختلفة، وغبار حجر الصوان المألوف، ورائحة أطعمة غريبة لا تحصى، وروائح البخور النادرة المشتعلة داخل معبد عالية وقد انتشرت الآن إلى الدرج في تيارات موجّهة بحنكة. انعكست أفكار الواعظ على وجهه وهو يستوعب محيطه: *وا أسفاه! هذا ما وصلنا إليه نحن الفِرمن!*

انتشر تغيير مفاجئ عبر الحشد عند بهو الدرج. كان راقصو الرمال قد أتوا إلى الساحة عند أسفل الدرج، وكان خمسون منهم مربوطين بعضهم ببعض بحبال الإلاكة. من الواضح أنهم كانوا يرقصون هكذا لأيام سعيًا للوصول إلى حالة من النشوة. تساقطت الرغبة من أفواههم وهم يندفعون ويخبطون الأرض بأقدامهم على إيقاع موسيقاهم الخفية. ثلثهم تقريبًا مغشي عليه، تتدلى أجسادهم من الجبال، يجرحهم رفاقهم ذهابًا وإيابًا كالدمى المتحركة.

استفاق أحدهم، وبدا أن الحشد ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر.

صاح الراقص الذي استعاد وعيه: «لقد رأَّاأيت! .. لقد رأَّاأيت!». قاوم شد الراقصين الآخرين، وتحركت نظرتة المسعورة يمينا ويساراً. «حيث توجد هذه المدينة الآن، لن يتبقى إلا الرمال! لقد رأَّاأيت».

انفجرت ضحكة عالية من المتفرجين. حتى الحجاج الجدد ضحكوا.

طفح الكيل بالنسبة إلى الواعظ. رفع ذراعيه وصرخ بصوت قوي وجمهوري كان من المؤكد أنه استخدمه سلفاً لقيادة راكبي الديدان: «صمتاً!» سكت الحشد كله في الساحة على إثر سماع صيحة المعركة تلك.

أشار الواعظ بيد نحيلة نحو الراقصين، كأنه يراهم بعينه العمياوين: «ألم تسمعوا ذلك الرجل؟ أيها الكفار وعبدة الأصنام! كلكم! دين المؤدب ليس المؤدّب.. يرفض ذلك كما يرفضكم! سيملاً الرمل هذا المكان. سوف يغطيكم الرمل».

وبقوله هذا، أنزل ذراعيه، ووضع يده على ذراع مرشده الشاب، وأمر: «خذني بعيداً عن هذا المكان».

ربما كان اختيار الواعظ للكلمات: يرفض ذلك كما يرفضكم! ربما كانت نبرته، التي تفوقت على أي صوت بشري، وكان فيها تأثير تدرب عليه بالتأكيد ضمن مهارات

صوت النبي جيسيرت التي تسيطر عليها الفروق الدقيقة في نبرات الصوت. ربما كانت هذه الروحانية المتأصلة فقط في هذا المكان الذي عاش فيه المؤدب وسار وحكم. صاح أحدهم من بهو الدرج.. صارخاً في الواعظ -الذي كان يتراجع إلى الوراء- بصوت مرتعش ممزوج برهبة دينية: «أهذا المؤدب وقد عاد إلينا من جديد؟»

توقف الواعظ، ومد يده إلى جرابه تحت البرقع، وأخرج شيئاً لم يتعرف عليه إلا القريبون منه. كان يداً بشرية محنطة في الصحراء، وهي إحدى دعابات الكوكب عن الفناء التي تظهر أحياناً في الرمال، وكان يُنظر إليها كونياً على أنها رسائل من الشيء هولود. كانت اليد متصلبة في قبضة مشدودة انتهت بعظام بيضاء نحتها رياح عاتية.

صرخ الواعظ: «أحضرت إليكم يد الرب، وهذا كل ما أحضرته! أنا أتكم باسم يد الرب. أنا الواعظ.»

ظن بعضهم أنه يقصد أن اليد يد المؤدب، لكن بعضهم الآخر ركزوا على هذا الحضور الأمر والصوت الرهيب - وهكذا عرفت أراكس اسمه، لكنها لم تكن المرة الأخيرة التي سُمع فيها صوته.

يُقال كثيراً، يا عزيزي جيوراد، إن في تذوق المزاج
فضيلة طبيعية عظمى. ولعل في هذا القول شيئاً من
الحقيقة. لكن الشكوك تعتريني، فليس كل استعمال
للمزاج يُفضي إلى الفضيلة. فثمة من الناس من استغلوا
المزاج في تحدّ سافر للرب. وباسم الموحدين بالرب، شوها
الروح. يعرفون ظاهراً من المزاج ويدعون بذلك بلوغهم
النعمة الإلهية. يستهزئون بأتباعهم، ويجلبون الأذى للمتقين،
ويعكرون صفو هذه النعمة الغزيرة بمكرهم، وهو إفساد لا
يقوى على إصلاحه بشر. إن أراد المرء أن ينعم بفضيلة
الاسپايس بحق، نقيه من كل شائبة، ومفعمة بالعزة
والشرف، فعليه أن يوائم بين أقواله وأفعاله. عندما تؤدي
أفعالك إلى سلسلة من العواقب الشريرة، يجب أن تسأل
عن تلك العواقب، لا عن تبريراتك الذاتية. لذلك يجب أن
نحكم على المؤدب.

- الهرطقة المتحدقة

كانت الغرفة ضيقة ومملوءة برائحة الأوزون النافذة،
وكانت مظلمة ومغبرة بسبب الإنارة الخافتة والضوء
الأزرق البارد الذي ينبعث من شاشة المراقبة. كان
عرض الشاشة نحو متر وارتفاعها ثلثي المتر فقط. وتظهر
عليها صورة واضحة لوادٍ صخري يلتهم فيه نمرا اللازا وجبتهما
الدموية من فريسة حديثة. وعلى جانب التل المطل على
النمرين، كان هناك رجل هزيل يرتدي زي الساردوكار،
وعلى طوقه شارة ليثنبريتش، وعلى صدره لوحة مفاتيح

تحكم.

كانت الشاشة تواجه كرسياً معلقاً على شكل دودة، تجلس عليه امرأة ذات شعر أشقر لا يمكن تحديد عمرها. كان لها وجه على شكل قلب، ويدان نحيفتان تمسكان بذراعي الكرسي وهي تنظر. كان رداؤها الأبيض مزيناً بالذهب ويخفي جسدها. بجانبها بخطوة واحدة، كان هناك رجل بدين يلبس الزي البرونزي والذهبي لمساعد باشار في قوات الساردوكار الإمبراطورية القديمة. كان شعره الرمادي مقصوفاً قصيراً فوق وجهه المربع الخالي من المشاعر.

سعلت المرأة، وقالت: «تحققت تنبؤاتي يا تيكانيك».

قال مساعد الباشار بصوت خشن: «بالتأكيد يا أميرة».

ابتسمت عند سماعها التوتر في صوته، وسألت: «هل تعتقد أن ابني سيسعد بوقع الإمبراطور فارادين في الآذان؟»

«اللقب يليق به يا أميرة».

«لم أسألك عن ذلك».

«قد لا يرضى عن بعض الأمور التي فعلناها لنظفر بهذا».

«اللقب».

«لكن مع ذلك..» التفتت، ونظرت إليه في الظلام.

«لقد خدمت والدي بإخلاص. ليس ذنبك أنه خسر

العرش لصالح آل آترديز. لكنني أعلم أنك تشعر بالأسى
لهذه الخسارة مثل أي...».

سأل تيكانيك: «هل لديك مهمة خاصة لي يا أميرة؟»
كان صوته ما زال خشناً، لكنه أصبح أكثر حدة الآن.

قالت: «لديك عادة سيئة في قطع حديثي».

الآن ابتسم، وأظهر أسنانه السميكة التي لمعت في ضوء
الشاشة. قال: «أحياناً تذكريني بوالدك.. دائماً هذه الإطالة
قبل طلب.. مهمة دقيقة».

أبعدت نظرتها عنه لتخفي غيظها، وسألت: «هل تظن
حقاً أن هذين النمرين سيمنحان ابني العرش؟»

«هذا ممكن بكل تأكيد يا أميرة. يجب أن تعترفي أن
توأمي پول آترديز بحكم قدرهما لن يكونا إلا وجبة شهية
لهذين النمرين، وبموت هذين التوأمين..» هز كتفيه.

قالت: «يصبح حفيد شادام الرابع الوريث الطبيعي.
ذلك إذا استطعنا التخلص من معارضة الفرمن ومجلس
اللاندراد وتشوم بالإضافة إلى أي آترديز باقٍ قد..».

«أكد لي جاقيد أن رجاله يستطيعون التعامل مع عالية
بسهولة. أنا لا أعتبر الليدي چيسيكاً آترديز. فمن بقي؟»

قالت: «لاندراد وتشوم سيتبعان مصلحتهما المادية،
لكن ماذا عن الفرمن؟»

«سنغرقهم في دين المؤدب الذي يعتنقونه!»

«القول أسهل من الفعل، يا عزيزي تيكانيك».

قال: «أرى أننا عدنا إلى ذلك الجدال القديم».

قالت: «فعلت عائلة كورينو أشياء أسوأ من أجل الظفر بالسلطة»

«لكن اتباع هذا.. دين المهدي هذا!»

قالت: «ابني يحترمك».

«يا أميرة، أتمنى أن يعود يوم تسترد فيه عائلة كورينو عرشها الشرعي. هذا ما يتمناه كل ساردو كار باقٍ هنا على قيد الحياة في سالوسا. ولكن إن كنت..».

«كف عن الثرثرة يا تيكانيك! أنت في كوكب سالوسا سوكانداس، لا في مهب الريح. عليك أن تلتزم البروتوكولات الإمبراطورية. الاسم بالكامل، اللقب بالكامل، الاهتمام بكل تفصيل. هذه هي الصفات التي ستمكننا من إنهاء حكم آتريديز وإعادة النظام إلى الكون. كل تفصيل يا تيكانيك».

عرف ما تقصده بهذا الانتقاد. كانت تستخدم نفس التكتيك الذي تعلمته من أختها إيrolان. لكنه شعر بأنه يفقد نفوذه.

«هل تسمعي يا تيكانيك؟»

«أسمعك يا أميرة».

قالت: «أريدك أن تعتنق دين المؤدب».

«يا أميرة، أنا مستعد للموت من أجلك، لكن هذا...».

«هذا أمر، يا تيكانيك!»

بلع ريقه، ونظر إلى الشاشة. كان نمرا اللازا قد فرغا من طعامهما، والآن يستريحان على الرمال، وهما يلعبان أرجلهما الأمامية بلسانيهما الطويلين.

«هذا أمر، يا تيكانيك - هل تفهمني؟»

«نعم، يا أميرة، سمعاً وطاعة». لم تتغير نبرة صوته.

تنهدت. «أوه، لو كان والدي حياً..»

«نعم يا أميرة».

«لا تسخر مني يا تيكانيك. أنا أعلم مدى كرهك لهذا. لكن إن أظهرت مثلاً...».

«قد لا يتبعونني يا أميرة».

«سيتبعونك». أشارت إلى الشاشة. «أشعر بأن الليفتنبريتش الذي في الخارج قد يشكل خطراً».

«خطراً؟ بأي صورة؟»

«من من الناس يعرف عن النمرين؟»

«الليفتنبريتش الذي هو مدربهما.. طيار مركبة واحد، وأنت، وبالتأكيد...». نقر على صدره.

«ماذا عن المشترين؟»

«هم لا يعرفون شيئاً. ما الذي تخشيه يا أميرة؟»

«ابني، حسناً، حساس».

قال: «الساردوكار لا يفشون الأسرار».

«ولا الرجال الأموات». انحنى إلى الأمام وضغطت

زرّاً أحمر تحت الشاشة المضئية.

في لحظة، رفع النمران اللازا رأسيهما. وقفا على قوائمهما الخلفية ونظرا إلى الليثنبريتش على قمة التل. انطلقا بجسد واحد، وصعدا منحدر التل. كان الليثنبريتش هادئاً في البداية، لكنه ضغط زرّاً في جهاز التحكم. كان متأكداً من حركته، لكن عندما اقترب النمران منه، انفجر بالهلع، وضغط الزر بعنف. ظهرت على وجهه علامة الفزع، ومدّ يده إلى السكين في خصره. لكنه تأخر كثيراً. اخترق مخلب حاد صدره وأسقطه أرضاً. عندما سقط، انقض النمر الآخر على رقبته بعضة واحدة بأنيابه، ورجّه بقوة. انكسر عموده الفقري.

قالت الأميرة: «الاهتمام بالتفاصيل». استدارت متوترة عندما سحب تيكانيك سكينه. لكنه قدم لها النصل من المقبض.

قال: «ربما تريدان استعمال السكين للتعامل مع تفصيل آخر».

قالت غاضبة: «أعد السكين إلى غمده، ولا تتصرف
بحمق! أحياناً، يا تيكانيك تختبر صبري حتى...».

«كان هذا رجلاً شجاعاً، يا أميرة. أحد أفضل رجالي».

صححت له: «أحد أفضل رجالي».

تنفس بعمق وهو يرتجف، وأعاد سكينه إلى غمده.
«وماذا عن طيار المركبة؟»

قالت: «سُينسب موته إلى حادث. ستحذره من الخطر
عندما يأتي لاستلام النمرين منّا، وبالطبع، عندما يسلبهما
إلى جماعة جاقيد بالمركبة فسوف...». نظرت إلى سكينه.

«هل هذا أمر منك يا أميرة؟»

«هو كذلك».

«هل سأسقط على سكينني بعد ذلك، أم ستقومين أنتِ
بذلك، آه، التفاصيل؟»

تحدثت بصوت هادئ، وهي متشددة: «تيكانيك، لو
لم أكن متأكدة تماماً أنك ستطيع أمرني، لما وقفت هنا
بجانبي-مسلحاً».

ابتلع ريقه، ونظر إلى الشاشة. كان النمران يلتهمان
الفريسة مرة أخرى.

تجنبت النظر إلى المشهد، وواصلت النظر في عيني
تيكانيك وهي تقول: «ستخبر المشتريين أيضاً أن لا حاجة

إليهم لجلب مزيد من الأطفال المتطابقين الذين يناسبون الوصف المطلوب».

« كما تريدن يا أميرة».

«لا نتكلم بهذه النبرة معي يا تيكانيك».

«حسناً يا أميرة».

أطبقت شفيتها في خط مستقيم. ثم قالت: «كم عدد الأزياء المتطابقة التي لدينا؟»

«ستة أطقم من الأردنية، كاملة مع بذلات التقطير والأحذية الرملية، كلها ممهورة بشارات آتريديز».

«أقمشة فاخرة مثل تلك التي كان يرتديها هذان الطفلان؟» أشارت برأسها نحو الشاشة.

«تليق بالملوك، يا أميرة».

قالت: «الاهتمام بالتفاصيل. سنرسل الملابس إلى أراكس لابني عمنا الملكيين. ستكون هدايا من ابني، هل تفهمني يا تيكانيك؟»

«نعم يا أميرة».

«اجعله يكتب ملاحظة لائقة. يجب أن يقول إنه يرسل هذه الملابس المتواضعة تعبيراً عن ولائه لآل آتريديز. شيء من هذا القبيل».

«والمناسبة؟»

«لا بد من وجود عيد ميلاد أو يوم مقدس أو شيء ما
يا تيكانيك، أترك هذا لك. أنا أثق بك يا صديقي».

نظر إليها بصمت، متعجباً من وصفها إياه بالصديق.
تجمدت ملامحها. «ألا تدرك ذلك؟ أنت الوحيد الذي
أثق به بعد أن مات زوجي؟»

هز كتفيه، مفكراً في مدى الشبه بينها وبين العنكبوت.
لن يكون منطقياً أن يدخل في علاقة حميمة معها، كما
كان يظن الآن أن ليثنبريتش قد فعل.
قالت: «تيكانيك، تفصيل واحد آخر».

«نعم يا أميرة».

«ابني يتدرب على فن الحكم. سيأتي اليوم الذي سيجد
فيه نفسه مرغماً على حمل السيف بيده. عليك أن تبلغني
عندما يحين ذلك الوقت، أريد أن أعرف على الفور».
«كما تأمرين يا أميرة».

انحنت إلى الوراء، ونظرت إليه بحنكة: «أنت لا توافقني
الرأي، أعلم ذلك. لكنني لا أهتم بذلك ما دمت نتذكر
درس ليثنبريتش».

«كان ماهراً في التعامل مع الحيوانات، لكنه قابل
للتعويض؛ نعم يا أميرة».

«ليس هذا ما أعنيه!»

«ليس كذلك؟ إذن.. أنا لا أفهم».

قالت: «الجيش مجرد مجموعة من الأفراد الذين يمكن التخلص منهم، أجزاء قابلة للاستبدال. هذا هو الدرس الذي تعلمناه من ليثنبريتش».

قال: «أجزاء قابلة للاستبدال. حتى القيادة العليا؟»

«من دون القيادة العليا، لا يكون لوجود جيش أهمية، يا تيكانيك. لهذا السبب عليك أن تعتنق دين المهدي فوراً، وفي الوقت نفسه ستبدأ تعليم ابني هذا الدين».

«في الحال يا أميرة. أتوقع أنك لا ترغبين في أن أهمل تدريبه على فنون القتال الأخرى من أجل هذا، آه، الدين؟»

نهضت عن الكرسي، ودارت حوله، وتوقفت عند الباب، وتكلمت دون أن تلتفت إليه. «سيأتي يوم تتجاوز فيه حدود صبري، وستندم على ذلك يا تيكانيك».

ثم خرجت.

علينا إما أن نتخلى عن نظرية النسبية العريضة، وإما أن نتوقف عن فكرة أننا قادرون على التنبؤ الدقيق المستمر بالمستقبل. في الحقيقة، معرفة المستقبل تطرح مجموعة من الأسئلة التي لا إجابة لها في ضوء الافتراضات السائدة. لا بدّ أن نتخيل أولاً وجود مراقب خارج حدود الزمن، وثانياً أن نبطل كل حركة. إذا اعتمدنا نظرية النسبية، فيمكن إثبات أن الزمن والمراقب يجب أن يبقى كل منهما ثابتاً قياساً إلى الآخر، وإلا ستظهر الأخطاء. يبدو أن هذا يعني أنه من المحال التنبؤ الدقيق بالمستقبل. فكيف نفهم استمرار جهود العلماء المحترمين لتحقيق هذا الهدف الخيالي؟ وكيف نفهم المؤدّب؟

- محاضرات عن الاستبصار (خرق العادة)

قالت چيسیکا: «يا غنيمّة، عليّ أن أقول لك شيئاً مهماً، ولكنني أخشى أن تذكرك قصتي بما مررنا به من تجارب في ماضينا المشترك، وهذا سيعرضك للخطر».

تأنت قليلاً لترى ردة فعل غنيمّة على كلامها.

كانتا وحيدتين، جالستين على وسادتين منبسطتين في إحدى حجرات سييتش تبر. تطلّب هذا اللقاء مهارة فائقة في المناورة، ولم تكن چيسیکا متأكدة تماماً من أن غنيمّة لم تكن تناور أيضاً.

بدا أن غنيمّة تتوقع وتحرز تقدماً مع كل خطوة.

بعد مرور ساعتين تقريباً على غروب الشمس، تلاشت

الحماسة التي رافقت الترحيب والتقدير والاحترام.

أجبرت چيسیکا نبضها على العودة إلى وضع مستقر، وحولت انتباهها إلى هذه الغرفة ذات الجدران الحجرية والستائر الداكنة والوسائد الصفراء. لمواجهة التوتر الذي فاض بداخلها، تذكرت لأول مرة منذ سنوات تعويذة النبي چيسيريت لدرء الخوف.

«يجب ألا أخاف. الخوف قاتل. الخوف ميتةٌ صغرى تهلك قبل الأوان. سأواجه خوفي. سأسمح له بتجاوزي والمرور من خلالي. وحين يمرُّ، سأرنو بعين البصيرة لأرى مسلكه. وحيث مضى الخوف لن يبقى شيء، لن يبقى سواي».

رددت ذلك بصمت، وأخذت نفساً عميقاً ومهدّئاً.

قالت غنيمه: «أحياناً تكون مفيدة. أعني التعويذة».

أغمضت چيسیکا عينيها لإخفاء صدمة هذه البصيرة. مضى وقت طويل منذ أن استطاع أحد أن يقرأها بدقة. كان هذا الإدراك مقلّماً، خاصةً عندما يأتي من عقل مخبئٍ وراء وجه طفولي.

بعد أن تغلبت على خوفها، فتحت چيسیکا عينيها، وعرفت سبب قلقها: أنا قلقةٌ على حفيدي. لم يُظهر أي من هذين الطفلين صفات الشُّعة التي تتفاخر بها عالية، رغم أن ليتو بدا أنه يخفي شيئاً مخيفاً. ولهذا السبب حرصت على استبعاده من هذا الاجتماع.

بدافع غريزي، تخلت چيسيكاً عن أقنعتها العاطفية التي تعيق التواصل، مدركة أنها لا تنفع هنا. لم تخفض تلك الأقنعة منذ تلك اللحظات المفعمة بالحب مع دوقها، وشعرت بالراحة والألم في آن واحد. كانت هناك حقائق لا يمكن للّعنة أو الدعاء أو التعويذة أن تحوها. لن يخلصها الفرار منها. ولا يمكن تجاهلها. يمكنها أن ترى أن عناصر رؤية پول قد أُعيد ترتيبها، وبات طفلاه منخرطين في احتمالات الزمن. كانا أشبه بمغناطيس في الفراغ. الشر وكل سوء استخدام مؤلم للسلطة تجتمع حولهما.

كانت غنيمة، وهي تراقب مسرحية المشاعر على وجه جدتها، منبهة من أن چيسيكاً قد تخلت عن أدوات تحكمها.

مع حركات رأسيهما المتزامنة بشكل لافت، التفتا، والتقت أعينهما، ونظرتا بعمق، كل منهما تفحص الأخرى. تبادلتا أفكاراً دون كلمات منطوقة.

چيسيكاً: أتمنى أن شعري بخوفي

غنيمة: الآن أعلم أنك تحبيني.

كانت لحظة قصيرة من الثقة المطلقة.

قالت چيسيكاً: «عندما كان والدك طفلاً، أحضرتُ أمّاً موقرة إلى كلابان لاختباره».

أومات غنيمة برأسها. كانت ذكرى ذلك نابضة في

داخلها.

«نحن، البني چيسيريت، كنا دائماً حريصات على التأكد من أن الأطفال الذين نربيهم بشر وليسوا حيوانات. لا يستطيع المرء دائماً الحكم من خلال المظهر الخارجي».

قالت غنيمة: «إنها الطريقة التي تدرّبت عليها»، وملاّت الذكرى ذهنها: تلك البني چيسيرت العجوز، جايس هيلين موهيم. أتت إلى قلعة كلادان مع الجوم چبار السام وصندوق الألم الحارق. عانت يد بول (يد غنيمة في الذاكرة المشتركة) آلام ذلك الصندوق فيما كانت المرأة العجوز تتكلم بهدوء عن الموت الفوري إن انسحبت اليد من فرط الألم. ولم يكن هناك شك في الموت الذي تحمله الإبرة المهددة عند عنق الطفل فيما الصوت المسن ينطق بمنطق الاختبار:

«هل سمعت عن الحيوانات التي تعض إحدى قوائمها لتفلت من فخ الصياد؟ هذه حيلة حيوانية، أما الإنسان فسيبقى في الفخ متحملاً الألم، متظاهراً بالموت، أملاً في قتل الصياد والتخلص من خطره على بني جنسه».

رجفت غنيمة من الألم الذي تذكرته. الحرق! الحرق! تخيل بول جلده يتحول إلى رماد على تلك اليد المتألمة داخل الصندوق، ولحمه ينفصل ويتساقط حتى تبقى العظام المتفحمة فقط. كانت مجرد خدعة - اليد بقيت سليمة. لكن عرق غنيمة تصبب على جيئها في الذكرى.

قالت چيسيكاً: «بالتأكيد تذكرين هذا بطريقة لا أستطيع أن أتذكرها أنا».

للحظة، مدفوعة بالذكرى، نظرت غنيمه إلى جدتها من منظور آخر: ماذا تستطيع هذه المرأة أن تفعل من أجل الضروريات المحفزة التي غرستها فيها التهيئة المبكرة في مدارس النبي چيسيريت! أثار ذلك فيها أسئلة جديدة حول عودة چيسيكاً إلى أراكس.

قالت چيسيكاً: «لن يكون من الحكمة تكرار هذا الاختبار عليكِ أو على أخيكِ. أنت تعرفين بالفعل كيف سيسير الاختبار. يجب أن أعتبر أنك بشرية، وأنتِ لن تسيئي استخدام قواك الموروثة».

قالت غنيمه: «لكنك لا تعتبرين ذلك بالفعل».

تراجعت چيسيكاً، وأدركت أن الحواجز عادت تزحف مرة أخرى عائدة إلى مكانها. أزالها مرة أخرى. سألت: «هل تصدقين حيي لك؟»

«نعم». بينما رفعت غنيمه يدها لتوقف چيسيكاً عن الكلام. «لكن هذا الحب لن يمنعك من تدميرنا. أوه، أنا أعرف المنطق: (الأفضل أن يموت الإنسان-الحيوان على أن يعيد خلق نفسه). وهذا صحيح، بالأخص إذا كان الإنسان-الحيوان يحمل اسم آترديدز».

جارت چيسيكاً: «أنتِ على الأقل بشرية. أنا أثق بجدسي في هذا».

رأت غنيمة الحقيقة في ذلك، فقالت: «لكنك لست متأكدة من ليتو».

«لست متأكدة».

«تظنين أنه سُنة؟»

لم تستطع چيسیکا إلا أن تومئ برأسها.

قالت غنيمة: «ليس بعد على الأقل. نحن نعرف خطورة ذلك. نستطيع أن نرى شكله في عالية».

رفعت چيسیکا يديها فوق عينيها، وفكرت: حتى الحب لا يمكن أن يحمينا من الحقائق البغيضة. وعرفت حينها أنها ما زالت تحب ابنتها. صرخت بصمت في مواجهة القدر: عالية! أوه، عالية! أنا آسفة لدوري في تدميرك.

تنحنت غنيمة بصوت عالٍ.

أخفضت چيسیکا يديها، وفكرت: قد أرثي ابنتي المسكينة، لكن هناك أولويات أخرى الآن. قالت: «إذا علمت بما حدث لعالية».

«ليتو وأنا رأينا ذلك يحدث. لم نستطع منعه، رغم أننا بحثنا كثيراً من الاحتمالات».

«هل أنت متأكدة من أن أخاك قد نجا من هذه اللعنة؟»

«أنا متأكدة».

لا يمكن إنكار التأكيد الهادئ في ذلك البيان. وجدت
چيسيكاً نفسها تقبله. قالت: «كيف نجيتما من مصير
الشنعة إذا؟»

شرحت غنيمه النظرية التي استقرت عليها هي وليتو،
أنهما تجنباً نشوة الاسبائس في حين انخرطت فيها عالية،
وهذا ما أحدث الفارق. تابعت سرد أحلام ليتو وانخطط
التي بحشاها- حتى چاكوروتو.

أومأت چيسيكاً برأسها. «عالية آتريديزية، على الرغم من
ذلك، وهذا يثير مشكلات كبيرة».

صمتت غنيمه أمام الإدراك المفاجئ أن چيسيكاً ما زالت
ترثي دوقها، كأن موته كان أمس، وأنها ستصون اسمه
وذكره من كل التهديدات. تسربت الذكريات الشخصية
من حياة الدوق من خلال وعي غنيمه لتؤكد هذا التقييم،
وتخففه بالتفهم.

قالت چيسيكاً متحمسة: «الآن، ماذا عن هذا الواعظ؟
سمعت بعض التقارير المقلقة أمس بعد حفل الاستقبال
اللعين».

هزت غنيمه كتفها. «يمكن أن يكون...».

«پول؟»

«نعم، لكننا لم نره بعد لتأكد من هذا الاحتمال».

قالت چيسيكاً: «جاquid يستهزئ بالشائعات».

ترددت غنيمة. ثم قالت: «هل تثقين بجافيد هذا».

ابتسمت چيسيكاً ابتسامة فاترة. «ليس أكثر مما تفعلين».

قالت غنيمة: «ليتو يقول إن جافيد يستهزئ بالأشياء الخاطئة».

قالت چيسيكاً: «أخذ موضوع جافيد منا أكثر مما ينبغي. لكننا تؤمنان بفكرة أن ابني لا يزال حيًا.. أنه عاد بهذا الزي المقنع؟»

«نقول إنه ممكن. وليتو..». وجدت غنيمة فيها جافاً فجأة، وتذكرت المخاوف التي تتابها. أجبرت نفسها على التغلب عليها، وأعدت سرد اكتشافات ليتو الأخرى عن الأحلام الاستبصارية.

هزت چيسيكاً رأسها مجروحة ومتألمة.

قالت غنيمة: «ليتو يقول إنه يجب أن يجد هذا الواعظ ويتحقق منه».

«نعم.. بالطبع. لم يكن ينبغي لي أن أغادر هنا. كان ذلك جبناً مني».

«لماذا تلومين نفسك؟ بلغت أقصى حدود قدرتك. وأنا أعلم ذلك. ليتو يعلم ذلك. وربما حتى عالية تعلم ذلك».

وضعت چيسيكاً يدها على حلقها، ودلكته لثوانٍ. ثم قالت: «نعم، مشكلة عالية».

قالت غنيمه: «لديها قوة جذب غريبة على ليتو. لهذا السبب ساعدتك في لقائي على انفراد دون أخي. يوافق على أن حالتها ميؤوس منها، لكنه لا يزال يسعى ليكون معها... يدرس حالتها و.. هذا يزعجني كثيراً. عندما أحاول أن أعارض على ذلك، ينام. هو-»

«هل تخدره؟»

«لا.. لا». هزت غنيمه رأسها. «لكن، لديه تعاطف غريب معها. و.. في أثناء نومه، يتم كثيراً بكلمة چاكوروتو».

«چاكوروتو مرة أخرى». ووجدت چيسيكا نفسها تسرد تقرير جبرني عن المتآمرين الذين اكتشفهم في ساحة الهبوط.

قالت غنيمه: «أحياناً أخشى أن عالية ترغب في أن يبحث ليتو عن چاكوروتو. لطالما ظننت أنه مجرد أسطورة. أنت تعرفين ذلك بالتأكيد».

ارتجفت چيسيكا. «قصة مرعبة. رهيبه».

سألت غنيمه: «ماذا علينا أن نفعل؟ أخاف أن أبحث في كل ذكرياتي، كل أرواحي..».

«غنيمه! أنا أحذرك من فعل ذلك. يجب ألا تخاطري..».

«قد يحدث ذلك، حتى لو لم أخاطر به. كيف نعرف

حقيقة ما حدث لعالية؟»

«حسنًا! يمكنك أن تنقذي نفسك... من خطر المس»
ضغطت على الكلمة. «حسنًا.. چاكوروتو؟ لقد أرسلت
جيرني ليجد المكان - إن كان موجودًا».

«لكن كيف يستطيع.. أوه! طبعًا، المهربون».

خيم الصمت على چيسیکا بسبب هذا الدليل الجديد على
كيفية تناغم عقل غنيمة مع ما يجب أن يكون وعي
البشر الذين يسكنونها. وعي أنا! فكرت چيسیکا: كم كان
غريبًا حقًا، أن هذا الجسد الصغير يمكن أن يحمل كل
ذكريات پول، على الأقل حتى لحظة انفصال نطفة پول
عن ماضيه. إنه انتهاك للخصوصية لا يمكن تحمله، شيء
بدائي داخل چيسیکا يقاومه. لحظة واحدة كانت كافية
لتغرقها في تقييمات البني چيسيريت الحاسمة والمطلقة:
شُنة! ولكن في الوقت نفسه، كان هناك حنان في هذه
الطفلة، واستعداد للتضحية من أجل أخيها، لا يمكن
تجاهله.

فكرت چيسیکا: إننا حياة واحدة تمتد نحو مستقبل مظلم.
نحن دم واحد.

جمعت چيسیکا شتات نفسها ووافقت في سريرتها على
تنفيذ الخطة التي وضعتها هي وجيرني هاليك. يجب فصل
ليتو عن أخته، ويجب أن يتلقى التدريب الذي أصرت
عليه الأخوية.

أسمع الريح تهب عبر الصحراء، وأرى أقمار ليلة شتوية ترتفع مثل سفن عظيمة في الفراغ. أتعهد إليها بأن أكون حازماً وأتقن فن الحكم؛ سأوازن ماضي الموروث، وأصبح مخزناً مثالياً لأطلال الذكريات. وسأكون معروفاً بالطيبة أكثر من المعرفة. وسوف يضيء وجهي في أروقة الزمن ما دام البشر موجودين.

- نذر ليتو (عن خرق العادة)

منذ نعومة أظافرها، كانت عالية آترديدز تتدرب لساعات في نشوة الپرانا بيندو، في محاولة تقوية شخصيتها الخاصة ضد تأثير شخصيات الآخرين داخلها. كانت تعرف المشكلة - لا مفر من المزاج السائد في السييتش. تغلغل في كل شيء: الطعام والماء والهواء وحتى أقمشة الملاءات التي تبللها بدموعها ليلاً. في سن مبكرة جداً، تعلمت كيفية استخدام طقوس نشوة الطاوو حيث شربت القبيلة ماء دودة ميتة. في نشوة الطاوو، تخلص الفِرمن من الضغوط المتراكمة على ذكرياتهم الجينية، وأنكروها. شاهدت رفاقها يغدون مموسين مؤقتاً في نشوة الطاوو.

أما هي، فلم يكن لديها مجال لمثل هذا التحرر، أو الإنكار. كانت تمتلك وعياً كاملاً قبل الولادة بمدة طويلة.

مع هذا الوعي جاء إدراك مأساوي لظروفها: تعرضت وهي في رحم أمها إلى اتصال مستمر مع شخصيات جميع أسلافها، وشخص تلك الهويات التي انتقلت بالموت في

نشوة الطاو إلى الليدي چيسيكاً. قبل الولادة، كانت عالية
قد امتلكت كل جزء من المعرفة المطلوبة في أم موقرة
من البني چيسيريت - بالإضافة إلى الكثير والكثير من
الآخرين كلهم.

في تلك المعرفة يكمن الاعتراف بحقيقة رهيبة - الشنعة.
أنهك قواها ثقل كل تلك المعرفة. لم تتمكن عالية الواعية
قبل الولادة من النجاة. ناضلت ضد أسلافها المرعبين،
وفازت لبعض الوقت في انتصار باهظ الثمن استمر خلال
مرحلة الطفولة. عرفت شخصية مستقلة بها، لكنها لم تكن
تحظى بأي حماية ضد التدخلات العرضية لأولئك الذين
عاشوا انعكاسات حياتهم فيها.

فكرت: هكذا سأصبح مثل هذه الأرواح في يوم من
الأيام. أرعبتها هذه الفكرة: أن تتسلل وتتخفى في حياة
شخص من نسلها، لتطفل عليه وتستحوذ على وعيه لتعزز
من تجاربها.

لاحق الخوف طفولتها. استمر حتى سن البلوغ. قاومته،
ولم تطلب المساعدة قط. فمن يمكنه فهم العون الذي تحتاج
إليه؟ لن تفهم والدتها التي عجزت عن طرد شبح حكم البني
چيسيريت: الواعي ما قبل الولادة هو شنعة.

ثم جاءت تلك الليلة عندما ذهب شقيقها وحيداً إلى
الصحراء ينشد الموت، وسلم نفسه إلى شي هولود كما كان
من المفترض أن يفعل فرمني أعمى. في ذلك الشهر،

تزوجت عالية دانكن آيداهو، خبير مبارزة پول، مننتات
بُعْث من الموت بواسطة أساليب التليلاكسو. وهربت
والدتها إلى كلابدان، وأصبحت هي مسؤولة عن توأم پول
قانونياً، وصارت الوصية على العرش.

دفعت ضغوط المسؤولية المخاوف القديمة جانباً، وكانت
مستعدة تماماً للأرواح الداخلية، واستشارتهم عند
الضرورة، وغمرت نفسها في نشوة الاسپايس بحثاً عن رؤى
إرشادية.

في يوم ربيعي عادي من شهر لاب، استيقظت عالية في
حصن المؤدب وسط رياح قطبية باردة. كانت ترتدي
الأصفر تعبيراً عن حزنها، لون الشمس النقية. ولكن
صوت أمها الساخر في رأسها كان يستهزئ بتحضيراتها للأيام
المقدسة التي ستحتفل بها في المعبد.

تلاشى وعي چيسیکا، وغاب.. وفي النهاية، استسلمت
لاقتراح شخص غريب نصحها بأن تعير اهتماماً أكبر
للوضع الذي آل إليه قانون آتريديز. بدأت أرواح أخرى
تغزو وعيها. شعرت عالية كأنها تسقط في هاوية بلا قرار،
ونتالت أمامها وجوه تشبه الجراد، حتى استقرت عيناها
على وجه يشبه الوحش: البارون هاركونن العجوز. في حالة
من الغضب المرعب. صرخت في وجه كل هذا الصخب
داخلها، وظفرت بصمت مؤقت.

في ذلك الصباح، انطلقت عالية في نزهتها الصباحية قبل

الإفطار في حديقة سطح الحصن. في محاولة أخرى للتغلب على المعركة الداخلية، حاولت أن تحافظ على وعيها الكامل باتباع تحذير تشودا للزئسنيين:

«إن ترك المرء الدرج، فقد يسقط إلى أعلى! (12)».

لكن ضوء الصباح على جوانب الجدار الحامي كان يشتت انتباهها. امتلأت مسارات الحديقة بالعشب الناعم الرطب. وعندما أبعدت نظرها عن الجدار الحامي، كانت كل قطرة من ندى العشب تعكس وجهاً من حشد الأرواح داخلها. أصابها ذلك الحشد بالدوار.

حاولت أن تصرف عقلها إلى معنى العشب الكثيف. أدركت من كثرة الندى مدى تقدم التحول البيئي في أراكس. ازداد المناخ في خطوط العرض الشمالية سخونة؛ كان معدل ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي يرتفع. ذكرت نفسها بعدد الهكتارات الجديدة التي ستُزرع بالنباتات الخضراء في العام المقبل -الهكتار الواحد منها يحتاج إلى سبعة وثلاثين ألف قدم مكعب من المياه.

ولكن، رغم كل محاولاتها للتفكير في الأمور العادية، لم تتمكن من طرد الدوران المتوحش لكل تلك الأرواح في داخلها.

وضعت يديها فوق جبهتها وضغطت عليها.

في اليوم السابق، أحضر حراس معبدها إليها سجيناً للحكم عليه عند غروب الشمس. كان اسمه إيساس پايمون،

رجل ضئيل أسود، يتاجر في القطع الأثرية المقدسة والمقتنيات الزخرفية لعائلة آل نيبرو. في الحقيقة، كان معروفًا أن پايمون جاسوس لصالح تشوم، وكانت مهمته تقدير حصاد الاسپايس السنوي. كانت عالية تنوي إرساله إلى الزنانات عندما صرخ قائلاً: «هذا هو ظلم آل آتريديز». كان هذا الاحتجاج يستحق الإعدام شنقًا، لكن عالية صدمت من جرأته. تحدثت معه بحزم من فوق عرش القضاء، في محاولة لترويجه حتى يكشف أكثر مما اعترف به للمحققين.

سألته: «لماذا يهتم الائتلاف المجري لأقطاب التجارة الأشراف بمحصولنا من الاسپايس. أخبرنا وقد نصفح عنك».

قال پايمون: «أنا أجمع فقط الأشياء التي لها رواج في السوق، لكنني لا أعرف شيئًا عما يحدث لحصادي بعد ذلك».

سألت عالية: «ومن أجل هذا الربح الضئيل تتدخل في خططنا الملكية؟»

أجاب: «الحكام المليون لا يعيرون اهتمامًا أن الرعية أيضًا يمتلكون خططًا».

قالت عالية، معجبة بجرأته اليائسة: «إيساس پايمون، هل توافق على العمل لدي؟»

فأضاعت ابتسامة وجهه الداكن، وقال: «كنت على

وشك أن تقتليني دون تردد. ما القيمة الجديدة التي
ترغبين فجأة في شرائها؟»

قالت: «لديك مزية بسيطة وعملية. أنت جريء ومستعد
لخدمة من يدفع لك أكثر. أنا أستطيع أن أعطيك أكثر مما
يقدمه أي شخص آخر في الإمبراطورية».

طلب منها مبلغًا هائلًا مقابل خدمته، لكنها ضحكت
وقدمت له عرضًا أكثر منطقية وبالتأكيد أعلى بكثير مما
حصل عليه من قبل. وأضافت: «وبالإضافة إلى ذلك،
سأمنحك عفوي عن حياتك التي أعتقد أنك تقدرها أكثر
من أي شيء آخر».

صاح بايمون «اتفقنا!»

وبإشارة من عالية، اقتاده زيارينكو جاquid رئيس
الكهنة بعيدًا إلى مكان آخر.

بعد أقل من ساعة، عندما كانت عالية تستعد لمغادرة
قاعة المحكمة، أتى جاquid مسرعًا ليبلغها أنه سمع بايمون
يهمس بعبارة مشؤومة من الإنجيل الكاثوليكي البرتغالي:

«لا تدع الساحرة الشريرة تعيش (13)».

فسرت عالية: «لا تدع الساحرة تعيش». هكذا عبر عن
شكره لها! كان إذن من بين المتآمرين على حياتها! ساورها
غضب لم تشعر به من قبل، وأمرت بإعدام بايمون على
الفور، وإرسال جثته إلى حجرة تقطير الموتى في المعبد،

حيث ستكون مياهه ذات قيمة في الخزائن الكهنوتية.

وطوال الليل، بقي وجه پايمون الغاضب يطاردها.

حاولت التخلص من هذه الرؤية المزعجة والمتهمّة، ورددت تعويذة «بو-چي» من كتاب كوريوس الفرمني: «لا شيء يحدث! لا شيء يحدث!» لكن پايمون لازمها طوال ليلة مرهقة حتى بزغ فجر يوم جديد مليء بالدوار، حيث لاحظت أن وجهه قد انضم إلى الوجوه التي تتلأأ في قطرات الندى.

دعتها إحدى حارساتها لتناول الإفطار عند باب السطح خلف سياج منخفض من أشجار الميموسا. تنهدت عالية. شعرت بأنها محاصرة بين خيارات سيئة: صراخ عقلها أم صراخ الخدم - كلها أصوات عديمة الفائدة، لكنها مصرة في طلباتها، أشبه بضجيج ساعة رملية تود أن تسكتها بحد سكين.

لم تلتفت عالية إلى الحارسة، بل نظرت عبر حديقة السطح نحو الجدار الحامي. ورأت كيف نشرت الباهادا (14)؛ دلتا الرمال مخلفاتها الرسوبية مثل مروحة على سفح الجبل. رأت دلتا الرمال الممتدة أمام عينيها، مضيئة بشمس الصباح. قد تظن عين غير خبيرة بالصحراء أن تلك المروحة الكبيرة هي نتيجة جريان نهر، ولكنها كانت في الحقيقة آثار الانفجار الذي أحدثه أخوها في الجدار الحامي باستخدام قنابل آل آترديدز الذرية؛ ما مهد

الطريق للديدان الرملية التي حملت جيش الفرمن ليحققوا انتصاراً مذهلاً على سلفه الإمبراطوري شادام الرابع. والآن تجري قناة عريضة من الماء على الجانب الآخر من الجدار الحامي لتمنع دخول الديدان الرملية التي لا تحمل المياه الجارية؛ فهي تسممها. فكرت: ليت لي حاجزاً كهذا في ذهني. وزادت هذه الفكرة من شعورها بالانفصال عن الواقع.

ديدان رملية! ديدان رملية!

أظهرت لها ذاكرتها صوراً للديدان الرملية: الشي هولود الجبار، القوة المحركة للفرمن، الوحش الذي يقتل في أعماق الصحراء وينتج الاسپايس الثمين. فكرت: كم هو عجيب أن تتحور يرقة رملية مسطحة وقاسية الجلد إلى تلك الدودة الرملية الجبارة. شعرت بأنهم كالحشد المتدفق في وعيها؛ تلك اليرقات الرملية التي تلتصق ببعضها على أرض الكوكب الصخرية، وتصبح خزانات مياه حية؛ تحتبس المياه في داخلها لتغذي الأطوار بداخلها التي ستكبر لتصبح ديدان رملية ضخمة. شعرت عالية بالتشابه: بعض هؤلاء الآخرين في عقلها يخفون قوى خطيرة يمكن أن تدمرها.

نادتها الحارسة مرة أخرى لتناول الإفطار، نبرة صوتها توحى بنفاد صبرها. استدارت عالية بغضب، وأشارت لها بيدها لتصرف.

أطاعت الحارسة، لكنها صفت باب السطح خلفها

بقوة.

لما سمعت عالية صوت صفع الباب، شعرت بأنها محاصرة بكل ما حاولت إنكاره. تزاومت الأرواح الأخرى داخلها مثل موجة مدّ هائجة، وتنافست لتستحوذ على اهتمامها، ظهر أمام عينيها سرب من الوجوه، بعضها ملطخ بالبقع، وبعضها الآخر قاسٍ ومظلم؛ كان هناك أفواه ملساء ورطبة. اجتاحتها ضغط الحشد في تيار يريد لها أن تنسلخ عن نفسها وتغوص فيهم.

همست «لا.. لا.. لا».

كادت تسقط على المشى لولا مقعد خشبي بجانبها استقبل جسدها المنهار. حاولت أن تجلس، ولم تستطع، فاستلقت بجسمها على الخشب البارد، ما زالت تهمس بالإنكار.

لم يتوقف المد عن الارتفاع في داخلها.

شعرت بأنها واعية بكل حركة وسكنة، مدركة المخاطر، لكنها حذرة من كل صيحة قد تخرج من تلك الأفواه الحذرة المتمردة في داخلها. كانوا صخباً من الأصوات يطالبون بانتباهها: «أنا! أنا!». «لا، أنا!». وعلمت أنها إذا أولت اهتمامها مرة واحدة، أولته كلياً، فسوف تضيع. النظر إلى وجه واحد من بين حشد الأرواح في داخلها، واتباع صوت ذلك الوجه سيعني أن تسيطر عليها مركزية الذات (15) التي تشاركها وجودها.

همس صوت: «الاستبصار يفعل ذلك بك».

غطت أذنيها يديها، وفكرت: لست مستبصرة! النشوة لا
نعمل معي!

لكن الصوت استمر: «قد تنجح، إن حصلت على
مساعدة».

همست: «لا.. لا».

حامت أصوات أخرى في عقلها: «أنا، أجامنون،
سلفك، يطلب منك أن تسمعيه».

«لا.. لا». ضغطت يديها على أذنيها حتى استجاب
جسمها لمقاومتها بالألم.

سألت صرخة مجنونة داخل رأسها: «ماذا حدث لأوفايد؟
ببساطة، اختزل جون بارتليت مؤلفاته في مجموعة من
الاقْتباسات! (16)»

كانت الأسماء لا معنى لها بالنسبة إليها. أرادت أن
تصرخ ضدها، وضد كل الأصوات الأخرى، لكنها لم
تستطع أن تجد صوتها.

حارستها التي أرسلها الخدم الأعلى رتبة إلى السطح ثانية،
حدقت مجدداً من مدخل الباب وراء الميموسا (17)،
ورأت عالية على المقعد، وتحدثت إلى رفيقها: «آه، إنها
تستريح. ذكرت أنها لم تتم جيداً أمس. من الجيد لها أن
تأخذ الزها* (18)؛ القيلولة الصباحية».

لم تسمع عالية حارستها. استحوذت على وعيها صيحات
غنائية: «نحن طيور عجوز سعيدة، مرحى!» تملأ رأسها من
الداخل، وفكرت: سأجن، سأفقد عقلي.

ركضت بضعف نحو المقعد. شعرت أنه لو استطاعت
أن تأمر جسدها بالركض، لعلها تنجو. كان عليها أن تهرب
قبل أن يغمرها أي جزء من هذا المد الداخلي ويسكتها،
ويدنس روحها إلى الأبد. لكن جسدها خانها. ستمثل
أعظم القوى في الإمبراطورية لأتفه نزواتها، لكن جسدها
لن يطيعها.

ضحك صوت داخلها. ثم قال: «من وجهة نظر معينة،
أيتها الطفلة، كل خلق جديد هو كارثة». كان صوتاً
جهورياً اهتزت له عيناها، ومرة أخرى ضحكة مكتومة
كأنه يستهزئ برأيه: «يا طفلي العزيزة، سأساعدك، لكن
عليك أن تساعدني أيضاً».

في خضم الضجيج الصاخب خلف ذلك الصوت
الجهوري، تحدثت عالية وأسنانها تصطك: «من؟ من؟»

ظهرت في ذهنها صورة وجه مبتسم، مكتنز الخدين
إلى حد يكاد يُخيل إليك أنه وجه طفولي، لولا البريق
العميق الذي يشع من عينيه. حين حاولت الانسحاب،
وجدت نفسها لا تزال تتأمل تفاصيل الجسد الذي يتبع
ذلك الوجه. جسد ضخم، يغطيه ثوب يبرز تحته انتفاخات
دقيقة، تشي بأن هذه الكتل الدهنية تحتاج إلى نظام تعليق

يحملها ضد الجاذبية.

قال الصوت الجمهوري: «أنا جدك لأمك. أنت تعرفيني.
كنت البارون فلاديمير هاركونن».

قالت لاهثة: «أنت.. أنت ميت!»

«بالطبع يا عزيزتي! معظمنا في داخلك موتى. لكن لا
أحد من الآخرين مستعد لمساعدتك. إنهم لا يفهمونك».
توسلت: «ابتعد. أرجوك، ارحل».

جادل صوت البارون: «لكنك بحاجة إلى المساعدة يا
حفيدتي».

فكرت وهي تنظر إلى انعكاس البارون على جفنيها
المغلقين: كم يبدو مذهلاً!

قال البارون بمكر: «أنا مستعد لمساعدتك. سيتصارع
الآخرون فقط للاستيلاء على وعيك كلياً. أي واحد منهم
سيحاول طردك. لكنني.. لا أريد إلا ركنًا صغيراً لي».

مرة أخرى، رفع الآخرون في داخلها صخبهم. هدد
المد مرة أخرى بابتلاعها وسمعت صوت والدتها يصرخ.
وفكرت عالية: هي حية.

أمر البارون: «اخرسوا!».

شعرت عالية أن رغباتها الخاصة تؤيد ذلك الأمر، بحيث
أصبح ملهوساً في وعيها.

سكنها صمت داخلي، مثل مياه باردة، وشعرت أن قلبها يستعيد نبضه الطبيعي.

قال صوت البارون بلطف: «أترين؟ معاً نحن لا نقهر. أنت تساعديني وأنا أساعدك».

همست: «ماذا... ماذا تريد؟»

وبينما كانت عيناها مغمضتين، رأت وجه البارون السمين ينظر إليها بتأمل. قال: «آه، يا حفيدتي العزيزة، أريد فحسب أن أستمع ببعض اللحظات البسيطة. دعيني أشاركك حواسك. لا داعي للخوف من أن يعلم أحد. دعيني أتذوق جزءاً صغيراً من حياتك، مثلها تفعلين عندما تحتضنين حبيك. أليس هذا ثمناً رخيصاً؟»

«نعم.. نعم».

ضحك البارون: «جيد، جيد. وفي المقابل، يا حفيدتي، أستطيع أن أقدم لك خدمات عديدة. أستطيع أن أنصحك، وأمدك بمشورتي. لن تهزمي داخلياً أو خارجياً. ستهزمين كل معارضيك. التاريخ سينسى أخاك ويذكرك. سيكون المستقبل لك».

«أنت.. لن تدع.. الآخرين يسيطرون؟»

«لا يستطيعون مقاومتنا! بمفردنا نحن ضعفاء، ولكن معاً نحن أقوىاء. سأريك. اسمعي».

وسكت البارون، حاجباً صورته ووجوده الداخلي. لم

تزجها أي ذاكرة أو صورة أو صوت من أرواح الآخرين.
تنهدت عالية مرتجفة.

رافق تنهدها فكرة. اندفعت إلى وعيها كأنها فكرتها، لكنها
شعرت بأصوات خافتة خلفها.

كان البارون العجوز شيطاناً. قتل أبائك. كان سيقتلك
أنت وپول. حاول وفشل.

سمعت صوت البارون بلا وجه: «بالتأكيد كنت
سأقتلك. ألم تقفي في طريقي؟ لكن هذا الجدل انتهى.
انتصرت أيتها الطفلة! أنت الحقيقة الجديدة.»

شعرت برأسها يومئ وخذها يلمس سطح المقعد الصلب.
ظنت أن كلامه منطقي. أكد مبدأ البني چيسيريت
العقلانية في كلامه: «الهدف من الجدل هو تغيير طبيعة
الحقيقة». نعم.. هذه هي الطريقة التي كانت البني
چيسيريت تتبناها.

قال البارون: «بالضبط. وأنا ميت فيما أنت حية. لا
أملك سوى وجود هش. أنا مجرد ذاكرة- ذات في
داخلك. أنا طوع أمرك. لا أطلب إلا القليل مقابل
النصيحة العميقة التي سأعطيك.»

قالت مختبرة إياه: «بم تنصحنى أن أفعل الآن؟»

قال: «أنت قلقة بشأن الحكم الذي أصدرته الليلة الماضية.
أنت تتساءلين إن كان پایمون صادقاً. ربما شعر جافيد بأن

پایمون خطر علی موقعه فی قلبک. ألیس هذا ما یقلقک؟»

«نہ. نعم».

«وقلقک مبني علی الملاحظة الدقیقة؟ یتعامل جاقید معک بحمیمية زائدة. حتی دانکن لاحظ هذا، صحیح؟»

«أعلم أنه لاحظ».

«حسن جداً! إذن، اتخذي جاقید عشیقاً و-».

«لا!».

«هل تقلقین بشأن دانکن؟ لكن زوجک منتات متصوف. لا یمکن أن یتأثر أو یتأذى من أفعال الجسد. ألم تشعری أحياناً بمدی بعده عنک؟»

«لہ. لكنه...».

«جزء المنتات فی دانکن سیفهم إذا احتجت إلى إخباره بالحيلة التي ستستخدمینہا للتخلص من جاقید».

«التخلص...».

«بالتأكيد! یمکن استخدام الأدوات الخطرة، ولكن یمجب التخلص منها عندما تصبح خطرة جداً».

«إذن.. لماذا.. أعنی...».

«آه، یا عزیزتی الساذجة! بسبب القيمة الكامنة فی

الدرس».

«لا أفهم».

«القيم، يا حفيدتي العزيزة، القيم تتغير باستمرار بحسب الظروف. لا تتخذي بالمبادئ الثابتة والمطلقة. عليك أن تجعلي جاقيد يطيعك دون شروط، ويقبل سلطتك دون تحفظ، ويخضع لإرادتك -».

«هذا الدرس لا يمت للأخلاق بصلة...».

«لا تكوني ساذجة يا حفيدتي! الأخلاق تعتمد على الواقع وليس على النظريات. أعطي لقيصر ما هو لقيصر، وكل هذا الهراء. لا فائدة من الانتصار إن لم تحققي ما تريدن. ألسنتي معجبة بشجاعة جاقيد وقوته؟»

شعرت عالية بالخرج، ولكنها لم تستطع إنكار مشاعرها، خاصة أن البارون يستطيع قراءة أفكارها.

قالت: «نعم.. نعم».

«جيد!، الآن بدأ كل منا يفهم الآخر، عندما تأخذين جاقيد إلى سريرك، وتجعلينه يشعر بأنك خاضعة له، ستسألينه عن پايمون. اسأليه مازحة، واضحكي معه. وعندما يعترف لك بأنه خدعك، ستطعنينه بسكين عاجية في قلبه. أوه، سيكون منظر الدماء رائعاً...».

همست عالية بصوت مرتجف: «لا.. لا.. لا...».

«إذن، سأفعل ذلك أنا. لا بدّ من ذلك؛ أنت تدركين هذا. إذا سمحت الظروف، فسأسيطر على جسدك مؤقتاً».

«لا!»

«لا داعي للخوف، يا حفيدتي. سيطرتي على حواسك لن تدوم طويلاً. هناك آخرون، الآن، يمكنهم أن يقلدوك بدقة.. لكنك تعلمين ذلك. معي، آه، لن يستغرق الأمر طويلاً حتى يكشفوا أمري. أنت تعرفين قانون الفِرمين بشأن المسوسين. سيقطعون رأسك. نعم - حتى أنت. وأنت تعلمين أنني لا أرغب في ذلك. سأقضي على جافيد من أجلك، وبعد ذلك، سأتركك وشأنك. ما عليك فعله هو...»

«كيف تسمي هذه نصيحة جيدة؟!»

«ستخلصين من عدو خطر، وستبنين علاقة فعّالة بيننا، علاقة ستفيدك جيداً في الحكم المستقبلي الذي-»

«ستفيدني؟»

«بالتأكيد!»

وضعت عالية يديها على عينيها المغمضتين، وحاولت التفكير، وهي تدرك أن البارون يعرف كل ما يدور في ذهنها، وأنه قد يزرع فيها أفكاراً ليست لها.

قال البارون بتملق: «لا تضيعي وقتك في التفكير. پايمون لم يكن سوى...»

«لقد ارتكبت خطأ! كنت مرهقة وتصرفت بتسرع. كان يجب أن أطلب تأكيداً قبل-»

«لقد فعلت الصواب! لا يمكنك أن تعتمد على شيء
سخيف مثل فكرة آل آترديز عن المساواة. هذا ما سبب
لك الأرق وليس مقتل پايمون. اتخذت قراراً حكيماً!
كان عليك التخلص من أداة خطيرة أخرى. تصرف
لصالح النظام في مجتمعك. الآن لديك سبب وجيه للحكم،
وليس هذا الهراء عن العدل! لا يوجد شيء اسمه عدالة
متساوية في أي مكان. تضرين المجتمع عندما تسعين
لتحقيق مثل هذا التوازن الزائف».

استبشرت عالية بهذا الدفاع عن حكمها ضد پايمون،
لكنها صدمت من المفهوم غير الأخلاقي وراء هذه الحجّة.
«العدالة المتساوية كانت فكرة آترديزية.. كانت..»
أبعدت يديها عن عينيها، لكنها أبقتهما مغمضتين.

قال البارون بحدة: «يجب أن تحذري جميع قضاتك
الكهنوت من هذا الخطأ. يجب أن تقيمي القرارات
فقط بمقياس مدى فائدتها في المحافظة على مجتمع منظم.
حضارات سابقة لا تُحصى انهارت بسبب العدالة
المتساوية. هذه السخافة تدمر التسلسلات الهرمية الطبيعية
التي هي أهم بكثير. لا تنبع أهمية الفرد إلا من خلال
علاقته بمجتمعه. إذا لم يكن المجتمع منظماً تنظيمياً منطقياً،
فلن يجد أحد مكاناً فيه - لا الأدنى ولا الأعلى. هيا،
هيا يا حفيدتي! عليك أن تكوني أما حازمة تجاه شعبك.
واجبك هو الحفاظ على النظام».

«كل ما فعله پول كان..».

«أخوك مات، كان فشلاً ذريعاً!»

«وأنت أيضاً!»

«صحيح.. لكن في حالي، كان حادثاً لم أخطط له.
هيا، دعيني أهتم بأمر جاquid هذا كما شرحت لك».

اشتعل جسدها بالحماسة لهذه الفكرة، فقالت بسرعة: «عليّ
أن أفكر في ذلك».

وفكرت: إذا تمّ ذلك، فسيكون بتلقين جاquid درساً
قاسياً. لا داعي لقتله من أجل ذلك. وربما يفشي الأحمق
اسراره.. في فراشي.

سأل صوت: «إلى من تتحدثين يا سيدتي؟»

في لحظة من الارتباك، ظنّت عالية أن هذا تدخل آخر
من تلك الجموع الصاخبة في داخلها، لكن عندما عرفت
الصوت، فتحت عينيها. كانت زيارينكا قاليفور، قائدة
حارسات عالية الأمازونيات، تقف بجانب المقعد، معبرة
عن قلقها بتقطيب حاجبيها.

قالت عالية بشرود وهي تجلس على المقعد: «أتحدث إلى
أصواتي الداخلية». شعرت بالانتعاش والراحة من كتم
ذلك الضجيج الداخلي المزعج.

«أصواتك الداخلية، يا سيدتي. نعم». لمعت عينا
زيارينكا لسماع هذه المعلومة. كان الجميع يعلمون أن عالية
المقدسة تستفيد من الموارد الداخلية التي لا يمكن لأحد

غيرها الوصول إليها.

قالت عالية: «أحضري جافيد إلى جناحي. عليّ أن أناقشه في أمرٍ مهم».

«إلى جناحك، يا سيدتي؟»

«نعم! إلى غرفتي الخاصة».

«كما تأمرين يا سيدتي». استدارت الحارسة لتنفيذ الأمر.

قالت عالية: «انتظري لحظة. هل ذهب السيد آيداهو بالفعل إلى سييتش تبر؟»

«نعم يا سيدتي. غادر قبل الفجر بناء على توجيهاتك. هل تريدن أن ترسلي..»

«لا. سأتولى ذلك بنفسي. زيارينكا، يجب ألا يعلم أحد بإحضار جافيد إلى هنا. افعلي ذلك بنفسك. هذه مسألة خطيرة جداً».

لمست الحارسة السكين العاجية عند خصرها. «سيدتي، هل هناك خطر..»

«نعم، هناك خطر، وقد يكون جافيد في مركزه».

«أوه، يا سيدتي، ربما ينبغي ألا أحضر..»

«زيارينكا! هل تعتقدين أنني لا أستطيع التعامل مع مثل هذا؟»

ابتسمت الحارسة ابتسامة خبيثة، وقالت: «اعذريني

يا سيدتي. سأحضره إلى غرفتك الخاصة. وبإذن من
سيدتي، سأقف للحراسة خارج بابك».

قالت عالية: «أنتِ وحدكِ».

«نعم يا سيدتي. سأذهب على الفور».

أومأت عالية لنفسها، وهي تراقب خروج زيارينكا من
الباب. لم يكن جاقيد محبوباً بين حارساتها، يبدو أن ذلك
علامة أخرى ضده. لكنه ما زال ذا قيمة - قيمة عظيمة.
كان مفتاحها إلى چاكوروتو، ومن خلال ذلك المكان،
حسناً..

همست: «يبدو أنك على حق يا بارون».

ضحك الصوت في داخلها: «أترين؟! آه، ستكون خدمتي
لك ممتعة يا طفلي، وهذه البداية فحسب..».

ما يجب على الدين الناجح نشره لا يعدو كونه أساطير من التاريخ الشعبي: الأشرار لن ينالوا الغلبة أبدًا.

الشجعان وحدهم يستحقون الإنصاف.

الصدق هو السياسة المثلى.

الأفعال أعلى صوتًا من الكلمات.

الفضيلة تنتصر دائمًا.

لكل عمل صالح ثوابه.

كل نفس طالحة قابلة للإصلاح.

الأدعية الدينية تقي الإنسان شرور الشياطين.

النساء وحدهن من يفهمن الألغاز العتيقة.

الثروة لا تجلب سوى الشقاء..

- من دليل التعليمات: المبشرات الحاميات.

قال الفرمني قاسي البشرية: «اسمي موريس».

جلس على صخرة كهف يضيئه مصباح اسپايس، كشف

ضوءه الخافت عن جدران رطبة وفتحات مظلمة تمثل

ممرات تؤدي إلى هذا المكان وخارجه. كان بإمكانه سماع

صوت تقاطر الماء في أحد تلك الممرات، ومع أن صوت

الماء كان ضروريًا لجنة الفرمن، لم يستمتع الرجال الستة

المقيدون الذين يواجهون موريس بالنعمة الإيقاعية للتقطير.

كانت رائحة الموت تملأ الغرفة.

خرج شاب في الرابعة عشرة من عمره من الممر، ووقف إلى يسار موريس. انعكس الضوء الأصفر الباهت الصادر من مصباح الاسپايس على سكين عاجية لم تغمد، ورفع الشاب النصل وأشار به لمدة وجيزة إلى كل رجل من الرجال المقيدين.

وبإشارة من الشاب، قال موريس: «هذا ابني، آسان طارق، وهو على وشك أن يخضع لاختبار الرجولة».

تنحى موريس، ونظر لحظة إلى كل من الأسرى الستة. كانوا جالسين في نصف دائرة واسعة أمامه، مقيدون بحبال من ألياف الاسپايس التي ثبت أرجلهم المتقاطعة وأيديهم خلفهم. كانت الربطات تنتهي بعقدة مشدودة على رقابهم. وكانت بذلات تقطيرهم ممزقة عند الرقبة.

نظر الرجال المقيدون إلى موريس دون أن يرمشوا. ارتدى اثنان منهم ملابس فضفاضة أجنبية تميّزهما بأنهما من النخبة في إحدى مدن أراكين. كانت بشرتهما أنعم وأفتح من بشرة رفاقهما الذين كانت ملامحهم الحادة وبنيتهم النحيلة تدل على أنهم ولدوا في الصحراء.

كان موريس يحمل ملامح الصحراء في وجهه، لكن عينيه كانتا غائرتين بعمق أكبر، كأنهما حفرتان سوداوان لم يلبسهما قط نور مصباح الاسپايس.

كان ابنه شبيهاً به إلى حد كبير، لكن وجهه الهادئ لم يستطع إخفاء الاضطراب الذي يحتمد في داخله.

قال موريس: «لدينا في هذه الأرض المنسية اختبار للرجولة. سيكون ابني يوماً ما قاضياً في شولوك.. علينا أن نتأكد من قدرته على التصرف بحكمة. لا يمكن لقضاتنا أن ينسوا ما حدث في چاكوروتو ويوم هزيمتنا». أضاف موريس بنبرة شعائرية صارمة: «الكراليزيك، معركة الإعصار، تعيش في قلوبنا».

تحرك رجل من سكان المدينة ذو بشرة فاتحة على جانب موريس، وقال: «أنت تخطئ في تهديدنا واحتجازنا أسرى. جئنا بسلام إلى هذه الأرض».

أوما موريس برأسه، وقال: «جئتم بحثاً عن صحة دينية شخصية؟ حسناً. ستجدون ما تبحثون عنه».

قال الرجل ذو البشرة الفاتحة: «ولكن..».

انفجر فرمني من الصحراء ذو بشرة سمراء: «اصمت أيها الأحق! هؤلاء هم سارقو المياه. هؤلاء هم الذين ظننا أننا قضينا عليهم».

قال الأسير ذو البشرة الفاتحة: «هذه قصة قديمة».

قال موريس: «چاكوروتو ليست مجرد قصة». وأشار إلى ابنه مرة أخرى. «ابني آسان طارق. وريث هذه الأرض، قاضيكم الوحيد. سيتعلم كيف يكشف الشياطين. الأساليب القديمة هي الأفضل».

اعترض الرجل ذو البشرة الفاتحة: «لهذا السبب جئنا إلى

الصحراء العميقة. اخترنا الأساليب القديمة، السير في -».

قال موريس، مشيراً إلى الأسرى ذوي البشرة السمراء:
«مع مرشدين مأجورين. هل تظنون أنكم تشترون طريقكم
إلى النعيم؟» نظر موريس إلى ابنه: «آسان، هل أنت
مستعد؟»

قال آسان: «لقد تأملت تلك الليلة التي جاء فيها الغزاة
وقتلوا شعبنا». كان صوته متوتراً ومضطرباً: «هم مديونون
لنا بالماء».

قال موريس: «يمنحك والدك ستة منهم. مياهم لنا.
ظلالهم لك، حراسك إلى الأبد. ستحذرك ظلالهم من
الشياطين. سيكونون عبيدك عندما تعبرُ عالم المِثال*. ماذا
تقول يا بني؟»

قال آسان: «أشكر والدي». وخطا خطوة قصيرة إلى
الأمام وقال: «أنا أقبل اختبار الرجولة بين المطاريد. هذا
الماء ملك لنا».

عندما انتهى من كلامه، توجه إلى الأسرى. واحداً
تلو الآخر بدءاً من اليسار، أمسك بشعر كل رجل وغرز
السكين العاجية في رقبته، من تحت ذقنه إلى داخل
رأسه. فعل ذلك بمهارة لتجنب إراقة كثير من الدم. لم
يحتج إلا الفرمني ذو البشرة الفاتحة، الذي صرخ وهو
يمسك بشعره.

يمكن للإنسان المتمدن أن يعود إلى البساطة، إذا أجرى تحولاً جوهرياً في أسلوب حياته. تتجدد القيم الموروثة، وترتبط بالطبيعة الخلاقة بكل ما تحتوي عليه من نبات وحيوان. يستلزم هذا الوجود الجديد فهماً عميقاً للظواهر الطبيعية المتشابكة، ويتطلب تقديراً لقدرة هذه الأنظمة على المحافظة على توازنها الداخلي. بتحصيل هذه المعرفة وهذا التقدير، يُطلق على الإنسان وصف «المنسجم مع الطبيعة». وفي الواقع، فإن النقيض صحيح أيضاً فقد يتحول المرء من بساطة الطبيعة إلى التمدن، شريطة استعداده لتحمل الأضرار النفسية الناجمة عن هذا التحول.

- تعليق لیتو (عن خرق العادة)

سألت غنيمه: «كيف نتأكد من ذلك؟ هذا أمر خطر جداً».

أجاب لیتو: «لقد جربناه من قبل»

غنيمه: «قد لا يحدث الأمر نفسه هذه المرة. ماذا لو...».

قال لیتو: «هذه هي الطريقة الوحيدة التي أمامنا. أنت

توافقيني على أننا لا نستطيع السير في طريق الاسبائس».

تهدت غنيمه. لم تكن تحب هذا الجدل والمواربة في

الكلام، لكنها علمت بالحاجة التي دفعت أخاها. كانت

تعرف أيضاً المصدر المخيف لتردها. لم يكن عليها سوى

النظر إلى عالية حتى تدرك مخاطر ذلك العالم الداخلي.

سأل ليتو: «حسنًا؟»

تهدت غنيمة ثانية.

قرفصا في أحد أماكنهما السرية. امتدّ شقّ ضيق من الكهف إلى الجرف حيث كان والداها يشاهدان غروب الشمس على البداء. مضت ساعتان بعد العشاء، الوقت الذي كان من المفترض فيه أن يتدربا فيه على جسديهما وعقليهما. اختارا التركيز على ذهنيهما.

قال ليتو: «سأفعل ذلك بنفسني إن رفضت مساعدتي».

نظرت غنيمة بعيدًا عنه نحو الستائر السوداء لأقفال الرطوبة التي تحمي هذا الشق الصخري. استمر ليتو يحدق إلى الصحراء.

كانا يتحدثان منذ زمن بلغة عتيقة جدًا لم يُعرف اسمها في تلك الأيام. أعطت اللغة أفكارهما خصوصية لا يستطيع أي إنسان آخر اختراقها. حتى عالية التي تهربت من تعقيدات عالمها الداخلي، نقصتها الروابط الذهنية التي كانت تمكنها من فهم أكثر من مجرد كلمة مرتجلة منها.

تنفس ليتو بعمق، مستنشقا رائحة الفرو المنبعثة من الكهف الفرميني التي عبقت في هذه الحفرة المحصنة من الرياح. اختفى هنا الصخب الغامض للسيتش، ورطوبته الحارة، وشعرا بالارتياح بسبب ذلك.

قالت غنيمة: «أتفق معك على أننا بحاجة إلى توجيه.

لكن ماذا لو...».

«غني! نحن بحاجة إلى أكثر من التوجيه. نحن بحاجة إلى الحماية».

«ربما لا توجد حماية». نظرت مباشرة إلى أخيها، والتقت نظرتها بعينه الحادثين كعيني حيوان مفترس. خالفت عيناه هدوء وجهه.

قال ليتو: «علينا الهروب من المسّ». استخدم صيغة الأمر في اللغة العتيقة، وهي صيغة محايدة تمامًا في الصوت وزمن الفعل، ولكنها فعالة بعمق من خلال المعاني التي تُوحى بها.

فهمت غنيمة حجته بشكل صحيح.

رددت بصوتها: «*Mohw'pwium d'mi hish pash*»
«*moh'm ka*». أسر روجي كأسر ألف روج.

رد عليها: «عدد الأرواح بداخلنا أكبر من ذلك بكثير».
قالت جاعلة كلامها إخباريًا أكثر منه استفهاميًا: «رغم معرفة المخاطر، أنت تصر».

«*Wabun 'k wabunat!*» إن عزمتم على النهوض،
فانهض حقًا!

شعر أن اختياره ضروري. بما أنه قرر فعل هذا الشيء، فقد كان من الأفضل القيام به بنشاط وكفاءة. يجب أن يغزلا الماضي في الحاضر، وأن يدعا الحاضر يتلاشى كاشفاً

عن مستقبلهما.

استسلمت. قالت بصوت خفيض: «Muriyat» يجب ان تفعل ذلك بحنكة.

«بالتأكيد». وأشار بيده موافقاً تماماً. «ثم سنتشاور كما فعل والدانا».

صمتت غنيمة، وحاولت أن تبتلع غصة في حلقها. نظرت غريزياً جنوباً نحو الشق العظيم المكشوف الذي أظهر نسيجاً رمادياً قائماً من الكثبان الرملية في آخر ضوء النهار. في هذا الاتجاه ذهب والدها في رحلته الأخيرة إلى الصحراء.

نظر ليتو إلى الأسفل عبر حافة الجرف إلى خضرة واحة السييتش. غطى الغسق كل شيء، لكنه يعرف أشكالها وألوانها: أزهار برونزية، وذهبية، وحمراء، وصفراء، وبنية محروقة، وحمرية تمتد حتى علامات الصخور التي ترسم حدود المزارع التي ترويه مياه القنوات. وراء علامات الصخور امتد شريط عفن من حياة أراكن الميتة، حياة قضت عليها نباتات غريبة، ووفرة من المياه، وتشكل الآن حاجزاً ضد الصحراء.

قالت غنيمة الآن: «أنا مستعدة. لنبدأ».

«نعم، اللعنة على كل شيء!» مد يده، ولمس ذراعها ليخفف أثر صرخته، وقال: «أرجوك يا غني.. غني تلك الأغنية. ستجعل هذا أسهل علي».

اقتربت غنيمة بجسدها منه، ولفت ذراعها اليسرى حول
خصره. أخذت نفسين عميقين، وتخنحت، وبدأت تغني
بصوت رنان وعذب، الأغنية التي كانت أمهما تغنيها كثيراً
لأبيهما:

ها أنا ذي أفي بوعدى الذي قطعته لك.

أسكب المياه العذبة فوقك.

ستسود الحياة في هذا المكان الذي لا ریح فيه.

يا حبيبي، ستعيش في قصر،

وسيسقط أعداؤك في الفراغ.

وسنسير معاً في هذا الطريق

الذي رسم الحب مساره من أجلك.

بالتأكيد سأبين الطريق لك

لأن حبي هو قصرك..

تلاشى صوتها في صمت الصحراء الذي لا يحتمل
الهمس، وشعر ليتو أنه يغرق ويغرق - أصبح أباه الذي
تنتشر ذكرياته في داخله مثل تراكب في حينات ماضيه
المباشر.

قال لنفسه: في هذه المساحة الضيقة، يجب أن أكون

بول. هذه ليست غني بجانبى؛ بل حبيبتى تشانى، التي

انقذتنا بحكمتها أكثر من مرة.

من جانبها، كانت غنيمة قد انزلت في ذاكرة أمها بسهولة مخيفة، كما كانت تعلم أنها ستفعل. كم كان هذا أسهل بالنسبة إلى الإناث -وكم كان خطراً.

قالت غنيمة بصوت أجش فجأة: «انظر هناك يا حبيبي!» بان القمر الأول، ورأيا مقابل ضوءه البارد قوساً من النار البرتقالية ينطلق إلى أعلى في الفضاء. كانت المركبة التي أحضرت الليدي چيسيكاً محملة الآن بالاسپايس، تعود إلى مجموعتها الأم في مدارها الفضائي.

مرت الصور الأكثر حدّة عبر ليتو بعد ذلك، جالبة ذكريات مثل رنين أجراس مبهجة. للحظة وجيزة، كان ليتو أنحر -دوق چيسيكاً. دفعت الضرورة تلك الذكريات جانباً، لكن ليس قبل أن يشعر بوخزة الحب والألم. ذكر نفسه، لا بد أن أكون پول.

غمره التحول بازدواجية مخيفة، كأن ليتو كان شاشة مظلمة تنعكس عليها صورة والده. شعر بلحمه ولحم أبيه، والاختلاف الكبير هدد بأن يسيطر عليه.

همس: «ساعدني يا أبي».

تلاشى الاضطراب المرتعش، وظهرت بصمة أخرى على وعيه، فيما كانت شخصيته تقف في جانب واحد.. تراقب.

قال: «لم تتحقق رؤيتي الأخيرة بعد». كان الصوت

صوت پول. التفت إلى غنيممة. «أنت تعرفين ما رأيت». لمست خده بيدها اليمنى. «هل ذهبت إلى الصحراء لتموت يا حبيبي؟ هل هذا ما فعلت؟». «ربما كان الأمر كذلك، لكن تلك الرؤية.. أليست سبباً كافياً للبقاء على قيد الحياة؟»

سألته: «لكنك أعمى».

«حتى لو كنت أعمى».

«إلى أين يمكن أن تذهب؟»

أخذ نفساً عميقاً مرتجفاً. «چاكوروتو».

«أيها الحبيب!» وأخذت تبكي.

قال: «يجب تدمير صورة المؤدّب البطل تماماً.. وإلا لن يستطيع هذا الطفل إعادةتنا من الفوضى».

قالت: «الصِّرَاطُ الذهبي. هذه ليست رؤية جيدة».

«هي الرؤية الوحيدة الممكنة».

«فشلت عالية إذن...».

«تماماً.. ترين ذلك».

«عادت أمك بعد فوات الأوان». أومأت برأسها،

وارتسم تعبير تشاكي الحكيم على وجه غنيممة الطفولي. «هل يمكن أن تكون هناك رؤية أخرى؟ ربما إذا...».

«لا يا حبيبتى. ليس الآن. لا يمكن لهذا الطفل أن ينظر إلى المستقبل بعد، ويعود بأمان».

مرة أخرى، اهتزّ جسده بنفّسٍ مرتجفٍ، وشعر ليتو - المراقب بشوق والده العميق للعيش مرة أخرى في جسد حيٍّ، واتخاذ قرارات حياتية و.. كم كان يحتاج إلى التراجع عن أخطاء الماضي وتصحيحها!

صرخ ليتو: «أبتاه!»، كأن صدى صراخه يتردد في جمجمته.

شعر ليتو بعمق الإرادة حينها؛ الانسحاب البطيء والمتشبه لوجود والده الداخلي، وتحرر الحواس والعضلات.

همس صوت تشاني إلى جانبه: «يا حبيبي»، وتباطأ الانسحاب. «ماذا يحدث؟»

قال ليتو: «لا تذهبا الآن»، كان الصوت -الخشن وغير المتأكد- لا يزال صوته. ثم قال: «تشاني، يجب أن نخبرينا؛ كيف نتجنب.. ما حدث لعالية؟»

كان پول من أجابه، ولكن بكلمات سقطت في أذنه الداخلية متقطعة مع مدد صمت طويلة: «لا شيء مؤكد. أنت.. رأيت.. ما كاد.. يحدث.. معي..».

«لكن عالية..».

«البارون الملعون سيطر عليها!»

شعر ليتو بحلقه يحترق من شدة الجفاف. «هل هو.. هل أنا..»

«إنه في داخلك.. لكن.. نحن.. لا نستطيع.. أحياناً الإحساس.. ببعضنا، لكنك..»

سأل ليتو: «هل تستطيعين قراءة أفكاري؟ هل تعرفين إن كان..»

«أحياناً أشعر بأفكارك.. لكننا.. نعيش فقط من خلال.. انعكاس.. وعيك.. ذاكرتك تخلقنا. الخطر.. إنها ذاكرة دقيقة. وأولئك منا.. أولئك منا الذين أحبوا السلطة.. وظفروا بها.. بأي ثمن.. يمكن أن يكونوا أدق في قراراتهم.»

همس ليتو: «وأقوى؟»

«وأقوى.»

قال ليتو: «أنا أعرف رؤيتك. بدلاً من السماح له بالسيطرة عليّ، سأصبح أنت.»

«ليس هذا!»

أوماً ليتو برأسه لنفسه، شاعرًا بالقوة العظيمة التي استخدمها والده للانسحاب، مدرّكًا عواقب الفشل. أي مسّ يحول الممسوس إلى سُنة. منحه الاعتراف شعوراً جديداً بالقوة، وشعر جسده بالحدة الاستثنائية والإدراك العميق لأخطاء الماضي: أخطائه وأخطاء أسلافه. ضعفت

شكوكه - رأى ذلك الآن. للحظة، قاوم الإغراء الخوف في داخله. يمتلك هذا الجسد القدرة على تحويل المزاج إلى رؤية مستقبلية. مع الاسپايس، يمكنه أن يتنفس المستقبل، ويحطم حجب الزمن. وجد صعوبة في التخلص من الإغراء، وشبك يديه وانغمس في وعي الپرانا يندو. رفض جسده الإغراء. لبس جسده ثوب المعرفة العميقة التي تعلمها پول بالدم. أولئك الذين سعوا لرؤية المستقبل كانوا يأملون في الفوز برهان الغد. لكن بدلاً من ذلك، وجدوا أنفسهم محاصرين في حياة كانت كل نبضة قلب وصرخة مؤلمة فيها معروفة. أظهرت رؤية پول الأخيرة المسار المتزعزع للخروج من هذا الفخ، وعرف ليتو الآن أنه ليس لديه خيار آخر سوى اتباع هذا المسار.

وقال: «بهجة الحياة وجمالها مرتبطان بقدرتها على إدهاشك».

همس صوت رقيق في أذنه: «لطالما عرفت هذا الجمال». أدار ليتو رأسه، ونظر إلى عيني غنيمة المتألفتين في ضوء القمر الساطع. رأى تشاني تنظر إليه. قال: «أمي، يجب أن ترحلي».

قالت: «آه، الإغراء!»، وقبلته.

دفعها بعيداً، وسألها: «هل ستقضين على حياة ابنتك؟»

قالت: «إنه سهل جداً.. سهل جداً».

تذكر ليتو -الذي بدأ الخوف يسيطر عليه- الإرادة الصلبة التي احتاج إليها والده في داخله ليترك جسده. هل ضاعت غنيمة في عالم المراقب الذي كان يرى ويستمع ويعلم ما أراده من أيه؟

قال: «سأكرهك يا أمي».

قالت: «لن يكرهني الآخرون. كن حبيبي».

قال: «لو فعلت.. فأنت تعرفين ما سيحدث لنا. سيكرهك أبي».

«أبداً!»

«سأكرهك!»

خرج الصوت من حلقه دون إرادته، وحمل كل لهجات الصوت القديمة التي تعلمها پول من والدته الساحرة.

تهددت: «لا تقل ذلك».

«سأكرهك!»

«من فضلك.. من فضلك لا تقل ذلك».

فرك ليتو حلقه، وشعر أن العضلات أصبحت مرة أخرى تحت سيطرته.

«سيكرهك. سوف يدير ظهره لك. سوف يذهب إلى الصحراء مرة أخرى».

«لا.. لا..»

هزت رأسها من جانب إلى آخر.

قال: «يجب أن ترحلي يا أمي».

«لا.. لا..» لكن ضعفت حدة صوتها.

رأى ليتو وجه أخته. كيف ارتعشت عضلاته! تدفقت

المشاعر عبر جسدها بفعل الاضطراب في داخلها.

همس: «ارحلي.. ارحلي».

«لااااااااااا».

أمسك ذراعها، وشعر بقشعريرة تجتاح عضلاتها،

وبتشنج أعصابها. تلوت في محاولة للتخلص من قبضته

لكنه أحكم إمساكه بذراعها، وهمس: «ارحلي..

ارحلي..».

كان ليتو يلوم نفسه طوال الوقت لأنه دفع غنيمة إلى

المشاركة في هذه اللعبة التي كان يمارسها والداها كثيراً،

لكنها قاومته مؤخراً. أدرك أنّ غنيمة لكونها أنثى هي

أضعف منه في التصدي لهذا الهجوم الداخلي. وكان هذا

مصدر خوف النبي چيسيريت.

مضت الساعات وجسد غنيمة يهتز وينفض من شدة

المواجهة الداخلية، ولكنه الآن سمع صوت أخته ينضم

إلى الحوار. كانت تتحدث إلى تلك الشخصية التي تسكنها،

وتتوسل إليها: «أمي.. أرجوك» ثم دفعة واحدة: «لقد

رأيتِ عالية. هل ستصبحين عالية أخرى».

ثم انهارت غنيمه على صدر أخيها وهمست: «لقد استسلمت أمنا. رحلت».

ربت على رأسها: «غني، أنا آسف. أنا آسف. لن أجبرك على فعل هذا مرة أخرى. كنت أناانياً. اغفري لي».

قالت غنيمه: «لا يوجد شيء لأغفره لك»، خرج صوتها لاهثاً بعد جهد شاق. «لقد علمنا كثيراً مما نحتاج إلى معرفته».

ليتو: «تحدثت إليك عن أشياء كثيرة. سنشاركها لاحقاً عندما...».

غنيمه: «لا! سنفعل ذلك الآن. كنت على حق».

ليتو: «صراطي الذهبي؟»

غنيمه: «صراطك الذهبي اللعين!»

ليتو: «المنطق لا ينفع إلا إذا كان مسلحاً ببيانات أساسية. ولكن أنا-».

غنيمه: «عادت جدتنا لترشد تعليمنا ومعرفة إن كنا.. ملوثين. سُنعات».

ليتو: «هذا ما يقوله دانكن. لا جديد في -».

وافقت. كان صوتها أقوى «الحساب الأولي».

ابتعدت عنه، ونظرت إلى الصحراء الهادئة قبل الفجر.

هذه المعركة.. هذه المعرفة أخذت منهما ليلة بطولها.

لا بد أن الحارس الملكي وراء أقفال الرطوبة قد اضطر إلى تبرير غيابهما بحجج كثيرة، لكن ليتو أمره بالألا يسمح لأي شيء بأن يزعجهما.

قال ليتو: «عادة ما يزداد الناس حكمة مع تقدمهم في السن. فما الذي نتعلمه مع كل هذه الأرواح الطاعنة في السن التي نعتمد عليها؟»

قالت غنيمة: «الكون الذي نراه ليس بالضرورة الكون الحقيقي. يجب ألا ننظر إلى جدتنا على أنها مجرد جدة.»

وافقها ليتو الرأي، «سيكون ذلك خطراً.. لكن أسئلتني

«-»

قالت غنيمة: «هناك شيء أعمق من الحكمة. يجب أن نترك مساحة في وعينا لنذكر ما لا نستطيع التنبؤ به. لذلك حكيت لي والدي كثيراً عن چيسيكاء. عندما تصالحنا وانخرطنا في حوار داخلي.»

تهدت غنيمة.

قال ليتو: «نحن نعلم أنها جدتنا. قضيت ساعات معها أمس. هل هذا...»

قالت غنيمة: «إذا سمحنا لها، فستحدد معرفتنا كيف نتعامل معها. هذا ما كانت والدي تحذرنني منه. اقتبست عن جدتنا مرة واحدة و..». لمست غنيمة ذراعه «..»

سمعتُ صوتها في داخلي».

قال ليتو: «تَحذركِ». وجد هذه الفكرة مقلقة. ألا يوجد شيء في هذا العالم يمكن الثقة به؟

قالت غنيمه: «معظم الأخطاء الفادحة تنشأ من اقتراضات قديمة. هذا ما كانت والدتي تكرر قوله».

ليتو: «هذا كلام بني چيسيريتي بحت».. «إذا.. إذا عادت چيسیکا إلى الأخوية..». تابع مكملاً فكرته: «فسيكون ذلك خطراً جداً علينا. نحن من نسل الكويزاتس هاديراك الذي تبث عنه البني چيسيرت. ذكرهن البني چيسيرت الذي يبحث عنه».

غنيمه: «لن يتنازلن عن هذا البحث، لكنهن قد يتخلين عنا. جدتنا قد تكون الأداة لتنفيذ ذلك».

ليتو: «توجد طريقة أخرى».

غنيمه: «نعم - أن نتزوج نحن الاثنان. لكنهن لا يعرفن ما الجينات المتنحية التي تنجم عن هذا الاقتران».

ليتو: «إنها مخاطرة، لا بد أنهن ناقشن ذلك».

غنيمه: «وبمشاركة جدتنا. لا أحب هذا الأمر».

ليتو: «ولا أنا».

غنيمه: «ومع ذلك، هذه ليست المرة الأولى التي يحاول فيها أحد أفراد العائلة المالكة..».

قال ليتو وهو يرتجف: «تُشعرنى الفكرة بالاشمئزاز».

أحست غنيمة بقلقه، وصمتت.

قال ليتو: «القوة».

وفي تلك الخيمياء الغريبة لتشابههما، عرفت غنيمة أين توجهت أفكاره. وافقته وقالت: «يجب أن تفشل قوة الكويزاتس هاديراك».

ليتو: «باستخدامها وفق طريقتين».

في تلك اللحظة بزغ الفجر وغطى الأفق الصحراوي على مد بصريهما. شعرا بحرارة اليوم الوليد تتسلل إليهما. انبعثت الألوان من المزروعات أسفل الجرف. ورسمت الأوراق الخضراء الرمادية ظلالاً متعرجة على سطح الأرض. أضاءت شمس كثيب الفضية الساطعة الواحة الخضراء الممتلئة بالظلال الذهبية والبنفسجية في قاع المنحدرات الحامية.

وقف ليتو، وتمطى.

قالت غنيمة: «الصِّرَاطُ الذهبي إذن»، تحدثت إلى نفسها بقدر ما تحدثت إليه، وهي تعلم كيف اندمجت رؤية والدهما الأخيرة وذابت في أحلام ليتو.

اصطدم شيء بأقفال الرطوبة خلفها، وكان من الممكن سماع همسات تنبعث من هناك.

عاد ليتو إلى اللغة القديمة التي كان يستخدمها حتى لا

يعرف الآخرون ماذا يقولون.

"L'ii ani howr samis sm'kwi owr samit sut"

في تلك اللحظة، استقر القرار في وعيهما. حرفياً: سنسير معاً على درب الموت، لكن لن يعود سوى أحدنا ليروي قصته. وقفت غنيمة حينذاك للحظة، ثم عادا معاً عبر أقفال الرطوبة إلى السييتش، حيث انتظرهما الحراس وتبعوهما وهما يتوجهان إلى جناحهما. تفرقت الجموع أمامهما، ولاحظا الاختلاف الذي طرأ هذا الصباح فيما يتبادلان النظرات مع الحراس. كان قضاء الليل وحيدين في الصحراء عادة فرمنية قديمة في الملاحم المقدسة. مارست الأمة* كلها هذا النوع من السهر. ومارسه پول المؤدّب.. وعالية. والآن بدأ التوأمان المملكان يمارسانه.

لاحظ ليتو الاختلاف، وأخبر غنيمة به.

قالت غنيمة: «إنهم لا يعرفون ما اخترنا لهم. لا يعرفون الحقيقة».

قال ليتو وهو لا يزال يتحدث باللغة السرية: «تحتاج خطتنا إلى بداية محظوظة».

تأنت غنيمة لترتب أفكارها ثم قالت: «في ذلك الوقت، لا بد أن يكون الحداد على أخي حقيقياً تماماً - حتى في تشييد القبر. يجب أن يغطّ القلب في نوم عميق حتى تعقبه صحوة».

في اللغة القديمة، كانت جملة معقدة جدًا، وتستخدم ضميرًا منفصلاً عن المصدر. كان بناء الجملة يسمح لكل مجموعة من العبارات الفرعية أن تنقلب على نفسها، وتأخذ معاني متعددة، كل معنى منها محدد ومميز، لكنها مترابطة بدقة. وما قالته غنيمة جزئيًا هو أنهما سيخاطران باحتمال موتهما لتنفيذ خطة ليتو، وسواء أكان ذلك الموت حقيقيًا أم مزيفًا، فلن يحدث فارقًا. فالتغيير الناجم سيكون كالموت، أو بالأحرى: «القتل الجنائزي». وكان هناك معنى مضاف إلى الجُمْلِ يشير بدقة إلى أنه أيًا كان من سينجو سيروي القصة. وأي خطأ سيدمر الخطة كلها، وسيجعل صراط ليتو الذهبي طريقًا مسدودًا.

قال ليتو: «خطة حساسة جدًا».

أزاح الستائر المعلقة وهما يدخلان غرفة انتظارهما، توقفت حركة الخدم للحظة ما إن عبر التوأمان الممر المقوس الذي يؤدي إلى جناح الليدي چيسيكًا.

قالت غنيمة لأخيها: «أنت لست أوزوريس (19)».

ليتو: «ولا أريد أن أكونه».

أمسكت غنيمة بذراعه وأوقفته وقالت: «*Alia*

«*darsatay haunus m'smow*»

حدق ليتو في عيني أخته. فاحت بالفعل رائحة نثنة من نصرفات عالية، وعلم أن جدتها قد لاحظتها أيضًا. ابتسم لغنيمة بامتنان. استخدمت اللغة القديمة الممزوجة بخرافات

الفرمن لتحذره بأبسط الإشارات القبلية.

مساو تعني الرائحة الكريهة في ليلة صيفية، وهي نذير بالموت على أيدي الشياطين. كانت إيزيس (20) إلهة الموت الشيطانية لدى الشعب الذي يتحدثان بلغته الآن. قال ليتو: «نحن آتريديز، لدينا سمعة بالجرأة والشجاعة علينا أن نحافظ عليها».

قالت غنيمة: «إذا سناخذ ما نريده».

قال ليتو: «هذا أو نصير عبيداً للوصية على عرشنا. ستسعد عالية بهذا».

غنيمة: «لكن خطتنا...». وتوقفت عن الكلام.

فكر: خطتنا. أصبحت غنيمة جزءاً منها الآن. قال: «أفكر في خطتنا كأنها عمل شادوف (21)».

نظرت غنيمة مرة أخرى إلى غرفة الانتظار التي عبرها، وشمت روائح الصباح المصاحبة لشعورهما ببداية أبدية. راقّت لها الطريقة التي استعمل بها ليتو لغتهما الخاصة: عمل شادوف. كان التماساً. وصف خطتهما بأنها عمل زراعي بسيط: التسميد، والري، وإزالة الأعشاب الضارة، والزرع، والتقليم - لكنه أضاف تلميحاً فرمياً بأن هذا العمل يحدث في الوقت الحاضر في عالم آخر حيث كانت الزراعة ترمز إلى غنى الروح.

نظرت غنيمة إلى أخيها وهما يسيران في الممر الصخري.

بدأت تدرك أنه يسعى لشيئين: الأول، الصرّاط الذهبي الذي رآه هو ووالده. والثاني، أن تمنحه السيطرة الكاملة على خلق الأسطورة الخطيرة جدًا التي أنشأتها الخطة. أخافها هذا. هل هناك تكلمة لرؤيته الخاصة لم يشاركها معها؟ هل كان ينظر إلى نفسه على أنه الرمز المقدس المحتمل لقيادة البشرية إلى بعث جديد- هذا الشبل من ذاك الأسد؟ تحولت عبادة المؤدّب إلى حالة من الفوضى، وبلغت ذروتها في سوء إدارة عالية والتصريح المطلق الممنوح للكهنوت العسكري الذي تسبب في تآكل سلطة الفرمن. أراد ليتو التجديد.

أدركت غنيمة: يخفي ليتو شيئًا عني.

تذكرت ما قاله لها عن حلمه المتكرر. كان للحلم تأثير واقع براق في ليتو لدرجة أنه كان يبقى مدهوشًا لساعات بعد الاستيقاظ. قال إن الحلم لم يتغير قط.

«أنا على الرمال في ضوء النهار الأصفر الساطع، ومع ذلك لا توجد شمس. ثم أدرك أنني أنا الشمس. ينير ضوئي مثل صراط ذهبي. عندما أدرك هذا، أخرج من ذاتي. ألتفت، متوقعًا أن أرى نفسي شمسًا. لكنني لست الشمس. أنا شكل عصوي، رسمة طفل مع خطوط متعرجة تشبه البرق تمثل العينين، وأرجل وذراعين تشبه العصي. وفي يدي اليسرى صولجان، صولجان حقيقي - أكثر واقعية من الشكل العصوي الذي يحمله. يتحرك الصولجان وهذا يرعيني. وبينما يتحرك، أشعر بأنني

مستيقظ، ولكنني أعلم أنني ما زلت أحلم. ثم أدرك أن بشرتي مغطاة بشيء - درع يتحرك مع جلدي. لا أستطيع رؤية هذا الدرع، لكنني أشعر به. ثم يزول رعيي، لأن هذا الدرع يمنحني قوة عشرة آلاف رجل».

وبينما كانت غنيمة تنظر إليه، حاول ليتو أن ينهي المحادثة، وهما يواصلان طريقهما نحو جناح چيسيكاء. قاومت غنيمة.

قالت: «هذا الصِّراط الذهبي لا يمكن أن يكون أفضل من المسارات الأخرى».

نظر ليتو إلى الأرضية الصخرية بينهما، وشعر بشكوك غنيمة تعاودها. قال: «عليّ أن أفعل ذلك».

قالت: «عالية ممسوسة. هذا يمكن أن يحدث لنا أيضاً. ربما حدث ذلك لنا بالفعل ونحن لا ندري».

هز رأسه: «لا»، ونظر إلى عينيها مباشرة. قال: «عالية قاومت، وهذا أعطى الأرواح بداخلها قوتهم. ثم هُزمت عالية بقوتها نفسها. نحن الاثنان تجرأنا على البحث في أعماقنا، على اكتشاف اللغات القديمة والمعارف العتيقة. نحن بالأصل مزيج من هذه الأرواح التي تسكننا. نحن لا نقاومها، بل نتعايش معها. هذا ما تعلمته من والدنا الليلة الماضية. هذا ما كان عليّ أن أتعلمه».

غنيمة: «لم يقل لي شيئاً من ذلك».

ليتو: «لقد سمعتِ أمنا. هذا ما نحن...».

غنيمة: «وكدت أضيع»

ليتو: «هل ما زالت قوية داخلك؟» تجمدت ملامح وجهه بالخوف.

غنيمة: «نعم.. ولكني الآن أظن أنها تحميني بحببتها. كنتَ بارعاً جداً حين حاورتها». فكرت غنيمة في أمها المتجسدة داخلها. وتابعت: «أمنا موجودة الآن من أجلي في عالم المثل مع الآخرين، لكنها عانت مرارة الجحيم. الآن أستطيع أن أسمعها دون خوف. أما الآخرون...».

ليتو: «نعم. لقد سمعت والدي، لكنني أعتقد أنني أتبع نصيحة جدي الذي سميت على اسمه. ربما يسهل تشابه اسمنا الأمر».

غنيمة: «هل نصحك بالتحدث إلى جدتنا عن الصّراط الذهبي؟»

انتظر ليتو حتى مر خادم بينهما يحمل صينية عليها إفطار الليدي چيسيكاً. ملأت رائحة الاسبايس القوية الهواء مع مروره.

قال ليتو: «هي تعيش فينا وفي جسدها. يمكننا استشارتها مرتين».

احتجت غنيمة قائلة: «ليس من خلالي. لن أجازف بذلك مرة أخرى».

ليتو: «إِذَا عَن طَرِيقِي أَنَا».

غنيمة: «ظننت أننا اتفقنا على أنها عادت إلى الأخوية».

قال ليتو: «بالفعل. كانت جدتنا بني چيسيرت في بدايتها، ثم استقلت عنهم وأصبح لها مكانها الخاص، ولكنها عادت إليهم مرة أخرى. لكن تذكري أنها تحمل أيضًا دمًا هاركونيا، وأن صلة قرابتها به أقوى من صلتنا، وأنها خبرت نوعًا من التواصل الروحي الذي نملكه نحن».

قالت غنيمة: «لكنه تواصل سطحي جدًا. وأنت لم تجبني عن سؤالي».

ليتو: «لا أظن أنني سأذكر الصراط الذهبي».

غنيمة: «ربما أذكره أنا».

ليتو: «غني!»

غنيمة: «لسنا بحاجة إلى مزيد من الآلهة الآتريديزية! نحن بحاجة إلى مساحة لبعض الإنسانية».

ليتو: «هل أنكرت ذلك من قبل؟»

غنيمة: «حسنًا». أخذت نفسًا عميقًا وأشاحت بعينها

عنه.

أطل الخدم عليهما من غرفة الانتظار، وقد سمعوا صوت الحوار من حدة نبرته، ولكنهم كانوا غير قادرين على فهم الكلمات القديمة.

قال ليتو: «علينا أن نفعل ذلك. لو فشلنا، فقد نسقط فوق سكاكيننا». استخدم تعبيراً فرمينياً يعني «سكب مياها في الخزان القبلي».

نظرت غنيمة إليه مرة أخرى. كانت مجبرة على الموافقة، لكنها شعرت بأنها محاصرة داخل بناء من جدران متعددة. كلاهما يعرف أن يوم الحساب النهائي ينتظرهما مهما فعلا. كانت غنيمة متأكدة من ذلك بفضل البيانات التي اكتسبتها من أرواح-ذاكرة الآخرين في داخلها، لكنها الآن تخشى القوة التي منحتها إياها تلك الأرواح الأخرى باستخدام بيانات تجاربهم. كانوا ينتظرون بداخلها مثل وحوش مجنحة، ظلال شياطين، تختبيء في ترقب.

ما عدا والدتها التي كانت تمتلك القوة المادية وتخلت عنها. ما زالت غنيمة تشعر بالارتعاش بسبب هذا الصراع الداخلي، مدركة أنها كانت ستخسره لولا قدرة ليتو على الإقناع.

قال ليتو إن الصراط الذهبي سيخرجهم من هذا الفخ. باستثناء الإحساس المزجج بأنه يخفي شيئاً من رؤيته عنها، لم يكن لديها خيار سوى تصديقه. احتاج إلى إبداعها الخصب لإثراء الخطة.

قال ليتو عارفاً أين أخذتها شكوكها: «سنختبر».

غنيمة: «ليس في الاسپايس».

ليتو: «ربما حتى في الاسپايس. لكن بالتأكيد في

الصحراء ومحاكمة المسّ.»

قالت غنيمة بنبرة اتهامية: «لم تذكر قط محاكمة المسّ! هل هذا جزء من حلمك؟»

حاول أن يبلع ريقه الجاف، ولعن زلة اللسان تلك.
«نعم».

«إذا سوف.. نٌصبح ممسوسين».

«لا».

فكرت غنيمة في المحاكمة- ذلك الاختبار الفرمي القديم الذي ينتهي عادة بموت مروّع. إذا، لهذه الخطة تعقيدات أخرى. سيأخذها الاختبار إلى حافة حرجة حيث لا يمكن للعقل أن يختار أحد الجانبين دون أن يصاب بالجنون.

قال ليتو، مدركاً أين تسرح أفكارها: «السلطة تستقطب النفوس المضطربة دائماً. يجب أن نحرض على ألا نسمح لهذا بأن يتغلغل فينا».

غنيمة: «هل أنت متأكد من أننا لن نصبح ممسوسين؟»

ليتو: «ليس إن أنشأنا الصرّاط الذهبي».

قالت غنيمة وهي لا تزال متشككة: «لن أحمل أطفالك يا ليتو».

هز ليتو رأسه مخفياً أفكاره الداخلية عنها، وعاد إلى اللغة

القديمة الرسمية-الملكية: «أختي، أحبك أكثر من نفسي، لكن تلك ليست أشد رغباتي».

غنيمة: «حسناً، لنعد إلى نقاش آخر قبل أن نلتقي جدتنا. سكين تخترق أحشاء عالية قد تحل معظم مشكلاتنا».

ليتو: «إن كنت تظنين ذلك، فأنت تظنين أنه يمكننا السير في الوحل وعدم ترك أي أثر. بالإضافة إلى ذلك، متى سمحت عالية لأي شخص بالاقتراب منها؟»

غنيمة: «هناك شائعات عن جاقيد هذا».

ليتو: «هل يُظهر دانكن أي علامات أنه قد يخون عالية؟»

هزت غنيمة كتفها. «سُم واحد.. سُم اثنان». كانت هذه العبارة تستخدم في العرف الملكي لتقييم الأتباع حسب مدى خطورتهم عليك، وهي طريقة يستخدمها الحكام في كل مكان.

ليتو: «يجب أن نفعل ذلك بطريقتي».

غنيمة: «الطريقة الأخرى قد تكون أظهر».

من خلال ردها، علم أنها تغلبت على شكوكها أخيراً، ووافقت على خطته. هذا الإدراك لم يمنحه السعادة. نظر إلى يديه، وتساءل إن كانت القدارة ستعلق بهما.

كان هذا إنجاز المؤدّب: رأى في أعماق الوعي الجمعي لكل إنسان مخزوناً غامضاً من الذكريات يمتد إلى الخلية

الأولى لأصلنا المشترك. قال إن كل واحد منا يمكن قياس مدى بعده عن هذا الأصل. عندما رأى هذا وأخبر عنه، اتخذ قراراً جريئاً. أقدم المؤدّب على إدماج الذاكرة الجينية ضمن تقييم دائم ومستمر متجاوزاً بذلك حدود الزمان، ومرج بين الماضي والمستقبل في وحدة لا تتجزأ. وهكذا، تجسدت رؤيته في شخصي ابنه وابنته.

- عهد أراكس (خرق العادة).

سار فارادين في حديقة قصر جده الملكي، ورأى ظله يقصر وهو يتبع شمس سالوسا سوكانداس التي تقترب من وسط السماء. كان عليه أن يمشي بسرعة ليجاري الباشار الطويل تيكانيك الذي يرافقه.

قال فارادين: «أنا متردد، يا تيكانيك. أجل، أدرك جاذبية العرش، لكن -» أخذ نفساً عميقاً. «- لدي اهتمامات كثيرة أخرى».

نظر تيكانيك إلى الأمير، ملاحظاً أن جسم الصبي أصبح قوياً وهو يقترب من عيد ميلاده الثامن عشر.

بدأ يختلف عن أمه وينسبها يوماً بعد يوم، ويظهر مزيداً من صفات جده شادام العجوز الذي كان يفضل هواياته على مسؤولياته الملكية. وهذا ما أفقده العرش في النهاية بالتأكيد. كان ضعيفاً في قيادته.

قال تيكانيك: «عليك أن تقرر. أوه، بالتأكيد ستجد بعض الوقت لبعض اهتماماتك، ولكن...».

عض فارادين على شفته السفلى. كان مقيداً بالواجب هنا، وشعر بالإحباط. كان يفضل أن يذهب إلى الجيب الصخري حيث تُجرى التجارب على اليرقات الرملية. كان هذا مشروعاً ذا إمكانات عظيمة: انتزع احتكار الاسپايس من آل آترديدز، وأي شيء قد يحدث.

«هل أنت متأكد من التخلص.. من هذين التوأمين؟»

«لا شيء مضمون تماماً، يا أميري، لكن الفرص تبدو جيدة.»

لم يتأثر فارادين بالاغتيال. كان الاغتيال جزءاً من حقائق الحياة الملكية. كانت اللغة تحمل تعابير دقيقة لطرق القضاء على الشخصيات الهامة. بكلمة واحدة، يمكن للمرء أن يميز بين السم في شراب والسم في الطعام. ظنّ أن القضاء على توأمي آترديدز سيتم بالسم. لم تكن فكرة سارة. كان التوأمان ثنائياً مثيراً للاهتمام.

سأل فارادين: «هل يجب أن نذهب إلى أراكس؟»

«هذا هو الخيار الأفضل، سنكون في قلب الحدث.»

بدا أن فارادين يتجنب طرح بعض الأسئلة، وتساءل تيكانيك ماذا يمكن أن تكون.

قال فارادين متحدثاً وهو يلتف حول زاوية السياج، ويقترّب من نافورة محطة بورود سوداء ضخمة: «أنا قلق، يا تيكانيك.»

قال تيكانيك: «لماذا؟»

«هذا، آه، الدين الذي اتبعته...»

قال تيكانيك محاولاً أن يبقي صوته حازماً: «لا شيء غريب في ذلك، يا أميري. هذا الدين يناسب المحارب الذي في داخلي. إنه دين مناسب لساردوكار». كان هذا صادقاً على الأقل.

«نعم.. لكن أمي تبدو سعيدة به»

فكر تيكانيك: اللعنة يا وينسيشيا! أثارت شك ابنها.

قال تيكانيك: «لا يهمني رأي والدتك. الدين شأن شخصي. ربما تجد أنت فيه شيئاً يساعدك على الظفر بالعرش».

قال فارادين: «هذا ما كنت أفكر فيه».

فكر تيكانيك: آه، هذا فتى لَمَّاح! قال: «اطلع بنفسك على هذا الدين؛ ستعرف على الفور لماذا اخترته».

«مع ذلك.. ماذا عن عظمات المؤدّب؟ كان آتريديزياً بعد كل شيء».

قال تيكانيك: «لا يسعني إلا أن أقول إن طرق الرب غامضة».

«أفهم ذلك. قل لي، يا تيك، لماذا دعوتني إلى المشي معك الآن؟ اقرب وقت الظهر، وأنت عادة ما تكون

مشغولاً بتنفيذ أوامر والدتي في هذا الوقت من اليوم».

توقف تيكانيك عند مقعد حجري يطل على النافورة والورود العملاقة وراءها. أسكته رذاذ الماء المتناثر، وظل يراقبه وهو يستأنف الحديث: «أميري، فعلت شيئاً قد تغضب والدتك منه». وفكر: إن صدق ذلك، فسينجح مخططها اللعين. كان تيكانيك يتمنى أن يفشل مخطط وينسيشيا. إحضار هذا الواعظ اللعين هنا. كانت فكرة جنونية. والثنمن!

بينما كان تيكانيك صامتاً، منتظراً، سأل فارادين: «حسناً يا تيك، ماذا فعلت؟»

قال تيكانيك: «أتيت بمتنبي أحلام».

نظر فارادين نظرة فاحصة إلى رفيقه. كان بعض الساردوكار الأكبر سنّاً يمارسون لعبة تفسير الأحلام، وزادوا من ذلك منذ خسارتهم أمام «الحالم الأعظم» المؤدّب. ظنوا أنه في مكان ما داخل أحلامهم قد يجدون طريقة لاستعادة السلطة والمجد. لكن تيكانيك كان يتجنب هذه اللعبة دائماً.

قال فارادين: «هذا لا يليق بك يا تيك».

قال تيك وهو ينظر إلى النافورة: «إذن لا بد لي من الحديث عن ديني الجديد لتبرير فعلتي». كان الحديث عن الدين سبباً في المخاطرة بإحضار الواعظ إلى هنا.

قال فارادين: «إذن تحدث عن هذا الدين».

«أمرُك». استدار، ونظر إلى هذا الشاب الذي تركز فيه كل آمال آل كورينو. «الكنيسة والدولة، يا أميري، وكذلك العلم والإيمان، وأكثر من ذلك: التقدم والتقاليد- كل هذا متوافق في تعاليم المؤدب. علم أنه لا توجد تناقضات مطلقة إلا في معتقدات الناس وأحياناً في أحلامهم. يجد المرء المستقبل في الماضي، وكلاهما جزء من الكل».

رغم الشكوك التي لم يستطع تبديدها، ألقى فارادين نفسه متأثراً بهذه الكلمات. سمع نبرة من الإخلاص المتحفظ في صوت تيكانيك، كأن الرجل يتحدث ضد رغباته الداخلية.

«ولهذا السبب أحضرت لي.. مُفسِّر الأحلام هذا؟»

«نعم، يا أميري. ربما يخترق حلمك حجب الزمن. تستعيد وعيك بذاتك الحقيقية عندما تدرك الكون ككل مترابط. أحلامك.. حسناً..»

احتج فاراد: «لكنني لم أهتم بأحلامي. إنها تثير فضولي فقط. لم أشك يوماً في أنك..»

«أميري، لا شيء تفعله يمكن أن يكون غير مهم».

«هذا إطراء عظيم يا تيك. هل تعتقد حقاً أن هذا الرجل يمكنه أن يرى ما في قلب الأسرار العظيمة؟»

«أظن ذلك يا أميري».

«إذن دع أمي تغضب كما تشاء».

«هل ستلتقيه؟»

«بالتأكيد - بما أنك جلبته لتغضبَ أمي».

تساءل تيكانيك: هل يسخر مني؟ قال: «يجب أن أنبهك إلى أن ذلك الرجل يضع قناعاً. إنه جهاز إيكسين يمكن الأعمى من الرؤية بجلده».

«هو أعمى؟»

«نعم، يا أميري».

«هل يعرف من أنا؟»

«أخبرته يا أميري».

«حسناً. لنذهب إليه».

«إذا انتظرت قليلاً هنا يا أميري، فسوف أحضر الرجل إليك».

نظر فارادين حوله في حديقة النافورة مبتسماً. مكان مناسب لهذه السخافة.

«هل أخبرته بما رأيته في حلبي؟»

«بشكل عام يا أميري. سيطلب منك أن تسرده له بنفسك».

«حسناً. سأنتظر هنا. أحضر الرجل».

أدار فارادين ظهره، وسمع خطوات تيكانيك تبتعد بسرعة. رأى بستانياً يعمل خلف السياج مباشرة. رأسه مغطى بقبعة بنية، ومقصه يلعب فوق الأعشاب الخضراء التي يجزها. كانت الحركة مهدئة للأعصاب.

فكر فارادين: هذا الحلم سخيف. كان من الخطأ أن يفعل تيك ذلك دون استشارتي. عجيب أن تيك يعتق الدين في هذه السن. والآن الأحلام.

في تلك اللحظة سمع خطوات وراءه. خطوة تيك النشطة المألوفة، وخطوة أثقل. استدار فارادين ونظر إلى مفسر الأحلام الذي يقترب. كان قناع الإيكسين شيئاً أسود يشبه الشاش يغطي الوجه من الجبهة إلى الذقن. لا يوجد فيه أي فتحات. إن آمن المرء بما يدعيه الإيكسين، فهذا القناع كله كان بمثابة عين واحدة كبيرة.

وقف تيكانيك على بعد خطوتين من فارادين، لكن الرجل العجوز المقنع اقترب حتى صار على بعد خطوة واحدة فحسب.

قال تيكانيك: «مفسر الأحلام».

أوماً فارادين برأسه.

سعل الرجل العجوز المقنع بصوت يشبه الشخير، كأنه يحاول إخراج شيء من حلقه.

شم فارادين رائحة الاسپايس اللاذعة التي تفوح من

الرجل العجوز. كانت تنبعث من رذائه الرمادي الطويل الذي يغطي جسده.

سأل فاردين وهو يحاول تأخير الحديث عن الحلم: «هل هذا القناع جزء من جسدك؟»

قال الرجل العجوز: «طالما أرتديه»، وكان صوته يحمل نبرة مريرة، ولمحة خفيفة من لهجة الفرمن. ثم أضاف: «حلمك. أخبرني به.»

تردد فارادين. ولم لا؟ لهذا السبب أحضر تيك الرجل العجوز. أم ثمة سبب آخر؟ انتابت فارادين شكوك، وسأل: «هل أنت حقًا خبير في تفسير الأحلام.»

«أتيت لأفسر حلمك، يا سيدي العظيم.»

هزَّ فارادين كتفيه. هذا الشخص المقنع أثار قلقه، ونظر إلى تيكانيك، الذي بقي واقفًا في مكانه، معقود اليدين يحدق إلى النافورة.

حثه الرجل العجوز: «حلمك، إذن.»

تنفس فارادين بعمق، وبدأ يسرد الحلم. أصبح الكلام أسهل عندما استولى عليه الحلم بالكامل. تحدث عن الماء المتدفق إلى الأعلى من البئر، وعن العوالم التي كانت ذرات تراقص في رأسه، وعن الأفعى التي تحولت إلى دودة رملية وانفجرت في سحابة من الغبار. عندما وصل إلى الثعبان، شعر بأن الكلام عن الحلم يصعب عليه. أوقفه

تردد رهيب، أغضبه وهو يتكلم.

بقي الرجل العجوز صامتاً حتى انتهى فارادين من الكلام. تحرك قناع الشاش الأسود قليلاً مع تنفسه.

انتظر فارادين.. استمر الصمت.

سأل فارادين متوتراً: «ألن تفسر حلبي؟»

قال الرجل، صوته يبدو كأنه آت من بعيد: «فسرته».

«حسناً؟!» سمع فارادين صوته يصرُّ وهو يشعر بالتوتر

الذي أثاره حلله فيه.

لم يجب الرجل العجوز وبقي صامتاً كالحجر.

فارادين: «أخبرني بتفسيرك إذا». كان الغضب جلياً في

نبرته.

قال الرجل العجوز: «قلت إنني سأفسره. ولم أقل إنني

سأخبرك بتفسيري».

انفعل تيكانيك في هذه اللحظة، وأسقط ذراعيه في

قبضتين إلى جانبيه، صرخ: «ماذا تقوووول؟»

قال الرجل العجوز: «لم أقل إنني سأبوح بتفسيري».

سأل فارادين: «هل تود أجراً أعلى؟»

«لم أطلب أجراً عندما أتيت إلى هنا». كان في رده نخر

بارد أغضب فارادين. كان هذا رجلاً عجوزاً جسوراً على

الأقل، لا بد أنه يعرف أن الموت ينتظر من يعصيني.

قال تيكانيك عندما همّ فارادين بالكلام: «اسمح لي يا أميري» ثم قال: «هل ستخبرنا لماذا لن تبوح بتفسيرك؟»
«نعم يا سادة. يخبرني الحلم أنه لا فائدة من شرح هذه الأشياء».

لم يمالك فارادين نفسه: «هل تدعي أنني أعرف معنى حلبي بالفعل؟»

«ربما تعرف يا سيدي، لكن ذلك ليس مهماً».

تقدم تيكانيك ليقف إلى جانب فارادين. نظرا إلى الرجل العجوز. قال تيكانيك: «وضح مقصدك».

قال فارادين: «نعم، وضح مقصدك».

«إن تحدثت عن هذا الحلم، وبحثت في مسائل الماء والغبار والشعابين والديدان، وحللت الذرات التي ترقص في رأسك كما ترقص في رأسي - آه، يا سيدي القوي، فإن كلماتي لن تزيدك إلا حيرة، وسوف تصر على سوء الفهم».

سأل فارادين: «هل تخشى أن تغضبني كلماتك؟»

قال الرجل: «سيدي! أنت غاضب بالفعل».

سأل تيكانيك: «ألا تثق بنا؟».

الرجل: «هذا صحيح يا سيدي. أنا لا أثق بأي منكم، ولسبب بسيط؛ أنما لا تثقان بنفسيكما».

تيكانيك: «أنت تخاطر بحياتك. قُتل رجال بسبب تصرف أقل فداحة من تصرفك».

أوماً فارادين برأسه، وقال: «لا تحاول اختبار صبري».

قال الرجل العجوز: «العواقب القاتلة لغضب كورينو معروفة جيداً، يا سيد سالوسا سوكانداس».

أمسك تيكانيك ذراع فارادين لإيقافه، وسأل: «هل تحاول دفعنا إلى قتلك؟»

لم يكن فارادين يفكر في ذلك، وشعر برعشة الآن وهو يتساءل عن المغزى المحتمل لهذا التصرف. هل كان هذا الرجل العجوز الذي يدعي أنه الواعظ، أكثر مما يُظهر؟ ماذا يمكن أن تكون عواقب موته؟ أحياناً يمثل الشهداء خطراً.

قال الرجل العجوز: «أشك في أنك ستقتلني مهما قلت. أعتقد أنك تعرف قيمتي يا باشار، ويشك أميرك الآن في ذلك».

سأل تيكانيك: «هل ترفض تماماً تفسير حلمه؟».

«فسرته».

«ولن تبوح بما تراه فيه؟»

«هل تلومني يا سيدي؟»

سأل فارادين: «كيف يمكنك أن تكون ذا قيمة لي؟»

مد الواعظ يده اليمنى. «لو لوححت بهذه اليد، فسوف يأتي دانكن آيداهو إليّ مهرولاً وسيطيعني».

سأل فارادين: «ما هذا التباهي الفارغ؟»

لكن تيكانيك هز رأسه متذكراً جداله مع وينسيشيا. قال: «أميري، يمكن أن يكون هذا حقيقياً. لهذا الواعظ كثير من الأتباع على كثيب».

سأل فارادين: «لماذا لم تخبرني أنه من هناك؟»

قبل أن يرد تيكانيك، قال الواعظ لفارادين: «سيدي، لا تلم نفسك على أراكس. أنت مجرد نتاج زمانك. هذا عذر خاص يستطيع أي رجل أن يقدمه عندما تهاجمه ذنوبه».

«ذنوبه!» انفعل فارادين.

اكتفى الواعظ بهز كتفه.

بجأة، تحول غضب فارادين إلى مرح. ضحك، وهو يرفع رأسه. نظر إليه تيكانيك بدهشة. قال فارادين: «تروق لي أيها الواعظ».

قال الواعظ: «هذا يسعدني، يا أمير».

قال فارادين وهو يكبح ضحكته: «سنخصص لك غرفة هنا في القصر. ستكون مفسر أحلامي الخاص - حتى لو لم تعطني أي تفسير. ويمكنك أن تنصحني بشأن كثيب. لدي فضول كبير بشأن هذا المكان».

قال العجوز: «هذا شيء لا أستطيع فعله، يا أمير».

شعر فارادين بشيء من الغضب. حدّق في القناع الأسود. «ولماذا لا تستطيع؟ أخبرني من فضلك؟»

قال تيكانيك وهو يمسك ذراع فارادين ثانية: «أميري».

«ماذا يا تيك؟»

«أحضرناه إلى هنا بناء على اتفاق مشروط مع النقابة.

يجب أن نعيده إلى كثيب».

قال الواعظ: «استدعيت من أجل العودة إلى أراكس»

سأل فارادين: «من استدعاك؟»

«قوة أعظم من قوتك يا أمير».

رمق فارادين تيكانيك بنظرة مستفسرة. «هل هو

جاسوس لا تريد؟»

«هذا أمر مستبعد، يا أمير. عالية وضعت مكافأة على

رأسه».

سأل فارادين معيداً تركيزه إلى الواعظ: «لو لم يكن

آترديد، فمن الذي استدعاك؟»

«قوة أعظم من آترديد».

هربت ضحكة مكتومة من فارادين. كان هذا كلاماً

روحانياً سخيفاً. كيف يمكن أن يخدع تيك بمثل هذه

الخرافات؟ ربما كان هذا الواعظ قد رأى حلماً. لكن ما

أهمية الأحلام؟

قال فارادين: «لقد أضعت وقتي هنا، يا تيك. لماذا عرّضتني.. لهذه المهزلة؟»

قال تيكانيك: «هناك مكافأة كبيرة في هذا، يا أميري. وعدني مُفسّر الأحلام هذا بتسليم دانكن آيداهو ليكون عميلًا لآل كورينو. كل ما طلبه هو لقاءك وتفسير حلمك.»

أضاف تيكانيك في سريرته: «أو هكذا أخبر وينسيشيا! انتابت الباشار شكوك جديدة.»

سأل فارادين: «لماذا تهتم بحلمي أيها الرجل العجوز؟»

قال الواعظ: «حلمك يخبرني أن الأحداث العظيمة تتجه نحو خاتمة منطقية. عليّ أن أعود بسرعة.»

قال فارادين ساخرًا: «وستبقى غامضًا هكذا، دون أن تعطيني أي نصيحة.»

«النصيحة يا أمير شيء خطير. لكنني سأجازف ببعض الكلمات التي قد تنفعك كنصيحة أو بأي شكل آخر يرضيك.»

قال فارادين: «قل.»

نظر الواعظ بثبات إلى فارادين من خلف قناعه، وقال: «قد تنهض الحكومات وتنهار لأسباب تبدو تافهة، يا أمير. يا لها من أحداث تافهة! خلاف بين امرأتين.. اتجاه الريح

في يوم ما.. عطسة، سعال. طول ثوب أو ارتطام حبة
رمل عن طريق الخطأ بعين أحد رجال الحاشية. ليست
دائماً المصالح العظيمة للوزراء الإمبراطورين هي التي تحدد
مجرى التاريخ، وليس بالضرورة أن يحرك كلام الكهنة
المتفلسفين أيدي الله».

تأثر فارادين بشدة بهذه الكلمات، ولم يستطع تفسير
مشاعره.

ولكن تيكانيك ركز على كلمة واحدة. لماذا ذكر
هذا الواعظ الثوب؟ ركز عقل تيكانيك على الثياب
الإمبراطورية التي أرسلت إلى التوأمين آتريديز، والتي
تدرب النمران على مهاجمتها. هل كان هذا الرجل العجوز
يلمح إلى تحذير خفي؟ ما مدى معرفته؟

سأل فارادين: «كيف تكون هذه نصيحة؟»

قال الواعظ: «إذا أردت النجاح، فعليك أن تحدد
استراتيجيتك بوضوح. ما المكان والزمان والشخص
المناسبين لتنفيذها؟ لكن، حتى لو اهتمت بأدق
التفاصيل، فربما تفوتك بعض الأمور الصغيرة التي لا تلقي
لها بالاً. هل تستطيع اختزال استراتيجيتك يا أمير في مصالح
حكومة محلية أو زوجة؟»

قاطعته تيكانيك بصوت بارد: «لماذا تردد كلمة
الاستراتيجية، أيها الواعظ؟ ما الذي سيستفيد منه الأمير؟»
قال الواعظ: «يزين للأمير حب الجلوس على العرش.»

أتمنى له حظًا سعيدًا، لكنه سيحتاج إلى أكثر من ذلك بكثير».

قال فارادين: «هذه كلمات خطيرة. كيف تسرع في قولها؟»

قال الواعظ: «تصمد الطموحات في وجه الواقع. أنا جريء في قولها لأنك تواجه خيارًا حاسمًا. يمكنك أن تكسب محبة الناس، ولكنك الآن محاط بأولئك الذين لا يبالون بالمبررات الأخلاقية، ومستشارين يهتمون بالاستراتيجيات فحسب. أنت شاب وقوي وعنيد، ولكن تنقصك تجربة معينة تساعدك على تنمية شخصيتك. هذا محزن لأنك تعاني نقطة ضعف كشفتها».

سأل تيكانيك: «ماذا تقصد؟»

قال فارادين: «احذر من كلامك. أي نقطة ضعف تتحدث عنها؟»

قال الواعظ: «لم تفكر في نوع المجتمع الذي قد تفضله. لم تراجع تطلعات شعبك. حتى الإمبراطورية التي تطمح إليها ليس لها واقعية في خيالك». أدار وجهه المقنع إلى تيكانيك: «عينك على السلطة وليس على استخداماتها الحكيمة ومخاطرها. وبهذا، مستقبلك مليء بالمجهولات: بالنساء المتنازعات، والمرضى، والأيام الفظيعة. كيف تستطيع أن تبني عصرًا جديدًا وأنت لا ترى كل التفاصيل؟ عقلك المتعنت لن يخدمك. هذا هو مكن

ضعفك».

نظر فارادين إلى الرجل العجوز طويلًا، متسائلًا عن الأبعاد الأعمق لمثل هذه الأفكار، عن تكراره مثل هذه المفاهيم الملتوية. الأخلاق! الأهداف الاجتماعية! كانت هذه خرافات تُضاف إلى الإيمان بالتقدم التطوري.

قال تيكانيك: «لقد سمعنا ما يكفي من الكلام. ماذا عن الثمن الذي اتفقنا عليه أيها الواعظ؟»

قال الواعظ: «دانكن آيداهو لكم. انتبهوا لطريقة تعاملكم معه. إنه جوهرة لا تُقدر بثمن».

قال تيكانيك: «أوه، لدينا مهمة تليق به» نظر إلى فارادين: «اسمح لنا بالانصراف».

قال فارادين: «أعده إلى دياره فورًا قبل أن أراجع عن قراري». ثم قال محققًا في تيكانيك: «أنا لا أحب كيف استغللتني، يا تيك!»

قال الواعظ: «اغفر له أيها الأمير. باشارك المخلص ينفذ مشيئة الله دون أن يعرف حتى». انحنى الواعظ قبل أن يخرج، وهول تيكانيك وراءه ليتأكد من مغادرته.

راقب فارادين ظهريهما وهما يبتعدان، وفكر: يجب أن ابحث في هذا الدين الذي يعتنقه تيك. وابتسم بحزن. يا له من مفسر أحلام! لكن ما الفائدة؟ لم يكن حلمي مهمًا.

رأى في رؤياه درعاً. لم يكن الدرع من جلده. كان أشد من الفولاذ. لم يستطع شيء اختراق درعه- لا سكين أو سم أو رمال، ولا غبار الصحراء أو جفافها. كان في يده اليمنى القوة لخلق عاصفة كوريوليسية (22)، لزلزلة الأرض وتحطيمها حد الإبادة. كانت عيناه مثبتتين على الصرّاط الذهبي، وفي يده اليسرى يمسك صولجان الكمال المطلق. وخلف الصرّاط الذهبي، نظرت عيناه إلى الخلود الذي كان يعلم أنه غذاء لروحه، وجسده السرمدى.

- هيا، حلم أخي (من كتاب غنيمة)

قال ليتو: «لن يكون من صالحى أن أكون إمبراطوراً أبداً. أوه، لا أعني أنني ارتكبت خطأ والدي، ونظرت إلى المستقبل بمساعدة كأس من الاسپايس. أقول هذا الشيء من باب الأناية. أنا وأختي نحتاج إلى مساحة من الحرية نتعلم فيها كيف نتعايش مع ما نحن عليه».

سكت، محققاً بتساؤل في الليدي چيسيكاً. نطق بالجزء الذي اتفق عليه هو وغنيمة. الآن ماذا سيكون رد جدتهما؟

نظرت چيسيكاً إلى حفيدها في ضوء خافت ينبعث من كرات الإنارة التي أضاءت جناحها في سييتش تبر. كان الصباح الباكر من يومها الثاني هنا، وكانت قد تلقت تقارير مقلقة تفيد بأن التوأمن سهرت الليلة كلها خارج السييتش. ماذا كانا يفعلان؟ لم يغمض لها جفن، وشعرت بالإرهاق

يجرّها بعيداً عن تلك اليقظة المفرطة التي أبقته متأهبة طوال الأحداث العصبية التي تلت العرض العصيب في ميناء الفضاء. كان تبر سييتش كابوسها - لكن في الخارج، لم تكن الصحراء كما عهدتها. من أين أتت كل هذه الأزهار؟ وشعرت أن الهواء حولها رطب جداً. ولاحظت كم ساد التساهل بين الشباب في كيفية ارتداء بذلات التقطير.

سألت چيسیکا: «ماذا تكونه أيها الطفل حتى تحتاج إلى وقت لتعرف على نفسك؟»

هز رأسه بلطف، مدركاً أنها لفتة غريبة تم عن نضج، لا تناسب جسمه - جسم طفل، مذكراً نفسه بأن عليه إبقاء تلك المرأة في حالة من الارتباك.

«أولاً، أنا لست طفلاً. أوه...». لمس صدره. «هذا جسد طفل. لا شك في ذلك. لكنني لست طفلاً».

عضت چيسیکا شفّتها العليا، متجاهلة ما يوحي به كلامه. كان دوقها الذي مات قبل سنوات عديدة على هذا الكوكب اللعين، قد ضحك عليها عندما فعلت ذلك. «ردة فعلك الوحيدة التي لا تحسبونها»، هكذا كان يسمي عضها شفّتها. «تخبرني أنك غاضبة، ولا بد لي من تقبيل هاتين الشفتين حتى أوقف ارتجافهما».

في تلك اللحظة صدمها هذا الحفيد الذي يحمل اسم دوقها وأدخلها في حالة من الهدوء، وجعل قلبها يخفق بصوت

مسموع، حالما ابتسم وقال: «أنت غاضبة. أرى ذلك من خلال ارتجاف شفتيك».

تطلب الأمر أقصى درجات الانضباط الذي تعلمته من تدريب البني چيسيريت لاستعادة ما يشبه السكينة. قالت: «هل تسخر مني؟»

«أسخر منك؟ أبداً. لكن يجب أن أوضح لك مدى اختلافنا. دعيني أذكرك بنشوة طاو السييتش منذ زمن بعيد عندما أعطتكِ الأم الموقرة العجوز حياتها وذكرياتها. اندمجت معك وأعطتكِ تلك السلسلة الطويلة، كل حلقة فيها تمثل شخصاً. ما زلت تمتلكينها حتى الآن. لذا فأنت تعرفين شيئاً عما نعيشه أنا وغنيمه».

سألته چيسيكاً مختبرة: «وعالية؟»

«ألم تتحدثي عن هذا مع غنيمه؟»

«أرغب في الحديث عنه معك».

«حسناً. أنكرت عالية ما كانت عليه، وأصبحت أكثر ما كانت تخشاه. لا تستطيع دفع الماضي في داخلها إلى اللاوعي. هذا مسار خطر على أي إنسان. لكن بالنسبة إلينا نحن الواعين ما قبل الولادة، فهو أسوأ من الموت. وهذا كل ما سأقوله عن عالية».

قالت چيسيكاً: «إذن أنت لست طفلاً».

«عمري ملايين السنين. وهذا يتطلب تعديلات لم يُطلب

من أي بشر أن يقوم بها».

أومات چيسیکا برأسها، هادئة الآن، وأكثر حذرًا مما كانت عليه مع غنيمة. أين كانت غنيمة؟ لماذا أتى ليتو إلى هنا وحده؟

قال: «حسنًا، يا جدتي، هل نحن سُنة أم أننا أمل آل آتريديز؟»

تجاهلت چيسیکا السؤال. «أين أختك؟»

«تلهي عالية حتى لا تُزعجنا. ذلك ضروري. لكن غنيمة لن تخبرك بشيء أكثر مما قلته. ألم تلاحظي ذلك أمس؟»
«ما لاحظته أمس هو شأني أنا. لماذا تثرثران حول السُّنة؟»

«ثرثرة؟ لا تعطيني يا جدتي هراء البني چيسيريت. سأردّه إليك، كلمة بكلمة، مباشرة من ذكرياتك. أريد أكثر من ارتجاف شفتيك».

هزت چيسیکا رأسها وشعرت ببرودة هذا. الشخص الذي يحمل دمها. أرهبتها القدرات التي يمتلكها. حاولت مطابقة نبرة صوته، وسألت: «ماذا تعرف عن نيّاتي؟»

ابتسم: «لا تحتاجين إلى السؤال إن كنت قد ارتكبت الخطأ الذي ارتكبه أبي. لم أبحث خارج حديقتنا الزمنية - على الأقل ليس للعثور عليها. دعي المعرفة المطلقة بالمستقبل لتلك اللحظات من الديجاغو التي قد تصادف أي

إنسان. أنا أعرف خطر الاستبصار. تعلمني حياة والدي بما أحتاج إلى معرفته عنها. لا، يا جدي: أن يعرف المرء المستقبل المطلق يعني أن يكون محاصرًا في ذلك المستقبل إلى الأبد. تسبب تلك المعرفة في انهيار الزمن. الحاضر يصبح المستقبل. أنا أريد حرية أكثر من ذلك».

شعرت چيسیکا بلسانها يرتعش بكلمات لم تنطقها. كيف يمكنها أن تجيبه بشيء لا يعرفه مسبقًا؟ كان هذا رهيبًا! إنه انا! إنه حبيبي ليتوا! أذهلتها هذه الفكرة. تساءلت للحظة إن كان القناع الطفولي يستطيع أن يتخذ شكل ملامح دوقها ليتو العزيزة ويبعث فيها الحياة.. لا!

أخفض ليتو رأسه، ثم نظر إلى أعلى ليتأمل جدته. نعم، يمكن التلاعب بها بعد كل شيء. قال: «عندما تفكرين في الاستبصار - وأتمنى أنك لا تفكرين فيه إلا قليلًا - فأنت على الأرجح لا تختلفين عن أي شخص آخر. يظن معظم الناس أنه من الجيد معرفة أسعار فراء الحوت غدًا. أو إن كان هاركوني سيحكم مرة أخرى كوكبهم جيدي پرايم؟ لكن بالطبع نحن نعرف الهراكنة دون استبصار، صحيح يا جدي؟»

رفضت ابتلاع طعمه. بالطبع يعرف عن دم الهراكنة الملعون الذي يجري في أسلافه.

سألها محرّضًا: «من هاركونن؟ من الوحش ربان؟ هل هو أحدنا، ها؟ لكنني أبتعد عن الموضوع. أتحدث عن

الأسطورة الشعبية، عن الاستبصار: أن تعرف المستقبل كله! بدقة! ما الأموال التي يمكن كسبها وخسارتها بمثل هذه المعرفة المطلقة، ها؟ هذا ما يؤمن به الرعاع. يظنون أنه لو كان القليل منه جيداً، فلا بد أن يكون الكثير أفضل. كم هذا رائع! وإذا أعطيت أحدهم سيناريو حياته كاملاً، الحوار الثابت حتى لحظة مماتة- فكم ستكون هدية جهنمية. يا له من ملل مطلق! في كل لحظة حية، سيعيد عيش ما يعرفه تماماً. لا تغيير. يستطيع توقع كل رد وكل كلمة - مرات.. ومرات.. ومرات.. هز ليتو رأسه. «الجهل له مزاياه. أنا أطمح إلى عالم من المفاجآت».

كان خطاباً طويلاً. وبينما كانت چيسيكاً تستمع، تعجبت كيف أن سلوكيات ليتو ونبرة صوته تصدح بصدى صوت والده -ابنها الضائع. حتى الأفكار التي طرحها: كانت هذه أشياء ربما كان ليقولها پول..

قالت: «أنت تذكرني بوالدك».

«هل هذا يؤلمك؟»

«بطريقة ما، ولكن من المطمئن معرفة أنه يحيا بداخلك».

«ما مدى قصور فهمك لكيفية عيشه في داخلي!»

استشعرت چيسيكاً في صوته صلابة ممزوجة بالمرارة، رفعت رأسها ونظرت إليه مباشرة.

قال ليتو: «أو كيف يعيش دوقك بداخلي. غنيمة يا جدتي هي أنت. إنها أنت لدرجة أن حياتك لم تُخف لو سرًا واحدًا عنها حتى لحظة حملك أبانا. وأنا! يا لي من قاموسٍ من السجلات الجسدية! هناك لحظات يفوق فيها ذلك الحمل طاقتي. أتيت إلى هنا لتقييمنا؟ أتيت هنا لتقييم عالية؟ من الأجدى أن نُقيّمك نحن!»

طالبت چيسیکا نفسها بإجابات، ولم تجد شيئًا. ما الذي كان يفعله؟ لماذا هذا التركيز على اختلافه؟ هل يبدي رفضًا؟ هل وصل إلى حالة عالية - سُنة؟
قال: «هذا يقلقك».

هزت كتفها بخنوع. «نعم، هذا يقلقني - وأنت تعرف السبب جيدًا. أنا متأكدة من أنك راجعت تدريجي البني چيسيرتي. غنيمة تعترف بذلك. وأنا أعلم أن عالية.. اعترفت بذلك أيضًا. أنت تعرف عواقب اختلافكم».

رمقها بقسوة مزججة. قال: «كاد ذلك يحدث لكننا لا نتفق معك»، انتقل شيء من إرهاقها إلى نبرة صوته: «نحن نعرف ارتجاف شفئك كما عرفه حبيبك. كل ما قاله لك دوقك في غرفة النوم في ذاكرتنا. قبلت ذلك فكريًا، بلا شك. لكنني أحذرك من أن القبول الفكري لا يكفي. إن أصبح أي منا سُنة- فربما أنت من صنعته! أو أبي.. أو أمي! أو دوقك! يمكن لأي منكم الاستحواذ علينا - وسيكون الأمر سيان».

شعرت چيسيكاً بونخز في صدرها ورطوبة في عينيها:
«ليتو...» أخيراً تمكنت من نطق اسمه. ألفت الألم أقل مما
تخيلته، وأجبرت نفسها على المتابعة: «ماذا تريد مني؟»

«أريد تعليم جدتي».

«تعلّمني ماذا؟»

«الليلة الماضية، لعبنا أنا وغنيمة دور الأب والأم حتى
كدنا نهلك تقريباً، لكننا تعلمنا الكثير. هناك أشياء يمكن
معرفة، بشرط أن يكون لديك وعي بالظروف. يمكن
التنبؤ بالأفعال. الآن أصبح من المؤكد أن عالية تخطط
لخطفك».

رمشت چيسيكاً مصدومة من الاتهام الصريح. عرفت
هذه الحيلة جيداً؛ استخدمتها عدة مرات: دفع الشخص
إلى مسار محدد من الأفكار، ثم إدخال المعلومة الصادمة
عبر مسار آخر. استعادت توازنها بشهيق عميق.

«أعرف ما كانت تخطط له عالية.. وما هي، لكن...».

«جدتي، أشفقي عليها. استشيرني قلبك مثلها تستخدمين
ذكاءك. فعلت ذلك من قبل. أنتِ تشكين تهديداً لها،
وتريد عالية الاستيلاء على الإمبراطورية لنفسها- على
الأقل، الشيء الذي أصبحت عليه يريد ذلك».

«كيف أتأكد أن هذا ليس شئعة أخرى يتكلم؟»

هز كتفيه: «هنا يأتي دور قلبك. أنا وغنيمة نعرف

كيف سقطت عالية. ليس من السهل التكيف مع ضجيج حشد الأرواح الداخلي. حاولي احتواء غرورهم وسيعودون محتشدين في كل مرة تستدعين فيها ذكرى. وفي يوم ما -». بلع ريقه الجاف، وأكل: «- يقرر كائن قوي من ذلك الحشد الداخلي أن الوقت قد حان ليشاركك جسدك».

طرحت السؤال رغم أنها تخشى الإجابة: «وليس هناك شيء تستطيعان فعله بشأنه؟»

«نظن أن هناك شيئاً. نعم. لا يمكننا الاستسلام للاسپايس. هذا أمر جوهري. ويجب ألا ننكر الماضي بالكامل. يجب أن نستفيد منه، ونصنع منه مزيجاً. وفي الأخير سنخلط كل تلك الأرواح الكامنة في ذاتينا. لن نكون نفسينا بعد الآن - لكننا لن نصبح مموسين».

«أنت تتحدث عن مخطط لخطفي».

«هذا واضح. لوينسيشيا طموحات بشأن ابنها. ولعالية طموحاتها الشخصية».

«زواج عالية وفارادين؟»

قال: «لم يُذكر ذلك. لكن عالية ووينسيشيا تديران مسارات متوازية في الوقت الحالي. لدى وينسيشيا أخت في حصن عالية. ما الأسهل من إرسال رسالة إلى إيرولان...».

«هل تعلم بوجود رسالة كهذه؟»

«كأنني رأيتها وقرأت كل كلمة فيها».

«ولكنك لم ترها بعينيك؟»

«لا داعي لذلك. كل ما عليّ أن أعرفه هو أن آل آتريديز مجتمعون هنا في أراكس، وأن كل المياه في حوض واحد». أشار بيديه ليشمل الكوكب كله.

«لن يتجرأ آل كورينو على مهاجمتنا هنا!»

«إن فعلوا ذلك، فسيصب ذلك في مصلحة عالية».

أغضبتها سخريته.

قالت: «لن أسمح لحفيدي بتجاوز حدوده معي».

«إذن اللعنة، يا امرأة، توقفي عن التفكير في أنني حفيدك! فكري في أنني دوقك ليتوا!». قالها بنبرة صوت حازمة وتعبير وجه غاضب وإيماءة من يده مفاجئة كدوقها تماماً. ارتبكت وأصيبت بذهول شديد.

ثم أضاف بصوت جاف وبارد: «لقد حاولت أن أجهزك لهذا الموقف. اعترفي بهذه الحقيقة على الأقل».

«لماذا تريد عالية خطفي؟»

«لتلقي اللوم على آل كورينو بالتأكيد».

«لا أصدق ذلك. فحتى بمقاييسها، سيكون هذا.. شنيعاً! خطراً جداً.. كيف تستطيع أن تفعل ذلك دون.. لا

أستطيع أن أصدق ذلك!»

«عندما يحدث ذلك، ستصدقين. آه، يا جدتي، كان علينا أنا وغنيمة أن نراقب نفسينا من الداخل ونعرف. كانت هذه طريقة بسيطة لحماية أنفسنا وإلا كيف كنا استطعنا تنبؤ الأخطاء المرتكبة من حولنا؟»

«لا أصدق ولو لثانية أن اختطافي جزء من خطة عالية...»

«بحق الآلهة الجوفيين، كيف يمكنك أيتها البني چيسيرت أن تكوني بهذا الحمق؟ الإمبراطورية كلها تشك في سبب وجودك هنا. ووينسيشيا وأتباعها مستعدون لتشويه سمعتك. وعالية نتطلع إلى حدوث ذلك. إن سقطت، فقد يتعرض آل آترديز لضربة قاتلة.»

«ما الذي تشك فيه الإمبراطورية كلها؟»

حاولت أن تنطق كلماتها بترؤ قدر الإمكان، مدركة أنها لا تستطيع التأثير في هذا البالغ في هيئة طفل بأي من حيل الصوت.

قال بصوت حاد: «تخطط الليدي چيسيكا لتزويج هذين التوأمين معاً! هذا ما تريده الأخوية. سفاح القربى!».

رمشت: «شائعات باطلة». بلعت ريقها، وأكملت: «لن تسمح البني چيسيرت لمثل هذه الشائعات بالانتشار في الإمبراطورية. ما زلن قادرات على التأثير. تذكر ذلك.»

«شائعة؟ أي شائعة؟ أنت من أبقيت خياراتك مفتوحة لتزويجنا». هز رأسه عندما حاولت أن تتكلم. «لا تنكري ذلك. نحن ما زلنا نعيش في المنزل نفسه حتى بعد بلوغنا، وأنتِ في هذا المنزل أيضاً، ولن يكون تأثيرك أكثر من قطعة قماش يُلَوَّح بها في وجه دودة رملية».

سألت چيسیکا: «هل تظنان أننا حمقاوات؟»

«أظن ذلك فعلاً. أخويتك ليست سوى مجموعة من النساء العجائز الحمقاوات اللواتي لا يفكرن في ما هو أبعد من برنامج التناسل الثمين! أنا وغني نعم مدى النفوذ الذي تتمتعن به. هل تظنين أننا أحمقان؟»

«نفوذ؟»

«إنهن على علم بأصلك الهاركونني! ذلك مُدَوَّن في سجلات تناسلهن: چيسیکا من تانيديا نيروس أنجبها البارون فلاديمير هاركونن. إذا تسرب هذا السجل للعلن بالخطأ، فإنه سيؤدي إلى...».

«هل تعتقد أن الأخوية ستلجأ إلى الابتزاز؟»

«أجزم بذلك. لكنهن سيكن لبقات في ذلك. طلبن منك التحري عن الشائعات حول ابنتك. أثرن فضولك ومخاوفك. استغلن شعورك بالمسؤولية، وأثقلن ضميرك بالشعور بالذنب لأنك فررت إلى كلابدان. وأغريرتك بإمكانية حماية حفيدك».

لم تستطع چيسيكاً إلا التحديق إليه في صمت. كان الأمر كما لو أنه استرق السمع لمحادثاتها الخفية مع مراقبات الأخوية، خنقتها كلماته، وبدأت تقتنع بصدقه عندما ادعى أن عالية تدبر لخطفها.

قال: «كما ترين، يا جدتي، عليّ اتخاذ قرار صعب. هل أتبع سحر آل آترديز؟ هل أعيش من أجل شعبي.. وأموت من أجله؟ أم أختار مساراً آخر -مساراً يمنحني الحياة آلاف السنين؟»

تراجعت چيسيكاً إلى الخلف دون أن تشعر، وهي تستمع إلى الكلمات التي نطق بها بسهولة، والتي لامست موضوعاً كان من المحرمات في تقاليد البني چيسيريت. كان بإمكان كثير من الأمهات الموقرات اختيار ذلك المسار.. أو تجربته. كان التلاعب بالكيمياء الداخلية ممكناً لمبتدئات الأخوية حتى. ولكن إن أقدمت إحداهن على ذلك، فستحاول الأخريات فعل الشيء نفسه. كان من المستحيل إخفاء وجود هؤلاء النساء اللواتي لا يهرمن. كن يدركن بالتأكيد أن هذا المسار سيقودهن إلى الهلاك. سوف تنقلب عليهن البشرية الفانية. لا - لا يمكن تخيل ذلك.

قالت: «لا يروق لي اتجاه أفكارك».

قال: «أنت لا تفهمين أفكاري. غنيمة وأنا..» هز رأسه.
«كان ذلك الخيار في قبضة عالية ورفضته».

«هل أنت متأكد من ذلك؟ أرسلت بالفعل رسالة إلى الأخوية أن عالية تمارس ما لا يمكن تخيله. انظر إليها! لم تتقدم في السن يوماً واحداً منذ آخر مرة...».

«أوه، هذا!» استبعد توازن الجسد البني چيسيرتي.
«أتحدث عن شيء آخر - كمال في الكينونة أبعد بكثير من أي شيء حققه البشر من قبل.»

بقيت چيسیکا صامته، مذعورة من مدى سهولة تلقيه السر الذي أفشت به. كان يعلم بالتأكيد أن مثل هذه الرسالة تعني حكم بالإعدام على عالية. ومهما غير في الكلمات، فقد كان يتحدث عن ارتكاب الجريمة نفسها. ألم يعرف خطورة كلامه؟

قالت أخيراً: «يجب أن تشرح لي.»

سأل: «كيف؟ إن لم تفهمي أن الزمن ليس كما يبدو، فلن أستطيع حتى أن أبدأ بالشرح. شك والدي في ذلك. وقف على حافة الإدراك، لكنه تراجع. الآن الأمر متروك لنا أنا وغنيمة.»

قالت چيسیکا: «يجب أن تشرح لي.» ولمست بأصابعها الإبرة المسمومة التي كانت تحملها تحت ثنية رداؤها. كان الجوم جبار مميّاً جداً لدرجة أن أقل وخزة منه تقتل في ثوانٍ. وفكرت: حذرني في الأخوية من أنني قد أضطر إلى استخدامه. الفكرة جعلت عضلات ذراعها ترتجف في موجات طفيفة، وكانت شاكرة للعباءة الساترة.

قال: «حسناً. أولاً، بالنسبة إلى الزمن: لا فرق بين عشرة آلاف سنة وسنة واحدة. لا فرق بين مئة ألف سنة ونبضة قلب. لا فرق. هذه الحقيقة الأولى عن الزمن. والحقيقة الثانية: الكون بأسره بكل أزمنته في داخلي».

سألت: «أي هراء هذا؟»

«هل ترين؟ أنت لا تفهمين. سأحاول أن أشرح بطريقة أخرى، إذن». رفع يده اليمنى للتوضيح، وحركها وهو يتكلم. «نحن نمضي إلى الأمام، نحن نرجع إلى الوراء».

«هذه الكلمات لا تفسر أي شيء!».

قال: «هذا صحيح. هناك أشياء لا تستطيع الكلمات تفسيرها. يجب أن تجربها دون كلمات. لكنك لست مستعدة لمثل هذه المغامرة، مثلها لا تريني عندما تنظرين إلي».

«لكن... أنا أنظر إليك مباشرة. بالطبع أراك!». حدقت في وجهه. عكست كلماته معرفة سفر الزنسنين كما تعلمتها في مدارس النبي جيسيريت: لعبة من الكلمات للتشويش على فهم المرء الفلسفة.

قال: «بعض الأشياء تحدث خارج سيطرتك».

«كيف يفسر ذلك... هذا الكمال الذي يتجاوز التجارب البشرية الأخرى بكثير؟»

أوماً برأسه. «إذا أضر المرء الشيخوخة أو الموت بواسطة

المزاج أو بواسطة التعديل المتعلم للتوازن الجسدي الذي تخشاه النبي چيسيريت لسبب ما، فإن مثل هذا التأخير لا يعني سوى وهم السيطرة. سواء كان المرء يمشي في السيتش بسرعة أو ببطء، فسيغير السيتش في كل الأحوال. وبنفس الطريقة، الزمن شيء نختبره داخلياً.

«لماذا تتلاعب بالكلمات بهذه الطريقة؟ لقد أنهكت عقلي بمثل هذا الهراء قبل ولادة أليك بمدة طويلة».

قال: «لكن الأسنان تستمر في النمو».

«كلمات! كلمات!»

«آه، أنت قريبة جداً!».

«هاه!»

«جدتي».

«نعم؟»

التزم الصمت مدة طويلة. ثم قال: «أترين؟ ما زال بإمكانك الرد بلسان ذاتك». تابع وهو يبتسم لها: «لكن لا يمكنك رؤية ما وراء الظلال. أنا هنا». ابتسم ثانية. «أبي دنا بشدة من هذا. عندما عاش، عاش، لكن عندما مات، فشل في أن يموت».

«ماذا تعني؟»

«أريني جسده!»

«هل تعتقد أن هذا الواعظ...»

«ربما.. لكن هذا ليس جسده».

قالت بنبرة اتهامية: «لم تشرح شيئاً!»

«شرحت ولم تفهمي. كما توقعت».

«إذن لماذا...»

«أنتِ سألت. كان عليّ أن أجيبك. الآن دعينا نعود إلى عالية وخطة الخطف من أجل...»

سألت وهي تمسك الجوم جبّار مستعدة لاستخدامه تحت عباءتها: «هل تخطط لما لا يمكن تخيله؟»

سألها بصوت هادئ مليء بالخبث: «هل ستقتلينيها؟» ثم أشار بإصبعه إلى يدها تحت عباءتها. «هل تعتقدين أنها ستسمح لك باستخدام هذا معها؟ أم تعتقدين أنني سأسمح لك باستخدامه معي؟»

عجزت چيسيكاً عن ابتلاع ريقها.

قال: «وإن أجبت عن سؤالك، فأنا لا أخطط إلى ما هو مستحيل. أنا لست بهذا الغباء. ولكنني مصدوم منك؛ كيف تجرئين على الحكم على عالية. أليس من الواضح أنها خالفت قسم النبي چيسيريت الثمين! ماذا كنت تتوقعين؟ هجرتها فجأة، وتركتها بصفتها ملكة هنا في كل شيء دون أن تُمنح لقب ملكة. كل هذه السلطة والقوة! وهكذا هربت إلى كلابان لتلهي جراحك بين ذراعي جبرني».

حسناً، هذا حقك. ولكن بأي حق تحكمين على عالية؟!»
«قلت لك، لن-»

«كفى، احرصى!» مستخدماً نبرة الصوت الخاصة بالبنى
چيسيريت -الصوت المتحكّم، ونظر بعيداً عنها مشمئزاً..

أسكتها الصوت كأنّ يداً ضربت فيها. فكرت: من يعرف
كيف يضربني بالصوت أفضل من هذا؟ كانت هذه حجة
ضعيفة لتهدئة مشاعرها المجروحة. ففي المرات الكثيرة
التي استخدمت فيها الصوت على الآخرين، لم تتخيل قط
أنها ستكون ضحية له.. ليس بعد الآن.. ليس منذ أيام
التدريب عندما..

استدار إليها، وقال: «آسف. لقد أدركت للتو مدى
سذاجتك وكم كنت عمياء عندما-».

«عمياء! أنا؟» غضبت منه لهذا الاتهام أكثر من غضبها
لاستخدامه الصوت ضدها ببراعة.

قال: «أنت عمياء. إن كان هناك شيء من الصدق
فيك، فستدركين حقيقة ردود أفعالك. أنا أنادي باسمك
وتقولين: (نعم؟!)، أنا أجم لسانك وأعيد إحياء كل
أساطير البنى چيسيريت فيك. انظري داخلِك بالطريقة
التي تعلمتها. هذا -على الأقل- شيء يمكنك فعله من أجل
-».

«كيف تجرؤ! ماذا تعلم عن..». توقفت. بالطبع كان

يعلم!

«أقول: (انظري داخلِك)»، كان صوته متسلطاً.

أسرها صوته مرة أخرى. شعرت بأن حواسها مشلولة، وتنفسها ازداد سرعة. وخلف هذا الشعور خفق قلبها، تنهدت ولهت.. ثم أدركت فجأة أن تنفسها المتسارع، وقلبها الخافق، لم يكونا مستترين، ولا خاضعين لتحكمها البني چيسيرتي إطلاقاً. اتسعت عيناها من الدهشة، وشعرت بأن جسدها يخضع لأوامر أخرى. استردت توازنها ببطء، لكن الإدراك بقي. كان هذا البالغ في هيئة طفل يتلاعب بها كآلة موسيقية طوال لقاءهما.

قال: «الآن عرفتِ إلى أي مدى هيأتك أخوية البني چيسيريت العزيزة».

لم تستطع سوى الإيماءة. تحطمت ثقته بالكلمات. أجبرها ليتو على مواجهة عالمها المادي بصراحة، وخرجت من هذه التجربة مضطربة، عقلها مليء بوعي جديد. «أرني جسده!». رأت جسدها كأنها مولودة حديثاً. لم تشعر بهذا الرعب والشك حول ما سيحدث لها في اللحظات القادمة منذ أيام تدريبها الأولى في كوكب والاك، منذ تلك الأيام المخيفة قبل أن يأتي المشترون من بيت الدوق لشرائها.

قال ليتو: «ستسهلين خطفك».

«لكن-».

قال: «أنا لا أناقشك. ستسهلين خطفك. فكري في ذلك كأمري من دوقك. ستفهمين الهدف من ذلك عندما ينتهي الأمر. وستقابلين تلميذاً شائقاً».

توقف ليتو، وأوماً برأسه. قال: «بعض الأفعال لها نهاية دون بداية؛ وبعضها له بداية دون نهاية. كل ذلك يعتمد على مكان وقوف المراقب». استدار، وغادر غرفتها.

في غرفة الانتظار الثانية، التقى ليتو غنيمة وهي تهول إلى جناحها الخاص. توقفت عندما رآته، وقالت: «عالية مشغولة بمجمع الإيمان». حدقت بتساؤل إلى الممر الذي يؤدي إلى جناح چيسیکا.

قال ليتو: «قُضي الأمر».

يتعرف كل من الضحية والجاني على حد سواء على
الفضائع كما هي دون تجميل. لا يوجد ما يبررها أو يخفف
من شأنها. الفضائع لا تعوّض أو تصلح الماضي، بل تمهد
الطريق لمزيد من الفضائع في المستقبل. إنها تغذي نفسها
فالشر يولد شراً. الفضائع صورة بربرية من سفاح القربى.
من يرتكب الفضائع في الحاضر، سيكون هو نفسه من
يرتكبها في المستقبل.

- أبوكريفا (23) المؤدّب.

بعد الظهر بقليل، عندما انفض الحجاج ليستريحوا في أي
مكان يجدون فيه ظلاً وماءً، دخل الواعظ إلى الساحة
الكبيرة أمام معبد عالية. كان يتكئ على الشاب الذي
كان بمثابة عينيه البديلتين، آسان طارق. وفي جيبه تحت
ردائه المرفرف، كان الواعظ يحمل قناع الشاش الأسود
الذي ارتداه في سالوسا سوكانداس. أذهله التفكير في
ذلك لأن القناع والصبي كانا يخدمان الهدف نفسه -
التخفي. ما دام يحتاج إلى عينين بديلتين، فستظل الشكوك
موجودة.

فكّر: دع الأسطورة تنمو، ولكن أبقِ الشكوك حية.

يجب ألا أن يكتشف أحد أن القناع مجرد قطعة قماش،
وليس جهازاً إيكسياً على الإطلاق. يجب ألا تفلت يده
من فوق كتف آسان طارق النحيل. دع الواعظ يسير مرة
كأنه يبصر رغم محجري عينيه الفارغين، وستتلاشى كل

الشكوك. الأمل الصغير الذي زرعه سيموت. كان يدعو كل يوم من أجل حدوث تغيير، من أجل مصادفة شيء مختلف، ولكن حتى سالوسا سوكانداس كانت كحصاة، معروفة من كل جانب. لم يتغير شيء؛ لا يمكن أن يتغير شيء... بعد.

لاحظ كثير من الناس في المتاجر والأروقة مروره، مشيرين إلى كيفية تحريكه رأسه من جهة إلى أخرى، مركزاً على مدخل أو شخص. لم تكن حركات رأسه تظهر أنه أعمى دائماً، وهذا أضاف إلى الأسطورة المتنامية.

كانت عالية ترأب من شق مخفي في جدران معبدها الشاهقة. بحثت في ذلك الوجه المشوه في الأسفل عن علامة -علامة هوية. أخبروها بكل الشائعات. وجاءت كل الشائعات بإثارة مشوبة بالخوف.

اعتقدت أن أمرها بالقبض على الواعظ سيبقى سراً، ولكن ذلك أيضاً عاد إليها الآن على شكل شائعة. حتى بين حراسها، لا يمكن الوثوق بالتزام أي أحد الصمت. كانت تأمل الآن أن يطيع الحراس أوامرهم الجديدة، وأن لا يقبضوا على هذا الشخص الغامض المتخفي وراء تنكره في مكان عام حيث يمكن رؤية ذلك والإبلاغ عنه.

كان الجو حاراً ومغبراً في الساحة. سحب مرشد الواعظ الشاب وشاح رداءه على أنفه، فلم يبق من وجهه سوى عينين سوداوين وجبهة ضيقة. وكان الوشاح يظهر معالم

أنبوب الترشيح المتصل ببذلة التقطير. هذا ما أخبر عالية
أنهما قد أتيا من الصحراء. أين كانا يختبئان هناك؟

لم يلبس الواعظ وشاحاً ليحميه من الهواء الحارق، بل
أسقط سديلة أنبوب الترشيح الموصل ببذلة التقطير. كان
وجهه مكشوفاً للشمس وموجات الحرارة المرئية التي
تصعد من أرضية الساحة.

وعند درج المعبد، خرج تسعة حجاج بإجلال. احتوت
الحافة المظللة للساحة على خمسين شخصاً تقريباً، معظمهم
حجاج كرسوا أنفسهم لممارسات التوبة المختلفة التي فرضها
الكهنوت. من بين المتفرجين، كان بالإمكان رؤية
مبعوثين وتجار قلائل لم يغلقوا أبوابهم بعد في ساعة ذروة
حرارة النهار.

وبينما هي تراقب من الشق المفتوح، شعرت بلهيب
الحر، ووجدت نفسها متأرجحة بين التفكير والشعور، كما
كانت ترى أخاها شاردًا في كثير من الأحيان. دغدغها
إغراء التشاور داخل نفسها كطين شؤم في رأسها. كان
البارون هناك، مطيعاً، لكنه مستعد دائماً للعب على خوفها
عندما يخفق حكمها العقلاني، وعندما تفقد الأشياء من
حولها إحساسها بالزمن.

سألت نفسها: ماذا لو كان هذا پول؟

قال الصوت الداخلي: «هراء!»

لكن لا يمكن إنكار التقارير عن كلام الواعظ.
هرطقة! أَرعِبا أن يكون پول نفسه من يهدم البناء الذي
سُيد معتمداً على اسمه.

ولم لا؟

تذكرت ما قالته في المجلس ذلك الصباح، حيث واجهت
بشراسة إيرولان التي حثت على قبول هدية الثياب من آل
كورينو.

اعترضت إيرولان قائلة: «ستفحص جميع الهدايا المقدمة
للتأمين بدقة، تماماً كما جرت العادة».

صرخت عالية: «وماذا إن وجدنا الهدية آمنة؟»

بطريقة ما، كان هذا أكثر شيء مرعب على الإطلاق:
أن نكتشف أن الهدية لا تحمل أي خطر.

في النهاية، قبلوا الملابس الفاخرة، وانتقلوا إلى مسألة
أخرى: هل ستحصل الليدي چيسيكاً على مقعد في
المجلس؟ تمكنت عالية من تأجيل التصويت.

فكرت في هذا وهي تحديق إلى الواعظ.

كانت الأفعال التي ارتكبت باسمها على العرش جانباً
مظلماً من ذلك التحول الذي أحدثوه في هذا الكوكب.
كان كثيب يرمز في الماضي إلى قوة الصحراء المطلقة.
تضاءلت هذه القوة مادياً، لكن أسطورتها نمت بسرعة. لم
تبق سوى الصحراء- المحيط، الصحراء الأم العظيمة

للكوكب الداخلي، محاطة بالشجيرات الشائكة، التي ما زال
الفرمن يسمونها ملكة الليل.

خلف الشجيرات الشائكة نبتت تلال خضراء ناعمة تنحني
صوب الرمال. كانت كل التلال من صنع الإنسان. وكل
تل منها زرعه رجال عملوا مثل الحشرات الزاحفة. كانت
خضرة تلك التلال طاغية وخانقة لمن نشأ، كما نشأت
عالية، في تقاليد الكثبان الرملية. في ذهنها، كما في ذهن
كل فرمني، كانت الصحراء -المحيط تسيطر على كثيب في
قبضة لا ترحم. كان يكفيها أن تغمض عينها لترى تلك
الصحراء.

رأت العيون المفتوحة على حافة الصحراء الآن التلال
الخضراء، وطحالب المستنقعات تمد أذرعها نحو الرمال -
لكن الصحراء الأخرى ظلت عصية وجافة كما كانت
دائماً.

هزت عالية رأسها، وحدقت في الواعظ.

كان قد صعد المجموعة الأولى من الدرج أمام المعبد،
واستدار ليووجه الساحة شبه الخالية. لمست عالية الزر
بجانب نافذتها والذي يضحخ الأصوات في الأسفل.
شعرت بموجة من الشفقة على الذات، ورأت نفسها عالقة
هنا وحيدة. من يمكنها أن تثق به؟ كانت تظن أن ستيلجار
ما زال جديراً بالثقة، لكن ستيلجار تأثر بذلك الرجل
الأعمى.

سألها ستيلجار: «هل تعرفين كيف يحسب؟ سمعته يعدّ العملات وهو يدفع أجرة مرشده. كان ذلك غريباً جداً على أذني الفرمنية، وهذا أمر مخيف. يعد: سُوك، إشكاي، كَمَسَا، شواسكو، پیتشا، سوتكا، إلى آخره. لم أسمع هذا النظام العددي منذ الأيام القديمة في الصحراء».

من هذا، علمت عالية أنه لا يمكن أن ترسل ستيلجار لإتمام المهمة المطلوبة. وكان عليها أن تكون حذرة مع حراسها الذين كانوا يأخذون أي تصديق من الوصية على العرش على أنه أمر واجب التنفيذ.

ماذا كان يفعل في الأسفل، هذا الواعظ؟

كانت السوق المحيطة تظهر وجهاً ملوناً تحت الشرفات المحمية والأروقة المنحنية: تَرَكَّت البضائع معروضة مع عدد قليل من الأولاد لحماية. بقي بعض التجار يقظين هناك وهم يحاولون شم رائحة أموال-الاسپايس من المناطق البعيدة- أو سماع صوت النقود في جيب حاج.

نظرت عالية إلى ظهر الواعظ. بدا كأنه يتحدث، لكن شيئاً ما كان يحجب صوته.

سألت نفسها: لماذا أقف هنا أتأمل هذا الجثمان العتيق؟ هذا الرفات البالي لا يمكن أن يكون «وعاء العظمة» الذي كان أخي يوماً ما.

أصابها إحباط ممزوج بغضب. كيف تستطيع أن تكشف حقيقة الواعظ، أن تتأكد منها دون أن تلفت انتباه أحد؟

كانت محاصرة. لم تجرؤ على إظهار أكثر من فضول عابر
تجاه هذا المهرطق.

شعرت إيرولان بذلك. فقدت اتزانها البني چيسيرتي
المعهود، وصرخت في المجلس: «لقد فقدنا القدرة على تقييم
أنفسنا!»

حتى ستيلجار أصيب بالصدمة.

أعادهم جافيد إلى رشدهم: «ليس لدينا وقت لمثل هذا
الهراء!»

كان جافيد على حق. ما الشيء المهم في طريقة
تفكيرهم في أنفسهم؟ كل ما يهمهم الاعتصام بالقوة
الإمبراطورية. لكن إيرولان، التي استعادت اتزانها،
كانت مفجوعة أكثر: «فقدنا شيئاً حيوياً؛ أقول لكم.
عندما فقدناه، فقدنا القدرة على اتخاذ قرارات حكيمة.
نحن نسقط في اتخاذ قرارات سيئة هذه الأيام بالطريقة
التي نسقط بها في مواجهة العدو - أو نتردد ونتردد، وهذا
أحد أشكال الاستسلام، وندع قرارات الآخرين تتحكم
فينا. هل نسينا أننا كنا من أطلق هذا التيار في البداية؟»

ثم عاد النقاش مرة أخرى إلى إن كان ينبغي لهم قبول
هدية من آل كورينو. قررت عالية أنها ستتخلص من
إيرولان.

ماذا كان ينتظر في الأسفل، هذا الرجل العجوز؟ أسمى
نفسه «الواعظ» فلماذا لا يعظ؟

قالت عالية لنفسها: كانت إيرولان مخطئة فيما يتعلق
باتخاذنا القرارات. لا يزال بإمكانني اتخاذ القرارات
المناسبة! على الشخص الذي يواجه قرارات تتعلق بالحياة
والموت أن يتخذ قرارات ولا يقع في حالة تذبذب. لطالما
قال پول إن الجمود هو أغرب الأشياء عن الطبيعة. نتطلب
الاستمرارية المرنة. التغيير هو كل شيء..

فكرت عالية: سأريهم التغيير!

رفع الواعظ ذراعيه في مباركة.

قلة ممن بقوا في الساحة اقتربوا منه، ولاحظت عالية ببطء
تلك الحركة. نعم، انتشرت الشائعات بأن الواعظ أغضب
عالية. انحنى بالقرب من مكبر الصوت الإيكسي بجانب
فتحة التجسس. أتاها مكبر الصوت بهمهمات الناس في
الساحة، وصوت الريح، واحتكاك الأقدام فوق الرمال.

قال الواعظ: «أحمل إليكم أربع رسائل!»

انطلق صوته من مكبر صوت عالية. خفضت درجة
الصوت.

قال الواعظ: «كل رسالة موجهة إلى شخص معين.
الرسالة الأولى إلى عالية، حاكمة هذا المكان». وأشار
وراءه نحو حفرة تجسسها. «أحمل إليها تحذيراً: أنت، يا من
احتفظت بسر طويل الأمد في لحمك، قد بعثت مستقبلك
مقابل محفظة فارغة!»

فكرت عالية: كيف يجرؤ. لكن كلماته جمدها.

قال الواعظ: «رسالتي الثانية إلى ستيلجار، النائب الفرمني، الذي يعتقد أنه يمكن أن يحول قوة القبائل إلى قوة الإمبراطورية. تحذيري لك يا ستيلجار: أخطر الاختراعات كافة ميثاق أخلاقي صارم. سوف ينقلب عليك ويدفعك إلى المنفى!»

فكرت عالية: لقد تمادى. عليّ أن أرسل الحراس للقبض عليه مهما كانت العواقب. لكن يديها بقيتا ملتصقتين بجانبها.

استدار الواعظ لمواجهة المعبد، وصعد درجة ثانية، ثم استدار مرة أخرى ليواجه الساحة، ويده اليسرى على كتف مرشده طوال الوقت. نادى الآن: «رسالتي الثالثة إلى الأميرة إيرولان. يا أميرة! الإهانة شيء لا يحى من الذاكرة. أنذرك بأن تهربي!»

سألت عالية نفسها: ماذا يقول؟ أهنا إيرولان، لكن... لماذا أنذرنا بأن تهرب؟ اتخذتُ قراري بالتخلص منها للتو فحسب! اجتاحتها خوف شديد. كيف عرف الواعظ؟

صرخ قائلاً: «رسالتي الرابعة إلى دانكن آيداهو. يا دانكن! تعلمت أن الولاء يولد الولاء. أوه، يا دانكن، لا تثق بالتاريخ، فالتاريخ يكتبه من يملك السلطة والمال. دانكن! انتبه، وافعل ما تجيد فعله.»

عضت عالية على ظهر يدها اليمنى. انتبه! أرادت أن تمد

يدها وتضغط على الزر الذي سيستدعي الحراس، لكن يدها رفضت الحركة.

قال الواعظ: «الآن سأخطب لكم. هذه خطبة الصحراء. أوجهها إلى آذان كهنوت المؤدّب، الذين يمارسون مسكونية السيف. أوه، أيها المؤمنون بالقدر المكشوف! ألا تعلمون أن القدر المكشوف له جانبه الشيطاني؟»

تزعمون أنكم ممجدون لمجرد أنكم عاصرتم جيل المؤدّب المبارك. أقول لكم إنكم ختمت المؤدّب. حلتّ القداسة محل الحب في دينكم! أنتم تنشدون انتقام الصحراء!»

خفض الواعظ رأسه كأنه يصلي.

ارتجفت عالية من شدة الوعي. بحق الآلهة! هذا الصوت! تشقق بفعل سنين قضاها في الرمال الحارقة، لكنه يمكن أن يكون بقايا صوت پول.

رفع الواعظ رأسه مرة أخرى. تردد صدى صوته فوق الساحة حيث تزايد عدد الناس الذين انجذبوا إلى هذا المنظر الغريب منذ زمن طويل.

صرخ الواعظ: «هكذا هو مكتوب. الذين يتوسلون من أجل الندى على حافة الصحراء سي جلبون الطوفان! لن ينجوا من مصيرهم بالاستعانة بقوى العقل! المنطق يُستمد من الكبرياء بأن الإنسان قد لا يعرف بهذه الطريقة متى يرتكب الشر». خفض صوته. «قيل عن المؤدّب إنه مات

بسبب الاستبصار، وإن معرفة المستقبل أهلكته، وإنه انتقل من عالم الواقع إلى عالم المثال. أقول لكم إن هذا وهم مايا. مثل هذه الأفكار ليس لها وجود مستقل. لا تستطيع الخروج منك والقيام بأشياء حقيقية. قال المؤدب عن نفسه إنه لا يمتلك سحراً ريحانياً يمكنه استخدامه في تغيير العالم. لا تشككوا فيه».

رفع الواعظ ذراعيه مرة أخرى. تكلم بصوت مدوّ: «احذروا كهنة المؤدب! النار فوق الجرف ستحرقكم! الذين يتعلمون درس خداع ذواتهم، سيبادون به. لا يمكنك محو دم أخيك ونسيانه!»

أنزل ذراعيه، وأخذ مرشده الشاب، وشرع يغادر الساحة قبل أن تستطيع عالية التخلّص من الشلل الرعّاش الذي أصابها. يا لها من هرطقة شجاعة! لا بد أنه پول. عليها تحذير حراسها. لم يجرؤوا على التصدي لهذا الواعظ علناً. أثبت الدليل الواضح في الساحة في الأسفل ذلك.

رغم الهرطقة، لم يُحرك أحد ساكناً لإيقاف الواعظ المغادر. لم يندفع أي من حراس المعبد لملاحقته. لم يحاول أي من الحجاج إيقافه. ذلك الرجل الأعمى بشخصيته الجذّابة! شعر كل من رآه أو سمعه بقوته، انعكاساً لملكوت إلهي.

رغم قيظ النهار، شعرت عالية بالبرودة فجأة. شعرت بالحافة الرفيعة لسيطرتها على الإمبراطورية كأنها شيء

مادي. تشبث بحافة نافذة فتحة التجسس كأنها تشبث بقوتها، وهي تفكر في ضعفها. حافظ توازن مجلس اللاندراد، وتشوم، وأذرع الفرمن على جوهر القوة، فيما عملت نقابة الفضاء والبنّي چيسيريت بهدوء في الخفاء. زحزح التطور التكنولوجي الممنوع الذي جاء من أقاصي الهجرات البشرية القوة المركزية. لم تخفف المنتجات المسموح بها من مصانع الإيكسين والتليلاكسو الضغط. ولطالما وقف في الزاوية فارادين من آل كورينو، وريث ألقاب ومزاعم شادام الرابع في السلطة.

من دون الفرمن، من دون احتكار آل آترديز الاسپايس المقاوم للشيخوخة، ستضعف قبضتها. ستتلاشى كل سلطتها. كانت تشعر بأنها تفقدها بالفعل. كان الناس يستجيبون لهذا الواعظ. سيكون من الخطر إسكاته. وكذلك سيكون خطراً السماح له بالاستمرار في الوعظ بمثل هذه الكلمات التي صدح بها في ساحتها اليوم. كانت ترى أولى علامات هزيمتها. تبلور نمط المشكلة في ذهنها. وضحت البني چيسيريت المشكلة:

«إخضاع ثلثة من الأقوياء عدداً كبيراً من السكان هو حالة شائعة في عالمنا. ونحن نعرف الظروف الرئيسة التي قد يترد فيها هذا العدد الكبير على حكامه.

الظرف الأول: عندما يجدون قائداً. هذا هو التهديد الأخطر على الأقوياء. لذا يجب أن يُحكّموا سيطرتهم على القادة المحتملين.

الظرف الثاني: عندما يدرك الناس أغلالهم. اجعل الناس عمياناً، ومطيعين غير مرتابين.

الظرف الثالث: عندما يرى الناس أملاً في الفرار من أغلالهم. يجب ألا يصدقوا أبداً أن الفرار ممكن.»

هزت عالية رأسها، وشعرت بخديها يرفجان بقوة الحركة. كانت الإشارات موجودة هنا بين شعبها. كل تقرير تلقته من جواسيسها في جميع أنحاء الإمبراطورية عزز معرفتها المؤكدة. تركت الحرب المتواصلة لجهاد الفِرم من آثارها في كل مكان. أينما وصلت «مسكونية السيف»، احتفظ الناس بموقف السكان المهزومين: متحفظين، متكتمين، مراوغين. كل مظاهر السلطة -السلطة الدينية بالأساس- أصبحت عرضة للاستياء. أوه، ما زال الحجاج يأتون في حشودٍ بالملايين، وربما كان بعضهم متدينين. لكن في الغالب، كان للحج دوافع أخرى غير التقوى. كثيراً ما كان ضمانه حاذقة للمستقبل. شدد على الطاعة واكتسب شكلاً حقيقياً من السلطة يمكن تحويله بسهولة إلى ثروة. عاد الحاج من أراكس بسلطة جديدة، مكانة اجتماعية جديدة. أصبح الحاج قادراً على اتخاذ قرارات اقتصادية مربحة تتحدى قيود كوكبه.

عرفت عالية اللغز الشائع: «ماذا ترى داخل محفظة فارغة أنتك من الكثيب؟» والإجابة: «عينا المؤدب (الماسات نارية)».

تبادرت إلى ذهن عالية الطرائق التقليدية لمواجهة الاضطرابات المتزايدة في وعيها: يجب تعليم الناس أن المعارضة تُعاقب دائماً، وأن التعاون يُكافأ دائماً. يجب تغيير تشكيلات القوات الإمبراطورية عشوائياً من حين إلى آخر، ويجب إخفاء الملحقات الرئيسة للسلطة الإمبراطورية. كل حركة تقوم بها الوصية على العرش لصد هجوم محتمل، تتطلب توقيتاً دقيقاً لإرباك الخصم.

تساءلت: هل فقدت إحساسي بالتوقيت؟

سأل صوت بداخلها: «أي تخمين فارغ هذا؟» شعرت بالهدوء قليلاً. نعم، خطة البارون جيدة. سنتخلص من تهديد الليدي چيسيك، وفي نفس الوقت نلقي الشبهة على آل كورينو. نعم.

يمكن التعامل مع الواعظ فيما بعد. فهمت أسلوبه. كانت الرمزية واضحة. كان الروح القديمة للتكهنات الجامحة، روح الهرطقة حية وعاملة في صحرائها المتمسكة بالتقاليد. كانت تلك قوته. لا يهم إن كان پول ... طالما يمكن أن يظل ذلك محل شك. لكن معرفتها البني چيسيرتية أخبرتها أن قوته ستحتوي على مفتاح ضعفه.

للواعظ نقطة ضعف سنجدها. سأجعلهم يتجسسون عليه ويراقبونه كل لحظة. وإن أتيت الفرصة، فسنشوه سمعته.

لن أتجادل بشأن مزاعم الفرمن بأنهم يتلقون الإلهام لتبليغ رسالة سماوية. إن مزاعمهم حول الوحي الأيديولوجي هي ما دفعني للاستهزاء بهم. وهم، بطبيعة الحال، يختلفون هذه الادعاءات المتناقضة آملين في أن تشد من أزرهم وتمكنهم من الثبات في عالم يزداد فيه استبدادهم يوماً بعد يوم. باسم كل أولئك المضطهدين، ضحايا هذا الاستبداد، أحذّر الفرمن: السياسات النفعية قصيرة المدى تفشل دائماً على المدى الطويل.

- الواعظ في أراكين.

في الليل، تسلق ليتو مع ستيلجار إلى الحافة الضيقة التي تقع على قمة الصخرة المنبسطة التي سماها سييتش تبر الخادم. ومن هناك، تأملا المنظر البانورامي البديع تحت ضوء القمر الثاني الخافت - الجدار الحامي الذي يحمي جبل آيداهو في الشمال، والسهول الواسعة في الجنوب، والكثبان الرملية التي تتدرج شرقاً نحو سلسلة جبال حبانية. غطى الغبار الأفق الجنوبي، ولمع ضوء القمر على حافة الجدار الحامي.

لم يكن ستيلجار راضياً عن هذه المغامرة السرية، لكنه انجذب إليها بسبب فضوله تجاه ليتو. ما الذي دفعه إلى المخاطرة بالسير على الرمال ليلاً؟ كان ليتو قد توعد بالذهاب بمفرده إذا رفض ستيلجار مرافقته. ولكن هذا الأمر أثار استياء ستيلجار. فهما هدفان سهلان في الظلام!

جلس ليتو القرفصاء على الحافة الجنوبية المطلة على السهول. من حين إلى آخر، كان ينفذ ركبته بضجر. انتظر ستيلجار. أجاد الانتظار الصامت، ووقف على بعد خطوتين من ليتو، متقاطع الذراعين، ورداؤه يتمايل بخفة في نسيم الليل.

بالنسبة إلى ليتو، كان السير على الرمال رداً على اليأس الذي يملأ قلبه، رغبة في إيجاد نظام جديد لحياته في صراع صامتٍ لم تعد غنيمة قادرة على المخاطرة به. وكان ستيلجار قد وافق على المشاركة في الرحلة لأنه كان يريد أن يعرف بعض الأشياء التي ستلزمه في الأيام القادمة.

نفذ ليتو ركبته مرة أخرى. كان من الصعب معرفة من أين يبدأ! أحياناً، كان يشعر كأنه مجرد امتداد لتلك الأرواح اللامتناهية التي تسكنه، كلها حقيقية وملحة مثل حياته. وفي تدفق تلك الأرواح لم يكن هناك نهاية أو إنجاز - فقط بداية أزلية.

كانت تلك الأرواح يمكن أن تصبح غوغاء أيضاً، تصرخ في وجهه كأنه نافذة ترغب كل روح منها في النظر من خلالها، وهناك يكمن الخطر الذي أهلك عالية.

نظر ليتو إلى ضوء القمر الذي ينير بقايا العاصفة باللون الفضي. رأى الكثبان الرملية تمتد على السهول: حبيبات السيليكا التي حملتها الرياح متشكلة في موجات - رمال ناعمة، ورمال حبيبية، وحصى. شعر بأنه محاصر في لحظة

متوازنة ما قبل الفجر. ضاق به الزمن. كان الآن شهر
عقاد*، وخلفه كانت بقايا مدة من انتظار مضجرج: أيام
طويلة حارة، ورياح جافة حارة، وليال مثل هذه الليلة
المؤلمة بنسمات الرياح ونفخات لا تنتهي من أرض القفار
الحارقة. التفت من فوق كتفه نحو الجدار الحامي، خط
منكسر في ضوء النجوم. خلف ذلك الجدار في الحوض
الشمالي مكنُ مشكلاته.

نظر إلى الصحراء مرة أخرى. وبينما كان يحدق في
الظلام الساخن، تجلت بواكير فجر النهار، الشمس تشرق
وسط السحب الترايية وتضفي لمسة من الأصفر المخضر
على خطوط العاصفة الحمراء. أغمض عينيه، متمنياً أن يرى
كيف سيكون هذا اليوم من أراكين، والمدينة تنبثق في
وعيه، محاصرة مثل صناديق متناثرة بين الضوء والظلال
الجديدة. صحراء ... صناديق ... صحراء ... صناديق ...

فتح عينيه على الصحراء: مساحة بنية مصفرة مغطاة
بالرمال التي حملتها الرياح. امتدت الظلال السوداء على
طول قاعدة كل كتيب رملي مثلها فعلت أشعة الليل التي
تلاشت قبل قليل. ربطت زمنين مختلفين. تذكر الليل، وهو
يجلس متربعاً هنا مع ستيلجار المضطرب إلى جانبه، الرجل
الأكبر سنًا قلق من الصمت، والأسباب غير المقنعة
للقدوم إلى هذا المكان. لا شك أن لستيلجار ذكريات
كثيرة عن عبوره هذا الدرب مع معلمه المؤدّب. وحتى
الآن كان ستيلجار يتحرك، يمسح بعينه أرجاء المكان،

متيقظًا للخطر. لم يكن ستيلجار يحب الوجود في العراء في
وضوح النهار. كان فرمنياً عتيقاً، نقياً في ذلك المسلك.

كان عقل ليتو متردداً في مغادرة الليل والجهود البسيطة
التي بذلها للسير على الرمال. في لحظة، هنا بين الصخور،
رحل الليل بسكونه الأسود. شعر ليتو بالتعاطف مع
مخاوف ستيلجار من ضوء النهار. كان الأسود شيئاً واحداً
حتى إن كان مليئاً بالرعب. أما الضوء فيمكن أن يكون
أشياء كثيرة. أخفى الليل رائحة الخوف، وأشياءه التي تأتي
دائماً بأصوات فحيح تفضح وجودها. تفرقت الأبعاد في
الليل، كل شيء متضخم - الأشواك أكثر حدة، والأنصال
أكثر تمزيقاً. لكن رعب النهار يمكن أن يكون أشد.

تنحج ستيلجار.

تكلم ليتو دون أن يلتفت: «لدي مشكلة خطيرة يا
ستيل».

«هذا ما ظننته». جاء الصوت بجانب ليتو منخفضاً
وحذراً. بدا الطفل شبيهاً بأبيه بشكل مقلق. كان شيئاً
من السحر الممنوع الذي لامس وترّاً من الاشمزاز داخل
ستيلجار. عرف الفرمن أهوال المس. من وجد ممسوساً،
كان القتل عقابه المستحق، وسُكبت مياهه فوق الرمال
خشية أن تلوث الخزان القبلي. يجب أن يبقى الموتى موتى.
لكن لم يكن للأطفال الحق في تقمص شكل دقيق جداً
من ماضيهم.

قال ليتو: «مشكلتي أن والدي لم يُنهِ أشياء كثيرة. خاصة محور حياتنا. لا تستطيع الإمبراطورية أن تمضي في هذا الطريق، يا ستيل، دون محور مناسب لحياة البشر. أنا أتحدث عن الحياة، هل تفهم؟ الحياة لا الموت».

قال ستيلجار: «ذات مرة، عندما كان مضطرباً من رؤية، أخبرني والدك عن الموضوع ذاته».

شعر ليتو برغبة في تهدئة هذا الخوف المتسائل بجانبه برد لطيف، ربما اقترح بأن يكسرا صيامهما. أدرك أنه كان جائعاً جداً. أكلا في ظهيرة اليوم السابق، وأصر ليتو على الصيام طوال الليل. لكن جوعاً آخر استولى عليه الآن.

فكر ليتو: مشكلتي مع حياتي هي مشكلتي مع هذا المكان. لا خالق تمهيدي. أنا فقط أعود وأعود، وأعود حتى نتلاشى المسافات. لا أستطيع رؤية الأفق. لا أستطيع رؤية عرق حبانية. لا أستطيع الوصول إلى مكان الاختبار الأول. قال: «لا يوجد بديل حقاً للاستبصار. ربما يجب أن أخطر بالاسپايس...»

قال ستيلجار: «وتهلك كما هلك والدك؟».

قال ليتو: «هذه معضلة».

ستيلجار: «ذات مرة أسرّ إليّ أبوك أن معرفة المستقبل جيداً تعني أن تُحاصر داخل ذلك المستقبل إلى درجة إقصاء أي حرية للتغيير».

قال ليتو: «ذلك التناقض هو مشكلتنا. الاستبصار شيء خفي وقوي. المستقبل يصبح الحاضر. الإبصار في أرض العميان يحمل مخاطره الخاصة. إن حاولت تفسير ما تراه للمكفوفين، تنسى أن المكفوفين يمتلكون حركة غريزية، محدودة بعماهم. إنهم مثل آلة وحشية تتحرك في مسارها الخاص. لديهم زخمهم الخاص، هوسهم الشخصي. أخشى العميان يا ستيل. أخافهم. يمكنهم بسهولة سحق أي شيء في طريقهم».

حدق ستيلجار في الصحراء. تحول الفجر الأخضر الفاتح إلى نهار رمادي. قال: «لماذا جئنا إلى هذا المكان؟»

«لأنني أردت أن ترى المكان الذي قد أموتُ فيه».

انتفض ستيلجار، ثم قال: «إذن رأيت رؤية!»

«ربما كان مجرد حلم».

حدق ستيلجار إلى ليتو: «لماذا نخاطر بالقدوم إلى مثل هذا المكان الخطير؟ لنعد فوراً».

«لن أموت اليوم، يا ستيل».

«حسناً؟ ماذا كانت هذه الرؤية؟»

قال ليتو: «رأيت ثلاثة مسارات. خرج صوته بنبرة ذكرى خافتة. «أحد هذه الاحتمالات المستقبلية يتطلب مني قتل جدتي».

نظر ستيلجار إلى سييتش تبر بعينين حادتين كأنه يخشى

قدرة الليدي چيسيكاً على سماعهما عبر تلك المسافة
الرملية... «لماذا؟»

«لمنع خسارة احتكار الاسپايس».

«لا أفهم».

«ولا أنا. لكن هذه الفكرة التي تسيطر عليّ في حلبي
عندما أستخدم السكين».

«أوه». فهم ستيلجار الغرض من استخدام سكين.
تنفس بعمق.. «ما المسار الثاني؟»

«تزوج أنا وغنيمة لإنهاء سلالة آتريديز».

«جاء!!!» زفر ستيلجار أنفاسه بتعبير مستنكر عنيف.

قال ليتو: «كان هذا شائعاً في العصور القديمة بين الملوك
والملكات. قررت أنا وغنيمة ألا نتجب».

«أنصحك بأن تتراجع عن هذا القرار!» كان في صوت
ستيلجار رائحة موت. بموجب قانون الفرمن، عقاب
سفاح القربى الإعدام شققاً. تنح. «والمسار الثالث؟»

«أنا مُطالب بخفض أبي إلى منزلة البشر».

تمم ستيلجار: «كان المؤدب صديقي».

«كان إلهك! يجب أن أجرده من ألوهيته».

أدار ستيلجار ظهره إلى الصحراء، وهدق في واحة
سييتش تبر الغالية. كان هذا الكلام يزججه دوماً.

شعر ليتو برائحة العرق التي تنبعث من حركة ستيلجار. شدّه إغراء تجنّب الأشياء المهمة التي يجب أن يقوها هنا. يمكنهما قضاء نصف النهار في الحديث، متنقلين من الكلام المحدد إلى الكلام المجرد كأنما يتقهقران بوعي بعيداً عن القرارات الحقيقية، عن الأولويات الملحة التي تواجههما. صحيح أن آل كورينو شكلوا تهديداً حقيقياً لحياة واقعية - حياته وحياة غنيمة. لكن كل ما سيفعله الآن يجب أن يقاس ويُختبر في مواجهة الضروريات الخفية. صوت ستيلجار سابقاً لصالح اغتيال فارادين، متمسكاً بالتطبيق الخفي للشاومركي: سم يُدس في الشراب. كان معروفاً أن فارادين مولع بمشروبات كحولية حلوة معينة. لم يُوافق على ذلك.

قال ليتو: «لومت هنا يا ستيل، يجب أن تحذر من عالية. لم تعد حليفتك».

«ما هذا الكلام عن الموت وعمتك؟» في تلك اللحظة كان ستيلجار غاضباً حقاً. قتل الليدي چيسيكاً! الحذر من عالية! الموت في هذا المكان!

قال ليتو: «الرجال الصغار يغيرون مواقفهم بأمر منها. لا يجب أن يكون الحاكم نبياً يا ستيل. ولا حتى شبيهاً بالإله. كل ما يحتاج إليه الحاكم أن يكون مدرّكاً. أتيت بك معي إلى هنا لتوضيح ما نتطلبه إمبراطوريتنا. نتطلب حكومة جيدة. هذا لا يعتمد على القوانين أو السوابق، بل على

الصفات الشخصية لمن يحكم».

قال ستيلجار: «الوصية على العرش نتقن واجباتها الإمبراطورية بشكل جيد جدًا. عندما تبلغ سن الرشد...»
«أنا في سن الرشد! أنا أكبر شخص عمراً هنا! أنت طفل رضيع يبكي مقارنة بي. أستطيع أن أتذكر أزمنا مضت ترجع إلى أكثر من خمسين قرناً. هاه! يمكنني حتى تذكر عندما كنا نحن الفرمن على ثيرجروود».

سأل ستيلجار، لهجته حاسمة: «لماذا تعبت بمثل هذه الأوهام؟»

أوما ليتو لنفسه. لماذا حقاً؟ لماذا يسرد ذكرياته عن تلك العصور السالفة؟ كانت مشكلة الفرمن اليوم مشكلته الملحة، معظمهم ما زالوا مجرد متوحشين نصف مروضين، ومعرضين للسخرية من براءتهم المؤسفة.

قال ليتو: «تذوب السكين العاجية عند وفاة مالكيها. المؤدب ذاب. لماذا لا يزال الفرمن أحياء؟»

كان أحد تلك التغييرات المفاجئة في الأفكار التي أربكت ستيلجار. شعر بالحيرة للحظات. كان لتلك الكلمات معانٍ، لكن مغزاها استعصى عليه.

قال ليتو: «يفترض أن أكون إمبراطوراً، لكن يجب أن أكون الخادم». نظر من فوق كتفه إلى ستيلجار. «أضاف جدي الذي سُميت باسمه كلمات جديدة إلى شعار

النبالة عندما جاء إلى كثيب: (ها أنا ذا هنا، وقد أتيت لأبقى!)».

قال ستيلجار: «لم يكن لديه خيار».

«حسناً يا ستيل. وليس لدي خيار أيضاً. يجب أن أكون الإمبراطور بالوراثة، بفضل قدرتي على الاستيعاب، بفضل كل ما تغلغل بداخلي. أعرف حتى ما تتطلبه الإمبراطورية: حكماً رشيداً».

قال ستيلجار: «للنائب معنى قديم. هو «خادم السيتش»».

قال ليتو: «أتذكر تدريبك يا ستيل. من أجل الحكم الرشيد، يجب أن يكون للقبيلة طرائق لاختيار الرجال الذين تنعكس حياتهم على الطريقة التي يجب أن تتصرف بها الحكومة».

قال ستيلجار من أعماق روحه الفرمنية: «سوف ترتدي عباءة الإمبراطورية إن أحببت. لكن أولاً، يجب أن تثبت أنك تستطيع التصرف بأسلوب حاكم».

ضحك ليتو فجأة، ثم قال: «هل تشكك في ولائي يا ستيل؟»

«بالطبع لا».

«حقى الوراثة بالعرش؟»

«لا يمكن تغيير من تكون».

«وإن فعلت ما هو مطلوب مني، فهذا مقياس ولائي»

«ذلك نهج الفرمن».

«إذن لا أستطيع أن أمتلك أي مشاعر داخلية لتوجيه

سلوكي؟»

«أنا لا أفهم...».

«إن كنت أتصرف دائماً وفق القواعد بغض النظر عن

تكلفة كبح رغباتي الشخصية، فذلك هو المقياس الذي

يُطبَّق عليّ».

«هذا جوهر ضبط النفس، أيها الشاب».

«الشاب!» هز ليتو رأسه. «آه، يا ستيل، أنت تمنحني

مفتاح مبدأ عقلائي للحكم. يجب أن أكون منضبطاً، وأن

يكون لكل فعل يبدر مني جذور في تقاليد الماضي».

«هذا صحيح».

«لكن ماضيّ أعمق من ماضيك».

«ما الفرق -»

«لست فرداً أحاديّاً، يا ستيل. أنا حشد من الأشخاص

مع ذكريات تقاليد أقدم بكثير مما تتخيل. هذا عبئي يا

ستيل. يوجّهني الماضي. أمتلك معرفة غريزية تعارض

الحدائثة والتغير. ومع ذلك غير المؤدّب كل هذا». أشار

إلى الصحراء، ذراعاه تحيطان الجدار الحامي وراءه.

التفت ستيلجار وحقق في الجدار الحامي. بنيت قرية تحت الجدار منذ زمن المؤدب، منازل لإيواء فريق من علماء البيئة الكوكبية ساعدوا في نشر الحياة النباتية في الصحراء. تأمل ستيلجار التغيير البشري في المناظر الطبيعية. تغيير؟ نعم كان هناك امتداد للقرية، حقيقة أهانته. وقف صامتاً متجاهلاً حكة حبيبات الرمل تحت بذلة تقطيره. كانت تلك القرية إهانة لما كان عليه هذا الكوكب قديماً. فجأة تمنى ستيلجار أن يهاجم إعصار رملي الكثبان الرملية ويبيد هذا المكان. تركه هذا الإحساس مضطرباً.

قال ليتو: «هل لاحظت يا ستيل أن بذلات التقطير الجديدة رديئة الصنع؟ نهدر كثيراً من الماء».

كبح ستيلجار نفسه عن السؤال: ألم أقل ذلك؟ وبدلاً من ذلك قال: «شعبنا يزداد اعتماداً على الأقراص».

أوماً ليتو برأسه. غيرت الأقراص درجة حرارة الجسم، وقللت من فقدان الماء. كانت أرخص وأسهل من بذلات التقطير. لكنها أثقلت المستخدم بأعباء أخرى، من بينها ببطء في رد الفعل، وضبابية في الرؤية أحياناً.

سأل ستيلجار: «هل هذا سبب خروجنا إلى هنا؟ لتحدث عن صناعة بذلات التقطير؟»

ليتو: «ولم لا؟ بما أنك تتجنب مواجهة ما يجب أن نتحدث عنه».

«لماذا عليّ الحذر من عمّتك؟» ارتفع صوته بالغضب.
«لأنها تستغل رغبة الفِرم من القديمة في مقاومة التغيير،
لكنها ستأتي بتغيير أشد مما نتوقع».

«تستنج الكثير من القليل. عمّتك فرمنية حقيقية».

«آه، إذن، يلتزم الفِرمي الحقيقي أساليب الماضي، ولدي
ماضٍ عريق. ومع ذلك يا ستيل، إن سمحت لهذه بسيطرة
تلك الغريزة، فسوف أطالب بمجتمع منغلق يعتمد تماماً على
أساليب الماضي المقدسة. سأقيد الهجرة، مبرراً أنها تعزز
الأفكار الجديدة، والأفكار الجديدة تهدد بنية الحياة كلها.
كل مدينة كوكبية صغيرة ستمضي في طريقها الخاص،
لتصبح ما تريد. وأخيراً ستنهار الإمبراطورية تحت وطأة
خلافاتها».

حاول ستيلجار ابتلاع ريقه الجاف. كانت هذه الكلمات
تشبه ما كان يقوله المؤدّب. كان في تلك الكلمات شيء
منه. كانت مفارقة مخيفة. لكن إذا سمح أحد بأي تغيير..
هز رأسه.

«قد يُرشدك الماضي إلى السلوك الصحيح لو كنت تعيش
في الماضي، يا ستيل، لكن الظروف تتغير».

لم يكن لدى ستيلجار خيار إلا الاعتراف بأن الظروف
قد تغيرت. فكيف يتصرف المرء إذن؟ نظر إلى ما وراء
ليتو، ورأى الصحراء - ولم يرها. كان المؤدّب يمشي هناك.
كانت الفلاة مكاناً لظلال ذهبية وهي تتلألأ مع صعود

الشمس في الأفق، ظلال أرجوانية، ومنحدرات رملية تلبد بالغبار. كان ضباب الغبار الذي كان يتدلى عادة فوق قمم جبال حبانية واضحاً من بعيد الآن، والصحراء بينها تظهر لعينيه مع كثبان رملية تتناقص، منحني داخل آخر. من خلال وميض الحرارة الدخاني، رأى النباتات الزاحفة من حافة الصحراء. جعل المؤدب الحياة تزهر في ذلك المكان المقفر. زهور برونزية وذهبية وحمراء، زهور صفراء، وأوراق رمادية خضراء وحميرية وبنية محمرة، أشواك وظلال حادة تحت الشجيرات. حركة حرارة النهار جعلت الظلال تهتز، تتموج في الهواء..

قال ستيلجار: «أنا مجرد قائد فرماني، وأنت ابن دوق».

قال ليتو: «دون أن تدري ما تقوله، فقد قلته».

عبس ستيلجار. ذات مرة، منذ زمن بعيد، وبخه المؤدب بنفس الكلمات.

سأل ليتو: «هل نتذكر يا ستيل؟ كما تحت قمة حبانية، وقائد الساردوكار - تذكره؟ النقيب أرامشام؟ قتل صديقه لينجو بنفسه. وقد حذرت مراراً في ذلك اليوم من الحفاظ على حياة جنود الساردوكار الذين رأوا طرائقنا السرية. وفي النهاية قلت إنهم لن يخفوا ما رأوه؛ لذا يجب قتلهم. فقال والدي: «دون أن تدري ما تقوله، فقد قلته».

أوجعك هذا. قلت له إنك مجرد قائد فرماني بسيط. يجب أن يعرف الدوق أموراً أهم».

حذق ستيلجار في ليتو. كنا تحت قمة جبانية! كنا! ... هذا
الطفل، الذي لم تحمله تشاني بعد حتى ذلك اليوم، كان
يعرف ما حدث بالتفصيل الدقيق، نوعية التفاصيل التي
لا يمكن أن يعرفها إلا مَنْ كان حاضراً هناك. كان هذا
دليلاً آخر على أن هذين الطفلين لا يمكن الحكم عليهما
بالمعايير العادية.

قال ليتو: «الآن سوف تستمع إلي. إن مت أو اختفيت
في الصحراء، فعليك أن تهرب من سييتش تبر. أنا أمرك
بذلك. عليك أن تأخذ غنيمة و-».

«أنت لست دوقي بعد! أنت ... طفل!»

قال ليتو: «أنا بالغ في جسد طفل». وأشار إلى صدع
ضيق في الصخور تحتهما. «إن مت، فسيكون هناك.
سترى الدم. ستعرف حينها. خذ أختي و-».

قال ستيلجار: «سأزيد من حراسك. لن تخرج إلى هنا
مرة أخرى. سنغادر الآن وأنت...».

«ستيل! لا يمكنك إيقافي. تذكر ذلك الوقت في قمة
جبانية، هل تذكر؟ كانت زحافة مصنع الاسپايس هناك
على الرمال وكانت دودة صانعة عملاقة قادمة. لم يكن
هناك طريقة لإنقاذ الزحافة من الدودة. وكان والدي
حزيناً لأنه لم يستطع إنقاذ تلك الزحافة، لكن جبرني لم
يكن يفكر إلا في الرجال الذين فقدهم في الرمال. هل تذكر
ما قاله لأبي؟ لقد قال (كان أبوك سيهتم أكثر بالرجال

الذين لم يستطع إنقاذهم). أوكل إليك يا ستيل مسؤولية إنقاذ الناس. هذا أهم من أي شيء. وغنيمة أغلاهم على الإطلاق لأنها، في غيابي، الأمل الوحيد لآل آترديدز».

قال ستيلجار: «لن أستمع إلى مزيد من هذا». استدار، وبدأ يتسلق الصخور باتجاه الواحة عبر الرمال. سمع ليتو يتبعه. ثم تخطاه وقال وهو ينظر إلى الوراء بسرعة: «هل لاحظت يا ستيل، ما أجمل الشابات هذا العام؟»

حياة الإنسان الفرد، كما حياة الأسرة أو الشعب كله، تظل على شكل ذاكرة. يجب أن ينظر شعبي إلى هذا على أنه جزء من عملية نضجهم. هم بشر في هيئة كيان واحد منظم، وفي هذه الذاكرة الجمعية المستمرة، يختزنون مزيداً ومزيداً من الخبرات في خزان اللا وعي. تأمل البشرية في الاستفادة من هذه الخبرات عند الحاجة في عالم يتغير باستمرار. ولكن الكثير مما يُخزّن يمكن أن يضيع بسبب أحداث غير متوقعة، ولذا قد لا يندمج كثير منها في العلاقات التطورية، وبالتالي قد لا تخضع للتقييم أو التنشيط بواسطة تلك التغييرات البيئية المستمرة التي تؤثر في الجسد. يمكن أن تُنسى السلالات! وهذه هي الخاصية الفريدة للكويزاتس هاديراك التي لم تشك فيها البني چيسيريت: الكويزاتس هاديراك لا ينسى أبداً.

- كتاب ليتو (عن خرق العادة)

لم يكن ستيلجار يدرك ذلك، لكنه شعر بانزعاج شديد من ملاحظة ليتو الأخيرة العابرة. طارده طوال طريق العودة فوق الرمال إلى سييتش تبر، وأخذت الأولوية على كل ما قاله ليتو هناك عند صحرة الخادم.

فعلاً، كانت شبابت أراكس جميلات هذا العام. والشبان أيضاً. كانت وجوههم تنير بهدوء بفضل الوفرة المائية. كانت أعينهم تنظر إلى الأفق وما وراءه. كانوا يظهرون ملامحهم في أغلب الأوقات دون أي تصنع بارتداء أقنعة بذلة التقطير، والأنابيب الملتوية للترشيح. في

كثير من الأحيان لم يرددوا حتى بذلات التقطير في العراء،
مفضلين الملابس الجديدة التي، في أثناء حركتهم، تلمح إلى
الأجساد الشابة الرشيقة تحتهما.

برز هذا الجمال البشري في مقابل البهاء الجديد للمناظر
الطبيعية. بخلاف أراكس القديمة، يمكن أن تدهش
العين بمشاهدة مجموعة صغيرة من الأغصان الخضراء التي
تنبت بين الصخور البنية المحمرة، وكانت مساكن السييتش
القديمة الخاضعة لثقافة المدينة الكبيرة-الكهوف، المجهزة
بأقفال متقنة ومصائد رطوبة عند كل مدخل، تترك مكاناً
لقرى مفتوحة مبنية في كثير من الأحيان من الطوب
الطيني. الطوب الطيني!

تساءل ستيلجار: لماذا تريد تدمير القرية؟ تعثر وهو يمشي.

كان يعرف أنه من سلالة محتضرة. شفق شيوخ الفرمن
في دهشة من معجزة كوكبهم - الماء يُهدر في الهواء لمجرد
قدرته على صنع طوب البناء. المياه المستهلكة في بناء
مسكن أسرة واحدة يمكن أن تبقى سييتش كامل على
قيد الحياة مدة عام. المباني الجديدة مجهزة بنوافذ شفافة
لتدع حرارة الشمس تدخل وتجفف الأجساد بداخلها.
تُفتح هذه النوافذ إلى الخارج. يمكن للفرمن الجدد داخل
منازلهم الطينية أن ينظروا إلى المناظر الطبيعية. لم يعودوا
محاصرين ومكدسين داخل سييتش. أينما تنتقل الرؤية
الجديدة للكوكب، ينتقل الخيال معها. يمكن أن يشعر
ستيلجار بهذا. أدخلت الرؤية الجديدة الفرمن إلى حظيرة

الكون الإمبراطوري، وهياتهم للفضاء اللا محدودة.

في الماضي كانوا مقيدين بأراكس الفقيرة بالمياه بسبب استبداد ضروريات الكوكب القاسية عليهم، ولم يشاركوا الانفتاح الذي ساعد السكان في معظم كواكب الإمبراطورية على التأقلم.

يمكن أن يرى ستيلجار التغيرات تتعارض مع شكوكه ومخاوفه. في الأزمنة الغابرة، كان نادراً ما يفكر فرمني حتى في إمكانية مغادرة أراكس لبدأ حياة جديدة على أحد الكواكب الغنية بالمياه. لم يُسمح لهم حتى بحلم الفرار.

راقب ستيلجار ليتو في طريق العودة والفتى يسير أمامه. تحدث ليتو عن منع الانتقال والهجرة إلى كواكب أخرى. حسناً، كان هذا دائماً حقيقة واقعة بالنسبة إلى معظم الأجانب. عندما كان الحلم مسموحاً به كصمام أمان. لكن عبودية الكواكب بلغت ذروتها هنا على أراكس. كان الفرمن قد انعزلوا، محصنين في أذهانهم كما كانوا محصنين في مساكن كهوفهم.

معنى السيتش الدقيق - ملجأ في أوقات الشدة - حُرِّف هنا وتحول إلى حصار وحشي لشعب بكامله.

قال ليتو الحقيقة: غير المؤدب كل ذلك.

شعر ستيلجار بالضيق. كان يشعر بأن معتقداته القديمة تنهار. أنتجت الرؤية الخارجية الجديدة حياة تسعى للابتعاد عن الاحتواء والحصار.

«ما أجمل الشباب هذا العام...».

الطرق القديمة (اعترف: طريقي!) أجبرت شعبه على تجاهل التاريخ كله ما عدا ذلك الذي تحول داخلياً إلى معاناتهم. كان شيوخ الفرمن قد قرؤوا التاريخ من خلال هجراتهم الرهيبة، وهروبهم من اضطهاد إلى آخر.

اتبعت الحكومة الكوكبية القديمة السياسة المعلنة للإمبراطورية القديمة. قمعوا الإبداع وكل إحساس بالتقدم والتطور. كان الازدهار خطيراً على الإمبراطورية القديمة وأصحاب السلطة فيها.

بصدمة مفاجئة، أدرك ستيلجار مصدوماً من أن هذه الأشياء كانت خطيرة بالقدر نفسه على المسار الذي كانت عالية تنصب دعائمه.

مرة أخرى، تعثر ستيلجار وتخلف عن ليتو.

في العقائد والأديان القديمة، لم يكن للمستقبل وجود، بل كان الحاضر لا ينتهي. رأى ستيلجار أن الفرمن قبل المؤدّب كانوا مهيين للإيمان بالفشل، وليس بإمكانية النجاح أبداً. حسناً... صدقوا ليت كاينز، لكنه وضع إطاراً زمنياً من أربعين جيلاً. لم يكن ذلك إنجازاً. كان ذلك حلماً رآه الآن قد انقلب إلى الداخل أيضاً.

المؤدّب غير ذلك.

في أثناء الجهاد، تعلم الفرمن الكثير عن الإمبراطور

الباديشاه القديم شادام الرَّابع، الباديشاه الحادي والثمانين من آل كورينو، الذي احتل عرش الأسد الذهبي، وحكم هذه الإمبراطورية المكونة من عوالم لا تُحصى، استخدم أراكس كـمُختبر لتلك السياسات التي أراد تطبيقها في باقي إمبراطوريته. كان حكامه الكوكبيون على أراكس قد زرعوا حالة من التشاؤم المستمر لتقوية قاعدة سلطتهم. تأكدوا من أن كل شخص على أراكس -حتى الفرمن الأحرار- قد أصبحوا على دراية بكثير من حالات الظلم والمشكلات التي لا حلَّ لها، علَّوهم أن يفكروا في أنفسهم بصفتهم أشخاصاً لا حول لهم ولا قوة، ولا نصيراً.

«ما أجمل الشباب هذا العام!»

بينما يراقب ليتو وهو عائد إلى السييتش، تساءل ستيلجار كيف أثار هذا الشاب تدفق هذه الأفكار في ذهنه -فقط من خلال نطق جملة بسيطة ظاهرياً. بسبب هذه الجملة، وجد ستيلجار نفسه ينظر إلى عالية، ودورها في المجلس بطريقة مختلفة تماماً.

كانت عالية مولعة بالقول إن الأساليب القديمة تفقد سطوتها ببطء. شعر ستيلجار بالارتياح الغامض عند سماع هذا الكلام. كان التغيير خطيراً. يجب قمع الابتكار. يجب رفض قوة الإرادة الفردية. أليس هذا هو الدور الذي يلعبه الكهنوت باستمرار؟

أصرت عالية على أنه ينبغي قصر فرص المنافسة الحرة

على ما يمكن التحكم فيها. لكن هذا يعني أن التهديد المتكرر للتكنولوجيا لا يمكن استغلاله إلا لتقييد السكان - تماماً كما فعل أسلافها القدامى. يجب أن تكون كل تقنية مسموح بها مرتبطة بالطقوس والأعراف. وإلا ... وإلا ...

مرة أخرى تعثر ستيلجار. وصل إلى القناة الآن، ورأى ليتو ينتظره تحت شجرة المشمش التي تنمو بجانب المياه المتدفقة. سمع ستيلجار صوت خطواته فوق العشب غير المشذب.

العشب غير المشذب!

تساءل ستيلجار: ماذا يمكنني أن أصدق!؟

كان من اللائق لفرمني من عصره أن يؤمن بأن الأفراد يحتاجون إلى إدراك حدودهم الخاصة. كانت التقاليد بلا شك العامل الأكثر تأثيراً في مجتمع آمن. كان على الناس أن يعرفوا حدود زمانهم، ومجتمعهم، وأرضهم. ما الخطأ في السييتش كنموذج فكري؟ يجب أن يكون الشعور بالحصار حاضراً في كل قرار فردي - يجب أن يحمي الأسرة، والمجتمع، وكل خطوة تتخذها حكومة صالحة.

توقف ستيلجار ونظر إلى ليتو عبر بستان المشمش. كان الفتى يقف هناك ويبتسم له.

تساءل ستيلجار: هل يعلم بالاضطراب المستعري في رأسي؟ حاول النائب الفرمني العجوز التراجع عن النهج التقليدي

لقومه. كان كل جانب من جوانب الحياة يتبع شكلاً واحداً يعتمد على المعرفة السرية الداخلية لما ينجح وما يفشل. نموذج الحياة، الجماعة، كل عنصر من عناصر المجتمع الأوسع حتى قم الحكومة وما فوقها - كان هذا النموذج هو السييتش ونظيره في الرمال: الشي هولود. كانت الدودة الرملية العملاقة مخلوقاً هائلاً بالتأكيد، لكنها كانت تختفي في أعماق لا تقبل الاختراق عندما تواجه التهديد.

قال ستيلجار لنفسه: التغيير مخوف بالمخاطرة. كان الاتساق والاستقرار هما الهدفان المناسبان للحكومة.

لكن الشباب والشابات كانوا جميلين.

وتذكر كلمات المؤدب عندما أطاح بشادام الرابع: «ما أريده ليس حياة مديدة للإمبراطور، بل حياة مديدة للإمبراطورية».

تساءل ستيلجار: أليس هذا ما كنت أقوله لنفسي؟!!

استمر في المشي، متوجهاً نحو مدخل السييتش الذي كان على يمين ليتو بقليل. تحرك الفتى ليعترض طريقه.

ذكر ستيلجار نفسه بشيء آخر قاله المؤدب: «كما يولد الأفراد وينضجون ويتكاثرون ويموتون، كذلك تفعل المجتمعات والحضارات والحكومات».

سواء كان التغيير خطيراً أم لا، فهو آتٍ. علم الشباب الفرمني الجميل ذلك. كانوا يستطيعون النظر إلى الخارج

ورؤية ما يحدث، والاستعداد له.

اضطر ستيلجار إلى التوقف. فإما أن يفعل ذلك وإما أن يتجاوز ليتو.

نظر الفتى إليه بجدية، وقال: «ألا ترى يا ستيل؟ التقاليد ليست المعيار الأعلى الذي ظننته».

يموت الفِرمِني عندما يكون بعيداً جداً عن الصحراء؛
نسمي هذا «دوار الماء».

- ستيلجار (التعليقات)

قالت عالية: «أنا أعلم أن هذا طلب صعب عليك. لكن..
عليّ أن أضمن وجود إمبراطورية ترثها ذريةً بول. هذا هو
السبب الوحيد لاستلامي العرش».

أدارت عالية وجهها عن المرأة التي كانت تضع أمامها
زينتها الصباحية. نظرت إلى زوجها، وحاولت قراءة ردة
فعله على كلامها. كان دانكن آيداهو يستحق الاهتمام
في هذه اللحظات. لم يكن هناك شك في أنه تحوّل إلى
شخص أدق وأخطر بكثير من خبير نزال السيف الذي
خدم آل آترديز في الماضي. كان شكله الخارجي مماثلاً -
شعره الأسود الكثيف على وجهه الداكن الحاد- ولكن
في السنوات الطويلة التي انقضت منذ استيقاظه من حالة
الغولة، غيرته تجاربه الداخلية.

تساءلت الآن - كما فعلت سابقاً مراراً- ما الذي يخفيه
الغولة الذي أعيد بعثه إلى الحياة، في عزلة السرية.
قبل أن يعيد التليلاكسو إحياء جسده، كان دانكن
يتمتع بصفات واضحة تجاه آل آترديز - الولاء، والالتزام
الشديد بالمبادئ الأخلاقية لأجداده المرتزقة، والغضب ثم
الصفح السريع. كان عنيداً في رغبته في الانتقام من آل
هاركونن. وقد قضى حياته وهو ينقذ بول. لكن

التليلاكسو اشتروا جسده من الساردوكار، وفي أحواض إعادة الإحياء، خلقوا جثة متحركة- زومبي: جسد دانكن آيداهو، ولكن من دون ذكرياته الواعية. علموه كيف يكون منتجاتاً، وأرسلوه هدية، كمبيوتراً بشرياً إلى پول، أداة رائعة مزودة بإكراه تنويمي لقتل مالكة. قاوم جسد دانكن هذا الإكراه، وتحت الضغط الشديد، عادت إليه ذكرياته.

كانت عالية قد حسمت منذ زمن أنه من الخطر أن تفكر فيه في أفكارها الخاصة باسم دانكن. كان من الأفضل أن تناديه بالغولة حياة. ذلك أفضل بكثير. وكان عليها أن تحذر من أن يشعر دانكن بالبارون العجوز هاركونن الذي يسكن ذهنها.

رأى دانكن عالية تنظر إليه، تحاشى النظر. لم يستطع الحب أن يخفي التغييرات التي أصابتها، ولا أن يمنعه من رؤية دوافعها الحقيقية. كانت عيناه المعدنيتان المتعددتا الأوجه التي قدمهما إليه التليلاكسو قاسيتين في قدرتها على كشف الخداع. جسدت هاتان العينان عالية الآن في صورة شخصية شبه ذكورية متفاخرة، ولم يتحمل رؤيتها هكذا.

سألت عالية: «لماذا التفت بعيداً؟»

قال: «يجب أن أفكر في هذا الأمر. الليدي چيسيك...
آتريديزية».

قالت عالية عابسة: «إذن ولاؤك لآل آترديدز، وليس لي».

قال: «لا تضعي في داخلي مثل هذه التفسيرات المتغيرة».

زمت عالية شفيتها. هل تعجّلت في طلبها؟

دخل دانكن إلى الشرفة المطلة على إحدى زوايا ساحة المعبد. رأى الحجاج وهم يتجمعون هناك، وتجار أراكس وهم يبيعون بضائعهم على جانبي الطريق كما لو كانوا حيوانات مفترسة تنهش فريستها. ركز على مجموعة معينة من التجار، وهم يحملون سلالاً من ألياف الاسپايس على أذرعهم، ومرتزقة الفِرم من وهم يتبعونهم. ساروا بقوة تخلو من أي مشاعر وسط الجموع.

قال وهو يشير إليهم: «هم يبيعون قطعاً من الرخام المنحوت. هل كنت تعلمين ذلك؟ وضعوا القطع في الصحراء لتنحتها رمال العواصف. أحياناً يجدون أشكالاً مثيرة للاهتمام في الحجر. يطلقون عليها اسم فن جديد، وهو محبوب جداً: رخام حقيقي منحوت من كثيب. اشتريت قطعة منه الأسبوع الماضي - شجرة ذهبية بها خمس شرابات، جميلة، ولكنها هشة جداً».

قالت عالية: «لا تغير الموضوع».

قال: «لم أغير الموضوع. إنها جميلة، لكنها ليست فناً. البشر يخلقون الفن من خلال عنفهم، وبارادتهم الحرة».

وضع يده اليمنى على حافة النافذة. «التوأمان يكرهان هذه

المدينة وأخشى أنني أتفق معهما».

قالت عالية: «لم أفهم الصلة. اختطاف والدتي ليس اختطافاً حقيقياً. ستكون آمنة بصفتها أسيرتك».

قال: «بني العميان هذه المدينة. هل تعلمين أن ليتو وستيلجار خرجا من سييتش تبر إلى الصحراء الأسبوع الماضي؟ بقيا طوال الليل في العراء».

قالت: «نعم، أُبلغت بذلك. هذه الزخارف من الرمال، هل تود مني منع بيعها؟»

قال وهو يستدير إليها: «سيكون ذلك سيئاً للتجارة. هل تعرفين ماذا قال ستيلجار عندما سألته عن سبب خروجهما إلى الرمال بهذه الطريقة؟ قال إن ليتو رغب في التحدث مع روح المؤدّب».

شعرت عالية ببرودة خوف تسري في عروقها، ونظرت في المرآة لحظة لتستعيد هدوءها. لن يخاطر ليتو بالخروج من السييتش ليلاً لمثل هذا الهراء. هل كانت هذه مؤامرة؟

وضع أيدها على عينيه ليمنع نفسه من رؤيتها، وقال: «قال لي ستيلجار إنه ذهب مع ليتو لأنه ما زال يؤمن بالمؤدّب».

«طبعاً، يفعل!».

ضحك أيدها، ضحكة جوفاء: «قال إنه ما زال يؤمن به

لأن المؤدب كان دوماً حامي الضعفاء».

سألت عالية، وصوتها يشي بخوفها: «وماذا قلت له؟»

أنزل أيدهو يده عن عينيه، وقال: «قلت: (هذا يعني أنك يا ستيلجار من الضعفاء)».

قالت: «دانكن! هذه لعبة خطيرة. أنت تحرضه وتستفزه لإيقاظ الوحش الذي يريد تدميرنا جميعاً».

قال أيدهو: «هو ما زال يؤمن بالمؤدب. هذا يحميننا».

«وماذا قال لك؟»

«قال إنه يعرف عقله جيداً».

«أفهم».

«لا.. أنا لا أعتقد أنك تفهمين. هناك أشياء تهددك أكثر من أسنان ستيلجار».

«لا أفهمك اليوم، يا دانكن. أنا أطلب منك أن تفعل شيئاً مهماً جداً، شيئاً حاسماً.. ما كل هذه الثروة؟»

بدت ورقة.

عاد إلى نافذة الشرفة. «عندما تدربتُ لأصبح منتاتاً.. من الصعب جداً، يا عالية، أن يتعلم المرء كيف يستخدم عقله. يتعلم المرء أولاً أنه يجب أن يدع العقل يعمل من تلقاء نفسه. هذا غريب جداً. يمكنك أن تتحكمي في عضلاتك، وتمرنها، وتقويها، لكن العقل يعمل بنفسه.

أحياناً، عندما تتعلمين هذا عن العقل، يُظهِر لكِ أشياء لا تريدِ رؤيتها».

«وهذا ما دفعك إلى إهانة ستيلجار؟»

«ستيلجار لا يعرف عقله. لا يسمح له بالحرية».

«إلا في نشوة الاسپايس».

«ولا حتى في ذلك. هذا ما يجعله نائباً. ليكون قائداً للرجال، يسيطر على ردود فعله ويوجهها. يفعل ما يُنتظر منه. إن عرفتِ هذا، فستعرفين ستيلجار، وستستطيعين تحديد خطورته».

قالت: «هذه طريقة الفرمن. حسناً يا دانكن، هل ستفعل ما أطلبه منك أم لا؟ يجب أن تخطفها، ويجب أن تجعل الخطف يبدو كأن آل كورينو من فعلوا ذلك».

ظل صامتاً، تفحص لهجتها وحججها بأسلوبه المتتالي. خطة الخطف هذه باردة ووحشية، وصدمة ما اكتشفه من تفاصيلها. هل يستحق المخاطرة بحياة أمها لأجل الأسباب التي ذكرتها حتى الآن؟! كانت عالية تكذب. ربما كانت الشائعات عن عالية وجاويد صحيحة. سببت هذه الفكرة برودة جليدية في معدته.

قالت عالية: «أنت الوحيد الذي أثق به في هذا الأمر».

قال: «أعرف».

عدت هذا موافقة، وابتسمت لنفسها في المرأة.

قال آيداهو: « كما تعلمين، يتعلم المنتات أن يرى كل إنسان على أنه مجموعة من العلاقات».

لم ترد عالية. جلست، غارقة في ذكريات شخصية، ورسمت تعبيراً خالياً على وجهها. عندما نظر آيداهو إليها من فوق كتفه، رأى التعبير، وارتعد. بدا له كأنها تتحدث مع أصوات لا يسمعها أحد سواها.

همس: «علاقات».

وفكر: على المرء أن يتخلص من آلامه القديمة كما يتخلص الثعبان من جلده - فقط لينمي مجموعة جديدة من الآلام ويقبل كل قيودها. هكذا كانت الحال مع الحكومات - حتى الوصاية على العرش. يمكن تُتبع الحكومات القديمة كما تتبع الجلود المنسلخة. يجب أن أنفذ هذا المخطط، لكن ليس بالطريقة التي تأمر بها عالية.

هزت عالية كتفها وقالت: «لا يجوز أن يخرج ليتو هكذا في هذه الأوقات. سأوبخه».

«ولا حتى مع ستيلجار؟»

«ولا حتى معه».

نهضت عالية من أمام المرأة، وتوجهت إلى دانكن آيداهو الذي كان يقف بجانب النافذة، ووضعت يدها على ذراعه.

شعر برعشة، وكبح ردة فعله النافرة بعقله المنتاتي. شيء

فيها آثاره. شيء فيها. لم يستطع أن ينظر إليها. شم رائحة المزاج في مستحضرات تجميلها، فتنحنح.

قالت: «سأكون مشغولة اليوم بفحص هدايا فارادين».

«الملابس؟»

«نعم. لا شيء مما يقدمه يبدو كما هو عليه. ويجب أن نتذكر أن بإشارته تيكانيك، بارع في الشاومركي والشوماس، وكل الأساليب الدقيقة الأخرى للاغتيالات الملكية».

ابتعد عنها بجسده وقال: «هذا ثمن القوة. لكننا ما زلنا نتحرك، في حين فارادين ثابت في مكانه».

نظرت إلى جانب وجهه المنحوت بدقة. أحياناً، كان من الصعب معرفة كيف يعمل عقله. هل كان يفكر فقط في أن الحرية في العمل تعطي الحياة للقوة العسكرية؟ حسناً، كانت الحياة في أراكس آمنة جداً لمدة طويلة جداً. يمكن للمشاعر التي أثارته ذات مرة المخاطر الواسعة النطاق أن تضرر عندما لا تُستخدم.

قالت: «نعم، لا يزال لدينا الفرمن».

كرز: «الحركية. لا يمكننا أن ننحدر إلى مستوى المشاة. سيكون ذلك حماقة».

أزعجتها لهجته وقالت: «سيستخدم فارادين أي وسيلة لتدميرنا».

قال: «آه، هذا كل شيء. هذا نوع من المبادرة، حركية

لم تكن لدينا في الأيام القديمة. كان لدينا قواعد، قواعد آل آريديز. كما ندفع ثمن طريقنا دائماً ونترك الأعداء يصبحون السارقين. هذه القواعد لم تعد سارية بالطبع. نحن على قدم المساواة من حيث الحركة، آل آريديز وآل كورينو».

قالت عالية: «نحن نخطف أُمي لإنقاذها من الأذى بقدر ما هو لغرض آخر. ما زلنا نعيش بالقواعد!»

نظر إلى وجهها. كانت تعرف مخاطر تحريض منتهات على إجراء الحسابات. ألم تدرك ما احتسبه؟ ومع ذلك.. لا يزال يحبها.

مسح بيده فوق عينيه. كم بدت شابة. كانت الليدي چيسيكاً على حق: بدت عالية كأنها لم تتقدم في السن يوماً واحداً في سنواتهما معاً. كانت لا تزال تحمل الملاح الناعمة لوالدتها البني چيسيرتية، لكن عينها كانتا عيني آريديز-حادتين ومتطلبتين، مثل عيني صقر. والآن يكمن وراء هاتين العينين شيء مليء بالحسابات القاسية.

خدم أيدهو آل آريديز لسنوات طويلة حتى يعرف نقاط قوتهم وضعفهم جيداً، لكن هذا الشيء في عالية، كان غريباً. قد يخدع آل آريديز أعداءهم، ولكن لا يخونون أصدقاءهم وحلفاءهم أبداً، ولا يخذلون أحداً من أفراد عائلتهم. كان ذلك متأصلاً في سلوك آل آريديز: ادعم شعبك بأفضل ما عندك؛ أظهر لهم كيف أن حياتهم أفضل تحت حكم آل آريديز. أظهر حبك لأصدقائك

بالصدق في تعاملك معهم. لكن ما طلبته عالية الآن لم يكن من شيم آل آتريديز. شعر بهذا في كل جسده وعقله. أحس بكيانه كله، بالغرابة في عالية.

بجأة، انغمست حواسه المنتاتية في حالة من الوعي الكامل، وغرق عقله في نشوة جامدة حيث لم يكن للزمن معنى؛ فقط الحساب المنتاتي. كانت عالية تدرك ما يحصل له، لكن دون جدوى. استسلم للحساب المنتاتي.

يقول الحساب المنتاتي: عاشت نسخة متجسدة من الليدي چيسیکا حياة مزيفة في وعي عالية الذي تسكنه أرواح الأسلاف. رأى هذا كما رأى نسخة متجسدة من دانكن آيداهو قبل أن يصبح الغولة، الذي ظل حاضراً في وعيه. امتلكت عالية هذا الإدراك كونها أحد الواعين ما قبل الولادة. في المقابل اكتسب هو هذا الإدراك في أثناء وجوده في خزانات إعادة الحياة التليلاكسية. ومع ذلك رفضت عالية ذلك التجسد، وخاطرت بحياة أمها. وبالتالي لم تكن عالية متصلة بانعكاس چيسیکا المزيف داخلها. وهو ما يعني أن عالية ممسوسة بالكامل من قبل حياة مزيفة أخرى تستبعد كل الباقين.

ممسوسة!

منبوذة!

شُنة!

بطريقة المنتات، استسلم لهذه الفرضية، وانتقل إلى

التركيز في جوانب أخرى من مشكلته. كان آل آترديز كلهم على هذا الكوكب. هل سيخاطر آل كورينو بالهجوم من الفضاء؟ تأمل عقله كل الاتفاقيات التي أنهت الحروب البدائية:

أولاً: كانت الكواكب كلها مهددة بالهجوم من الفضاء؛ لذلك: شيد كل بيت من البيوت الكبرى مرافق ثأرية/انتقامية خارج الكوكب. كان فارادين يدرك أن آل آترديز لم يهملوا هذا الاحتياط.

ثانياً: منحت دروع الطاقة حماية كاملة ضد القذائف والمتفجرات غير الذرية، وهو ما أعاد القتال اليدوي إلى الصراع البشري. لكن لقوات المشاة قيودها. ربما أعاد آل كورينو الساردوكار إلى قدراتهم قبل معركة أراكس، لكنهم لا يضاھون شراسة الفرمن البريين.

ثالثاً: ظل النظام الإقطاعي الكوكبي في خطر مستمر من طبقة تقنية كبيرة، لكن آثار الجهاد البطري بقيت رادعة للتجاوزات التكنولوجية. شكّل الإيكسيون والتليلاكسو وبعض الكواكب الخارجية المتناثرة التهديد الوحيد المحتمل في هذا الجانب، وكانوا معرضين لغضب مشترك من بقية الإمبراطورية. لا رجعة عن الجهاد البطري. تحتاج الحرب التي تستخدم الآلات والتكنولوجيا إلى مجموعة كبيرة من التقنيين. ووجهت إمبراطورية آترديز هذه القوة إلى مساعي أخرى. لا توجد طبقة تقنية كبيرة دون رقابة. وبقيت الإمبراطورية آمنة، وإقطاعية، بطبيعة

الحال، لأن هذا كان أفضل شكل اجتماعي للانتشار عبر حدود برية متفرقة على نطاق واسع - كواكب جديدة.

شعر دانكن أن وعيه المتتالي يتوهج وهو ينهل من ذاكرته، معزولاً تماماً عن جريان الزمن. وصل إلى قناعة بأن آل كورينولن يتجرؤوا على هجوم ذري مخالف للقانون، بواسطة حساب فائق السرعة لا يقبل الخطأ، وهو ما كان المسار الرئيسي لاتخاذ قرار متتالي، لكنه كان على بينة من العوامل التي أدت إلى هذه القناعة: كانت الإمبراطورية تسيطر على كثيرٍ من الأسلحة الذرية والأسلحة الأخرى المساندة التي تفوق أسلحة جميع المنازل الكبرى الأخرى مجتمعة. وسيتحرك نصف المنازل الكبرى على الأقل بردة فعل عاجلة إن خالف آل كورينولن الاتفاقية. وستنضم قوة مهيبة من نظام آل آترديز الانتقامي خارج الكوكب، دون حاجة إلى أمر رسمي. الخوف سيجمعهم من تلقاء أنفسهم.

سيختفي كوكب سالوسا سوكانداس وحلفاؤه من الوجود في سحابة حارقة. لن يخاطر آل كورينولن بهذه الكارثة. كانوا بلا شك صادقين في الموافقة على الحجّة القائلة بأن الأسلحة الذرية كانت احتياطياً يُحتفظ به لغرض واحد: الدفاع عن البشرية في حالة مواجهة أي «مخلوقات ذكية غير بشرية» تهددها.

كانت للأفكار الحسائية حدود واضحة، وتوفر بصيرة حادة. لم تكن هناك مساحات رمادية ضبابية. اختارت

عالية الخطف والإرهاب لأنها أصبحت كياناً أجنبياً، غير مخلص لآل آترديز. كان آل كورينو يمثلون تهديداً، ولكن ليس بالطرائق التي جادلت بها عالية في المجلس. أرادت عالية التخلص من الليدي چيسیکا لأن ذلك العقل البني چيسيرتي النير رأى ما أصبح واضحاً له الآن فقط.

هز آيداهو نفسه خارج نشوة المنتات، ورأى عالية تقف أمامه، تعبير متجمد بارد على وجهها.

سألها: «ألا ترغبن في قتل الليدي چيسیکا؟»

انكشف الوميض الغريب لسرورها أمام عينيه للحظة خاطفة قبل أن يخفيه سخط مزيف: «دانكن!»

أجل، فضلت عالية- الأجنبية قتل أمها.

«أنت خائفة من أمك، وليس عليها.»

تكلت دون تغيير في نظرتها الحادة: «بالطبع أنا كذلك. أبلغت الأخوية عني.»

«ماذا تعنين؟»

«ألا تعرف أعظم غواية لأي بني چيسيريت؟» اقتربت منه، مغرية، ونظرت إليه من خلال رموشها. «لم أفكر إلا في الحفاظ على نفسي قوية ويقظة من أجل التوأمين.»

قال بصوت بارد-منتاتي: «أنت تتحدثين عن الغواية.»

«إنه الشيء الذي تخفيه الأخوية في أعماقها. الشيء

الذي يخشيه أكثر من أي شيء آخر. لهذا يسموني سُنة. إنهن يعرفن أن موانعهن لن توقفني. الغواية - يتحدثن عنها دائماً بتأكيد شديد: غواية عظمى. كما ترى، نحن اللاتي نستخدم تعاليم النبي چيسيريت يمكننا التأثير في أشياء مثل التعديل الداخلي للتوازن الإنزيمي داخل أجسامنا. يمكن أن نطيل الشباب - لمدة أطول بكثير من المزاج. هل ترى العواقب التي ستنتج إن فعلت العديدات من النبي چيسيريت ذلك؟ يمكن ملاحظته. أنا متأكدة من أنك تدرك صحة ما أقوله. المزاج هو ما يجعلنا هدفًا لكثير من المؤامرات. نحن نتحكم في مادة تطيل العمر. ماذا لو أصبح معروفًا أن النبي چيسيريت يتحكم في سر أقوى من ذلك؟ هل ترى؟! لن تكون أم موقرة واحدة آمنة. سيصبح اختطاف وتعذيب النبي چيسيريت من أكثر الأنشطة شيوعاً».

«حققت هذا التوازن الإنزيمي». كان تأكيدًا وليس استفهامًا.

«تحديث الأخوية! ستجعل تقارير والدتي إلى الأخوية النبي چيسيريت حليفات قويات لآل كورينو».

فكر: كم هو منطقي جدًا.

اختبرها: «لكن بالتأكيد أمك لن تخونك!»

«كانت بني چيسيرت قبل أن تكون أمي بزمن بعيد. دانكن، لقد سمحت بخضوع ابنها- شقيقي إلى اختبار

الجوم جبّاراً رتبت له! وكانت تعلم أنه قد لا ينجو منه.
لظالما عانت النبي چيسيريت مشكلات تتعلق بالثقة
وأفرطن في البراغماتية. ستعاديبي إن ظنت أن ذلك في
مصلحة الأخوية».

أوماً برأسه. كم كانت مقنعة. كانت فكرة محزنة.

قالت: «يجب أن نحمل زمام المبادرة. هذا أخطر سلاح
لدينا».

قال: «هناك مشكلة جيرني هاليك. هل عليّ قتل صديقي
القديم؟»

قالت وهي تعرف أن آيداهو يدرك ذلك بالفعل قبل
أن تنطق به: «أرسلت أمي جيرني في مهمة تجسس في
الصحراء. هو بأمان بعيداً عن طريقنا».

قال: «عجيب جداً، الوصي على عرش كلادان ينفذ
المهام هنا في أراكس!»

عالية: «ولم لا؟ هو عشيقها- في أحلامه إن لم يكن في
الحقيقة».

قال: «نعم، بالطبع». وتساءل إن كانت قد لاحظت
الرياء في صوته.

سألت عالية: «متى ستخطفها؟»

«من الأفضل أن لا تعرفي».

«نعم.. نعم، أفهم ذلك. إلى أين ستأخذها؟»

«حيث لا يمكن العثور عليها. اعتمدي على ذلك. لن تبقى هنا حتى تهددكِ».

الفرحة في عينيها لا يمكن إنكارها. «لكن أين...».

«إن كنت لا تعرفين، فسيمكنك الإجابة أمام عرافة الحقيقة، إذا لزم الأمر، بأنك لا تعرفين مكانها».

«أهه، ذكي يا دانكن».

فكر: تعتقد الآن أنني سأقتل الليدي چيسيك. قال:
«وداعاً يا حبيبتى».

لم تسمع نبرة الحسم في صوته، بل وقبلته بلطف وهو يغادر.

وعلى طول الطريق عبر ممرات المعبد الشبيهة بالسييتش، مسح أيدهو عينيه. لم تكن عيون التليلاكسو محصنة ضد الدموع.

أحببت كلادان،

ورثيت مضيفه الضائع..

لكن الألم يكتشف

عجز العشاق الجدد

على محو من كان شبحاً،

إلى الأبد.

- لازمة من رثاء الحبانية

ضاعف ستيلجار عدد حراس السييتش حول التوأمين
أربعة أضعاف، لكنه كان يعلم أن ذلك لن يكفي. كان
الفتى شبيهاً بجده ليتو، الآتريديزي الذي سمي على اسمه.
كل من عرف الدوق الأول أثنى على ذلك: كانت
شخصية ليتو تنبض بالذكاء والحرص، نعم، ولكن عليها أن
توازن بين ذلك الشغف والجرأة الكامنين داخله، وقدرته
على اتخاذ قرارات جريئة.

كانت غنيمة تشبه والدتها. ورثت من تشاني شعرها
الأحمر وعينيها، وطبعها الهادئ والرزين عندما تواجه
الصعاب. كانت تقول في كثير من الأحيان إنها فعلت ما
عليها فعله دون زيادة، ولكنها ستتبع ليتو أينما ذهب.

وكان ليتو سيقودها إلى المخاطر.

لم يخطر ببال ستيلجار أن يشارك عالية مشكلته، ولم يفكر

في إيرولان أيضاً، التي تهرع إلى عالية بكل شيء -وأي شيء. عندما اتخذ قراره، أدرك ستيلجار أنه وافق على احتمال أن يكون حكم ليتو على عالية صائباً.

فكر: تتعامل عالية مع الناس بطريقة متسلطة وقاسية. حتى دانكن تستغله بهذه الطريقة. لن تنقلب علي وتقتلني على الأرجح، بل ستندد بي.

في هذه الأثناء، شُدّدت الحراسة، وتجول ستيلجار في سييتشه مثل شبح متلحف بردائه، متسللاً إلى كل مكان. طوال الوقت، كان ذهنه يبور بالشكوك التي زرعتها ليتو فيه. إن لم يستطع المرء الاعتماد على التقاليد، فأين الصخرة التي يمكنه بناء حياته عليها؟

في فترة ما بعد ظهيرة يوم انعقاد مجمع الترحيب بالليدي چيسيكاً، راقب ستيلجار غنيمة وهي تقف مع جدتها عند حافة مدخل غرفة الاجتماع الكبرى في السييتش. كان الوقت مبكراً، ولم تصل عالية بعد، لكن الناس كانوا يتوافدون إلى الغرفة، ويختلسون النظر إلى الطفلة والجددة في أثناء مرورهم.

توقف ستيلجار في زاوية مظلمة خارج تيار الجمهور ونظر إليهما، غير قادر على سماع كلامهما فوق الهمس الغامض للمجتمعين. سيكون الناس من قبائل عديدة هنا اليوم للترحيب بأمهم الموقرة العجوز. لكنه حدق في عيني غنيمة. كيف تالأأتا عندما تكلمت! فتنته الحركة. هاتان

العينان الزرقاوان العميقتان، والصلبتان، والمتطلبتان، والمدققتان. وطريقة رفع شعرها الأحمر الذهبي عن كتفها بحركة من رأسها. كانت هذه تشاني. إحياء شبحي، تشابه مذهل.

بهدوء، اقرب ستيلجار، واختبأ في زاوية أخرى.

لم يجد مثيلاً للطريقة التي تنظر بها غنيمة إلى الأشياء بين أي طفل آخر قابله من قبل - باستثناء شقيقها. أين كان ليتو؟ رمق ستيلجار الممر المزدهم. سينبهه حراسه إن حدث أي خطب. هز رأسه. أثار هذان التوأمان توتره. كانا مصدر قلق دائماً. كاد يبغضهما. لم يكن أهل العشيرة محبين من كراهية الذات، لكن الدم (وماؤه الثمين) حمل معاني تسمو عن معظم المخاوف الأخرى. كان هذان التوأمان مسؤوليته الأولى.

أنار الضوء البني المنعكس من الغبار غرفة الاجتماع الكهفية الواقعة خلف غنيمة وچيسيك.

لامس كتفي الطفلة والرداء الأبيض الجديد الذي كانت ترتديه، وأضاء شعرها عندما التفتت لتنظر في الممر إلى الأشخاص المتجمعين في داخله.

تساءل: لماذا زرع ليتو هذه الشكوك في؟ لم يكن هناك شك في أنه فعل ذلك عمداً. ربما أراد ليتو أن أحظى بلمحة صغيرة على تجربته العقلية. عرف ستيلجار سبب اختلاف التوأمين، لكنه وجد نفسه دائماً غير قادر على

استيعاب ما يعرفه. لم يختبر قط الرحم كسجنٍ لوعي مستيقظ- وعي حي من الشهر الثاني من الحمل، كما يُقال.

قال ليتو ذات مرة إن ذاكرته كانت مثل صورة داخلية ثلاثية الأبعاد، تتمدد في الحجم والتفاصيل منذ تلك الصحوة الأولى الصادمة المصاحبة للولادة، ولكنها لا تتغير أبدًا في الشكل أو المحيط.

للمرة الأولى، بينما كان يراقب غنيمة والليدي چيسيكًا، بدأ ستيلجار يدرك حقيقة العيش في مثل هذه الشبكة المتشابكة من الذكريات، غير قادر على الانسحاب أو العثور على ملاذ داخل عقله. في مواجهة مثل هذه الحالة، كان على المرء أن ينغمس في حالة من الهذيان، وأن يختار ويرفض من بين كثيرٍ من الخيارات في نظام يتغير فيه الجواب بنفس السرعة التي يتغير فيها السؤال.

لا توجد تقاليد ثابتة. لا توجد إجابات مطلقة لأسئلة حمالة أوجه. ما ينجح عادة قد يفشل. وما يفشل عادة قد ينجح. أدرك هذا النمط. كانت هذه لعبة أحاجي الفِرمَن القديمة. السؤال: «ما الذي يجلب الموت والحياة». الإجابة: «عاصفة كوريوليسية».

سأل ستيلجار نفسه: لماذا أراد ليتو أن أفهم هذا؟ من خلال تحرياته الحذرة، علم ستيلجار أن التوأمين يتشاركان رؤية مشتركة لاختلافهما: اعتقدا أنها محنة. فكر: قناة الولادة ستكون مكانًا مرهقًا لشخص مثلهما. يخفف

الجهل من صدمة بعض التجارب، لكنهما ليسا جاهلين بالولادة. كيف سيكون شعورك بأن تعيش حياة تعرف فيها كل الأشياء التي يمكن أن تسوء؟ ستخوض حرباً مستمرة مع الشكوك. سوف تستاء من اختلافك عن اقرانك. سيكون جعل الآخرين يختبرون مذاق هذا الاختلاف مسلياً. «لماذا أنا؟» سيكون سؤالك الأول غير المجاب.

فكر ستيلجار: وماذا سألت نفسي؟ ابتسم بسخرية. لماذا أنا؟

عند رؤية التوأمين من هذا المنظور الجديد، أدرك الاحتمالات الخطيرة التي عليهما مواجهتها بجسديهما غير البالغين. كانت غنيمة قد أوضحت له بإيجاز مرة واحدة بعد أن وبخها لتسلق التوء الغربي الشديد الانحدار إلى الحافة فوق سييتش تبر.

«لماذا أخاف الموت؟ كنتُ هناك من قبل - مرات عديدة».

تساءل ستيلجار: كيف يمكنني أن أجرؤ على تعليم هذين الطفلين؟ كيف يمكن لأي شخص أن يجرؤ على ذلك.

كانت أفكار چيسیکا تسير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه حفيدتها عندما تحدثت معها. كانت تفكر في مدى تعقيد حمل عقول ناضجة في أجساد غير ناضجة. سيتعين على

الجسد أن يتعلم ما كان العقل يعلمه مسبقاً أنه قادر عليه -
استجابات وردود فعل تناسب مع العقل - سيكون نظام
الپرانا يندو البني چيسيرتي القديم متاحاً لهما، ولكن حتى
مع ذلك، سيسبق العقل الجسد. كان تنفيذ جيرني أوامر
الليدي چيسیکا مهمة صعبة جداً.

قالت غنيمه: «ستيلجار يراقبنا من زاوية هناك».

لم تلتفت چيسیکا، لكنها ارتبكت لما سمعته في صوت
غنيمه. أحبت غنيمه الفرمني العجوز كما يحب المرء أباه.
حتى وهي تتحدث عنه بتهكم وتناكفه، كانت تحبه. أجبر
هذا الإدراك چيسیکا على أن تنظر إلى النائب العجوز
من منظور جديد، وأن تدرك بفهم مفاجئ ما يشترك فيه
التوأمين وستيلجار. أدركت چيسیکا أن أراكس الجديد
لا يناسب ستيلجار مثلها لا يناسب هذا العالم الجديد
حفيدياً.

انبثقت في ذهن چيسیکا حكمة بني چيسيرتية، دون أن
ترغب فيها أو تطلبها: «الشك في فنائك يعني معرفة بداية
الرعب. اليقين القاطع بأنك فانٍ يعني أن تعرف نهايته».

نعم، لن يكون الموت نيراً يثقل كاهلهم، لكن الحياة
كانت ناراً بطيئة لستيلجار والتوأمين. وجد كل منهم عالماً
غير مناسب أمامه، وامتلك توقاً إلى طرائق أخرى يمكن
فيها التعامل مع الاختلافات دون خطر. كانوا أبناء
إبراهيم*، يتعلمون من صقر يحلق فوق الصحراء أكثر من

أي كتاب مكتوب.

في ذلك الصباح، أربك ليتو چيسيكا عندما وقفنا بجانب القناة التي تتدفق تحت السييتش. قال: «الماء يحيط بنا يا جدتي. سنكون أفضل حالاً لو عشنا مثل الغبار لأن الرياح حينها يمكن أن ترفعنا فوق أعلى منحدرات الجدار الحامي».

على الرغم من أن چيسيكا كانت تعرف هذا النضج المزيف الذي تنطق به شفاه هذين الطفلين، فإنها فوجئت بهذا الكلام، لكنها استطاعت أن تقول: «ربما كان والدك ليقول شيئاً مماثلاً».

فأجاب ليتو وهو يلقي حفنة من الرمل في الهواء ويشاهدها تسقط: «نعم، ربما كان سيقول ذلك، لكن والدي لم يفكر حينها في السرعة التي تعيد بها المياه كل شيء إلى الأرض التي خرج منها».

الآن وهي تقف بجانب غنيمة في السييتش، شعرت بصدمة هذه الكلمات مرة أخرى. التفتت، ونظرت إلى الورا في الجمهور الذي ما زال يتدفق، وتركت نظرتها تتمهل عند طيف ستيلجار المضطرب في الزاوية. لم يكن ستيلجار فرمناً مطيعاً، يحمل الأغصان إلى العش في خنوع. كان لا يزال صقراً. عندما فكر في اللون الأحمر، لم يفكر في الزهور، بل في الدماء.

قالت غنيمة: «أصبحت هادئة جداً فجأة. هل هناك

خطب ما؟»

هزت چيسيكاً رأسها. «إنه شيء قاله ليتو هذا الصباح، هذا كل ما في الأمر».

«عندما خرجتما إلى المزارع؟ ماذا قال؟»

تذكرت چيسيكاً أمارات الحكمة الناضجة التي بدت على وجه ليتو عندما التقته على ضفة القناة صباحاً. كان التعبير نفسه الذي انعكس على وجه غنيمه الآن. قالت چيسيكاً: «كان يتذكر الوقت الذي عاد فيه جيرني من مخبئه لدى المهربين إلى صفوف آل آتريديز».

قالت غنيمه: «ثم تحدثتما عن ستيلجار».

لم تشك چيسيكاً في كيفية حدوث هذه البصيرة. كان التوأمين يمتلكان القدرة على معرفة تسلسل أفكار بعضهما بعضاً متى شاءا.

قالت چيسيكاً: «نعم، تحدثنا. لم يسرّ ستيلجار أن يسمع جيرني ينادي ... پول بالدوق، لكن وجود جيرني أجبر جميع الفرمن على قبول هذا اللقب. كان جيرني يقول دائماً (دوق)».

قالت غنيمه: «أفهم ذلك. وبالتأكيد، أبدى ليتو رأيه بأنه لما يصبح بعد دوق ستيلجار».

«هذا صحيح».

قالت غنيمه: «أنت تعرفين ما كان ينوي أن يفعله بك

بالتأكيد».

أجابت چيسيكاً: «لست متأكدة من أنني أعرف». وترأى لها هذا الاعتراف محرّجاً جداً لأنه لم يخطر لها أن ليتو كان ينوي فعل شيء بها.

قالت غنيمّة: «كان يحاول تحفيز ذكرياتك عن أينا. كان ليتو يتوق دائماً لمعرفة أينا من وجهة نظر الآخرين الذين عرفوه».

«ولكن.. هل يستطيع..».

«أجل، يستطيع أن يسمع أصوات الأرواح الداخلية. بالتأكيد. لكن هذا ليس بالأمر نفسه. لقد تحدثت عنه بالتأكيد. عن أينا أقصد. تحدثتِ عنه بصفته ابنك».

قالت چيسيكاً مختصرة: «نعم». كانت تشعر بالاستياء من قدرة هذين التوأمين على التحكم فيها والتلاعب بها، والتلصص على ذكرياتها ومشاعرها. كانت تظن أن غنيمّة تفعل ذلك الآن!

قالت غنيمّة: «أساء ليتو إليك بكلامه».

شعرت چيسيكاً بالصدمة والضيّق، واضطرت إلى كبح غضبها. «نعم، فعل».

قالت غنيمّة: «أنت لا تحبين أن يكون لديه معرفة كاملة مثل معرفة أمنا بأينا، ومعرفة كاملة مثل معرفة أبي بأمنا. أنت لا تحبين ما يعنيه ذلك - ما قد نعرفه عنك».

قالت چيسیکا بصوت حاد: «لم أفكر في النظر إلى الأمر من هذا الزاوية».

قالت غنيمه: «معرفة الأشياء الحسية والذكريات الحميمية هي ما يزعجك عادة. هذه طبيعتك. أنتِ تجدين صعوبة في رؤيتنا كأكثر من مجرد طفلين. ولكن لا شيء فعله والدانا معاً، سواء في العلن أو في الخفاء، لا نعرفه».

للحظة وجيزة، انتاب چيسیکا شعور مماثل لما أحست به أمام القناة، لكنها ركزت على غنيمه.

قالت غنيمه: «ربما تحدّثَ عن... شهوة دوقك الشبقة».

أحياناً يحتاج ليتو إلى لجام على فمه!».

تساءلت چيسیکا: ألا يوجد شيء لا يستطيع هذان التوأمين أن يدنساها؟ وانتقلت من الصدمة إلى الغضب إلى الاشمئزاز. كيف يتجرّان على الحديث إليها عن رغبات دوقها ليتو الجنسية؟ أليس من الطبيعي أن يتمتع الرجل والمرأة العاشقان بجسديهما! كان ذلك شيئاً خاصاً وجميلاً ولا يجوز أن يُذكر في حديث عابر بين طفل وامرأة ناضجة.

طفل وامرأة ناضجة!

بجأة، أدركت چيسیکا أن ليتو وغنيمه لم يفعلوا ذلك اعتباراً.

وبينما ظلت چيسیکا صامتة، قالت غنيمه: «لقد صدمناك. أعتذر إليك نيابة عنا. أعرف أخي ليتو جيداً،

وأعلم أنه لن يعتذر. أحياناً عندما يتبع رائحة ما، ينسى كم نحن مختلفان.. عنك، مثلاً».

فكرت چيسيكاً: وهذا هو سبب فعلك ذلك بالتأكيد. إنهما يريدان تعليمي درساً! وتساءلت بعد ذلك: من غيري يلقنان هذا الدرس؟ ستيلجار؟ دانكن؟

قالت غنيمه: «يحاول ليتو أن يرى الأشياء كما ترينها. الذكريات وحدها لا تكفي. عندما تبذلين كل ما في وسعك دون تدبير، تفشلين غالباً».

تهدت چيسيكاً.

لمست غنيمه ذراع جدتها: «ترك ابنك أشياء كثيرة مبهمة، ويجب إزالة الغموض عنها حتى يراها الآخرون، بمن فيهم أنت. اغفري لنا، لكنه كان يحبك. ألم تدري ذلك؟»

ابتعدت چيسيكاً لتخفي دموعها المتلألئة في عينيها.

قالت غنيمه: «كان يعرف بمخاوفك، كما كان يعلم بمخاوف ستيلجار. عزيزي ستيل. كان والدنا «طيب الوحوش» بالنسبة إليه، ولم يكن ستيل أكثر من حلزون أخضر يختبئ في قوقعته». غنت الأغنية التي اقتبست منها هذه الكلمات. اخترقت كلمات الأغنية وعي چيسيكاً دون إذنها:

يا طيب الوحوش،

إلى قوقعة حلزون أخضر،

بمعجزته المنجولة،

المنجأة، في انتظار الموت،

أُتيتَ في صورة إله!

حتى القواقع تعرف،

أن الآلهة طامسة،

والعلاج جلاب الماء،

وأن الجنة لا تُرى إلا

من خلال باب من اللهب.

يا طيب الوحوش،

أنا الرجل-الحلزون

من يرى عينك الواحدة

تحقق داخل قوقعتي!

لماذا أيها المؤدّب؟

لماذا؟!!

قالت غنيمه: «للأسف، ترك والدنا كثيراً من القواقع

البشرية في عالمنا».

إذا عملنا في ظل الاقتراض القائل بأن البشر يعيشون في عالم متغير باستمرار، فإن ذلك يستلزم أن يتطور فكرنا ليصبح واعياً بذلك وقادراً على الحفاظ على التوازن، لكن العقل لا يستطيع أن يؤدي هذا الدور دون مشاركة المنظومة كلها. تتميز هذه المنظومة بطبيعتها الديناميكية المتحمسة، وهذا ما يحدث ضمن المجتمع الذي هو في الأساس منظومة، لكننا هنا نواجه جموداً قديماً، فالمجتمعات تحركها دوافع رجعية متجذرة تنشد الاستقرار. كل محاولة لتصوير العالم كواقع متغير تُثير ردود فعل رافضة مثل الخوف والغضب واليأس. فكيف نفسر قبول الاستبصار؟ ببساطة: واهب الرؤى الاستبصارية- لأنه يتحدث عن الإدراك المطلق (الدائم)- قد يستقبله الجنس البشري بالترحاب حتى عندما يتنبأ بالأحداث الأشد خطورة (24).

- كتاب ليتو (عن خرق العادة).

قالت عالية: «الأمر أشبه بالقتال في الظلام».

ذرعت عالية غرفة المجلس بخطوات غاضبة، متنقلة من الستائر الفضية الطويلة التي خفتت من حرارة شمس الصباح على النوافذ الشرقية إلى الدواوين المنتشرة تحت الجدران المزخرفة في الجانب المقابل للغرفة. عبر صندلها فوق سجاجيد من ألياف الاسپايس وخشب الباركيه وبلاط العقيق العملاق، ثم فوق مزيد من السجاجيد. أخيراً وقفت أمام إيرولان وآيداهو، اللذين كانا جالسين

متقابلين على ديوانين من فرو الحوت الرمادي.

رفض آيداهو العودة من سييتش تبر، لكنها أرسلت أوامر حازمة. كان اختطاف چيسيكا أهم من أي وقت مضى، لكنه كان عليه أن ينتظر. كانت تحتاج إلى رأي المنتات آيداهو.

قالت عالية: «هذه الأمور متشابهة في النمط. تنبعث منها رائحة ننتة لمؤامرة بعيدة المدى».

تدخلت إيرولان: «ربما لا». لكنها نظرت إلى آيداهو نظرة شك.

ظهر على وجه عالية تعبير ساخر واضح. كيف تكون إيرولان بهذه السذاجة؟ إلا إذا... رمقت عالية الأميرة بنظرة مستفسرة وحادة. كانت إيرولان ترتدي عباءة سوداء بسيطة تناسب مع الظلال في عينيها الزرقاوين بفعل الاسپايس. كان شعرها الأشقر مرفوعاً بصفائر محكمة خلف رقبتها؛ ما أظهر وجهها الذي أصبح نحيلاً وقاسياً بسبب السنوات التي قضتها على أراكس. كانت لا تزال تحتفظ بالغطرسة التي تعلمتها في بلاط والدها، شادام الرابع، وكثيرا ما شعرت عالية أن هذا السلوك المتكبر يمكن أن يخفي نيات متآمرة.

استلقى آيداهو بالزي الرسمي الأسود والأخضر لحرس آل آتريديز، من دون شارة، في احتجاج ضمني على حراس عالية الفعلين، خاصة الأمازونيّات اللاتي مجدن شارات

مناصبهن. لم يرق لهن وجوده هو المنتات وخبير المبارزة والغولة، والأسوأ من ذلك زوج سيدتهم.

قال آيداهو: «إذا تسعى القبائل لإعادة تعيين السيدة چيسىكا في مجلس الوصاية على العرش. كيف يمكن ذلك؟»

قالت عالية، مشيرة إلى ورقة منقوشة من ورق الاسپايس فوق الديوان بجانب إيرولان. «يقدمون طلباً بالإجماع. فارادين يريد شيئاً، لكن هذا ... تنبعث منه الرائحة الكريهة لتحالفات سرّية!»

سألت إيرولان: «ما رأي ستيلجار؟»

قالت عالية: «توقيعه موجود على تلك الورقة!»

«ولكن إن كان ...».

سخرت عالية: «كيف يرفض طلباً من أم إلهه؟»

نظر إليها آيداهو مفكراً: هذه مخاطرة كبيرة في حضور إيرولان.

تساءل مرة أخرى لماذا أعادته عالية إلى هنا في حين علمت أنه مطلوب في سييتش تبر لتنفيذ مؤامرة الاختطاف. هل كان من الممكن أن تكون قد سمعت عن الرسالة التي أرسلها إليه الواعظ؟ أصابته هذه الفكرة بالقلق. كيف يمكن لهذا الرجل الروحاني الفقير أن يعرف الإشارة السرية التي كان پول آترديدز يستخدمها

لاستدعاء خبير مبارزته؟ كان آيداهو يتوق إلى مغادرة هذا الاجتماع العقيم، والعودة للبحث عن إجابة لهذا السؤال.

قالت عالية: «لا شك في أن الواعظ كان خارج الكوكب، وقطع مسافة كبيرة في أثناء رجوعه إلى هنا. لن تجرؤ النقابة على خداعنا بشأن هذا الشيء. سوف أمر بـ...».

قاطعتها إيرولان: «احذري».

تدخل آيداهو: «احترسي بالفعل. نصف الكوكب يعتقد أنه...». هز كتفيه... «أخوك». تمنى آيداهو أن يكون قد قال ذلك بأسلوب لائق.

كيف عرف هذا الرجل تلك الإشارة؟

«ربما كان من أتباع الحاشية أو الجواسيس...».

قالت إيرولان: «لم يتصل بأحد من تشوم أو آل كورينو. يمكننا التأكد من...».

«لا يمكننا التأكد من أي شيء!» صرخت عالية بغضب، واستدارت نحو إيرولان وواجهت آيداهو. كانت تعرف سبب وجوده هنا! فلماذا لم يفعل ما يفترض به فعله؟ كان موجوداً في المجلس لأن إيرولان كانت معه. لن ينسى التاريخ الذي جعل أميرة آل كورينو تنضم إلى عائلة آل آترديز. الولاء، إن تبدل التاريخ مرة واحدة، فيمكن أن يتبدل ألف مرة. عليها أن تراقب قوة دانكن المنتاتية،

وتلاحظ أي انحرافات في سلوك إيرولان.

نظر آيداهو إلى إيرولان بتوتر. كان يشعر بالضيق من الضغوط التي تفرضها مهمته عليه كمئات. كان يعرف ما يدور في ذهن عالية. وكانت إيرولان تعرف ذلك أيضًا. لكن هذه الأميرة زوجة بول المؤدب استطاعت أن تتجاوز القرارات التي جعلتها أقل مكانة من الحظية الملكية تشاني. لم يكن هناك شك في ولاء إيرولان للتوأمين الملكيين، فقد تخلت عن عائلتها والبنين جيسيريت إخلاصًا لآل آتريديز.

صرخت عالية: «أمي شريكة في هذه المؤامرة! لماذا ترسلها الأخوية إلينا في هذا الوقت؟»

قال آيداهو: «لن يفيدنا الهلع».

ابتعدت عالية عنه، كما توقع. وهذا سهل عليه الأمر، فلم يضطر إلى النظر إلى ذلك الوجه الذي كان يحبه ذات مرة، والذي أفسده الاستحواذ الأجنبي عليه.

قالت إيرولان، «حسنًا، لا يمكننا الثقة بالنقابة تمامًا».

سخرت عالية: «النقابة!»

قال آيداهو: «لا يمكننا تجاهل عداة النقابة أو البنين جيسيريت. لكن علينا وضعهم في فئة مستقلة كونهم محاربين سلبين أساسًا. سوف تلتزم النقابة بمبدئها الأساسي: لن نحكم أبدًا. نمو طفيلي، وهم يعرفون ذلك. لن

يفعلوا أي شيء يهدد المنظومة التي تبقّهم على قيد الحياة».
قالت إيرولان بنبرة متناقلة: «ربما تختلف فكرتهم عن
المنظومة التي تبقّهم على قيد الحياة عن فكرتنا». وكان
في صوتها لهجة ساحرة، قالت: «فانتك نقطة مهمة أيها
المنتات».

شعرت عالية بالحيرة. لم تكن تتوقع أن تتخذ إيرولان هذا
النهج. لم تكن هذه وجهة النظر التي على متآمر أن يتبناها.
قال آيداهو: «لا شك في ذلك. لكن النقابة لن تظهر
عداءها لآل آترديدز علناً. أما الأخوية، فقد تجازف ببعض
التغيير السياسي...».

قالت إيرولان: «وإن فعلن ذلك، فسيكون ذلك
عبر واجهة: شخص أو جماعة يمكنهن التبرؤ منها. فالبني
چيسيريت لم تبق موجودة طوال هذه القرون دون أن
تعرف كيف تخفي هويتها. لطالما فضلن العمل من خلف
العرش لا من فوقه».

تساءلت عالية: طمس الذات؟ هل كان ذلك اختيار
إيرولان؟

قال آيداهو: «هذه هي بالضبط النقطة التي أريد أن
أوضحها عن النقابة». وشعر بالارتياح لوجود نقاش وتفسير
مفيد، فقد أبعدا عنه الهموم الأخرى.

عادت عالية باتجاه النوافذ المضاءة بوهج الشمس. كانت

تعرف نقطة ضعف آيداهو. لكل مِنّات نقطة ضعف. كان عليهم الإدلاء بتصريحات. أدى هذا إلى الانجذاب إلى المطلق، ورؤية حدود ضيقة. كانوا يعرفون هذا عن أنفسهم. كان هذا جزءًا من تدريبهم. ومع ذلك، استمروا في العمل خارج المعايير المقيّدة للذات. فكرت عالية: كان عليّ أن أتركه في سييتش تبر. كان من الأفضل تسليم إيرولان إلى جاقيد للاستجواب.

سمعت عالية في رأسها صوتًا مدويًا: «بالضبط!»

فكرت: اسكت! اسكت! اسكت! أخطأت بشدة في هذه اللحظات، ولم تستطع التعرف على مصدره. كل ما شعرت به هو الخطر. كان علي آيداهو أن يساعدها في الخروج من هذا المأزق. كان مِنّاتًا. والمنّات ضروريون. حلوا محل الأجهزة الميكانيكية التي دمرها الجهاد البطري. لا تصنعوا آلة تشبه عقل الإنسان! لكن عالية تتوق الآن إلى آلة تتفاعل معها. لم تكن لتحمل قيود آيداهو. لا يمكنك قط الشك في آلة.

سمعت عالية صوت إيرولان المتعالي.

قالت إيرولان: «خدعة تلو خدعة تلو خدعة. نعلم جميعًا الطريقة المتعارف عليها لمهاجمة السلطة. لا ألوم عالية على شكوكها. فهي بالتأكيد تشك في الجميع - حتى فينا. نخ ذلك جانبًا يا دانكن الآن. ما الذي يبقى في مسار الدوافع الرئيسي، أخطر مصدر يهدد الوصاية على العرش؟»

قال آيداهو بصوت خافت: «تشوم».

ابتسمت عالية بسخرية. الائتلاف المجرّي لأقطاب التجارة الأشراف! لكن آل آترديدز سيطروا على تشوم بأكثر من نصف أسهمها. وحصل كهنوت المؤدّب على خمسة بالمئة أخرى، بالإضافة إلى الموافقة البراغمتية من المنازل الكبرى على أن كثيب هو سيد المزاج الثمين. ليس من دون سبب كان يسمى الاسپايس أحياناً «العملة السرية». فمن دون المزاج، لم يكن باستطاعة هايلاينر نقابة الفضاء التنقل. فالمزاج يولد «نشوة الملاحه» التي تمكّنهم من «رؤية» المسار العابر للضوء» قبل السفر في الفضاء. ومن دون المزاج، وتقويته للنظام المناعي البشري، كان متوسط العمر المتوقع لفاحشي الثراء سيتدهور بمقدار أربعة أضعاف على الأقل. حتى الطبقة الوسطى الكبيرة في الإمبراطورية تتناول مزاجاً مخففاً بكميات قليلة مع وجبة واحدة على الأقل يومياً.

لكن عالية استشعرت صدق المنتات في صوت آيداهو، الصوت الذي كانت تنتظره بترقب شديد.

تشوم. كان الائتلاف المجرّي لأقطاب التجارة الأشراف أعظم بكثير من آل آترديدز، أعظم بكثير من كثيب، أعظم بكثير من الكهنوت أو المزاج. كان هناك الإنكفائين، وفراء الحوت، والشيجووير، والأدوات والترفيهيون الإيكسيون، والتجارة بالبشر والأماكن، والحج، وتلك المنتجات التي أنتجتها الشرعية المحدودة

لتكنولوجيا التليلاكسو، عقاقير إدمانية، وتقنيات طبية.

كان هناك النقل (النقابة) وكل التجارة المعقدة جداً للإمبراطورية التي تضم آلاف الكواكب المعروفة بالإضافة إلى بعض الكواكب التي تتغذى سرّاً على الهامش، والمسموح بوجودها مقابل خدمات مقدمة. عندما قال أيدهو تشوم، تحدث عن فوضى دائمة، مؤامرة داخل مؤامرة، صراع قوى حيث يمكن أن يؤدي تغيير نقطة عشرية واحدة في معدلات الفائدة إلى تغيير ملكية كوكب برمته.

عادت عالية لتقف أمام المجتمعين على الديوانين. سألت: «هل هناك شيء ما يقلقكما بشأن تشوم؟»

قالت إيرولان: «لدى بعض العائلات دائماً مخزون احتياطي كبير من الاسپايس للمضاربة به.»

ضربت عالية يديها على فخذيها، ثم أشارت إلى ورقة الاسپايس المنقوشة بجانب إيرولان. «هذا الطلب لا يثير اهتمامك رغم...»

جأر أيدهو: «حسناً، ما الذي تخفيه عنا؟ تعرفين أنه لا ينبغي أن تُخفي البيانات، ومع ذلك ما زلت تتوقعين مني أن أعمل كما لو...»

قالت عالية: «شهدت الآونة الأخيرة زيادة كبيرة في تجارة أربعة تخصصات محددة من البشر.» تساءلت إن كانت هذه المعلومات جديدة بالنسبة إليهما.

سألت إيرولان: «أي تخصصات؟»

«خبراء فنون النزال، والمنتجات الملتوون من صنع التليلاكسو، والأطباء المتهيثون من مدرسة سوك، والمحاسبون المليون، خاصة الفئة الأخيرة. لماذا هناك طلب الآن على المحاسبة المشكوك فيها؟» ووجهت السؤال إلى آيداهو.

فكر: اعمل بصفتك منتاتًا. حسنًا، كان ذلك أفضل من الخوض في الحديث عما أصبحت عليه عالية. ركز على كلماتها، وكررها في عقله بطريقة منتاتية. خبراء فنون النزال؟ كانت تلك مهنته ذات مرة. لم يكن خبراء فنون النزال مجرد محاربين شخصيين. يمكنهم إصلاح دروع الطاقة، والتخطيط للحملة العسكرية وتصميم مرافق الدعم العسكري وصناعة الأسلحة. منتات ملتوون؟ من الواضح أن التليلاكسو ما زالوا يمارسون هذه الحيلة. بصفته منتاتًا هو أيضًا، عرف آيداهو الضعف الهش في التحريفات التي يُدخلها التليلاكسو على الأصل. كانت العائلات الكبرى التي اشترت هذه النوعية من المنتجات تأمل في السيطرة عليهم كليًا. مستحيل! حتى بايتر دي فريس -الذي خدم الهراكنة في هجومهم على آل آترديدز- حافظ على كرامته الأساسية، حيث فضل الموت على التنازل عن جوهر نفسه الداخلي في النهاية. أطباء سوك؟ من المفترض أن تضمن تهيئتهم عدم خيانتهم لمرضاهم -ملاكهم. أطباء سوك باهظو الثمن. ستشمل زيادة شراء

أطباء سوك معاملات مالية هائلة.

عندما رأى آيداهو ارتفاع عدد المحاسبين الماليين، تساءل عن الأسباب وراء ذلك.

وقال بصوت حازم ومقنع: «إنها ليست مجرد أرقام، بل حقيقة تستند إلى البيانات المتوفرة. إنها تشير إلى أن هناك زيادة ملحوظة في ثروة العائلات الصغرى. ربما يكون بعضهم يسعون سرًا للارتقاء إلى منزلة العائلات الكبرى. ولا شك أن هذه الثروة تنبع من بعض التغييرات في التحالفات السياسية».

قالت عالية، معبرة عن رأيها الشخصي: «ها نحن أولاء نقرب من لاندسراد».

ذكرتها إيrolان: «ستكون الجلسة القادمة للاندسراد بعد عامين تقريباً».

قالت عالية: «ولكن الصراع السياسي لا ينتهي أبدًا. وأنا متأكدة من أن بعض هؤلاء القبائل التي وقعت -» أشارت إلى الورقة الموجودة بجانب إيrolان. «- هي من بين العائلات الصغرى التي غيرت مواقفها».

قالت إيrolان: «ربما».

قالت عالية: «لاندسراد. أين تقع مصلحة البني چيسيريت؟ وهل من وكيل أفضل للأخوية من أمي؟»

وقفت عالية أمام آيداهو مباشرة. «حسنًا، دانكن؟»

تساءل آيداهو: لماذا لا أستخدم قدراتي بصفتي منتأنا؟
أدرك الدلالة وراء شكوك عالية، فهو كان حارساً شخصياً
لليدي چيسیکا لسنوات عديدة.

عالية: «دانكن؟»

قال آيداهو: «عليك التحري بدقة عن أي تشريع
استشاري (25) قد يكون قيد الإعداد للجلسة القادمة
لمجلس لاندسراد. ربما يحاولون أن يجعلوا القانون ينص
على أن الوصية على العرش لا تستطيع أن تعترض على
أنواع معينة من التشريعات - خاصة تلك التي تتعلق
بالضرائب والاتفاقات الاحتكارية. وهناك تشريعات
أخرى لكن...»

قالت إيرولان: «هذا ليس رهاناً عملياً جيداً جداً من
جانبيهم لو فعلوا ذلك».

قالت عالية: «أنا أتفق. الساردوكار لا يملكون قوة،
ونحن ما زلنا نمتلك فيالق الفِرمين».

آيداهو: «كوني حذرة يا عالية. أعداؤنا يتمنون أن نظهر
كوحوش. وبغض النظر عن عدد الفيالق التي تقودينها،
فإن القوة في النهاية تعتمد على موافقة الأغلبية في
إمبراطورية متفرقة ومترامية الأطراف مثل إمبراطوريتنا».

سألت إيرولان: «موافقة الأغلبية؟»

قالت عالية: «يقصد موافقة العائلات الكبرى».

سأل آيداهو: «وكم عدد العائلات الكبرى التي سنواجهها في ظل هذا التحالف الجديد؟ المال يتكدس في أماكن غريبة!»

«التخوم؟»

هز آيداهو كتفيه. كان سؤالاً لا يمكن الإجابة عنه. كانوا جميعاً يخشون أن يأتي يوم يفشل فيه التليلاكسو أو المصلحون التكنولوجيون في تخوم الإمبراطورية في تحدي هولتزمان. في ذلك اليوم، ستصبح دروع الطاقة غير مفيدة. وسينهار التوازن الهش الذي حافظ على الإقطاعات الكوكبية.

أصرت عالية على تجاهل هذا الاحتمال. قالت: «سنتصرف بناءً على ما نملكه. وما نملكه هو معلومة مؤكدة من مجلس تشوم بأننا قادرين على تدمير الاسپايس إن اضطررنا إلى ذلك. لن يخاطروا بهذا».

قالت إيرولان: «ها نحن نعود إلى تشوم مرة أخرى».

قال آيداهو: «إلا إذا نجح أحدهم في استنساخ دورة دودة رملية على كوكب آخر». نظر إلى إيرولان بترقب، متحمساً لهذا السؤال. «سالوسا سوكانداس مثلاً؟»

أجابت إيرولان: «اتصالاتي الموثوق بها هناك لم تتأثر بجديد. ليس سالوسا».

قالت عالية وهي تنظر إلى آيداهو: «إذا ما زال ردي كما

هو. سنتصرف بناءً على ما نملكه».

فكر أيداهو: حان وقت تحركي. قال: «لماذا أبعدتني عن العمل المهم؟ كان بإمكانك حل هذا بنفسك».

غضبت عالية: «لا نتكلم معي بهذا اللهجة!»

اتسعت عينا آيداهو. للحظة، رأى الأجنبي على وجه عالية، وكان مشهداً مربكاً. نظر إلى إيرولان، لكنها لم تر ذلك أو لم تبدِ اهتماماً برؤيته.

قالت عالية: «لست بحاجة إلى دروس أساسية».

استطاع آيداهو أن يبتسم بحزن، لكن صدره آلمه.

قالت إيرولان بتفانح: «الثروة ومظاهرها لا تغيب عنا أبداً عندما نتعامل مع السلطة. كان پول طفرة اجتماعية، ولذلك، علينا أن نتذكر أنه غير ميزان الثروة القديم».

قالت عالية، متجاهلة اختلافهما الشاسع: «هذه الطفرات يمكن إلغاؤها.. يعرفون ذلك في كل مكان في هذه الإمبراطورية تتركز فيه الثروة».

قالت إيرولان: «يعرفون أيضاً، أن ثلاثة أشخاص يمكنهم الحفاظ على هذه الطفرة: التوأمين و...» أشارت إلى عالية.

تساءل آيداهو: هل هما مجنونتان، هاتان الاثنتان!؟

قالت عالية بصوت أجش: «سيحاولون اغتيالي!»

صدم آيداهو وسكت، وكان وعيه يدور بسرعة فائقة. اغتيال عالية؟ لماذا؟ يمكنهم التخلص منها بسهولة تامة. يمكنهم طردها من قوم الفرمن، وملاحقتها كيفما شاؤوا. لكن التوأمن في المقابل ... كان يعلم أنه لم يكن في حالة صفاء منتاتي مناسبة لمثل هذا التقييم، ولكن كان عليه أن يحاول. كان عليه أن يكون دقيقًا قدر الإمكان. في الوقت نفسه، كان يعلم أن التفكير الدقيق يحتوي على أشياء مطلقة صعبة الفهم. لم تكن الطبيعة دقيقة. لم يكن الكون دقيقًا عندما انكمش إلى مقياسه؛ كان غامضًا ومبهمًا، مليئًا بالحركات والتغيرات غير المتوقعة. كان لا بد من إدخال البشرية ككل في هذا الحساب بوصفهم ظاهرة طبيعية. وكانت عملية التحليل الدقيق برمتها بترًا، انفصالًا عن التيار المستمر للكون. كان عليه أن يصل إلى هذا التيار، ويراه وهو يتحرك.

قالت إيرولان بتفاخر: «لقد كان علينا التركيز على تشوم واللاندراد. والآن يقدم لنا دانكن أول مجموعة من الاستفسارات عن...»

قالت عالية: «لا يمكن فصل المال عن القوة التي يمثلها. نحن نعلم ذلك جميعًا. لكن علينا الإجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة: متى؟ بأي أسلحة؟ وأين؟»

فكر آيداهو: التوأمان.. التوأمان هما الهدف، وليس عالية.

سألت إيرولان: «أنتِ لست مهتمة بمن أو كيف؟»

قالت عالية: «إن استخدم آل كورينو أو تشوم أو أي جهة أخرى أدواتاً بشرية على هذا الكوكب، فلدينا فرصة أكبر من ستين بالمئة للكشف عنهم قبل أن ينفذوا مخططهم. معرفة متى يفعلون وأين سيفعلون ذلك ستزيد من فرصنا. كيف؟ هذا سؤال آخر عن أي أسلحة؟»

تساءل آيداهو: لماذا لا تريان ما أراه؟

قالت إيرولان: «حسنًا. متى؟»

قالت عالية: «عندما ينصب الاهتمام على شخص آخر».

قالت إيرولان: «الاهتمام كان منصباً على أمك في المجمع. ومع ذلك لم يحاولوا شيئاً».

قالت عالية: «لأنه ليس المكان المناسب».

تساءل آيداهو: ما الذي تخطط لفعله؟

سألت إيرولان: «أين إذا؟»

قالت عالية: «هنا في الحصن. هنا أشعر بالراحة، وأكون أقل حذرًا».

سألت إيرولان: «وبأي أسلحة؟»

عالية: «سلاح تقليدي - شيء يمكن لفرمني أن يحمله معه، سكين عاجية مسمومة، أو مسدس مولى أو-».

قالت إيرولان: «لم يجربوا صيادة متعقبة منذ مدة طويلة».

قالت عالية: «لن تنجح الصيادة وسط جمهور من الناس.
لا بد أن يكون هناك جمهور».

سألت إيرولان: «سلاح بيولوجي؟»

سألت عالية بتعجب: «عامل مُعدٍ؟»

كيف تعتقد إيرولان أن عاملاً معدياً سينجح ضد
الحواجز المناعية التي تحمي أي آتريديزي؟

قالت إيرولان: «كنت أفكر في استخدام حيوان معين.
حيوان أليف صغير، مثلاً، مدرب على عض ضحية محددة،
وبث السم بعضته».

قالت عالية: «بنات مقرضٍ المنزلية ستمنع ذلك».

سألت إيرولان: «ربما أحدها».

«لا يمكن ذلك. بنات مقرضٍ المنزلية سترفض دخول
أي غريب، وتقتله. أنت تعرفين ذلك».

«كنت أستكشف الاحتمالات فقط على أمل أن -».

قالت عالية: «سأنبه حراسي».

عندما قالت عالية «حراسي»، وضع أيدها يده على عينيه
التيللاكسو، محاولاً أن يمنع التدخل الملح الذي اجتاحه.
كانت راجيا، حركة الأبدية كما عبرت عنها الحياة، الكأس
الكامنة للانغماس التام في الوعي المنتاتي الذي ينتظر كل
منتات. ألقت راجيا وعيه فوق العالم مثل شبكة، سقط،

وحدد الأشكال بداخله. رأى التوأمين يريضان في الظلام
ومخالب عملاقة تخذش الهواء حولهما.

همس: «لا».

«ماذا؟» نظرت إليه عالية متفاجئة من أنه لا يزال
موجوداً.

أبعد آيداهو يديه عن عينيه. سأل: «الثياب التي أرسلتها
عائلة كورينو. هل أرسلت إلى التوأمين؟»
قالت إيرولان: «بالتأكيد. إنها آمنة تماماً».

قالت عالية: «لن يحاول أحد قتل التوأمين في سييتش
تبر. ليس مع انتشار كل هؤلاء الحراس الذين درّبهم
ستيلجار في كل مكان».

نظر آيداهو إليها بحدة. لم يكن لديه دليل يُثبت ما توصل
إليه بحساب المنتات، لكنه كان متأكداً. متأكداً. ما
شعر به كان قريباً جداً من قوة الرؤية التي عرفها پول. لن
تصدق إيرولان أو عالية ذلك لو قاله لهما.

قال: «أود أن أهدر سلطات الميناء الفضائي من السماح
باستيراد أي حيوانات من الخارج».

احتجت عالية قائلة: «إنك لا تأخذ اقتراح إيرولان على
محمل الجد».

قال: «لماذا نخاطر؟»

قالت عالية: «قل ذلك للمهرين. سأعتمد على بنات مقرض المنزلية».

هز آيداهو رأسه. ما الذي يمكن أن تفعله بنات مقرضٍ المنزلية ضد مخالب بالحجم الذي رآه؟ لكن عالية كانت على حق. رُشى مدفوعة في الأماكن الصحيحة، وأحد ملاحى النقابة المطيعين، وأي مكان في الربع الخالي يمكن أن يكون ميناء هبوط.

ستقاوم النقابة احتلال أي موقع صدارة في أي هجوم يشن على آل آترديز، ولكن إذا كان الثمن مرتفعاً بما يكفي.. حسناً، لا يمكن اعتبار النقابة إلا شيئاً أشبه بالحاجز الجيولوجي الذي يجعل الهجمات صعبة، ولكنها ليست مستحيلة. كان بإمكانهم دائماً التدرع بأنهم مجرد «وكالة نقل». كيف يمكن أن يعرفوا الغرض من شحنة معينة؟

أطلقت عالية صرخة فرمينة مدوية، وهي ترفع قبضتها في الهواء وتشير بإبهامها إلى الجانب. وأضافت عبارة بذيئة من تراثها القديم تعني «لتبدأ معركة العاصفة». كانت تعتقد أنها الهدف الأول للقتلة، وأنها تتحدى عالماً مليئاً بالتهديدات الغامضة. كانت تقسم إنها ستوجه ریح الموت إلى كل من يحاول مهاجمتها.

شعر آيداهو بأنه لا فائدة من الاعتراض. وأدرك أنها لم تعد تشك في ولاءه. كان عليه العودة إلى تبر، وتنفيذ

خطتها الجريئة لاختطاف الليدي چيسيكاً. نهض عن مقعده في غضب شديد، مفكراً: ليت عالية هي وحدها من يريدونها! ليت القتلة يستطيعون الوصول إليها!

للحظة، وضع يده فوق سكينه، لكنه لم يستطع فعل ذلك. لكن موتها شهيدة سيكون أفضل حالاً من أن تعيش مطاردة ومحتقرة، حتى تنتهي حياتها في قبر رملي.

قالت عالية وقد فسرت خطأ تعبير وجهه على أنه قلق عليها: «نعم. عليك أن تُسرع إلى تبر». فكرت: كم كان حُماً مني حين شككت في دانكن! إنه يخدمني أنا وليس چيسيكاً!

فكرت عالية: ما أزعجني هو مطلب القبائل.

ودعت أيدها بتلويحة من يدها في الهواء وهو يغادر.

غادر أيدها قاعة المجلس وهو يشعر بالقنوط. لم تكن عالية عمياء فحسب عن الاستحواذ الأجنبي عليها، بل أصبحت أكثر جنوناً مع كل أزمة. كانت قد تجاوزت نقطة الخطر فعلاً، وكان مصيرها الهلاك. ولكن ماذا يمكنه أن يفعل من أجل التوأمين؟ من يمكنه إقناعه؟ وماذا يمكنه لستيلاجار أن يفعل أكثر مما يفعله الآن لحماية؟

الليدي چيسيكاً إذا؟

نعم، سيجرب هذا الخيار - لكنها أيضاً ربما تكون

متورطة في مؤامرة مع أخويتها. لم يكن لديه أي وهم
حول تلك الحظية الآتريديزية. قد تفعل أي شيء بأمر من
البنى چيسيريت - حتى الانقلاب على حفيديها.

لا تعتمد الحكومة الرشيدة أبداً على القوانين، بل تعتمد على المؤهلات الشخصية لمن يحكمون. تخضع آلية الحكم دائماً لإرادة أولئك الذين يديرون تلك الآلية. لذلك، فإن أهم عامل في الحكومة هو كيفية اختيار القادة.

- القانون والحكومة (دليل نقابة القضاء)

تساءلت چيسیکا: لماذا ترغب عالية في حضوري جلسة الاستماع الصباحية هذه؟ ألم يرفضوا عودتي إلى المجلس.

وقفت چيسیکا في غرفة الانتظار التي تؤدي إلى القاعة الكبرى في الحصن، غرفة كانت تستحق أن تكون قاعة مهيبة في أي مكان آخر غير أراكس. فبعد أن تولى آل آترديدز الحكم، تضخمت المباني في أراكين بفعل تركيز الثروة والسلطة، وهذه الغرفة كانت تعكس ما يخفيها. لم ترق لها أرضية الغرفة المفروشة بالبلاط الذي يجرد انتصار ابنها على شادام الرابع.

رأت انعكاس وجهها في الباب الفولاذي المصقول الذي يفتح على القاعة الكبرى. أحسّت بالتغير الذي أحدثته السنوات فيها بعد عودتها إلى كثيب، ولاحظت چيسیکا علامات الشيخوخة في ملامحها: خطوطاً رفيعة على وجهها البيضاوي، وعينين منكسرتين في انعكاسهما الأزرق. ذكرت كيف كانت عيناها تتألأن بالبياض حول القرحية. ولولا العناية الدقيقة التي تلقتها من مصفف شعر محترف لفقد شعرها البرونزي لمعانه، وبقي

أنفها صغيراً وشفثاها مكتنزتين، وظل جسدها نحيفاً رشيقيًا، ولكن حتى عضلاتها التي درّبتها بطريقة البني چيسيريت بدأت تتباطأ مع تقدم الزمن. قد لا يلاحظ البعض ذلك ويقولون: «ما زلتِ كما عهدناكِ!» لكن تدريب الأخوية كان له ثمنه. نادرا ما تغيب تغيُّرات طفيفة عن انتباه الأشخاص الذين درّبوا على هذا النحو. ولم يفت چيسيكاً أي تغيير طفيف في عالية.

وقف جافيد -المسؤول عن تعيينات حراس عالية- أمام الباب الكبير، متظاهراً بال رسمية هذا الصباح. كان أشبه بجني يرتدي عباءة، وابتسامة ساخرة تعلو وجهه المستدير. بدا جافيد لچيسيكاً كرمز على التناقض: فرمني لكنه سمين. لاحظ اهتمامها به، فابتسم عن قصد، وهز كتفيه. كان يعلم أن خدمته لچيسيكاً لن تطول، فكرت چيسيكاً: كان يبغض آتريديز، لكنه كان أيضاً رجل عالية بكل المقاييس، إن صحت الإشاعات.

رأت چيسيكاً هزة كتفيه، ففكرت: هذا هو عصر الالامبالاة. يعلم أنني أعرف كل ما قيل عنه ولا يهتم. قد تموت حضارتنا بسبب الالامبالاة المستشرية بداخلها قبل ان تسقط بيد عدو خارجي.

لم يرق للحراس الذين اختارهم جبرني لحمايتها قبل مغادرته لملاقة المهريين أن تأتي إلى هنا دونهم. لكن چيسيكاً شعرت بالأمان على نحو غريب. فليجعل أحدهم منها شهيدة في هذا المكان، ولن تنجو عالية. عرفت عالية ذلك.

عندما لم ترد چيسیکا على هزة كتفيه وابتسامته، تجشأ؛ صوت متصاعد في حنجرتة كأنه يتحدث بلغة مشفرة، وقال: «نحن نتفهم هراء كل هذه العظمة يا سيدتي. أليس عجباً ما يقدر عليه البشر!»

عجباً! قالت چيسیکا في نفسها، لكن وجهها لم يظهر ذلك.

الآن، امتلأت غرفة الانتظار بالمتضرعين الذين حصلوا على إذن من رجال جافيد للمشاركة في الطقوس الصباحية. أُغْلِقَت الأبواب الخارجية. احتفظ المتضرعون والحاضرون بمسافة احترام بينهم وبين چيسیکا، ولكنهم لاحظوا أنها ترتدي عباءة سوداء تليق بأمر فرمينة موقرة.

أثار هذا كثيراً من التساؤلات؛ لم تظهر على شخصها أي علامة تدل على كهنوت المؤدب. انتشرت الهمسات فيما تقاسم الناس انتباههم بين چيسیکا والباب الجانبي الصغير الذي ستخرج منه عالية لتقودهم إلى القاعة الكبرى. كان واضحاً لچيسیکا أن النمط القديم الذي كان يحكم سلطة الوصية على العرش قد تغير.

فكرت: حدث هذا التغيير بمجرد مجيئي إلى هنا. لكنني جئت لأن عالية طلبت مني ذلك.

عندما رأت أمارات الاضطراب، فهمت چيسیکا أن عالية تريد تمديد هذه اللحظة، لتسمح بسريان التيارات الخفية هنا. كان من المؤكد أن عالية تراقب من فتحة

تجسس ما. كان هناك بعض التفاصيل الدقيقة في سلوك عالية التي لم نتعرف عليها چيسيكًا، وشعرت مع كل دقيقة تمر بمدى صحة قبولها المهمة التي كلفتها بها الأخوية.

قالت قائدة وفد النبي چيسيرت بحدة: «لا يمكننا أن نسمح للأمور أن تستمر على هذا النحو. أنتِ أكثر من أي شخص بيننا تدركين علامات الانهيار! نحن نعلم لماذا تركتينا، ولكننا نعلم أيضًا كيف تدرّبت. لم نحرمك من أي شيء في تعليمك. أنت ماهرة في نبوءات بانوپليا، ولا بد أنك تدركين متى يتعرض الجميع لخطر دين فاسد».

نظرت چيسيكًا من النافذة إلى بشائر الربيع اللطيفة في قلعة كلادان، وهي تضغط على شفيتها في تأمل. لم تكن تحب أن تُجبر على التفكير بهذه الطريقة المنطقية.

كان أحد الدروس الأولى للأخوية أن تشك في أي شيء يختبئ خلف ستار المنطق. لكن أعضاء الوفد كن يعرفن ذلك أيضًا.

طافت چيسيكًا بعينها في أرجاء غرفة انتظار عالية، وهي تفكر: كيف كان الهواء رطبًا هذا الصباح، كم كان منعشًا ونديًا. وفاحت رائحة تعرق في الهواء أثارت شعورًا بالضيق داخل چيسيكًا، وفكرت: هل عدت إلى استعمال طرق التفكير الفرمنية؟ كان الهواء رطبًا أكثر مما ينبغي في هذه الأرض العالية عن السيتش. ماذا حل بالفرمن الذين حرصوا على ارتداء بذلات التقطير؟ ألم يمنع پول مثل

هذا التراخي؟

رأت أن جافيد، وهو يتألق باليقظة والشجاعة، لم ينتبه لخطأ الرطوبة الزائدة في هواء غرفة الانتظار. عكس هذا تدريباً سيئاً لشخص ولد في أراكس.

سألها أعضاء وفد البني چيسيريت إن كانت تريد دليلاً على إدعاءاتهم. أجابتهن بغضب بعبارة مأخوذة من أمهات كتب البني چيسيريت: «كل البراهين تقود إلى استنتاجات من دون دليل! كل الأشياء معروفة لأننا نرغب في تصديقها».

عارضت قائدة الوفد قائلة: «لكننا طرحنا هذه الأسئلة على المنتات».

نظرت چيسیکا إلى المرأة بدهشة، وقالت: «أنا متعجبة من كيفية وصولك إلى موقعك الحالي، وأنت لم تتعلمي بعد حدود المنتات».

استراحت أعضاء الوفد لما سمعن ردها. يبدو أنه كان اختباراً، وقد نجحت فيه. بالتأكيد، كن يخشين أنها فقدت كل اتصال بتلك القدرات المتوازنة التي تميز تدريب البني چيسيريت.

صارت چيسیکا حذرة جداً عندما ترك جافيد مكانه عند الباب، واقترب منها وانحنى.. «سيدتي، ربما لم تسمعي عن آخر أفعال الواعظ».

قالت چيسیکا: «أنا أتلقى تقارير يومية عن كل ما يجري هنا». لتعدُّ بذلك إلى عالية!

ابتسم جاقيد. «إذا تعرفين أنه ينتقد عائلتكِ بشراسة. ليلة أمس فقط، ألقى خطبة في الضاحية الجنوبية ولم يتجرأ أحد على مضايقته. أنت تعلمين السبب بالتأكيد».

قالت چيسیکا بضجر: «لأنهم يظنون أنه ابني وقد عاد إليهم».

قال جاقيد: «لم يُسأل المنتات أيدهو عن هذا الأمر بعد. ربما يجب أن يفعل ذلك ويحسم القضية».

فكرت چيسیکا: هذا شخص لا يفهم حقاً حدود المنتات، رغم أنه يجرؤ على خيانته مع زوجته- في أحلامه إن لم يكن في الحقيقة. قالت: «المنتات يشتركون مع من يستخدمونهم في إمكانية الخطأ. العقل البشري، كما هو حال عقل أي حيوان، آلة متناغمة. يستجيب لأي توافق في بيئته المحيطة. يتعلم المنتات أن يوسعوا مداركهم عبر كثير من الحلقات المتوازية للعلاقات السببية، ويتقدمون على طول تلك الحلقات إلى سلاسل طويلة من النتائج». فليفكر في ذلك!

سأل جاقيد، وهو يتحدث بصوت رسمي ومهدد: «ألم يثر هذا الواعظ غضبك؟»

قالت: «أنا أراه علامة صحية. لا أريد أن يتدخل أحد في شؤونه».

لم يتوقع جافيد هذا الرد الفظ. حاول أن يتسم لكنه فشل، ثم قال: «المجلس الحاكم للكنيسة الذي يؤله ابنك سيرضخ لإرادتك إذا أصررت. لكن بالتأكيد تحتاجين إلى تقديم بعض التوضيح...».

قالت: «ربما ترغب في أن أشرح لك كيف أتفق مع خططكم».

أمعن جافيد في النظر إليها، وقال: «سيدتي، لا أجد أي مبرر منطقي لرفضك إيدانة هذا الواعظ. لا يمكن أن يكون ابنك. أنا أقدم طلباً معقولاً: أدينه».

فكرت چيسيكاً: هذه مسرحية. عالية أمرته بها.

قالت: «لا».

«لكنه يدنس اسم ابنك! يعظ بأشياء محرمة، ويعارض ابنتك المقدسة، ويحرض الجموع عليها. عندما سئل، قال إنك أنت أيضاً تمتلكين طبيعة شريرة، وأنت...».

قالت چيسيكاً: «كف عن هذا الهراء! أخبر عالية أنني أرفض. لم أسمع إلا قصصاً عن هذا الواعظ منذ أن عدت. وذلك يضجرتني».

«هل يُضجرك يا سيدتي أن تعلمي أنه قال في خطبته الأخيرة أنك لن تتردي عليه؟ ومن الواضح أنك هنا...».

قالت: «على الرغم من أنني شريرة، لا أريد أن أدينه».

«هذا ليس مزحة، يا سيدتي!»

لوحث له چيسیکا بغضب: «اغرب عن وجهي». تكلمت بصوت صارخ ومسيطر حتى يسمعها الحاضرون؛ ما أجبره على الطاعة.

كانت عيناه تشتعلان بالغضب، لكنه انحنى بصلافة، وعاد إلى مكانه عند الباب.

تطابقت هذه المحادثة تمامًا مع الملاحظات التي سجلتها چيسیکا مسبقًا. عندما تحدث عن عالية، انبعثت من صوت جافيد نبرات عاشق محب. لم تكن الشائعات خاطئة.

سمحت عالية لحياتها بالتدهور. ومن هذه الملاحظة، بدأت چيسیکا تشك في أن عالية كانت شريكة مستسلمة في الشُّنعة، فهل كانت إرادة فاسدة لتدمير الذات؟ لأنه بلا شك كانت عالية تسعى لتدمير نفسها وأساس القوة الذي اعتمدت عليها تعاليم أخيها.

بدأت حركات القلق لتضح في غرفة الانتظار؛ يعرف المتحمسون في هذا المكان عندما تتأخر عالية كثيرًا، وقد سمعوا جميعًا الآن عن طرد چيسیکا الحاسم للرجل المفضل لدى عالية.

تنهدت چيسیکا. شعرت أن جسدها قد دخل هذا المكان سلفًا وروحها تتبعه. كانت الالتفاتات بين رجال الحرس واضحة جدًا! كان البحث عن الأشخاص المهمين

رقصة تشبه هبوب ريح عبر حقل من القمح. رفع المثقفون في هذا المكان حواجبهم وأعطوا أرقامًا تصنّف أهمية زملائهم. كان من الواضح أن رفضها جاقيد قد آلمه؛ قليلون تحدثوا إليه الآن، أما الباقون! فقد تمكنت عينها المدربة من قراءة أرقام التصنيف في الأتباع المرافقين للأقوياء.

فكرت: لا يتقربون مني لأنني خطيرة. تفوح مني رائحة شخص تخشاه عالية.

نظرت چيسیکا حولها في الغرفة، ورأت الأعين تتجنب النظر إليها. كانوا أشخاصًا بأئسين جدًا حتى أنها شعرت برغبة في الصراخ في وجوههم لتنفي ذرائعهم السخيفة لحياتهم العقيمة. آه، لو يستطيع الواعظ أن يرى هذه الغرفة كما هي الآن!

لفت انتباهها جزء من حديث قريب.. كاهن طويل ونحيل كان يتحدث إلى مجموعته، وهم بالتأكيد من المتدينين هنا تحت رعايته. قال: «في كثير من الأحيان أضطر إلى الكذب على نفسي. هذا ما يسمونه دبلوماسية». كان الضحك الذي أعقب كلماته مبالغًا فيه، وسرعان ما انقطع. لاحظ الناس في المجموعة أن چيسیکا قد سمعت ما قاله.

فكرت چيسیکا: لو رأى دوقى مثل هذا الشخص لأرسله إلى أبعد حفرة جحيم ممكنة! غدوت مجددًا بلا قيمة أسرع مما تخيلت.

أدركت چيسিকা الآن أنها عاشت في كلادان البعيدة في عزلة لم تسمح إلا لأكثر فظائع عالية صخباً بالوصول إليها. تأملت في واقعها الذي بدا كحلم عابر. كان كلادان يشبه العزلة التي توفرها فرقاطة فاخرة تنعم بالأمان برفقة إحدى هايلاينرات النقابة، فقط المناورات العنيفة يمكن أن تشعر بها، وكانت تبدو مجرد حركات خفيفة.

فكرت: ما أجمل العيش في سلام!

كلما نظرت چيسিকা إلى بلاط عالية الملكي، زاد تعاطفها مع الكلمات التي قيل إنها صادرة من هذا الواعظ الأعمى. نعم، ربما كان پول ليقول مثل هذه الكلمات لو رأى ما آلت إليه مملكته، وتساءلت عما اكتشفه جيرني بين المهريين.

أحست چيسিকা أن أول انطباع لها عن أراكين كان صائباً. في زيارتها الأولى للمدينة مع جافيد، لاحظت الحواجز المحصنة حول المنازل، والممرات والأزقة شديدة الحراسة، والمراقبين الحذرين في كل زاوية، والجدران العالية، وإشارات الأماكن السفلية العميقة التي كشفتها الأساسات السميكة. كانت أراكين تبدو مكاناً شحيحاً ومقيداً، وغير منطقي، ومتفاخر بقسوته.

بجأة انفتح الباب الجانبي الصغير لغرفة الانتظار. دخلت مجموعة من الكاهنات الأمازونيات إلى الغرفة، وعالية خلفهن، متعجرفات، ويتحركن بوعي بقوتهن الحقيقية

والمخيفة. كان وجه عالية متحجراً، ولم يظهر أي مشاعر عندما رأت أمها ووقفت عندها.. لكن، كلتاهما تعلم أن المعركة قد بدأت.

بأمر من جاقيد، انفتحت الأبواب الضخمة المؤدية إلى القاعة الكبرى، وتحركت الأبواب مدفوعة بالقوى الخفية الصامتة.

وصلت عالية إلى جانب أمها فيما طوقتهما الحارسات.

سألت عالية: «هل نذهب الآن يا أمي؟»

قالت چيسیکا: «حان الوقت». وفكرت، وهي ترى الشماتة في عيني عالية: تظن أنها قادرة على تدميري ثم البقاء سالمة! مجنونة!

تساءلت چيسیکا إن كان آيداهو يريد شيئاً آخر منها. أرسل رسالة إليها، لكنها لم تستطع الرد عليه. كانت رسالة غامضة: «خطره يجب أن أراك»، ومكتوبة بكلمات ملغزة من اللغة التشاكوبسية القديمة، فكلمة «خطر» تشير إلى أن هناك مؤامرة.

فكرت: سأراه فور عودتي إلى سييتش تبره.

ثمة مغالطة عن القوة بأنها لا تنفع إلا في عالم محدود ومطلق، ولكن الحقيقة الأساسية في عالمنا النسبي هي أن الأشياء تتغير. يجب أن تواجه أي قوة بقوة أكبر. هذا هو الدرس الذي لقنه پول للساردوكار في سهول أراكين، ولكن ذريته لما تتعلم الدرس بعد.

- الواعظ في أراكين

كان أول متضرع من الحضور الصباحي تروبادور (26)، قادشياً وحاجاً أنفق كل ما لديه على مرتزة أراكين، وقف على الحجر الأخضر المائي الذي يغطي أرضية الغرفة دون أن يبدي أي انكسار أو تذلل.

أعجت چيسكا بجرأته وهي تجلس مع عالية على قمة المنصة المكونة من سبع درجات. وُضع كرسيًا عرش متطابقان هنا للأم وابنتها، ولاحظت چيسكا بوضوح أن عالية اختارت الجلوس إلى اليمين، المكان المخصص للرجال.

أما بالنسبة إلى التروبادور القادشي، فقد كان واضحاً أن رجال جاقيد قد سمحوا له بالدخول لمجرد هذه السمة التي أظهرها الآن؛ جرأته.

كان من المنتظر أن يقدم التروبادور لاحقاً بعض الفنون الترفيهية لرجال حاشية القاعة الكبرى؛ كان ذلك هو الثمن الذي دفعه بدلاً من المال الذي نفذ منه.

بحسب تقرير الكاهن المحامي الذي يدافع الآن عن

قضية التروبادور، لم يبقَ للقادشي إلا الملابس التي عليه
والباليست الذي يعلقه على كتفه بجبل مصنوع من الجلد.

قال المحامي، وهو يكتّم ابتسامته الساخرة: «يدعي أنهم
أجبروه على تناول مشروب داكن. إن كان ذلك يرضي
قداستك، فقد جعله المشروب عاجزاً، ولكن مستفيقاً
حينما سرقوا محفظته».

نظرت چيسيكاً إلى التروبادور فيما كان المحامي يتحدث
بنبرة متملقة، وصوته مليء بالمغالطات الأخلاقية.

كان القادشي رجلاً طويلاً القامة، يفوق طوله المترين.
كانت عينه اليقظة تدل على ذكائه وفكاهته. وكان شعره
الذهبي ينسدل على كتفيه بطريقة تتم عن كوكبه، وكان
له جسم قوي ومفتول العضلات، لم يستطع رداء الحج
الرمادي إخفاءه. كان يُلقَّب بالتاجر المهندس*، وكان من
نسل مهندسين تجار، نخوراً بأصله وذاته.

أوقفت عالية الحديث بإشارة من يدها، وقالت دون
أن تلتفت إليه: «ستصدر الليدي چيسيكاً أول حكم تكريماً
لعودتها إلينا».

قالت چيسيكاً: «شكراً لك يا ابنتي»، مؤكدة تراتبية
السلطة للحاضرين. ابنتي!

إذاً هذا التاجر المهندس جزء من خطتهم. أم أنه ساذج
بريء؟ أدركت چيسيكاً أن هذا الحكم اختير خصيصاً من
أجلها. كان ذلك واضحاً في سلوك عالية.

سألت چيسیکا وهي تشير إلى الباليست ذي الأوتار التسعة الذي يحمله التروبادور: «هل تجيد عزف هذه الآلة؟»

أجاب التاجر المهندس بصوت عال ملاً القاعة: «ببراعة تضاهي براعة جيرني هاليك العظيم!». أثارت كلماته هتافات وصيحات رجال البلاط.

قالت چيسیکا: «تريد أن تحصل على المال للسفر. إلى أين تنوي الذهاب بهذا المال؟»

قال المهندس: «إلى بلاط سالوسا سوكانداس وفارادين. سمعت أنه يبحث عن الشعراء والمغنين، وأنه يدعم الفنون ويخلق نهضة ثقافية عظيمة في أرجائه».

امتنت چيسیکا عن النظر إلى عالية. بالتأكيد، كانوا يعرفون ماذا يريد المهندس. شعرت چيسیکا بالمتعة من هذه المسرحية. هل اعتقدوا أنها غير قادرة على مواجهة هذا الاستفزاز؟

سألت چيسیکا «هل ستعزف مقابل ذلك؟ شروطي هي شروط الفرمن. إن أعجبتني موسيقاك، فسأبقى هنا لتسليني؛ وإن أزعجتني موسيقاك، فسأرسلك للعمل الشاق في الصحراء لتكسب نقود سفرك، وإن رأيت أن عزفك مناسب لفارادين، الذي يُقال إنه عدو آل آتريديز، فسأرسلك إليه مع مباركتي. هل ستعزف بموجب هذه الشروط أيها التاجر المهندس؟»

ضحك التاجر ضحكة صاحبة. كان شعره الأشقر يتراقص
وهو يفك الباليست ويضبطه بمهارة موافقاً على تحديها.
تزاحم الجمهور في الغرفة أكثر فأكثر، لكن الحاشية
والحراس منعوهم.

ثم عزف المهندس لحناً، مستخدماً نغمات الأوتار
الجانبية بحرفية ومراعياً اهتزازها الجذاب، ثم رفع صوته
في أغنية رائعة، مرتجلاً بوضوح، ولكن بلهسة فنية مذهلة
جعلت چيسیکا مبهورة قبل أن تنتبه إلى كلماته:

تقولين إنك تشتاقين إلى بحار كلادان،

حيث حكمت يوماً ما، يا آترديز،

دون انقطاع -

لكن المنفيين يعيشون في أراضٍ بعيدة!

تقولين كان مرّاً.

الرجال وقحون جداً،

وتتبعين أحلامك عن الشي هولود،

من أجل طعام لا طعم له-

والمنفيون يعيشون في بلاد بعيدة.

تُضعفين أراكس،

وتُخرسين عبور الدودة،

وتنهين عهدك -

لأن المنفيين يعيشون في بلادٍ بعيدة.

عالية! يسمونك كوان-تين،

تلك الروح التي لم تُرَقَط

حتى..

صرخت عالية، وقد انتفضت من فوق عرشها: «كفى!

سأمر به..»

قاطعتها چيسيكاً بصوت عالٍ وحازم لتجنب الصدام

ولفت الأنظار إليها: «عالية!» كان استخدامها للصوت

بارعاً، وكل من سمعه شعر بقوتها المدربة. عادت عالية إلى

مقعدتها. لاحظت چيسيكاً أنها لم تبدِ أي ارتباك.

فكرت چيسيكاً: هذا ما كنت أتوقعه. كم كان ممتعاً.

ذكرتها چيسيكاً: «الحكم الأولي على هذا لي.»

«حسناً». بالكاد سُمع صوت عالية.

قالت چيسيكاً: «أراد هذا التاجر أن يكون هدية مناسبة

لفارادين؛ لديه لسان لاذع يقطع مثل سكين عاجية.

الدماء التي يمكن أن يسفكها لسانه ستكون مفيدة لبلاطنا،

لكنني أفضل أن يخدم في بلاط آل كورينو.»

انتشر ضحك هامس في القاعة.

صرخت عالية: «هل تعرفين ماذا سماني؟»

«لم يسمك بشيء يا ابنتي. كل ما فعله أنه ذكر ما قد يسمعه هو أو غيره في الشوارع. هناك يسمونك كوان-تين...».

صرخت عالية: «روح الموت الأنثى التي تمشي بلا أقدام».

قالت چيسيكا بصوت عذب: «إن طردت أولئك الذين ينقلون بصدق ما يسمعون، فستحيطين نفسك فقط بمن يرددون ما تشتهين سماعه. ولا شيء أخطر من الغرق في صدى أفكارك المتعفنة».

كانت الشبهات المسموعة تأتي من أولئك الذين تحت كرسي العرش مباشرة.

ركزت چيسيكا على المهندس، الذي وقف هادئاً صامتاً دون أن يظهر أي خوف. كان ينتظر الحكم مهما كان، كأنه غير مهتم به. كان التاجر المهندس من نوعية الرجال الذين كان دوقها يفضل أن يكونوا رفاقه في الشدائد: شخص يثق بحكمته، ويقبل بكل ما يمكن أن يحدث له، حتى لو كان الموت، دون أن يندم على مصيره. فلماذا اختار هذه المسار؟!.

سأله چيسيكا: «لماذا اخترت تلك الكلمات بالتحديد؟»

رفع رأسه وتكلم بوضوح: «سمعت أن آل آترديدز كانوا شرفاء ومتسامحين. أردت أن أختبر ذلك، وربما سأبقى

هنا في خدمتك، وبذلك أحصل على الوقت اللازم للبحث عن الذين سرقوني والانتقام منهم بطريقتي الخاصة».

تمتت عالية: «يجرؤ على اختبارنا!».

چيسیکا: «لم لا؟»

ابتسمت چيسیکا إلى التروبادور معبرة عن حسن نيتها. جاء إلى هذه القاعة فقط لأنها أتاحت له فرصة لمغامرة جديدة، ورحلة أخرى عبر عالمه. شعرت چيسیکا بالميل إلى جعله من حاشيتها، لكن ردة فعل عالية كانت تنذر بالشر على المهندس الشجاع، كما أن هناك علامات توحى بأن هذا ما كانت تتوقعه من الليدي چيسیکا - أن تأخذ تروبادور شجاعاً ووسيماً في خدمتها كما فعلت مع جبرني هاليك. كان من الأفضل إرسال المهندس بعيداً - رغم أنه كان مؤسفاً خسارة مثل هذا الرجل العظيم - إلى فارادين.

قالت چيسیکا: «سيذهب إلى فارادين. احرصوا على أن يحمل معه ما يكفي من النقود، واتركوا لسانه يسحب دماء آل كورينو، فلنر كيف سينجو من غضبهم».

نظرت عالية إلى الأرض، ثم ابتسمت ابتسامة متأخرة. وقالت وهي تشير إلى المهندس أن ينصرف: «حكمة الليدي چيسیکا تسود»

فكرت چيسیکا: لم تسر الأمور بالطريقة التي أرادتها، ولكن لاحظت بعض الأمارات في سلوك عالية تدل على أن الاختبار الأصعب لم يأت بعد.

أحضروا متضرعاً آخر إلى الأمام.

شعرت چيسيكاً، وهي تراقب ردة فعل ابنتها، بالشكوك تعتريةا. كان عليها أن تستفيد من الدرس الذي تعلمته من التوأمين هنا. فعلى الرغم من أن عالية سُنة، فهي من الواعين قبل الولادة. كانت تعرف أمها بقدر ما تعرف نفسها. لم يكن منطقياً أن تخطئ عالية في تقدير ردود أفعال أمها بشأن التروبادور. لماذا افعلت عالية تلك المواجهة؟ هل كانت تريد تشتيتي؟

لم يبق لچيسيكاً وقت للتفكير.

انتقل المتضرع الثاني إلى مكانه تحت العرشين المتطابقين، ومحاميه بجانبه.

كان المتضرع فرمياً هذه المرة، رجلاً عجوزاً يحمل وجهه آثار الحياة في الصحراء. قصير القامة، ونحيل البنية، والدشداشة الطويلة التي تُرتدى عادة فوق بذلة تقطير منحته مظهرًا راقياً. تناسبت عباؤه مع وجهه النحيل وأنفه الذي يشبه المنقار، وعينية التامتي الزرقة اللامعتين. لم يكن يرتدي بذلة ثابتة وبدا غير مرتاح من دونها. لا شك أن المساحة الشاسعة لقاعة الاستماع بدت له مثل الهواء الطلق الخطر الذي يسرق من جسده رطوبته الثمينة. وتحت قلنسوته التي رماها جزئياً إلى الخلف، كان يرتدي غطاء رأس كوفية* معقودة بطريقة خاصة بالنواب الفرمن.

قال واضعاً قدمًا على درجات العرش ليبرز مكانته فوق
مكانة العوام: «أنا غادين الفالي، كنت أحد مغاوير موت
المؤدّب، وأنا هنا بخصوص مسألة صحراوية».

تجمدت ملاح عالية قليلاً، وظهرت على وجهها علامة
خيانة. كان اسم فالي المذكوراً في طلب انضمام چيسيكاً
إلى مجلس الوصاية على العرش.

فكرت چيسيكاً: مسألة صحراوية!

كان غادين الفالي قد تكلم قبل أن يفتح محاميه المرافعة.
وبتلك العبارة الفرمنية الرسمية، أبلغهما أنه قد جاء من
أجل شيء يتعلق بكثيب برمته- وأنه يتحدث بسلطة فدائي
وهب نفسه من أجل پول المؤدّب.

شكت چيسيكاً في أن يكون هذا ما قاله غادين الفالي
لجاquid أو المدعي العام ليطلب جلسة استماع هنا. تأكد
تخمينها عندما اندفع أحد مسؤولي الكهنوت من خلف
القاعة ملوحاً بقماشة الشفاعة السوداء.

نادى المسؤول: «سيدتي، لا تستمعا إلى هذا الرجل! لقد
جاء بادعاء كاذب...».

لمحت چيسيكاً، وهي تراقب الكاهن يركض نحوهم،
حركة من يد عالية تشير بلغة معركة آتريديز القديمة: «الآن!»
لم تستطع چيسيكاً معرفة إلى من وجهت عالية الإشارة،
لكنها تبعت حدسها وانحنت إلى اليسار، وأسقطت كرسي

العرش وكل ما عليه. سقطت أرضاً وتدحرجت بعيداً عن العرش المحطم، ثم قفزت على قدميها وهي تسمع صوت مسدس مولى حاداً... مرتين. لكنها كانت تتحرك بالفعل مع الصوت الأول، وشعرت بشيء يشد كمها الأيمن. غاصت وسط زحام المتضرعين ورجال الحاشية المتجمعين تحت المنصة. لاحظت أن عالية لم تتحرك.

وقفت چيسيكاً محاطة بالناس.

رأت غادين الفالي يفرّ إلى الجهة المقابلة من المنصة، فيما بقي المحامي في مكانه.

حدث كل ذلك بسرعة ككمين مفاجئ، لكن كل من في القاعة كان يعرف كيف يجب أن تكون ردود الفعل المدربة لأي شخص تفاجأ بما حصل. تجمدت عالية والمحامي من شدة الصدمة لكشف تواطؤهما في الهجوم.

أثار اضطراب في وسط الغرفة انتباه چيسيكاً، وتخطت الزحام، ورأت أربعة متضرعين يمسكون مسؤول الكهنوت. كانت قماشة الشفاعة السوداء مرمية بجانب قدميه، والمسدس مكشوفاً بين طياتها.

شق الفالي طريقه متجاوزاً چيسيكاً، ونظر من المسدس إلى الكاهن. أطلق الفرمي صرخة غضب، وضرب الكاهن ضربة أثناسج بيده اليسرى المشدودة. ارتطمت بحلق الكاهن، وانهار مختوقاً. دون أن يلتفت إلى الرجل الذي قتله، استدار النائب العجوز بوجه غاضب نحو

صرخ الفالي واضعاً كفيه على جبهته ثم أنزلهما: «دليل النبوة*! قدس السلف* لن تسمح بإسكاتي! إن لم أقتل من حاول إيقافي، فسيقتله غيري!»

فهمت چيسیکا أنه يعتقد أنه كان الهدف. نظرت إلى كمها، ودست إصبعها في الثقب الصغير الذي أحدثته رصاصة المولى. كانت رصاصة مسمومة بلا شك.

سقط الكاهن أرضاً بين يدي المتضرعين. كان ينوء محتضراً وقد انسحقت حنجرتة. أومأت چيسیکا لاثنين من رجال الحاشية اللذين كانا يقفان مصدومين إلى يسارها، وقالت: «أريد إنقاذ هذا الرجل للاستجواب. إن مات، فستموتان». وبينما ترددوا، ناظرين إلى المنصة، استخدمت الصوت عليهما: «تحركا!»

تحرك الرجلان.

اندفعت چيسیکا نحو الفالي وركلته قائلة: «أنت أحمق، أيها النائب! كنت أنا هدفهم، لا أنت».

سمعها كثيرون من حولها. في صمت الذهول المفاجئ، نظر الفالي إلى المنصة، ورأى أحد كرسيّ العرش مقلوباً، وعالية ما زالت جالسة على الآخر. نظرة الإدراك التي ظهرت على وجهه كان يمكن لأي مبتدئ أن يقرأها.

قالت چيسیکا مذكرة إياه بخدمته السابقة لعائلتها: «أيها

الفدائي، نحن الذين احترقنا من قبل، نعرف كيف نقف
ظهراً لظهر».

قال وقد فهم معنى كلامها على الفور: «ثقي بي يا
سيدتي».

صوت شهقة أجبر چيسيكاً على الالتفات، وشعرت
بالفالي يقف وراءها وظهره لها. كانت امرأة ترتدي
الزي المزخرف لفرمن المدينة تقف بجوار الكاهن الميت
على الأرض. لم تر چيسيكاً رجلي الحاشية في أي مكان.
لم تلتفت المرأة حتى إلى چيسيكاً، لكنها رفعت صوتها
بصرخة الحماس القديمة لشعبها - نداء لأولئك الذين يتولون
مهام تقطير الموتى، تدعوهم ليأتوا ويجمعوا ماء الجثة في
الخزان القبلي.

كان من الغريب أن تسمع هذا الصوت من امرأة
ترتدي مثل هذا الزي. شعرت چيسيكاً بثبات العادات
القديمة حتى عندما رأت زيف امرأة المدينة هذه. كان
واضحاً أن المرأة قد قتلت الكاهن للتأكد من إسكاته.

تساءلت چيسيكاً: ما الداعي لهذا العناء؟ كان بإمكانها
فقط أن تنتظر حتى يموت الرجل مختنقاً. كان الفعل
يأساً، دليلاً على خوف شديد.

جلست عالية على حافة عرشها، عيناها تلمعان من
اليقظة. مرت امرأة نحيلة، بشعرها المظفر، واحدة من
حارسات عالية متجاوزة چيسيكاً، وانحنت فوق الكاهن،

ثم استقامت، ونظرت إلى المنصة. «مات».
صرخت عالية: «احملوا الجثة». أشارت إلى الحراس
أسفل المنصة. «وأصلحوا عرش الليدي چيسيكا».
فكرت چيسيكا: إذا ستحاولين نفي تورطك في الأمر
بوقاحة. هل اعتقدت عالية أن أحداً سيصدقها؟

كان الفالي قد تحدث عن قدس السلف، مستنداً
إلى أساطير الفرمن بصفاتهم حماته. لكن لم تجلب أي
قوة خارقة مسدس مولى إلى هذه الغرفة التي لا يُسمح
باستخدام الأسلحة فيها. اتهام رجال جاغيد بالمؤامرة كان
الحل الوحيد، وكان عدم خوف عالية على حياتها يشهد على
أنها جزء من المؤامرة.

قال النائب العجوز من فوق كتفه لچيسيكا: «اقبلي
اعتذاري يا سيدتي. نحن أبناء الصحراء نأتي إليك لأنك
أملنا الأخير اليأس، والآن نرى أنك ما زلت بحاجة
إلينا».

قالت چيسيكا: «قتل الأم لن يرضي ابنتي».

وعد الفالي: «القبائل ستعلم بهذا».

سألت چيسيكا: «إن كنتم في حاجة ماسة إليّ، فلماذا لم
تحدثوا معي في الاجتماع في سييتش تبر؟»

«لم يسمح ستيلجار بذلك».

فكرت چيسيكا: آه، حكم النواب! في تبر، كانت كلمة

ستيلاجار قانونًا.

عدلوا كرسي العرش المقلوب. أشارت عالية إلى والدتها لتجلس، ثم قالت: «أنتم جميعًا، أرجوكم اشهدوا على موت ذلك الكاهن الخائن. كل من يهددني سوف يموت». نظرت إلى الفالي. «شكرًا لك، أيها النائب».

تمم الفالي: «تشكريني على خطأ ارتكبه!». نظر إلى چيسيكًا. «كنتِ على حق. أزاح غضبي شخصًا كان يجب أن يخضع للاستجواب».

همست چيسيكًا: «احفظ وجهي رجلي الحاشية والمرأة ذات الزي الملون، أيها الفدائي. أريد أن يؤخذوا ويُستجوبوا»

قال: «لكِ ذلك».

قالت چيسيكًا: «إن خرجنا من هنا أحياء. تعال إليّ. الآن، لنعد ونلعب دورنا»

«أمرك سيدتي».

عادا معًا إلى المنصة. صعدت چيسيكًا الدرجات، وجلست على كرسيها بجانب عالية، وبقي الفالي في موقع المتضرع أدناه.

قالت عالية: «الآن».

قالت چيسيكًا: «لحظة واحدة، يا ابنتي». رفعت كمها، وكشفت الثقب بإدخال إصبعها فيه. وأضافت: «الهجوم

استهدفني. الرصاصة كادت تصيبي رغم محاولتي تفاديها.
ستلاحظون جميعاً أن مسدس المولى لم يعد في مكانه». أشارت بيدها. «من أخذ المسدس؟»

لم يجب أحد.

قالت چيسیکا «ربما يمكن تعقبه».

قالت عالية: «ما هذا الهراء! أنا كنتُ المستهد...».

استدارت چيسیکا نصف دورة نحو ابنتها، وأشارت بيدها اليسرى. «في الأسفل، هناك مَنْ يحمل المسدس. ألا تخافين أن...».

قالت عالية: «المسدس بحوزة إحدى حارساتي!»

قالت چيسیکا: «إذاً، ستأتين بتلك الحارسة والسلاح إليّ».

عالية: «لقد أخفّته بالفعل».

قالت چيسیکا: «كم هذا ملائم».

عالية: «ماذا تقولين؟»

ابتسمت چيسیکا بسخرية وقالت: «أقول إنني أمرت اثنين من رجالك بإنقاذ حياة ذلك الكاهن الخائن. حذرتهما من أنهما سيموتان إن مات. لذا سوف يموتان».

«أمنع ذلك!»

هزت چيسیکا كتفها بلا مبالاة.

قالت عالية مشيرة إلى الفالي: «لدينا هنا فدائي شجاع. هذا النقاش يمكن أن ينتظر».

قالت چيسیکا، متحدثة بلغة التشاكوبسا: «يمكن أن ينتظر إلى الأبد»، حملت كلماتها تأكيداً مزدوجاً لإخبار عالية أن لا نقاش سوف يمنع أمر الموت.

قالت عالية: «سوف نرى!» ثم التفتت إلى الفالي. «لماذا أنت هنا، يا غادين الفالي؟»

قال النائب: «لرؤية والدة المؤدب. ما تبقى من الفدائيين، عصابة الإخوة الذين خدموا ابنها، جمعوا مواردهم الشحيحة ليشتروا طريقي إلى هنا، عبر الحراس الجشعين الذين يُخفون عن آل آترديدز واقع أراكس».

قالت عالية: «ماذا يطلب الفدائيون، لديهم...».

قاطعتها چيسیکا: «جاء لرؤيتي. ما حاجتك أيها الفدائي؟»

قالت عالية: «أتحدث هنا باسم آل آترديدز! ما...»

صرخت چيسیکا: «اصمتي أيتها الشنعة القاتلة! حاولت قتلي يا ابنتي! أقولها للجميع هنا ليعرفوا. لا يمكنك قتل كل من في هذه القاعة لإسكاتهم - كما أسكت هذا الكاهن. نعم، ضربة النائب كانت لتقتل الرجل، لكن كان يمكن إنقاذه.. كان يمكن استجوابه! لم يكن من شأنك إسكاته. تحججي كما تشائين، أفعالك تفضح جرمك!»

جلست عالية في صمت وذهول، وجهها شاحب. وبينما تراقب چيسیکا مشاعر ابنتها تتغير على محياها، لاحظت حركة مخيفة تعرفها جيداً من يدي عالية، رد فعل لا شعوري كان يميز عدو آل آترديدز اللدود. نقرت أصابع عالية بإيقاع محدد -الإصبع الصغيرة مرتين، السبابة ثلاث مرات، البنصر مرتين، الإصبع الصغيرة مرة واحدة، البنصر مرتين.. ثم عادت إلى النقر من جديد بالتسلسل نفسه.

البارون العجوز!

شعرت عالية بنظرة چيسیکا المهددة إليها، فنظرت إلى يدها، وأوقفت النقر، ثم عاودت النظر إلى والدتها وعرفت أنها كشفت سرها. ثم ابتسمت ابتسامة شامتة.

همست چيسیکا: «إذن تنتقمين منا».

سألت عالية: «هل جُنت يا أمي؟»

قالت چيسیکا: «أتمنى لو كنت كذلك». وفكرت: تعرف انني سأؤكد ذلك للأخوية. تعلم. ربما تشك حتى أنني سأخبر الفرمن، وأرغمها على الخضوع إلى محاكمة مس. لا يمكنها أن تتركني أغادر حية.

قالت عالية: «الفدائي الشجاع ينتظر ونحن نتجادل».

أعادت چيسیکا انتباهها إلى النائب العجوز. سيطرت على ردودها. قالت: «أتيت لرؤيتي يا غاديان».

«نعم يا سيدتي. نحن في الصحراء نرى أشياء مروعة تحدث. تخرج الصانعات الصغيرات من الرمال كما تنبأت النبوءات القديمة. العثور على الشي هولود بات مستحيلاً إلا في أعماق الربع الخالي. لقد هجرنا صديقتنا، الصحراء!»

لمحت چيسیکا عالية، التي أومأت لها بخفة لتواصل حديثها. نظرت چيسیکا إلى الجمهور في الغرفة، ورأت الدهشة تملأ وجوههم. لم يفهم مغزى الخلاف بين الأم وابنتها، ولا بد أنهم يتساءلون ما سبب استمرار جلسة الاستماع.

أعادت چيسیکا انتباهها إلى الفالي.

«غاديان، ما هذا الحديث عن الصانعات الصغيرات، وندرة الديدان الرملية؟»

قال مستخدماً لقبها الفرميني القديم: «يا أم الرطوبة، حذرنا من هذا في كتاب العبر. أتوسل إليك. لا تنسي أنه في يوم وفاة المؤدب، انقلبت أراكس على نفسها! لا يمكننا نبد الصحراء.»

قالت عالية بسخرية: «هاه! العوام المؤمنون بالخرافات في الصحراء الداخلية يخشون التغير البيئي.. هم...»

قالت چيسیکا: «أسمعك يا غاديان. إن انقرضت الديدان، فسينفد الاسپايس. وإن نفذ الاسپايس، فبأي عملة ندير شؤوننا؟»

أصابت الصدمة الحاضرين: ترددت صرخات وهمسات
مذعورة في القاعة الكبرى. عكست الغرفة صدى
الصوت.

هزت عالية كتفيها. «كلام فارغ».

أشار الفالي بيده اليمنى إلى عالية. «أنا أتحدث إلى أم
الرطوبة، وليس إلى الكوان-تين!»

أمسكت عالية بذراعي عرشها لكنها بقيت جالسة.

نظر الفالي إلى چيسيكًا. «كان كثيب سابقًا أرضًا قاحلة
لا ينبت فيها شيء. الآن توجد نباتات. تنتشر مثل القمل
فوق جرح. ثمة غيوم وأمطار على طول حزام كثيب! مطر
يا سيدتي! يا أم المؤدب العزيزة، كما أن النوم أخو الموت،
المطر فوق حزام كثيب حثفنا جميعًا».

اعترضت عالية قائلة: «لا نفعل إلا ما خطط له لبيت
كاينز والمؤدب من أجلنا. ما هذا الهراء الفارغ؟ نحن
نحترم كلمات لبيت كاينز الذي قال لنا: (أتمنى أن أرى
هذا الكوكب برمته مغطى بشبكة من النباتات الخضراء)».

سألت چيسيكًا: «وماذا عن الديدان والاسپايس؟»

قالت عالية: «ستكون هناك دائمًا بقعة من الصحراء.
وستبقى الديدان حية».

فكرت چيسيكًا: تكذب. لماذا تكذب؟

ناشد الفالي: «ساعدينا يا أم الرطوبة».

شعرت چيسيكاً بصدمة من الرؤية المزدوجة.. اهتز وعيها، مدفوعاً بكلمات النائب العجوز. كان أدباً* لا لبس فيه، ذكرى مُلحة داهمتها. جاءت فجأة، وأوقفت حواسها فيما يُطبع درس الماضي على وعيها. انغمست فيه كلياً كسمكة في شبكة. مع ذلك شعرت بإلحاحه، كل جزء صغير منه تذكير بخلقٍ معين. كل عنصر من عناصر الدرس-الذكرى كان حقيقياً لكن ضئيلاً في تغييره المستمر، وعرفت أن هذه ربما أقرب مرة تدنو فيها من تجربة الاستبصار الذي فرض نفسه على ابنها.

كذبت عالية لأنها كانت ممسوسة من كيان يرغب في تدمير آل آتريديز. كانت، في حد ذاتها، أول ما دمره هذا الكيان. إذا قال الفالي الحقيقة: ديدان الرمل مهددة بالانقراض ما لم يُعدّل مسار التحول البيئي.

في لحظة إرهاق من البصيرة، تراءى لچيسيكاً أن حركات الحاضرين في جلسة الاستماع قد تباطأت، فكشفت المهام الموكلة إليهم. استطاعت تمييز الذين كلّفوا بقتلها قبل أن تخرج من هنا! ورسمت في ذهنها بوضوح الطريق الذي تستطيع الهروب من خلاله. سيسري اضطراب بينهم، وسيتظاهر أحدهم بأنه يتعثر بالآخر، وسيسود هرج ومرج في الحشد. ولكنها أدركت أيضاً أنها ما إن تتمكن من الخروج من القاعة الكبرى حتى تقع في أيدي آخرين. لن تبالي عالية إن جعلت منها شهيدة. لا، بل الشيء الذي يسيطر عليها هو الذي لا يبالي.

الآن، في هذا الزمن المتوقف، اختارت چيسیکا طريقة لإنقاذ النائب العجوز معها، وتكليفه بنقل رسالة. كان الطريق عبر الجمهور واضحاً تماماً. كان الأمر بسيطاً، كانوا مهرجين بعيون محصنة، أكتافهم مثبتة في وضعيات دفاعية. يمكن رؤية كل مكان فوق الأرضية الكبيرة مسرح معركة مأساوية قد ينتزع خلالها لحم ميت يكشف عن هياكل عظمية تحته. أجسادهم وملابسهم ووجوههم تصف بجيماً فردياً- صدور مشدودة برعب خفي، وخطافات لامعة لجواهر أصبحت دروعاً بديلة؛ وأفواه مليئة بعبارات مرعبة.

شعرت چيسیکا بتفكك القوى التي تُشكّل أراكس. كان صوت الفالي مثل مكود في روحها، أيقظ وحشاً من أعماقها.

في لحظة، انتقلت چيسیکا من الذكرى-الأدب* إلى عالم الحركة، لكنه كان مختلفاً عن العالم الذي جذب انتباهها قبل ثانية واحدة فحسب.

شرعت عالية تتكلم، لكن قاطعتها چيسیکا: «صه!» ثم قالت: «هناك من يخشى أنني عدت إلى الأخوية بلا تحفظات. لكن منذ ذلك اليوم في الصحراء عندما قدم الفرمن هدية الحياة لي ولابني، أصبحت فرمنية!» وتكلمت باللغة القديمة التي لا يفهمها سوى أولئك الموجودين في هذه الغرفة الذين يمكنهم الاستفادة منها: «انصر أخاك

ظالماً أو مظلوماً*». ساند أخاك في وقت شدته، سواء كان عادلاً أم ظالماً!

كان لكلماتها التأثير المنشود، تغيرت المواقف قليلاً داخل القاعة.

لكن چيسیکا واصلت بحدة: «هذا غاديان الفالي، فرمني صادق، أتى إلى هنا ليخبرني بما كان ينبغي على الآخرين كشفه لي. لا أحد يستطيع أن ينكر هذا! أصبح التحول البيئي عاصفة خارجة عن السيطرة!»

يمكنها رؤية التأييدات الصامتة في أنحاء الغرفة.

واصلت چيسیکا: «وابنتي تسعد بهذا! مكتوب المملح! تحفرين الجروح في جسدي وتكتبين عليها بالمملح! لماذا وجد آل آترديز داراً هنا؟ لأن المهالاتا كانت طبيعية بالنسبة إلينا. بالنسبة إلى آل آترديز، كانت الحكومة دائماً شراكة قائمة على الحماية: المهالاتا، كما عرفها الفرمن دائماً. الآن انظروا إليها!» أشارت چيسیکا إلى عالية. «تضحك وحدها ليلاً وهي تفكر في شرورها! سوف ينخفض إنتاج الاسپايس إلى الصفر، أو في أحسن الأحوال إلى جزء ضئيل من مستواه السابق! وعندما تنتشر الكلمة عن ذلك إلى الخارج

-«.

صرخت عالية: «وسيكون لدينا نصيبٌ من المنتج الأعلى في العالم يسمح لنا بالتحكم في سعره!».

ردت چيسیکا: «سيكون لدينا نصيبٌ في الجحيم!»

انتقلت عالية إلى أقدم نسخة من اللغة التشاكوبسية، لغة آترديز الخاصة مع التوقفات الحلقية والنقرات الصعبة: «الآن، تعلمين يا أمي! هل تعتقدين أن حفيدة البارون هاركونن لن تدرك كل الأعمار- الأرواح التي حشرتها داخل وعي قبل حتى أن أولد؟ عندما غضبتُ مما فعلته بي، كان عليّ أن أسأل نفسي ماذا كان البارون سيفعل. وقد أجابني! هل تفهميني أيتها العاهرة الآترديزية! اجابني!».

سمعت چيسيكاسم، وتأكيد تخمينها. سُنة! كانت عالية ضائعة بداخلها، وقد استحوذ عليها سيد الشر، البارون فلاديمير هاركونن. كان البارون نفسه يتحدث من فيها الآن، غير مكترث بما انكشف. أرادها أن ترى انتقامه، أرادها أن تعرف أنه لا يمكن طرده.

فكرت چيسيكاسم: من المفترض أن أبقى هنا عاجزة على الرغم من معرفتي. مع هذه الفكرة، اندفعت سالكة مسار الهروب الذي كشفه أدب لها وهي تصرخ: «أيها الفدائي، اتبعني!»

اتضح أنه كان هناك ستة فدائيين في الغرفة، وقد نجح خمسة منهم في شق طريقهم خلفها.

عندما أكون أضعف منك، أطلب منك الحرية لأن ذلك يتفق مع مبادئك. وعندما أكون أقوى منك، سأنتزع منك حريتك لأن ذلك يتفق مع مبادئتي.

- كلمات فيلسوف قديم

(ينسبها خرق العادة إلى الفيلسوف لويس فيلوت)

انحنى ليتو من مخرج السييتش السري، ورأى انحدار الجرف الذي يتجاوز مدى نظره. ألقى ضوء الشمس في هذا الوقت المتأخر من بعد الظهر ظلالة الطويلة على التصدعات العمودية للجرف. طارت فراشة هيكلية داخل وخارج الظل، أجنحتها الشبكية كانت كشق شفاف مقابل الضوء. تأمل مدى نعومة تلك الفراشة حتى تعيش هنا.

أمامه مباشرة امتد بستان المشمش، حيث كان الأطفال يجمعون الثمار المتساقطة. خلف البستان كانت القناة، حيث هرب هو وغنيمة من حراسهما بالاندماج في تيار مفاجئ من العمال القادمين. كان من السهل إلى حد ما أن يمر عبر ممر هوائي وصولاً إلى نقطة اتصاله بالدرجات المؤدية إلى المخرج السري. الآن عليهما فقط الاندماج بالأطفال، والتوجه إلى القناة والقفز داخل النفق. هناك يمكن أن يسيرا بجوار الأسماك المفترسة التي تمنع البرقات الرملية من اختزان مياه الري القبلية بداخلها. لم يفكر أي من الفرمن حتى الآن في إنسان يخاطر بالغطس العرضي في الماء.

خرج ليتو من ممرات الحماية.. أصبح الجرف الممتد بعيداً على جانبيه، أفقياً بسبب حركته، ثم تبعته غنيمة. حملا سلتين صغيرتين من الفاكهة محاكتين من ألياف الاسپايس، لكن كل سلة كانت تحمل حزمة مغلقة: عدّة فرمن، ومسدس مولى، وسكيناً عاجية.. والأردية الجديدة التي أرسلها فارادين.

تبع غنيمة شقيقها في البستان، واندجت مع الأطفال العاملين. كانت أقنعة بذلات التقطير تخفي وجهيهما. كانا مجرد عاملين إضافيين هنا، لكنها شعرت بالحركة تشد حياتها بعيداً عن الحدود المحميّة، والطرق المألوفة. يا لها من خطوة بسيطة، تلك الخطوة من خطر إلى آخر!

في سلتيهما كانت تلك الثياب الجديدة التي أرسلها فارادين، تخدم هدفاً عرفه كلاهما. أكدت غنيمة هذه المعرفة بجياكة شعارهما الشخصي، «نحن نتشارك»، باللغة التشاكوبسية فوق رأس الصقر على صدر كل رداء.

سيحل الشفق قريباً، ووراء القناة التي تميز أرض السيتش الزراعية، ستدور أحداث أمسية خاصة لا تضاهيها سوى أماكن قليلة في العالم. ستجري أحداث تلك الأمسية في ذلك العالم الصحراوي المضاء بنخوت، بعزلته المتواصلة، وإحساسه الطاغى بأن كل مخلوق فيه كان وحيداً في عالم جديد.

همست غنيمة وهي تنحني للعمل بجانب أخيها: «ينظرون

إلينا».

«الحراس؟»

«لا، أشخاص آخرون».

«جيد».

قالت: «يجب أن نسرع».

وافق ليتو على ذلك بالابتعاد عن الجرف عبر البستان.

تذكر أفكار أبيه: كل شيء في الصحراء يتحرك دون توقف وإلا سيهلك. بعيداً فوق الرمال، كان بإمكانه رؤية نتوء صخرة الخادم، تذكير بضرورة التحرك. كانت الصخور الباردة والصلبة في أشكالها الغامضة الحذرة، تتلاشى سنوياً قبل هجوم الرمال التي تدفعها الرياح. في يوم من الأيام ستصبح صخرة الخادم رمالاً.

عندما اقتربا من القناة، استمعا إلى الألحان التي تنبعث من بوابة السييتش المرتفعة. كانت فرقة موسيقية فرمونية قديمة تعزف على آلات بسيطة - مزامير ذات فتحتين ودفوف وطبول مصنوعة من براميل بلاستيكية مملوءة بالاسپايس ومغطاة بجلود مشدودة. لم يتساءل أحد عن نوع الحيوان الذي زودهم بتلك الجلود على هذا الكوكب القاحل.

فكر ليتو: سيذكر ستيلجار كلامي عن هذا الشق في صخرة الخادم. سيأتي في الظلام بعد فوات الأوان - وحينها

سيكتشف الحقيقة.

في هذه اللحظة، وصلا إلى القناة، وانزلقا في أنبوب مفتوح، ثم هبطا عبر سلم تفتيش إلى الإفريز الذي يقف عليه عمال الصيانة. كان الجو في القناة مظلماً ورطباً وبارداً، وسمعا صوت الأسماك المفترسة تشق الماء. أي دودة رملية تحاول اختراق القناة ستجد نفسها محاصرة بين الأسماك المفترسة التي ستهاجم سطحها الأملس بفعل الماء.. وعلى البشر أيضاً الحذر منها.

قال ليتو: «احترسي»، وهو يتقدم أسفل الإفريز الزلق. وربط ذكرياته بأزمة وأماكن لم يشهدا جسده قط.

تبعته غنيمة، وفي نهاية القناة خلعا بذلتي التقطير ولبسا الأردية الجديدة. تخلصا من الأردية الفرمنية القديمة وراءهما، وصعدا من أنبوب تفتيش آخر، وعبرا كثيراً رملياً، ثم نزلا من الجهة المقابلة. هناك اختبأ بعيداً عن السيتش، وربط حزامي مسدسي المولى والسكينين العاجيتين حول خصرهما، وحملا عدة الفرمن على كتفيهما. لم يعد بإمكانهما سماع الموسيقى.

نهض ليتو، وانطلق عبر الوادي بين الكثبان.

تأخرت عنه غنيمة بخطوة، تسير بهدوء متقطع على الرمال العارية.

تحت قم الكثبان الرملية، انبطحا وزحفا إلى الجهة المحمية من الرياح، حيث توقفا ونظرا إلى الورا بانتباه بحثاً

عن أي مُطاردين. لم يظهر أي صياد في الصحراء حتى
وصلا إلى مجموعة الصخور الأولى.

في ظلال الصخور، تقدا من حول صخرة الخادم،
وصعدا إلى حافة تطل على الصحراء. تلاشت الألوان في
البيداء الشاسعة، واحتوى الهواء القاتم على بلورات ناعمة
هشة. كانت المناظر الطبيعية التي التقت بأنظارهما قاسية،
لم تنقطع في أي مكان، ولم تُظهر أي تردد. لم تستقر
نظراتهما على مكان بعينه في حركتها الفاحصة السريعة عبر
تلك الضخامة.

فكر ليتو: هذا أفق الخلود.

جلست غنيمة القرفصاء بجانب شقيقها وهي تفكر:
الهجوم وشيك. استمعت بحثاً عن أدنى صوت، وتحول
جسدها كله إلى أداة جسّ دقيقة.

جلس ليتو متأهباً؛ لقد عرف الآن ذروة كل التدريب
الذي خضعت إليه الأرواح التي شاركها بداخله بدقة.
في هذه البرية طور المرء اعتماداً راسخاً على الحواس، كل
الحواس. أصبحت الحياة كنزاً من التصورات المخزنة، كل
منها مرتبط بالبقاء اللحظي.

تسلقت غنيمة الصخور وأطلت من خلال شق إلى
الطريق الذي أتيا منه. بدا أمان السييتش بعيداً جداً،
كلمة ضخمة من المنحدرات البكاء ترتفع من المسافة البنية-
الأرجوانية، وحواف ضبابية بفعل الغبار عند التواء حيث

يلقي آخر ضوء للشمس بخطوطها الفضية. لا يزال لا يمكن رؤية أي مطاردة في المسافة الفاصلة. عادت إلى جانب ليتو.

قال ليتو: «سيكون حيوانًا مفترسًا. هذا ما أشار إليه حسابي الثالث».

قالت غنيمه: «أعتقد أنك توقفت عن الحساب مبكرًا. سيكون أكثر من حيوان واحد. تعلم آل كورينو ألا يضعوا كل آمالهم في حقيبة واحدة».

أوما ليتو برأسه: أتفق معها.

بجأة شعر بثقل عقله من كثرة الأرواح التي أمده اختلافه بها: كانت كل تلك الأرواح ملكه حتى ما قبل الولادة. كان مشبعًا بالحياة وأراد الفرار من وعيه. كان العالم الداخلي وحشًا هائلًا يمكن أن يلتهمه.

نهض منزعجًا، وصعد إلى الشق الذي استخدمته غنيمه، وأطل على منحدرات السيتش. هناك، تحت الجرف، يمكنه أن يرى كيف رسمت القناة خطأً فاصلاً بين الحياة والموت. على حافة الواحة رأى مريمية الجمل، وعشب البصل، وعشب جوبي الرشي، والبرسيم البري. في ضوء الشفق، كان بإمكانه تمييز الحركات السوداء للطيور التي تقفز بين محصول البرسيم. وكانت سنابل الحبوب البعيدة تتطاير بفعل الرياح

التي رسمت ظلالًا متحركة قبالة البستان. استحوذت

الحركة على وعيه، ورأى أن الظلال تخفي داخل شكلها
السائل تغيراً أكبر، وأن ذلك التغيير الكبير قد أضاء
السماء المغبرة الفضية بأقواس قزح مخروطية الشكل.

سأل نفسه: ماذا سيحدث هنا في الخارج؟

وكان يعلم أنه سيكون إما الموت وإما مسرحية الموت،
وسيكون هو الهدف. وغنيمة من ستعود، وهي تصدق
حقيقة موتٍ رآته أو ستبلغ بصدق من خلال إكراه
تنويمي عميق بأن شقيقتها قد قُتل بالفعل.

تطارده أسرار هذا المكان. فكر: كم سيكون الاستسلام
لإلحاح الاستبصار سهلاً، والمخاطرة بإطلاق وعيه في
مستقبل محتوم غير متغير. كانت الرؤية الصغيرة لحلمه
كفيلة بإرهابه. كان يعلم أنه لن يجرؤ على المخاطرة بالرؤية
الأكبر.

عاد إلى جانب غنيمة.

قال: «لا مطاردة بعد».

قالت غنيمة «ستكون الوحوش التي سيرسلونها إلينا
ضخمة. ربما ستمتلك الوقت لرؤيتها قبل أن تصل».

«ليس إن جاءت ليلاً».

قالت: «سيحل الظلام قريباً جداً».

«نعم. حان وقت الهبوط إلى مخبئنا». وأشار إلى الصخور
على يسارهما وأسفلهما حيث نحتت رمال الرياح شقاً

صغيراً في البازلت. كان كبيراً بما يكفي ليتسع لهما لكنه صغير بما يكفي ليحجبهما عن المخلوقات الضخمة. شعر ليتو بتردد في الذهاب إلى هناك، لكنه علم أنه يجب فعل ذلك. كان هذا المكان الذي أشار إليه لستيلجار.
قال ليتو: «ربما يقتلوننا حقاً».

قالت غنيمة: «هذه فرصتنا. نحن مدينان لأبينا».

ليتو: «أنا لا أعارض». ثم فكر: هذا هو المسار الصحيح. نحن نفعل الصواب. ولكنه عرف مدى خطورة أن تكون محقاً في هذا العالم. يتطلب بقاؤهما الآن القوة واللياقة وفهم القيود الكامنة في كل لحظة. كانت أساليب الفرمن أفضل درع لهما، وكانت معرفة البني چيسيريت قوة احتياطية. كانا يفكران الآن كأنهما محاربين قدامى مدرّبين بالطرق الآتريديزية، دوئما أي دفاعات أخرى سوى الصلابة الفرمنية التي لم تتوافق مع جسديهما الطفولين وزيهما الرسمي.

تحسس ليتو مقبض السكين العاجية بسنّها الحاد. لا شعورياً كررت غنيمة هذه الحركة.

سألت غنيمة: «هل نهبط الآن؟» وفي أثناء حديثها، رأت الحركة أسفلهما من بعيد، وبدأت تلك الحركة الصغيرة أقل خطورة بسبب المسافة. لفت صمتها المفاجئ انتباه ليتو قبل أن تتمكن من تحذيره.

قال: «نمور».

صححت له: «ثمرا لازا».

قال: «يمكنهما رؤيتنا».

قالت: «علينا أن نسرع. لن نستطيع مسدس مولى أن يُوقفهما أبداً. ستكون مدرّبة جيداً على هذا».

قال متقدماً غنيمة عبر منحدر سريع أسفل الصخور يساراً: «بالتأكيد يوجههما بشري في مكان ما»

اتفقت غنيمة بصمت، واحتفظت بقوتها. سيكون هناك بشري في مكان ما حولهما. لن يسمحوا لتلك النور بالركض بحرية دون توجيه حتى اللحظة المناسبة.

انطلق النمران بسرعة في بصيص الضوء الأخير للشمس، وقفزا من صخرة إلى أخرى. كانا مخلوقين تقودهما أعينهما، ولم يبق سوى القليل حتى يسود الليل، وينتقل زمام القيادة إلى آذانهما. سمعا صوت طائر ليلي يغرد من صخرة الخادم مؤكداً التغيير الذي جلبه الليل. كانت مخلوقات الظلام تندفع بالفعل في ظلال الصدوع المنحوتة.

لا يزال النمران ظاهرين للتوأمين الراكضين. كان الحيوانان ينطلقان بقوة، يقودهما إحساس متموج باليقين الذهبي في كل حركة.

شعر ليتو أنه تعثر بهذا المكان لتحرير نفسه من روحه. ركض بثقة مطلقة بأنه وغنيمة سيصلان إلى الشق الضيق في الوقت المناسب، لكنه لم يكف عن الالتفات مدهوشاً

نحو الوحشين القادمين.

فكر: إن تعثر أحدنا، فسنهلك.

قلّلت هذه الفكرة من يقينه، فزاد من سرعته.



أتن يا بني چيسيريت تطلقن على نشاط نبوءات پانوپليا الذي تمارسنه «علم الدين». جيد جداً. أنا، باحث عن نوع آخر من العلماء، أرى هذه الكلمة تعريفاً مناسباً. تشيدن بالفعل أساطيركن، كما تفعل كل المجتمعات الأخرى، لكن يجب أن أذكركن: أتن نتصرفن كما يتصرف كثير من العلماء المضللين. تكشف أفعالكن أنكن ترغبن في انتزاع شيء من [بعيداً عن] الحياة. حان الوقت لتذكيركن بما تدعينه كثيراً: لا يمكن للهراء أن يمتلك شيئاً واحداً دون نقيضه.

- الواعظ في أراكس: رسالة إلى الأخوية.

في الساعة التي تسبق الفجر، جلست چيسیکا هادئة على سجادة ممزقة من قماش الاسپايس. كانت محاطة بصخور جرداء لسيتش عتيق وفقير، من أولى مستوطنات الفرمن الأصلية. كان متوارياً تحت حافة الهوة الحمراء، محمياً من رياح الصحراء الغربية. وصل الفالي وإخوته من الفدائين إلى هنا، وهم الآن ينتظرون كلمة من ستيلجار. لكن الفدائين كانوا حذرين في مسألة الاتصال؛ لا يجب أن يعرف ستيلجار موقعهم.

كان الفدائيون يعلمون بالفعل أنهم متهمون بجرائم ضد الإمبراطورية، وكانت عالية تزعم أن أعداء المملكة قد حرضوا أمها، رغم أنها لم تذكر الأخوية صراحة بعد. لكن طبيعة عالية الاستبدادية والمتغترسة كانت واضحة الآن، واعتقادها بأن سيطرتها على الكهنوت يعطيها السيطرة على

الفرمن كان سيخضع للاختبار.

كانت رسالة چيسىكا إلى ستيلجار واضحة ومختصرة:
«ابنتى ممسوسة، ويجب أن تخضع للمحاكمة».

لكن المخاوف أفسدت القيم، وكان من المعروف أن بعض الفرمن يرفضون قبول هذا الاتهام. حاولوا استغلال الاتهام كمبرر للهروب، ونشبت معركة خلال الليل بسبب ذلك، لكن رجال الفالي أوصلوا الهارين بالأورنيثوبترات التي سرقوها إلى هذا الملجأ الهش: سييتش الهوة الحمراء.

انتشرت الكلمة من هنا إلى باقي الفدائين، ولكن لم يبقَ منهم سوى أقل من مئتين في أراكس. شغل الآخرون مناصب مختلفة في جميع أنحاء الإمبراطورية.

بينما تفكر چيسىكا في هذه الحقائق، انتابتها شكوك في أنها قد وصلت إلى مكان حتفها. آمن بعض الفدائين بذلك، لكن مغاوير الموت تقبلوا هذا بسهولة. ابتسم الفالي لها عندما أعرب بعض رجاله عن مخاوفهم.

قال النائب العجوز: «عندما يقضي الله على نفسٍ أن تموت في أرضٍ معينة، فهو يهديها إلى مكان مصيرها المحتوم».

تحركت الستائر المرقعة عند بابها قبل أن يدخل الفالي. ظهر وجه الرجل العجوز النحيل الملفوح بالريح، عيناه ملتهبتان. كان واضحاً أنه لم ينم.

قال: «أحدهم قادم».

«هل أرسله ستيلجار؟»

«ربما». أخفض عينيه، ونظر يساراً بطريقة الفرمن القديمة التي تدل على أنه يحمل أنباء سيئة.

سألت چيسيكاً: «ما الأمر؟»

قال دون أن ينظر إليها: «وصلنا خبر من تبر أن حفيدك ليسا هناك».

«عالية...».

«أمرت بنقل التوأمن إلى حضانتها، لكن سييتش تبر أخبرها بأن الطفلين غير موجودين هناك. هذا كل ما نعرفه».

قالت چيسيكاً: «أرسلهما ستيلجار إلى الصحراء».

«ربما، لكن يُقال إنه كان يفتش عنهما طوال الليل. ربما كان يخذعنا».

قالت: «هذه ليست طريقة ستيلجار». وفكرت: إلا إذا اقنعه التوأمان بذلك. لكن هذا لم يبد لها معقولاً أيضاً.

استغربت من نفسها: لم تشعر بأي ذعر في داخلها لتقمعه، وتلاشت مخاوفها على التوأمن بسبب ما أخبرتها به غنيمه.

نظرت إلى الفالي، ورأته ينظر إليها بشفقة في عينيه.

قالت: «ذهبا وحدهما إلى الصحراء».

«وحدهما؟ هذان الطفلان!»

لم تكلف نفسها عناء توضيح أن «هذين الطفلين» قد يكونان أكثر دراية بالبقاء في الصحراء من معظم الفرمن الأحياء، بل كانت تفكر في تصرف ليتو الغريب عندما أصر على أن تُسهّل خطفها. كانت ستتجاهل هذه الذكرى، لكن هذه المناسبة استدعتها. قال لها إنها ستدرك اللحظة التي ستطيعه فيها.

قال القالي: «يجب أن يكون الرسول قد وصل إلى السييتش الآن. سأتي به إليك». ثم خرج من خلال الستارة المرقعة.

حدقت چيسیکا في الستارة. كانت قطعة قماش حمراء من ألياف الاسپايس، مزينة برقع زرقاء. كانت القصة أن هذا السييتش امتنع عن الانتفاع من دين المؤدب؛ ما جعله معادياً لكهنوت عالية. وحسب ما سمعت وضع أهله رأسهم في مخطط لتربية كلاب ضخمة كالمهور، كلاب يختارونها لذكائها ويجعلونها حراساً للأطفال. لكن الكلاب ماتت كلها. قيل إنه كان سماً، وألقي اللوم على الكهنة.

هزت رأسها لتطرد هذه الأفكار، مدركة حقيقتها: غفلة*، تسليم النفس للملهيات.

أين ذهب هذان الطفلان؟ إلى چاكوروتو؟ كان لديهما

خطة. تذكرت: حاولا إقناعي بما يرياه حتى اعتقدا أنني سأقبل. وعندما بلغا حدود ما يمكنهما، أمرها ليتو بالطاعة. أمرها!

كان ليتو على بينة بما تخطط إليه عالية؛ كان ذلك واضحاً. تحدث التوأمين عن مأساة عمتهما، حتى وهما يدافعان عنها. كانت عالية تعتمد على حقها في الوصاية، وأثبت طلبها بحضانة التوأمين ذلك. أطلقت چيسیکا ضحكة قاسية رجف لها صدرها. كانت الأم الموقرة جايس هيلين موهم تحرص على توضيح هذا الخطأ المحدد لتلميذتها چيسیکا. «إذا ركزت وعيك فقط على حقك، فأنت تجذبن قوى معارضة حتى تسيطر عليك. هذا خطأ شائع. حتى أنا، معلمتك، وقعت فيه».

همست چيسیکا لنفسها: «وحتى أنا، تلميذتك، وقعت فيه».

سمعت الأقمشة تتحرك في الممر خلف الستارة. دخل شابان فرمانيان، من الحاشية التي انضمت إليهم ليلاً. كانا مذهولين بوجودهما في حضرة والدة المؤدّب. فهمتهما چيسیکا تماماً: كانا غير مفكرين، ربطا نفسيهما بأي قوة متخيلة في مقابل الهوية التي منحتهما إياهما. من دون تأمل منها، أدركت أن عقليهما فارغان. وبالتالي، كانا خطيرين. قال أحدهما: «أرسلنا الفالي أولاً لتيئتك».

شعرت چيسیکا بضيق مفاجئ في صدرها، لكن صوتها

بقي هادئاً. «تهبتي من أجل ماذا؟»

«أرسل ستيلجار دانكن آيداهو رسوياً له.»

غطت چيسিকা شعرها بعباءتها في حركة لا شعورية.
دانكن! لكنه كان في خدمة عالية.

تقدم الفرمني الذي تحدث نصف خطوة إلى الأمام.
«يقول آيداهو إنه جاء لينقلك إلى مكان آمن، لكن الفالي لا يدري كيف يمكن ذلك.»

قالت چيسিকা: «يبدو الأمر غريباً حقاً. لكن هناك أشياء أغرب في عالمنا. اجلباه.»

تبادلا النظرات لكنهما امتثلا، وخرجا معاً بسرعة حتى
أنهما فتحا شقاً آخر في الستارة البالية.

دخل آيداهو من خلال الستارة، يتبعه الفرمنيان والفالي
خلفهما، يده على سكينه العاجية. كان آيداهو متوتراً،
ويرتدي زياً غير رسمي لحارس من آل آترديدز، الزي
الذي لم يتغير كثيراً منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. كانت
أراكس قد غيرت النصل البولادي القديم بمقبضه الذهبي
بسكين عاجية، لكن هذا كان تغييراً بسيطاً.

قالت چيسিকা: «سمعت أنك تريد مساعدتي.»

قال: «أجل، مع أن هذا يبدو غريباً.»

سألت: «لكن، ألم ترسلك عالية لتخطفني؟»

رفع حاجبيه الأسودين قليلاً بدهشة. أمعنت عينا التليلاكسو المتألقة في النظر إليها بحدة. «كانت هذه أوامرها».

تشنجت قبضة الفالي على سكينه العاجية، لكنه لم يسحبها.

قالت: «أمضيت معظم هذه الليلة في مراجعة الأخطاء التي ارتكبتها مع ابنتي».

أقر آيدا هو بذلك قائلاً: «أخطاء كثيرة، وكنت شريكاً في معظمها».

لمحت الآن عضلات فكه تهتز.

قالت چيسيكاً: «كان من السهل الاستماع إلى الحجج التي أوقعتنا في الضلال. أردت أن أترك هذا المكان.. وأنت.. أنت أردت فتاة تشبهني».

قبل هذا بصمت.

صرخت: «أين حفيداي؟»

رمش، ثم قال: «يظن ستيلجار أنهما ذهبا إلى الصحراء - للاختباء. ربما رأيا هذه الأزمة قادمة».

رمقت چيسيكاً الفالي، الذي أوماً برأسه معترفاً بأنها تنبأت بذلك.

سألت چيسيكاً: «ماذا تفعل عالية؟»

قال: «تراهن على حرب أهلية».

«هل تظن أنها ستنال ذلك؟»

رفع آيداهو كتفيه. «على الأرجح لا. هذه أوقات أكثر مرونة. هناك أناس مستعدون للاستماع إلى حجج مقنعة».

قالت: «أتفق. حسناً، وماذا عن حفيدي؟»

«سيجدهما ستيلجار-إن...».

«نعم، أفهم». كان الأمر في يدي جبرني هاليك بالفعل. نظرت إلى الجدار الصخري إلى يسارها. «تُمسك عالية بالسلطة بحزم الآن». استدارت إلى آيداهو مجدداً. «أنت تدرك ذلك؟ يستخدم المرء السلطة بحكمة عندما تكون قبضته عليها متراخية. التثبيت بالسلطة يعني أن تخضع لها، وبالتالي تصبح ضحيتها».

قال آيداهو: «كما كان دوقى يقول لي دائماً».

عرفت چيسىكا بطريقة ما أنه يتحدث عن ليتو الأكبر وليس پول. وسألت: «أين تنوي أن تنقلني في هذا.. الاختطاف؟»

نظر آيداهو إليها كأنه يحاول أن يرى من خلال الظلال التي أحدثها غطاء عباءتها.

تقدم الفالي إلى الأمام: «سيدتي، أنت لا تفكرين بجدية...»

سألت چيسيكاً: «أليس لي الحق أن أحدد مصيري؟»

«لكن هذا..» أوماً رأس الفالي نحو آيداهو.

قالت چيسيكاً: «كان هذا حارسي المخلص قبل أن تولد عالية. قبل أن يفديني وابني بنفسه. نحن آل آتريديز نقدر دوماً الولاءات المحددة.»

سأل آيداهو: «إذا ستهبين معي؟»

سأل الفالي: «أين تنوي نقلها؟»

قالت چيسيكاً: «من الأفضل ألا تعلم.»

تجهم الفالي لكنه سكت. وجهه يشي بالتردد، فهم الحكمة في كلماتها لكنه ما زال مشككاً في جدارة آيداهو بالثقة.

سألت چيسيكاً: «وماذا عن الفدائين الذين أنجدوني؟»

قال آيداهو: «لديهم دعم ستيلجار الكامل إن استطاعوا الوصول إلى تبر.»

نظرت چيسيكاً إلى الفالي: «أنصحك بأن تذهب إلى هناك يا صديقي. يحتاج ستيلجار إلى الفدائين للبحث عن حفيدي.»

أخفض النائب العجوز بصره. «كما تأمر والدة المؤدب.»

فكرت: ما زال يطيع پول.

قال آيداهو: «يجب أن نغادر بسرعة. من المؤكد أن

البحث سيصل إلى هذا المكان، وقریباً جداً».

تحركت چيسیکا إلى الأمام ونهضت بهذا السمو الرشيق الذي لم يفارق النبي چيسيرت قط، حتى عندما شعرن بآلام العمر. وقد أحست بأنها عجوز لا سيما بعد ليلة هروبها.

بينما تتحرك، ظلت تفكر في ذلك الحوار الغريب مع حفيدها. ماذا كان يخطط له حقاً؟ هزت رأسها، وسترت رجفتها بتعديل غطاء رأسها. كان من السهل أن تستهين بليتو. عودتها الحياة مع الأطفال العاديين على رؤية مغلوبة عن الإرث الذي يمتلكه التوأمان.

لفتها وقفة آيداهو. كان مستعداً للعنف بانسيابية، قدمه متقدمة على الأخرى، موقف علمته إياه هي. نظرت بسرعة إلى الشابين الفرمنيين، ثم إلى الفالي. كان النائب الفرمني العجوز ما زال متردداً، وشعر الشابان بذلك.

قالت، مخاطبة الفالي: «أثق بهذا الرجل على حياتي. وهذه ليست المرة الأولى».

اعترض الفالي: «سيدتي. إنه مجرد...» نظر إلى آيداهو. «إنه زوج الكوان-تين!»

قالت: «وقد تدرب على يد دوقي ويدي».

«لكنه غولة!» خرجت الكلمات من فم الفالي.

ذكرته: «غولة ابني».

كان الأمر أكثر مما يطيقه فدائي سابق كان قد عاهد نفسه ذات مرة بالولاء للهؤدب حتى الموت. تنهد، وتنحى جانباً، وأشار إلى الشابين بأن يرفعا الستائر.

عبرت چيسيكاً، وخلفها آيداهو. استدارت وكلمت الفالي عند الباب. «عليك أن تذهب إلى ستيلجار. ثق به.»

«نعم..» لكنها ما زالت تسمع تردداً في صوت الرجل العجوز.

لمس آيداهو ذراعها. «يجب أن نغادر بسرعة. هل هناك شيء تودين أخذه؟»

قالت: «رشدي فقط.»

«لماذا؟ هل تخشين أن تكوني قد أخطأت؟»

نظرت إليه. «كنت دائماً أفضل طيار ثوبتر في خدمتنا يا دانكن.»

لم يرق له ما قالته. سبقها، وتوجه بسرعة، عائداً من الطريق الذي جاء منه. تبعه الفالي وراء چيسيكاً. «كيف عرفت أنه جاء بثوبتر؟»

قالت چيسيكاً: «لا يرتدي بذلة تقطير.»

بدا الفالي مستاء من هذا الاستنتاج الواضح. ومع ذلك، لم يسكت: «رسولنا أحضره إلى هنا مباشرة من عند ستيلجار. كان يمكن أن يروهما.»

سألت چيسیکا آيداهو: «هل شاهدكأ أحد يا دانكن؟»

قال: «تعرفين أأدق من ذلك. حلقنا على ارتفاع أدنى من قم الكشبان الرملية».

اجتازوا ممراً جانبياً أسفل درجات لولبية، أفضت أخيراً إلى غرفة مفتوحة مضاءة جيداً بكرات إنارة عالية في الصخر البني. كانت هناك أورنيثوبتر واحدة مواجهة للجدار البعيد، جائئة مثل حشرة تنتظر الخروج من شرنقتها. الجدار صخرة مزيفة، إذن - باب يفتح على الصحراء. رغم فقر هذا السييتش، لا يزال يحتفظ بأدوات التمويه والتنقل.

فتح آيداهو لها باب الأورنيثوبتر، ومد يده لمساعدتها على الجلوس في المقعد الأيمن. وبينما كانت تعبر أمامه، لمحت عرقاً على جبهته حيث تتمايل خصلة من شعر الماعز الأسود. تذكرت چيسیکا فجأة ذلك الرأس فيما يبصق آيداهو دمماً في كهف صاخب. حدقت عينا التليلاكسو المعدنيتان فيها وأخرجتها من تلك الذكرى. لم يعد شيء كما كان.

شغلت نفسها بشد حزام الأمان.

قالت: «مضى وقت طويل منذ أن طرت بي يا دانكن».

قال: «وقت طويل وبعيد». كان قد انتهى من التحقق من الإعدادات. وقف الفالي والشابان الفرمنيان بجانب زر التحكم بالصخرة المزيفة، جاهزين لفتحها.

سألت چيسیکا آيداهو بهدوء: «هل تظن أنني أشك فيك؟»

رکز آيداهو على أداة المحرك، وأضاء أجهزة الدفع، وتابع حركة إبرة المؤشر. ظهرت ابتسامة على وجهه، علامة قاسية وسريعة في ملامحه الحادة، اختفت بنفس السرعة التي ظهرت بها.

قالت چيسیکا: «أنا ما زلت آتريديزية. عالية لم تعد كذلك».

قال: «لا تقلقي. أنا ما زلت أخدم آل آتريدين».

كررت چيسیکا: «عالية لم تعد آتريديزية».

صرخ: «لا تحتاجين إلى تذكيري! الآن احرسي ودعيني أقود هذا الشيء».

كان اليأس في صوته مفاجئاً، لا يليق بآيداهو الذي عرفته. تساءلت چيسیکا وهي تكبح شعوراً متجدداً بالخوف: «إلى أين نحن ذاهبان يا دانكن؟ هل يمكنك إخباري الآن؟».

لكنه أوماً برأسه إلى القالي، وانفتحت الصخرة المزيفة إلى الخارج في ضوء الشمس الفضي الساطع. انطلقت الأورنيثوبتر إلى الخارج وإلى الأعلى، وأجنحتها ترتجف بالطاقة، والمحركات تهدر. ارتفعا إلى سماء خالية. حدد آيداهو مساراً جنوبياً غربياً نحو تلال سيبيا التي تبدو نخط

مظلم فوق الرمال.

قال آيداهو في هذه اللحظة: «لا تحكي عليّ بقسوة يا سيدتي».

قالت: «لم أحكم عليك بقسوة منذ تلك الليلة التي جئت فيها إلى قاعة أراكين الكبيرة، وأنت تصيح ثملاً بيبرة الاسپايس». لكن كلماته أثارت شكوكها، واستعدت للدفاع بالپيرانا يندو.

قال: «أذكر تلك الليلة جيداً. كنت شاباً جداً... تنقصني الخبرة».

«لكنك كنت أفضل خبير بفنون النزال في حاشية دوقي».

«ليس تماماً، يا سيدتي. يمكن لجيرني أن يهزمني ست مرات من أصل عشرة». نظر إليها. «أين جيرني؟»
«ينفذ أوامري».

هز رأسه.

سألت: «هل تعرف إلى أين نحن ذاهبان؟»

«نعم يا سيدتي».

«إذا قل لي».

«حسناً، لقد وعدت بأنني سأخترق مؤامرة مقنعة ضد آل آتريديز. وهناك طريقة واحدة فقط، حقاً، لفعل

ذلك». ضغط زراً على عجلة التحكم، وانبثقت قيود شرنقة من مقعد چيسیکا، ولقّتها بنعومة غير قابلة للتحطيم، تاركاً رأسها فحسب ظاهراً. «أنا آخذك إلى سالوسا سوكانداس. إلى فارادين».

في انفعال لا يمكن السيطرة عليه، اندفعت چيسیکا ضد القيود. شعرت بها تشتد، ولم تتراخ إلا حين هدأت، ولكن بعد أن أحست بأسلاك الشيجواير القاتلة المخفية في الغلاف الواقي.

قال دون أن ينظر إليها: «زر تحرير الشيجواير معطل. أوه، نعم، لا تحاولي التأثير في بالصوت. لقد تغير الوضع كثيراً منذ الأيام التي كنت فيها تستطيعين أن تتحكمي في بهذه الطريقة». ثم نظر إليها. قالت چيسیکا: «لقد أعدتني التليلاكسو لمواجهة هذه الحيل.. أنت تخضع لعالية، وهي...».

قال: «لا أخضع لعالية. أنا أنفذ أوامر الواعظ. يريد منك أن تدري فارادين كما دربت ... پول».

صمت چيسیکا مصدومة وهي تتذكر كلمات ليتو -أنها ستلقى تلميذاً شائقاً.

قالت: «هل هذا الواعظ ابني؟»

سمعت صوت آيداهو كأنه يأتيها من بعيد: «ليتنى أعلم».

الكون مائل أمامك فحسب. هذه الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يراه بها الفدائي، ويظل سيد حواسه. الكون لا يهدد ولا يقدم الوعود. يحمل أشياء خارجة عن سيطرتنا: سقوط نيزك، وثورة هبة أسبايس، والشيخوخة والموت. تلك حقائق هذا الكون ويجب مواجهتها مهما كان شعورك تجاهها. لا يمكنك درء مثل هذه الحقائق بالكلمات. سوف تأتي إليك بطريقتها الصامتة، وحينئذ، ستفهم ما المقصود بـ «الحياة والموت». عندها، ستفيض بالفرحة.

- المؤدب إلى فدائييه.

قالت وينسيشيا: «وهذه هي الخطوات التي اتخذناها، هذه هي الجهود التي بذلناها من أجلك».

لم يتحرك فارادين ولم يبد أي ردة فعل؛ بقي جالساً مقابل والدته في غرفتها الصباحية. كانت أشعة الشمس الذهبية تتسلل من ورائه، راسمة ظله على الأرضية المفروشة بالسجاد الأبيض. أضفى الضوء المنعكس من الجدار خلف والدته على شعرها لمعانا جذابا. كانت ترتدي رداءها الأبيض المزين بالذهب - تذكيراً بالأيام الملكية. بدا وجهها القلبي الشكل متماسكا، ولكنه كان يعلم أنها تراقب كل تعابيره وخلقاته. شعر بمعدته فارغة، رغم أنه جاء لتوه من الإفطار.

سألت وينسيشيا: «ألست راضياً؟»

سأل: «ماذا هناك لأكون راضيا عنه أم لا؟»

«حسنًا.. حقيقة أننا أخفينا ذلك عنك حتى الآن؟»

«أوه، هذا». تأمل والدته، وحاول أن يفكر في وضعه المعقد في هذه المسألة. كان بإمكانه فقط التفكير في شيء لاحظته مؤخرًا، وهو أن تيكانيك لم يعد يناديها بـ «أميرتي» بماذا دعاها؟ الأم الملكة؟

تساءل: لماذا أشعر بالخسارة؟ ماذا خسرت؟ كان الجواب واضحًا: كان يفتقد أيامه الهائلة، وأوقات الفراغ التي أتاحت له السعي وراء الطموحات الذهنية التي جذبته. إن أفلحت المؤامرة التي كشفتها أمه إليه، فستختفي هذه الأشياء إلى الأبد. سوف تستلزم مسؤوليات جديدة اهتمامه. استاء من هذا بشدة. كيف يجروون على سلبه هذه الحرية في قضاء وقته كما يشاء؟ ودون حتى استشارته!

«بُح بما في داخلك. هل هناك ما يقلقك؟»

سأل ذا كراً أول ما خطر بباله: «ماذا لو فشلت الخطة؟»

«كيف يمكن أن تفشل؟»

«لا أعرف.. أي خطة يمكن أن تفشل. كيف

تستخدمين آيداهو في كل هذا؟»

«آيداهو؟ ما هذا الاهتمام.. أوه، نعم - ذلك الروحاني

الذي أحضره تيكانيك إلى هنا دون استشارتي. كان هذا

خطأ منه. الروحاني تحدث عن آيداهو، أليس كذلك؟»
كانت كذبة خرقاء منها.. نظر فارادين إلى أمه مذهولاً.
كانت تعرف بأمر الواعظ طوال الوقت!

قال: «كل ما في الأمر أنني لم أر غولة من قبل».
قيلت هذا، وقالت: «ندخر آيداهو لأمرٍ مهم». عضَّ
فارادين شفته العليا.

تذكرت وينسيشيا أباه الميت. كان دالاك هكذا أحياناً،
متقوقاً على نفسه ومعقداً جداً، ويصعب فهمه. تذكرت
أن دالاك كان على صلة بالكونت هاسيمير فترينج، وكان
كلاهما يتصف بالتأنق والتعصب. هل سيسير فارادين في
هذا المسار؟ بدأت تندم على جعلها تيك يقود الفتى إلى
اعتناق دين أراكين. من يعلم إلى أين قد يأخذه ذلك؟

سأل فارادين: «بماذا يناديك تيك الآن؟»

«ما هذا؟» أذهلها هذا التحول.

«لاحظت أنه لم يعد يناديك بـ «أميرتي»».

فكرت في دقة ملاحظته، متسائلة لماذا ملأها هذا
بالاضطراب. هل يعتقد أنني اتخذت من تيك عشيقاً؟
هراء، لن يهم ذلك بأي شكل. ثم لماذا هذا السؤال؟

قالت: «يناديني بـ «سيدتي»».

«لماذا؟»

«هي عادة في جميع العائلات الكبرى».

فكر: بمن فيها عائلة آتريديز.

أوضحت: «هذا اللقب أقل إيحاءً إن تنصت أحدهم على حديثنا، إذ سيعتقد البعض أننا تخلينا عن تطلعاتنا المشروعة».

سأل: «من سيكون بهذا الغباء؟»

زمت شفتيها، وقررت أن تتغاضى عن ذلك. شيء صغير، لكن حملات عظيمة تألفت من أشياء صغيرة كثيرة.

قال: «ما كان يجب أن تغادر الليدي چيسيكلا كلادان».

هزت رأسها بحدة. عمّ يتحدث؟ كان عقله يندفع في كل مكان بشكل جنوني.

قالت: «ماذا تقصد؟»

قال: «ما كان يجب أن تعود إلى أراكس. هذه استراتيجية مريعة. تجعل المرء يتساءل. كان من الأفضل أن يزورها حفيداها في كلادان».

فكرت مستاءة من أن هذا لم يخطر ببالها قط: إنه على حق. سيكون على تيك تحري هذا في الحال. هزت رأسها ثانية. لا! ماذا كان يفعل فارادين؟! لا بد أنه يعلم أن كهنوت المؤدب لن يخاطروا بسفر التوأمين في الفضاء.

قالت هذا.

سأل وقد لاحظ أن أفكارها ذهبت حيثما أراد:
«الكهنوت أم الليدي عالية؟» وجد البهجة في أهميته
الجديدة، الألعاب الذهنية متوفرة في التآمر السياسي أيضاً.
مضى وقت طويل منذ أن أثار عقل والدته اهتمامه.
كانت مناورتها سهلة جداً.

سألت وينسيشيا: «هل تظن أن عالية تريد السلطة
لنفسها؟»

نظر بعيداً عنها بضجر. بالتأكيد أرادت عالية القوة
لنفسها! كل التقارير من ذلك الكوكب الملعون اتفقت على
هذا. انطلقت أفكاره في مسار جديد.

قال: «كنت أقرأ عن عالم البيئات الكوكبية لبيت كاينز.
لا بد من وجود أثر للديدان الرملية والكائنات أحادية
الصبغة التي تعيش هناك، فقط لو...»

قالت وقد بدأت تفقد صبرها معه: «كف عن هذا
الهراء الآن! أليس لديك شيء آخر تقوله عن الأشياء التي
فعلناها من أجلك؟»

قال: «أنتِ لم تفعلينا من أجلي».

«ما-أ-ذا؟»

قال: «فعلتِ ذلك من أجل عائلة كورينو، وأنت عائلة
كورينو الآن. لم تمنحيني أي شيء».

قالت: «لديك مسؤوليات! ماذا عن كل الناس الذين يعتمدون عليك؟»

كان كلماتها ألقت عليه عبئاً، شعر بثقل كل هذه الآمال والأحلام التي تبعت عائلة كورينو.

قال: «نعم، أنا أفهمها، لكنني أجد بعض الأشياء التي فعلت باسمي مقبولة».

«مق... كيف تقول مثل هذا الشيء؟ نحن نفعل ما تفعله أي عائلة كبرى من أجل تعزيز ثروتها».

«حقاً؟ أعتقد أنك كنت مُقرِّفة بعض الشيء... حسناً، لا تُقاطعي. إن كنت سأصبح إمبراطوراً، فمن الأفضل أن تتعلمي كيف تستمعين إليّ. هل تظنين أنني لا أستطيع قراءة ما بين السطور؟ كيف درِّب هذان النمران؟»

عجزت وينسيشيا عن الكلام أمام هذا العرض الدقيق لقدراته الإدراكية.

قال: «أرى. حسناً، سأحتفظ بتيك لأنني أعلم أنك استدرجته إلى هذا. إنه ضابط جيد في معظم الظروف، لكنه سيقا تل من أجل مبادئه فقط في ساحة ودية».

«مبادئه...؟»

قال: «الفارق بين الضابط الجيد والردديء هو قوة الشخصية ونحو خمس دقائق قلب. عليه أن يلتزم بمبادئه أينما واجهت تلك المبادئ تحدياً».

قالت: «النمور كانت ضرورية».

قال: «سأصدق هذا إن نجح ثمرنا اللازما في قتل التوأمين.
لكنني لن أتغاضى عما استلزم تدريبهما فعله. لا تحتجني.
الأمر واضح. خضعا للتهيئة. قلت ذلك بنفسك».

سألت: «ماذا ستفعل؟»

قال: «سأنتظر وأرى. ربما سأصبح إمبراطوراً».

وضعت يدها فوق صدرها وتنهدت. لبضع لحظات
أربعها. كادت تصدق أنه سيندب بها. مبادئ! لكنه ملتزم
الآن بالخطوة. يمكنها رؤية ذلك.

نهض فارادين، وتوجه إلى الباب ورن جرس استدعاء
خدم أمه.. نظر إلى الورا: «بدأ تنفيذ مخطط القتل،
صحيح؟»

«نعم». رفعت يدها عندما همَّ بالمغادرة. «إلى أين أنت
ذاهب؟»

«إلى المكتبة. أصبحت مفتوناً بتاريخ كورينو مؤخراً».
تركها مستشعراً كيف حمل التزامه الجديد معه.

اللعة عليها!

لكنه كان يعلم أنه ملتزم بالخطوة. وأدرك أن هناك
اختلافاً عاطفياً عميقاً بين التاريخ المسجل في بكرات
الشيجووير الذي يقرؤه أحدهم في أوقات الفراغ، وبين
التاريخ الذي عاشه المرء. هذا التاريخ الحي الجديد الذي

شعر أنه يتجمع حوله، أتم بإحساس بالانغماس في مستقبل لا رجعة عنه. يمكن أن يشعر فارادين أنه مدفوع الآن برغبات كل من وضعوا ثروتهم في الكفة نفسها معه. ووجد أنه من الغريب أنه لا يستطيع تحديد رغباته الشخصية في كل هذا.

يُروى عن المؤدّب أنه عندما رأى ذات مرة عشباً يحاول النمو بين صخرتين، نقل إحدى الصخرتين بعيداً. لاحقاً، عندما شاهد العشب مزدهراً، غطاه بالصخرة الباقية. وأوضح: «هذا مصيره».

- من كتاب التعليقات.

صاحت غنيمة: «الآن».

لم يتردد ليتو، كان أسرع منها في الوصول إلى الشق الضيق بين الصخور، ثم غاص داخل الفجوة وزحف بسرعة حتى غمره الظلام. سمع غنيمة تسقط خلفه، ثم سكون مفاجئ، قبل أن يأتيه صوتها غير مضطرب أو خائف: «أنا عالقة».

نهض وهو يعلم أن هذا سيجعل رأسه في متناول المخالب الباحثة، وعكس وضعيته جسمه في الممر الضيق، وزحف إلى الوراء بحذر حتى شعر بيد غنيمة الممدودة.

قالت: «إنه ردائي. لقد علق».

سمع صخوراً تتساقط تحتها مباشرة. سحب يدها لكنه شعر فقط بوزن خفيف.

علا صوت لهاث أسفلهما. هرير.

شدّ ليتو جسمه، وحشر وركيه مقابل الصخرة، وسحب ذراع غنيمة. تمزق القماش وشعر بانجذابها باتجاهه. دمدمت وعرف أنها تتألم، لكنه سحب مرة أخرى بقوة

أكبر. باتت أكثر فأكثر داخل الحفرة، ثم سقطت بجانبه. كانا قريبين جدًا من نهاية الشق. استدار، وجثا على أطرافه الأربعة، ودفع أعمق. سحبت غنيمة جسمها خلفه. كانت ثمة حدة لاهثة في تحركاتها؛ عرف أنها جُرحت. وصل إلى نهاية الفتحة، واستدار، ونظر إلى الأعلى خارج الفجوة الضيقة لملاذهما. كانت الفتحة على ارتفاع نحو مترين فوقه، عامرة بالنجوم. ثم حجبتها شيء ضخم.

ملاً هرير هادر الهواء حول التوأمين. كان صوتاً عميقاً ومتوعداً، صوتاً قديماً: صياد يتحدث إلى فريسته.

سأل ليتو، محاولاً الحفاظ على هدوئه: «ما مدى سوء جرحك؟»

قالت بهدوء: «أحدهما خدشني. تمزقت بذلة تقطيري على طول رجلي اليسرى. أنا أنزف».

كرر: «ما مدى سوءه؟»

«وريد. يمكنني إيقاف نزفه».

قال: «اضغطي عليه. لا تتحركي. سأتولى أمر هذا النمر».

قالت: «احترس. إنهما أضخم مما ظننت».

أخرج ليتو سكينه العاجية من غمدها، ومد يده بها إلى أعلى. كان يعرف أن النمر يُفتش عنهما، تخدش مخالفته النفق الضيق حيث لا يمكن لجسمه المرور.

يبطء شديد، مدّ السكين. فجأة، اصطدم شيء ما بأعلى

النصل. شعر بتأثير الضربة على طول ذراعه وكاد يفقد قبضته على السكين. تدفق الدم على امتداد يده، وسال على وجهه ثم دوت صرخة فورية أحرست الهريرة. أصبحت النجوم مرئية من جديد. كان شيء يخرش على نحو مسعور، ويقذف نفسه أسفل الصخور باتجاه الرمال في مواء عنيف.

مرة أخرى، انحجبت النجوم وسمع هدير نمر. تحرك النمر الثاني غافلاً عن مصير رفيقه.

قال ليتو: «إنه عنيد».

قالت غنيمة: «أصبت واحداً قطعاً. استمع!»

كانت الصرخات والتشنجات العنيفة أسفلهما تتلاشى.

بقي النمر الثاني، مع ذلك، ستر عنهما النجوم.

أغمد ليتو نصل سكينه ولمس ذراع غنيمة. «أعطني سكينك. أحتاج إلى حد سكين مشحوذ للتأكد من القضاء عليه».

سألت: «هل تعتقد أنه سيكون لديهم نمر ثالث احتياطي؟»

«لا أظن. نمر لآزا تصطاد في ثنائيات».

قالت: «كما نفعل نحن».

قال: «صحيح، كما نفعل نحن». شعر بمقبض سكينها

العاجية ينزلق في يده. أمسكها بإحكام. مرة أخرى، بدأ بتحرك السكين إلى أعلى بحرص. واجه النصل هواءً فارغاً فحسب حتى عندما ارتقى إلى مستوى خطرٍ على جسده. تقهقر وهو يفكر في ذلك.

«ألا يمكنك العثور عليه؟»

«لا يتصرف بالطريقة التي تصرف بها الآخر.»

«ما زال هناك. تشم رائحته؟»

ابتلع ريقه في حلقة الجاف. أنفاس نثنة، رطوبة برائحة القلط المسكية اقتحمت أنفه. كانت النجوم لا تزال محجوبة عن أنظاره. لم يكن من الممكن سماع أي شيء صادر عن القط الأول؛ كان سم السكين العاجية قد أتم عمله.

قال: «أظن أنني مضطر إلى الوقوف.»

«لا!»

«يجب أن أستدرجه حتى يصبح في متناول السكين.»

«نعم، لكننا اتفقنا أنه على أحدها أن يتجنب الإصابة تماماً...»

«وأنت مجروحة بالفعل، لذا فأنت من ستعودين.»

«لكن إذا أصبت بجروح بالغة، فلن أتركك.»

«هل لديك فكرة أفضل؟»

«أعد إليّ سكينى».

«لكنّ ساقيك!»

«سأقف على الساق السليمة».

«هذا النمر يمكن أن يقطع رأسك بضربة واحدة. ربما

مسدس المولى...».

«إن كان أي شخص في الخارج فسيسمعه، وبالتالي

سيعرفون أننا أتينا مستعدين لـ -»

«لا أحب أن تأخذي هذه المخاطر!».

قالت: «أيّاً كان من في الخارج يجب ألا يعلم أننا نملك

مسدسات مولى - ليس بعد». لمست ذراعه. «سأكون

حذرة، وسأبقي رأسي منخفضاً».

بينما ظل ليتو صامتاً، أضافت: «أنت تعرف أنني من

يجب أن أفعل هذا. أعد إليّ السكين».

تحسس على مبيض بيده الحرة، ووجد يدها وأعاد

السكين إليها. كان هذا أمراً منطقيّاً، لكن المنطق حارب

كل عاطفة بداخله. شعر بغنيمة تنسحب بعيداً، وسمع

صرير رداؤها المغطى بالرمال على الصخرة. كانت تلهث،

وعرف أنها تحاول الوقوف. فكر: كوني حذرة جدّاً! وكاد

يشدها ويصر على استخدام مسدس مولى. لكن هذا يمكن

أن يحذر أي شخص في الخارج من أن لديهما مثل هذه

الأسلحة. والأسوأ من ذلك، يمكن أن يدفع النمر بعيداً

عنهما، وسيحاصران هنا مع نمر ينتظرهما في مكان مجهول
على تلك الصخور.

أخذت غنيمة نفساً عميقاً، وأسندت ظهرها إلى جدار
الشق.

فكرت: يجب أن أكون سريعة.

مدت يدها بحد السكين إلى أعلى. كانت ساقها اليسرى
ترتعش حيث خدشتها المخالب. شعرت بالدم يتخثر فوق
جلدها، ثم دفء تدفق دموي جديد. يجب أن أكون
سريعة جداً! انغمست بحواسها في حالة الاستعداد الهادئ
للأزمة التي قدمها إليها نهج النبي چيسيريت، وأبعدت الألم
وجميع المشتتات الأخرى عن وعيها. يجب أن يمد القط
جسمه إلى أسفل! مررت ببطء النصل على طول الفتحة.
أين كان الحيوان اللعين؟ مرة أخرى رشقت بسكينها
الهواء، لا شيء. يجب استدراج النمر للهجوم.

فحست بحذر محيطها مستخدمة حاسة شمها. أتى نفس
دافئ من يسارها. تأهبت، واستنشقت نفساً عميقاً،
وصرخت: «تقوى*». كانت صرخة معركة فرمينة قديمة،
معناها موجود في أقدم الأساطير: «ثمن الحرية!» ومع
صرختها، دفعت النصل وطعنت فتحة الشق المظلمة.
عثرت مخالب على كوعها قبل أن تلمس السكين اللحم،
وكان لديها الوقت فقط لإمالة معصمها نحو مصدر الألم
قبل أن يسري في ذراعها من الكوع إلى الرسغ. عبر الألم،

شعرت أن طرف السم ينغرس في النمر.

ثم انتزع النصل من أصابعها المخدرة. ولكن مرة أخرى، انفتحت فجوة الشق الضيقة على النجوم، وملاً عويل القط المحتضر الليل. ثم تبع ذلك آلام احتضاره، عبر ممر متعرج أسفل الصخور. ثم أعقب ذلك صمت الموت.

قالت غنيمة وهي تحاول ربط قطعة من رداؤها حول الجرح: «أصاب ذراعي».

«إصابة بالغة؟»

«أعتقد ذلك. لا أحسّ بيدي».

«دعيني أحضر شيئاً ينير و..».

«ليس قبل أن نتخفى!»

«سأسرع».

سمعته يتلوى للوصول إلى عدة الفرمن، وشعرت بدرع ليبي وهو ينسدل فوق رأسها، ويثبت وراءها. لم يهتم ليتو من إغلاقه بإحكام لمنع تسرب الرطوبة منه.

قالت: «سكيني على هذا الجانب. أستطيع أن أشعر بالمقبض بركبتي»

«اتركيها الآن».

أشعل كرة إنارة صغيرة واحدة، جعل توهجها غنيمة ترمش. وضع ليتو الكرة على حافة الأرض الرملية، وشق

عندما رأى ذراعها. فتح مخلب النمر جرحاً طويلاً وواسعاً امتدّ من الكوع إلى الرسغ تقريباً. وصف الجرح الطريقة التي لفت بها غنيمة ذراعها لتغرس طرف السكين في إحدى قوائم النمر.

نظرت غنيمة مرة واحدة إلى الجرح، وأغمضت عينيها وراحت تلتو تعويذة درء الخوف.

ساور الخوف ليتو أيضاً، لكنه أخفى شعوره وبدأ يضمّد الجرح. كان عليه أن يتصرف بحذر حتى يُوقف تدفق الدم دون أن يفسد الضمادة البسيطة التي لفتها غنيمة. ساعدها على ربط العقدة بيدها السليمة وأمسكت الطرف الآخر بأسنانها.

قال: «الآن دعينا نلقي نظرة على الساق».

استدارت بجسمها حتى تُريه الجرح الآخر. لم يكن بهذا السوء: سبب المخلب جرحين سطحيين على طول ربلة الساق. ومع ذلك، نزفا بغزارة داخل بذلة التقطير. نظفهما ليتو قدر استطاعته، وربط الجرح تحت بذلة التقطير، ثم أغلقها على الضمادة.

قال: «دست بعض الرمال فيه. عاجليه فور عودتك».

قالت: «رمال في جروحنا. هذه قصة فرمنية قديمة».

ابتسم بصعوبة، وجلس.

أخذت غنيمة نفساً عميقاً. «نجحنا».

«ليس بعد».

ابتلعت ريقها، وصارعت حتى تتعافى من آثار الصدمة. ظهر وجهها شاحباً في ضوء كرة الإنارة المتوهجة، وفكرت: نعم، يجب أن تتحرك بسرعة الآن. من كان يسيطر على تلك النمر يمكن أن يكون في الخارج الآن.

نظر ليتو إلى أخته بأسى. شعر بالخسارة فجأة، وسرى في صدره ألم عميق. كان عليهما الانفصال الآن. طوال تلك السنوات منذ ولادتهما كانا كالروح والجسد. لكن خطتهما تتطلب منهما الخضوع لعملية تحوّل، وأن يذهبا في طريقين منفصلين نحو التفرد حيث لن يوحدهما تبادل الخبرات اليومية ثانية كما وحدهما من قبل.

هز رأسه ليستعيد تركيزه على الأهم: «هاكِ عدتي الفرمنية. استخدمت الضمادات منها. ربما يفحصها أحد ما».

«نعم». تبادلًا عدتي الفرمن.

قال: «لا بدّ أن أحدهم يمتلك جهاز إرسال لتوجيه هذين القطين. على الأرجح سيكون في انتظارنا قرب القناة للتأكد من هويتنا».

أمسكت مسدس المولى الذي كان فوق عدة الفرمن، وأخفته في الوشاح الذي يغطي رداءها. «ردائي ممزق».

«نعم».

قال: «قد يصل الباحثون إلى هنا قريباً. قد يكون أحدهم خائئاً. من الأفضل أن تعودى وحدك. اجعلي حارة تخبيك».

قالت: «سأبحث عن الخائن حالما أعود». نظرت إلى وجه أخيها، وشاركته الشعور بالأسف لأنهما سيفترقان الآن. سيكونان من الآن فصاعداً مختلفين في كل شيء. لن يكونا كالسابق، يتقاسمان المعرفة التي لا يفهما غيرهما. قال: «سأذهب إلى چاكوروتو».

قالت: «فونداك».

أوماً برأسه موافقاً. چاكوروتو/ فونداك- لا بد أنهما المكان نفسه.. هذا هو السر الذي يحمي المكان الأسطوري. هذا صنعة المهرين بالتأكيد. كم كان سهلاً عليهم تغيير الاسم، والعمل تحت مصطلح مجهول يمنحهم الحماية. كان لا بد للأسرة الحاكمة في كل كوكب أن تمتلك مخرجاً طارئاً في الأزمات. ومشاركة جزء يسير من أرباح التهريب كفيل في استمرارية قنواته. في چاكوروتو/ فونداك، كان المهربون هم المسؤولون عن تشغيل سييتش دون أي تدخل من السكان الأصليين، وقد أخفوا چاكوروتو في العراء. كان المكان آمناً بسبب الحكايات المحرمة عنه التي أبقت الفرمن بعيداً عنه.

قال ليتو: «لن يفكر فرمني في البحث عني في مثل هذا المكان. سيسألون المهرين بالتأكيد، لكن...».

قالت غنيمة: «سنفعل ما اتفقنا عليه. إنه فقط...».

«أعرف». حين سمع صوته، أدرك ليتو أنها كانا يطيلان هذه اللحظات الأخيرة من التشابه والاتحاد. ابتسم ابتسامة مريرة، أضافت سنوات عديدة إلى مظهره. أدركت غنيمة أنها تنظر إليه عبر حجاب الزمن، ترى نسخة أكبر سنًا من ليتو. سألت دموعها بحرقه وألم.

مسح البلل بإصبعه عن خديها، وقال: «لست بحاجة إلى إعطاء الموتى ماءً. سأخرج بعيدًا في الصحراء بما يكفي حتى لا يسمعي أحد، وسأستدعي دودة». وأشار إلى خُطّافي الصّانعة المطويين، المربوطين بالجزء الخارجي من عدته الفِرمنية. «سأكون في چاكوروتو قبل الفجر بعد يومين من الآن».

همست: «انطلق بسرعة يا صديقي القديم».

قال: «سأعود إليك يا صديقتي الوحيدة. وتذكري أن تكوني حذرة عند القناة».

قالت مائحة إياه كلمات الفراق الفِرمنية: «انتقي دودة جيدة». أطفأت يدها اليسرى كرة الإنارة، خشخش درع الليل وهي تسحبه جانبًا، وتطويه، وتحشره داخل عدتها الفِرمنية. شعرت به يرحل، وسمعت الأصوات الخافتة تتلاشى بسرعة في صمت وهو يهبط الصخور إلى الصحراء.

حينها استجمعت غنيمة شتات نفسها لتفعل ما عليها

فعله. يجب أن يكون ليتو ميتًا بالنسبة إليها.

كان عليها أن تقنع نفسها بذلك. يجب ألا يكون لجاكورتو وجود في عقلها، ولا لأخ يبحث عن مكان مفقود في أساطير الفرمن. من الآن فصاعدًا، لا تستطيع التفكير في ليتو على أنه حي. عليها أن تتأقلم مع الرد على الآخرين بناءً على الاعتقاد التام بأن شقيقها قد مات هنا بمخالب النمرين. لا يستطيع كثير من البشر خداع عرافة الحقيقة، لكنها كانت تعلم أنها تستطيع ذلك ... ربما كان عليها فعل ذلك.

علمتهما الحياة المشتركة التي عاشتها مع ليتو الطريقة: عملية إكراه تنويمي قديمة في زمن شيبا، رغم أنها الإنسان الوحيد الذي يمكنه أن يذكر شيئا على أنها حقيقة. صممت القيود العميقة بحرص، ولمدة طويلة بعد رحيل ليتو، صقلت غنيمة وبعيها، مشيدة حالة الأخت الوحيدة، التوأم الناجية حتى أصبحت مقنعة تمامًا. وبينما كانت تفعل ذلك، وجدت عالمها الداخلي قد صار صامتًا، متجاهلاً التدخل في وبعيها. كان ذلك أثرًا جانبيًا لم تتوقعه.

فكرت: لو كان بإمكان ليتو فقط أن يعيش حتى يعلم ذلك، ولم تر في ذلك تناقضًا. وقفت، ونظرت حولها في الصحراء حيث قضى النمر على ليتو. سمعت صوتًا يعلو باطراد في الرمال، صوتًا مألوفًا للفرمن: دودة تقترب. وعلى الرغم من ندرة حدوث ذلك في هذه المنطقة، ظهرت الدودة مع ذلك. ربما كان عواء آلام احتضار

النمر الأول ... نعم، قتل ليتو قطعاً واحداً قبل أن يقتله الآخر. كان قدوم الدودة رمزياً على نحو غريب. كان إكراه غنيمة التنويمي عميقاً جداً لدرجة أنها لمحت ثلاث بقع داكنة بعيدة فوق الرمال: النمرين وليتو. ثم جاءت الدودة وعبرت، ولم يبقَ سوى صوت الرمال وهي تتحرك في أمواج جديدة بعد مرور الشيء هولود. لم تكن دودة ضخمة جداً.. لكنها كانت كبيرة بما يكفي. ولم تسمح قيود الإكراه التنويمي لغنيمة برؤية الراكب الصغير على ظهر الدودة الحلقي.

أغلقت غنيمة عدة الفِرم من بحزن، وتسالت بحذر من مخبئها. يدها على مسدس المولى، ونظرت حولها في المنطقة. لم تر أي علامة على وجود إنسان يحمل جهاز إرسال. مشت فوق الصخور، وعبرت الجانب البعيد، متخفية في ظلال القمر، وانتظرت وانتظرت لتتأكد من عدم وجود قاتل يراقبها.

عبر الفضاء المفتوح استطاعت رؤية المشاعل المضاءة في سييتش تبر، والحركة المتقطعة لعملية بحث. رأت بقعة داكنة تتحرك على الرمال باتجاه صحرة الخادم. اختارت طريقها بالركض بعيداً شمالاً من فرقة البحث القريبة، ثم هبطت إلى الرمال وانتقلت إلى ظلال الكثبان الرملية. حرصت على أن تضع خطواتها فوق الرمال بإيقاع متقطع حتى لا تجذب إليها دودة، وانطلقت في المسافة الواسعة التي تفصل بين سييتش تبر والمكان الذي مات فيه ليتو.

كانت تعلم أن عليها توخي الحذر عند القناة. لا شيء يجب
أن يمنعها عن الإبلاغ عن كيف مات شقيقها وهو
ينقذها من النمر.

في حالة صمودها تميل الحكومات باطراد إلى أشكال
أرستقراطية. لم تنجُ حكومة في التاريخ من هذا القَدَر.
ومع تطور الأرستقراطية، أصبحت الحكومة أكثر تفرّدًا
في خدمة مصالح الطبقة الحاكمة -سواء كانت تلك الطبقة
ملوكًا بالوراثة، أو أقليات تحكم في إمبراطوريات مالية، أو
بيروقراطيين متجدرين.

- السياسة بوصفها ظاهرة متكررة

(كتيب تدريب البني چيسيريت)

سأل فارادين: «لماذا يقدم لنا هذا العرض؟ هذا السؤال
الأهم».

كان هو والباشار تيكانيك واقفين في غرفة جلوس جناح
فارادين الخاص. وكانت وينسيشيا جالسة على ديوان
أزرق منخفض في زاوية، كأنها مشاهدة لا مشاركة في
الحوار. كانت تعرف موقفها وتساء منه، لكن فارادين
تغيّر بشكل مخيف منذ ذلك الصباح عندما أخبرته
بمؤامراتهما.

كانت الشمس تغيب في قلعة كورينو والضوء الهادئ
يعكس الهدوء الذي يملأ غرفة الجلوس -غرفة مليئة
بالكتب الحقيقية المنسوخة من البلاستينو، مع أرفف تضم
مجموعة من الأسطوانات، والبيانات، وشرائط الشيجواير،
والمكبرات الاستذكارية. كانت هناك إشارات في كل
مكان تدل على أن هذه الغرفة تُستخدم كثيرًا -

يقع متآكلة على الكتب، ومعدن لامع فوق المكبرات الاستذكارية، وزوايا مهترئة فوق كحل البيانات. كان هناك ديوان واحد، وكثير من الكراسي -جميعها مقاعد طافية مصممة لتوفير الراحة القصوى.

وقف فارادين وظهره إلى النافذة. كان يرتدي زيّ ساردوكار متواضعاً باللونين الرمادي والأسود مع رموز مخلب الأسد الذهبية على ياقته كزينة. اختار أن يستقبل الباشار ووالدته في هذه الغرفة، أملاً في إضفاء جو من الانسجام أكثر مما يمكن إضفاؤه في مكان أكثر رسمية. لكن تكرار تيكانيك «سيدي هذا» و«سيدي تلك» أبقى على مسافة بينهم.

قال تيكانيك: «يا سيدي، لو لم يكن قادراً على الوفاء به، ما كان عرضه علينا».

قاطعته وينسيشيا: «بالتأكيد، لا».

نظر فارادين إلى والدته بحدة لإسكاتها، وسأل: «ألم نحاول الوفاء بوعده الواعظ، ولم نضغط على أيدهو؟»

قال تيكانيك: «بلى، لم نحاول».

فارادين: «لماذا إذن عرض دانكن أيدهو -الذي اشتهر بولائه لآل آتريديز- تسليم الليدي چيسيكا إلينا؟»

تدخلت وينسيشيا قائلة: «هذه الشائعات لإثارة المشكلات في أراكس».

قال فارادين: «الأمر ليس مؤكداً. هل يمكن أن يكون
الواعظ قد عجل بها؟»

قال تيكانيك: «يمكن، لكنني لا أرى دافعاً إلى ذلك».

قال فارادين: «يقول إنها تطلب اللجوء. قد يكون هذا
صحيحاً إن كانت تلك الشائعات..».

قالت والدته: «بالضبط».

قال تيكانيك: «أو يمكن أن تكون خدعة منه».

قال فارادين: «يمكننا اقتراض عدة احتمالات والتدقيق
فيها».

«ماذا لو أن آيداهو يحتقر سيده عالية؟»

قالت وينسيشيا: «قد يكون ذلك تفسيراً. لكنه..».

قاطعها فارادين: «لا أخبار من المهريين؟ لماذا لا
نستطيع..».

قال تيكانيك: «يكون النقل بطيئاً دائماً في هذا الموسم.
والمتطلبات الأمنية..».

هز فارادين رأسه: «نعم صحيح، لكن ما زال.. اقتراضنا
لا يروق لي».

قالت وينسيشيا: «لا تستبعده بسرعة. كل تلك القصص
عن عالية وذلك الكاهن، أياً كان اسمه..».

قال فارادين: «نعم. لكن من الواضح أن الرجل..».

قالت وينسيشيا: « كان مصدرًا قيمًا للمعلومات لنا».

قال فارادين: « كنت أريد أن أقول إنه من الواضح أنه عميل مزدوج. كيف يمكن أن يتهم نفسه بهذا؟ لا يمكن الوثوق به. هنالك أيضا كثير من الدلائل...».

قالت: «لا أراها».

غضب فارادين من سذاجتها. «ثقي بكلامي، يا أمي! الدلائل موجودة. سأوضحها لك لاحقًا».

قال تيكانيك: «أتفق.. أنا مضطر إلى أن أوافق».

صمت وينسيشيا بألم. كيف يجرؤان على تجاهلها في المجلس هكذا؟ كأنها عاهرة مجنونة بلا ...

قال فارادين: «يجب ألا ننسى أن آيداهو كان غولة سابقًا. التليلاكسو...». رمى تيكانيك بنظرة جانبية.

قال تيكانيك: «سنبحث في ذلك المسار». كان معجبًا بطريقة تفكير فارادين: يقظ وحاد وباحث دقيق. نعم، عندما أعاد التليلاكسو الحياة إلى آيداهو، زرعوا فيه شوكة قوية لمصلحتهم.

قال فارادين: «لكني لا أفهم أي دافع للتليلاكسو هنا».

قال تيكانيك: «استثمار منهم في ثرواتنا. وتأمين بسيط لخدمات مستقبلية».

قال فارادين: «سأقول إنه استثمار ضخم».

قالت وينسيشيا: «وخطير».

كان على فارادين أن يتفق معها. كانت الليدي چيسিকা تتمتع بقدرات معروفة في الإمبراطورية. فهي التي درّبت المؤدّب.

«وإن انكشف أمرنا بأننا نحتجزها؟»

قال تيكانيك: «نعم، سيكون هذا سيفاً ذا حدين. ولكن يجب ألا يعرف أحد بذلك».

قال فارادين: «لنفترض، أننا قبلنا هذا العرض. ما قيمتها؟ هل نستطيع أن نبادلها بشيء أهم؟»

قالت وينسيشيا: «ليس علناً».

«بالتأكيد لا». نظر إلى تيكانيك مترقباً رده.

قال تيكانيك: «لم يتضح ذلك بعد».

أوماً فارادين برأسه. «نعم. أظن أنه إذا قبلنا، يجب أن ننظر إلى الليدي چيسিকা كثروة نخزنها لاستخدام غير محدد، إذ ليس بالضرورة أن تنفق الثروة على شيء معين. إنها فقط... قد تكون مفيدة».

قال تيكانيك: «ستكون أسيرة خطيرة جداً».

قال فارادين: «هذا ما يجب أن ننتبه إليه. سمعت أنها تستطيع استخدام أساليب البني چيسيريت التي نتقنها في التحكم في أحدهم من خلال التوظيف الخفي لصوتها».

قالت وينسيشيا: «أو بجسدها. أخبرتني إيرولان ذات مرة ببعض الأشياء التي تعلمتها. كانت تتفاخر بها آنذاك، ولم أرَ أي دليل يثبت ذلك. لكن البني چيسيريت هنّ طرائقهن في تحقيق غاياتهن».

سأل فارادين: «هل تقترحين أنها قد تغريني؟»

بالكاد هزت وينسيشيا كتفها.

سأل فارادين: «كنت لأقول إنها طاعنة في السن على

هذا، صحيح؟»

قال تيكانيك: «مع البني چيسيريت، لا شيء أكيد».

شعر فارادين برعشة من الإثارة الممزوجة بالخوف. هذه اللعبة لاستعادة آل كورينو موقع السلطة الأعلى جذبتة ونفّرتة. لكنه لم يستطع التخلي عن هذه اللعبة لصالح ما يحب -البحث التاريخي وتعلّم الواجبات الصريحة للحكم هنا في سالوسا سوكانداس. كانت استعادة قوات الساردوكار مهمة بحد ذاتها. ولهذا الغرض، كان تيك أداة مفيدة. كوكب واحد كان في النهاية، مسؤولية عظيمة. لكن الإمبراطورية كانت مسؤولية أعظم، وأكثر جاذبية بصفتها أداة للسلطة. وكلها قرأ عن المؤدب/ پول آتريديز، زاد إعجابه باستخدامات السلطة. بصفته الرئيس الشرفي لآل كورينو، وريث شادام الرابع، كم سيكون إنجازاً عظيماً أن يعيد سلالته إلى عرش الأسد. أراد ذلك! اكتشف فارادين من خلال تكرار تلك التعويذة الفاتنة إلى نفسه

عدة مرات، أنه تغلب على شكوكه العابرة.

تحدث تيكانيك: «.. إن البني چيسيريت يدركن جيداً أن السلام يولد العدوان، وأن العدوان يشعل الحرب. مفارقة...».

استرجع فارادين انتباهه من شرود تأملاته وسأل: «ما علاقة هذا بما نتحدث عنه؟»

لاحظت وينسيشيا شرود ابنها، وقالت بعدوبة: «كنت أود أن أعرف إن كان تيك ملماً بالفلسفة التي تقود الأخوية.»

نظر فارادين إلى تيكانيك، وقال: «لا تهمني الفلسفة. أما عرض آيداهو، فأظن أنه علينا التحري أكثر. عندما نظن أننا نعرف شيئاً، فهذا هو الوقت بالضبط الذي يجب أن نتساءل فيه عما نعرفه ونفحص بعمق هذا الشيء.»

قال تيكانيك: «أنت على حق». أعجبه هذا الحذر في فارادين، ولكنه تمنى ألا يؤثر في اتخاذ القرارات العسكرية التي تتطلب السرعة والدقة.

سأل فارادين بسخرية: «هل تعرفان ما الذي يشير اهتمامي في تاريخ أراكس؟ كان الفرمن يقتلون على الفور أي شخص لا يلبس بذلة تقطير مع قبعة مميزة وواضحة.»

سأل تيكانيك: «ما الذي يجذبك إلى بذلة التقطير؟»

«أها، لاحظت انجذابي إليها؟»

سألت وينسيشيا: «كيف لا يلاحظ!»

رمق فارادين أمه بغضب. ما الذي دفعها إلى قطع حديثهما بهذه الطريقة؟ أعاد انتباهه إلى تيكانيك.

وقال: «بذلة التقطير هي سر ذلك الكوكب يا تيك. علامة مميزة لكثيب. ينشغل الناس بالجوانب المادية: تحافظ بذلة التقطير على رطوبة الجسم، وتعيد تدويرها، وتمكّن مرتديها من العيش على كوكب كهذا. وكما تعلم، كان من عادة الفرمن أن يمنحوا كل فرد في العائلة بذلة تقطير واحدة إلا جامعي الطعام. لديهم بذلات إضافية. لكن انظرا، كلاهما...». شمل والدته في كلامه: «كيف أصبحت الملابس التي تشبه بذلة التقطير - ولكنها ليست كذلك - رائجة في كل أنحاء الإمبراطورية. تقليد البشر لفاتحي أراضيم شائع جدًا!».

سأل تيكانيك متعجبًا: «هل تعتقد أن هذه المعلومات مهمة؟»

«تيك.. يا تيك - لا يستطيع أحد الحكم من دون هذه المعلومات. ألم أقل لك أن بذلة التقطير هي سر ذلك الكوكب الأساسي! إنها تعبر عن تحفظهم. وإذا أخطؤوا، فستكون أخطاؤهم نابعة من هذا التحفظ.»

نظر تيكانيك إلى وينسيشيا التي كانت تحرق في ابنها بعبوس وقلق. هذه الصفة الفريدة في فارادين أثارت وأقلقت الباشار. كان الأمر مختلفًا تمامًا عن شادام القديم.

كان شادام ساردوكاراً في جوهره: قاتلاً عسكرياً بقيود قليلة، لكن شادام خسر أمام آل آتريديز بقيادة پول اللعين. في الحقيقة، ما قرأه عن پول آتريديز كشف هذه الصفات التي يتمتع بها فارادين الآن. ربما كان فارادين أكثر حذراً من آل آتريديز فيما يتعلق بالضروريات الصعبة، لكنه تلقى تدريباً ليصبح ساردوكاراً.

قال تيكانيك: «هل هذا النوع من المعلومات ضروري للحكم؟»

نظر فارادين إليه بصمت لثوان، ثم قال: «من حكم من دونها، فشل».

أطبق تيكانيك فمه بتوتر عند هذا الإشارة المباشرة إلى فشل شادام. كان ذلك فشل الساردوكار أيضاً، ولم يكن أي ساردوكار يجب أن يتذكره.

بعد أن بين رأيه، قال فارادين: «يا تيك، لم يفهم أحد تماماً تأثير كوكب في عقلية سكانه. لنهزم آل آتريديز، يجب أن نفهم ليس فقط كلادان، بل أراكس أيضاً: الأول كوكب جميل حيث الحياة فيه رغيدة، والآخر ساحة تدريب لاتخاذ قرارات صعبة. كان ذلك حدثاً فريداً، زواج آتريديز والفرمن. يجب أن نعرف كيف نجح وإلا لن نستطيع مواجهتهم، ناهيك بهزيمته».

سألت وينسيشيا: «ما علاقة هذا بعرض آيداهو؟»

نظر فارادين إلى والدته بشفقة. «حتى نهزمهم يجب أن

نرفض أنواعاً من الضغط على مجتمعهم. هذه أداة قوية جداً: الضغط. ونقصه مهم أيضاً. ألم تلاحظ كيف جعل آل آترديز الأشياء هنا تغدو مريحة وسلسة؟»

أشار تيكانيك باتفاق مقتضب. كانت هذه حجة قوية. لا يجوز أن يصبح الساردو كار ضعفاء. مع هذا، كان العرض من أيدهو يقلقه. قال: «ربما من الأفضل أن نرفض العرض».

قالت وينسيشيا: «ليس الآن. أمامنا مجموعة من الخيارات المتاحة. مهمتنا استكشاف أكبر عدد ممكن من هذه المجموعة. ابني محق: نحن بحاجة إلى مزيد من المعلومات». أمعن فارادين فيها، وهو يحاول فهم نيتها ومغزى كلماتها. قال: «ولكن، هل سندرك اللحظة التي سنتجاوز فيها مرحلة وجود أي خيار بديل؟».

انفجر تيكانيك بضحكة مريرة. «إن سألتني شخصياً عن ذلك، فقد تجاوزنا نقطة اللا عودة منذ زمن بعيد».

رفع فارادين رأسه وضحك بصوت عالٍ. «ولكن ما زالت أمامنا خيارات أخرى، يا تيك! عندما نصل إلى حافة الهاوية، فهذا مكان مهم يجب أن نتعرف عليه!»

في هذا العصر عندما تشتمل وسائل النقل البشري على أجهزة يمكن أن تجتاز أعماق الفضاء في زمن ضئيل، وأجهزة أخرى يمكنها حمل البشر بسرعة فوق أسطح كوكبية لا يمكن العبور فوقها افتراضياً، يبدو غريباً أن نفكر في محاولة القيام برحلات طويلة على الأقدام. ومع ذلك، تظل هذه هي الوسيلة الأساسية للسفر على أراكس. حقيقة تُعزى جزئياً إلى التفضيل الشخصي، وجزئياً إلى المعاملة الوحشية التي يحتفظ بها هذا الكوكب لأي أداة ميكانيكية. في ظل قيود أراكس، يظل جسد الإنسان المورد الأكثر تحملاً وموثوقية للحج. ولعل الإدراك الضمني لهذه الحقيقة ما يجعل أراكس المرآة المطلقة للروح.

- دليل الحج.

يبطء وحذر، عادت غنيمة إلى سييتش تبر، قاصرة حركتها على أعمق ظلال الكثبان الرملية، وجاشية في صمت مع مرور فريق البحث جنوباً منها. استحوذ عليها الوعي الرهيب: الدودة التي ابتلعت النمرين وجسد ليتو، والأخطار القادمة. رحل؛ رحل توأمها. كبحت دموعها كلها، وأوقدت نيران غضبها. في ذلك، كانت فرمنية خالصة. وكانت تدرك ذلك وتفخر به.

عرفت ما قيل عن الفرمن. كان يُزعم أنهم بلا ضمير، لأنهم فقدوه في رغبتهم في الانتقام من من طردوهم من كوكب إلى آخر في رحلتهم الطويلة. كان هذا سخفاً

بالتأكيد. فلا يكون الضمير معدوماً إلا عند البدائي الخام.
كان للفرمن ضمير متطور جداً يهتم بمصلحتهم كشعب.
لم يظهروا وحشيتهم إلا للغرباء -تماماً كما كان الغرباء
متوحشين بالنسبة إلى الفرمن. كان كل فرمني يدرك
أنه قادر على فعل شيء وحشي دون أن يندم. لم يشعر
الفرمن بالندم على الأشياء التي تؤنب ضمير الآخرين.
أعفتهم طقوسهم من الذنب الذي كان سيدمرهم لولا
ذلك. كانوا يعرفون في وعيهم العميق أن أي خطأ يمكن
أن يُعزى -جزئياً على الأقل- إلى ظروف تبريرية معروفة
جيداً: «فشل السلطة» أو «نزعة فطرية سيئة» يشترك فيها
كل البشر، أو «سوء حظ»، وهو ما يمكن لأي كائن حي
تمييزه بوصفه تصادماً بين الجسد الفاني وفوضى الكون
الخارجي.

في هذا الإطار، شعرت غنيمة بأنها فرمنية نقية، امتداد
مُعد بعناية للوحشية القبلية. احتاجت فقط إلى هدف -
وكان ذلك الهدف واضحاً جداً: آل كورينو. كانت تتوق
إلى رؤية دم فارادين مراقاً على الأرض عند قدميها.

لم يكن هناك عدو يحرس القناة. حتى فرق البحث
ذهبت إلى أماكن أخرى. اجتازت الماء فوق جسر ترابي،
وزحفت عبر العشب الطويل نحو المخرج السري للسيتش.
توهج ضوء أمامها فجأة وألقت غنيمة بنفسها على الأرض.
نظرت من خلال سيقان البرسيم العملاق. دخلت امرأة
الممر السري من الخارج، وتذكرت أن هذا الممر مجهز

كأي مدخل للسييتش. في الأوقات العصيبة، كانوا يستقبلون أي داخلٍ إلى السييتش بضوء ساطع، لإعطاء القادم مؤقتاً وإعطاء الحراس فرصة للتصرف، لكن هذا الترحيب لم يكن ينبغي أن يمتد إلى الصحراء. كان الضوء الظاهر هنا دليلاً على أن الأقفال الخارجية مفتوحة.

اختنقت غنيمة بمرارة هذه الخيانة لأمن السييتش: هذا الضوء الساطع. كما اختنقت بمرارة رؤية الفرمن يرتدون القمصان -الحرير في كل مكان الآن!

ظلّ الضوء يرسم شكلاً دائرياً على الأرض عند سفح الجرف. تسالت فتاة صغيرة من ظلمة البستان إلى النور، وهي تتحرك بخوف. رأت غنيمة الدائرة المضيئة من كرة إنارة داخل الممر، والحشرات التي تحوم حولها. أضواء الضوء ظلين مظلّين في الممر: رجل والفتاة. كل منهما يمسك بيد الآخر وهما يتبادلان النظرات.

استشعرت غنيمة خطراً بشأن الرجل والمرأة هناك. لم يكونا مجرد حبيبين يختلسان لحظة سرّية خلال البحث. كان الضوء معلقاً فوقهما وخلفهما في الممر. تحدث الاثنان أمام قوس متقد، يلقي بظلهما إلى الليل الخارجي حيث يمكن لأي عين أن ترصدهما. أحياناً يحرك الرجل يده التي تعطي إشارة إلى الضوء، حركة سريعة ومخفية، وما إن تنتهي حتى تعود إلى الظل.

ملأت أصوات وحشية لمخلوقات الليل الظلام حول

غنيمة، لكنها تجاهلت مثل هذه الإلهاءات. ما الذي يخفيانه؟ كانت حركات الرجل متزنة ومتأنية جداً. التفت. انعكاس من رداء المرأة أضاءه، وكشف عن وجه أحمر خام مع أنف ضخمة مبقّعة. احتجزت غنيمة أنفاسها بصمت عند التعرف عليه. باليمباشا! كان حفيداً لنائب فرماني أبناؤه قضوا نحبهم جميعاً في خدمة آترديز. رسم الوجه -وشيء آخر أوحى به تمايل رداءه وهو يستدير- لغنيمة صورة كاملة. كان يحمل حزاماً تحت الرداء، ربط بالحزام صندوق يبرق بالمفاتيح والمؤشرات. كانت أداة تليلاكسو أو إيكسية بلا شك، ولا بد أن يكون جهاز الإرسال الذي أطلق النمرين. باليمباشا. هذا يعني أن عائلة أخرى من نواب الفرمن قد انضمت إلى جانب آل كورينو.

من كانت المرأة إذن؟ لا يهم. كانت مجرد أداة لباليمباشا.

اجتاحت غنيمة فجأة فكرة بني چيسيرتية: لكل كوكب زمانه، ولكل حياة زمانها. تذكرت باليمباشا جيداً وهي تشاهده واقفاً مع تلك المرأة، وتراقب جهاز الإرسال، وتلمح الحركات الخفية. علم باليمباشا في مدرسة السييتش مادة الرياضيات. كان الرجل مهووساً بالرموز الرياضية. حاول تفسير المؤدب بالرياضيات حتى انتقده الكهنوت. كان عبداً للعقل وهو ما سهل معرفة طريقة استعباده: كان ينشر المعرفة التقنية دون نشر القيم.

فكرت: كان يجب أن أشبهه فيه من قبل. كانت

الإشارات كلها موجودة. ثم بانقباضة لاذعة في معدتها،
فكرت: قتل أخي!

حافظت على هدوئها. سيقتلها باليمباشا أيضًا إن حاولت
المرور أمامه في الممر السري. الآن فهمت لماذا هذا الضوء
غير الفرميني، هذه الخيانة للمدخل الخفي. يستخدمان هذا
الضوء لمراقبة إن كان أحد ضحيتيهما قد نجا. لا بد أن
انتظارهما دون يقين بما حدث، رهيبًا. والآن بعد أن رأت
غنيمة جهاز الإرسال، استطاعت تفسير بعض حركات
اليدين. كان باليمباشا يضغط على أحد مفاتيح جهاز الإرسال
بشكل متكرر بغضب. يحاول استدعاء النمرين دون جدوى.
أعلمها وجود هذا الثنائي بالكثير. من المحتمل أن يكون
هناك مراقب مماثل في كل طريق إلى السييتش.

حكّت أنفها بسبب دغدغة الغبار لها. لا تزال ساقها
المجروحة تنبض بالألم وذراعها توجعها عندما لا تحرقها.
كانت أصابع يدها اليمنى مخدرة. إن اضطرت إلى استخدام
سكين، فسيتعين عليها أن تحمل النصل بيدها اليسرى.

ترددت غنيمة في استخدام مسدس المولى، لكن صوته
المميز سيلفت الانتباه الذي تتجنبه. يجب التفكير في طريقة
أخرى.

ابتعد باليمباشا عن المدخل مرة أخرى. كان ظلًا أسود
أمام النور. وجهت المرأة انتباهها إلى الليل الخارجي وهي
تتكلم.. كانت متيقظة وماهرة، تدرك كيف تراقب

الظلال، بزوايا عينيها. لم تكن مجرد أداة سهلة. كانت شريكة في مؤامرة أكبر.

تذكرت غنيمة أن باليمباشا كان يتطلع إلى أن يصبح قائم مقام، حاكماً سياسياً تحت الوصاية. كان واضحاً أنه جزء من خطة أكبر. لا بد أن يكون هناك كثير من المواطنين معه. حتى هنا في تبر. تفحصت غنيمة حدود المشكلة التي تكشفت لها بهذه الطريقة، وحللتها. إذا استطاعت أن تأسر أحد هؤلاء الحراس حياً، فسيكشف عن تورط آخرين كثيرين.

لفت انتباه غنيمة حركة حيوان صغير يرتشف الماء من القناة خلفها. أصوات طبيعية وأشياء طبيعية. فتشت في ذاكرتها خلف حاجز صامت غريب في ذهنها، فعثرت على كاهنة الجوف* التي أسرها سنحاريب في آشور. ذكريات تلك الكاهنة أخبرت غنيمة بما يجب أن تفعله هنا. كان باليمباشا وامرأته هناك مجرد طفلين، شقيين وخطيرين. لم يعرفا شيئاً عن الجوف، ولم يعرفا حتى اسم الكوكب الذي دفن فيه سنحاريب والكاهنة في التراب. الشيء الذي كان سيحلّ بهذين المتآمرين، إن أخبرا به، فلا يمكن فهمه إلا من منظور أن البداية هنا.

والنهاية هنا.

انقلبت غنيمة على جنبها، وفككت عدة الفرمن، وأخرجت منشاق الرمال من مشبكها، وفتحت غطاءه،

ونزعت الفلتر الطويل من داخله. الآن أصبحت تملك أنبوباً مجوفاً مفتوح الطرفين. اختارت إبرة من حزمة معدات التصليح، وأخرجت سكينها العاجية من غمدها، وأدخلت الإبرة في تجويف السم عند طرف السكين، حيث كان عصب سن دودة رملية مثبتاً فيه سابقاً. أعاقت ذراعها المجروحة عملها. تحركت بحرص وبيطء، مُعامِلة مع الإبرة المسمومة بحذر وهي تأخذ حزمة من ألياف الاسپايس من حجيرتها في العدة. ربطت ساق الإبرة بإحكام في حزمة الألياف، مكونة قذيفة دخلت بإحكام في أنبوب منشاق الرمال.

وبينما تُمسك غنيمة بالسلاح بثبات، اقتربت أكثر من الضوء، وتحركت ببطء لتقلل من ضجيج عيدان البرسيم. وهي تتقدم، راقبت الحشرات حول الضوء فوق رأسي باليمباشا والمرأة. نعم، كان هناك ذباب ريشي بين تلك الحشرات الطائرة. كان ذباباً معروفاً بأنه يقرض اللحم البشري. ربما تمر الطلقة المسمومة دون أن يشعر بها أحد، وتُهشّ جانباً كذبابة قارضة. بقي القرار: أيهما يجب أن تقتل - الرجل أم المرأة!

موريس. ظهر الاسم فجأة في ذهن غنيمة. كان هذا اسم المرأة. تذكرت غنيمة ما قيل عنها. كانت واحدة من تلك الشابات اللاتي يُحْمَنَ حول باليمباشا كما تحوم الحشرات حول الضوء. كانت مطيعة وضعيفة.

جيد جداً. اختار باليمباشا الرفيقة الخطأ لهذه الليلة.

أدخلت غنيمة الأنبوب في فمها، وبذكرى كاهنة الجوف
حاضرة في وعيها، أمعنت في النظر، ونفخت في دفعة قوية
واحدة.

لطم باليمباشا خده، وسحب يده ملطخة بالدم. لم تظهر
الإبرة في أي مكان، طارت بعيداً مع حركة يده.

قالت المرأة كلمة مهدئة وضحك باليمباشا. وبينما كان
يضحك، انهارت ساقاه من تحته. سقط أمام المرأة التي
حاولت أن تسنده. كانت تهتز تحت وطأة ثقله عندما
اقتربت غنيمة من جانبها وطعنت خصرها بسكين عاجية
حادة.

قالت غنيمة بصوت هادئ: «لا تتحركي يا موريس.
سكيني مسمومة. يمكنك ترك باليمباشا الآن. لقد مات».

تمتلك كل جماعة أو مؤسسة تؤثر في سلوك الناس ومعتقداتهم، أجندة خفية لاكتساب السلطة والنفوذ والحفاظ عليهما باستخدام اللغة. لا يختلف في ذلك طبيب ساحر أو كاهن أو بيروقراطي. يجب تهيئة الشعب المحكوم لقبول الكلمات التي تُستخدم لتوجيه الرأي العام على أنها حقيقة واقعة، وجعله يخلط بين النظام القائم على الرموز والواقع الفعلي. للحفاظ على هيكل السلطة، يجب الإبقاء على بعض الرموز غير مفهومة للأشخاص العاديين مثل تلك التي تتعلق بكيفية التحكم في الاقتصاد أو التلاعب به، أو تلك التي تحدد ما يعد طبيعياً أو صحيحاً في مجتمع معين. إبقاء بعض الرموز سرية أو غامضة يؤدي إلى خلق لغات فرعية مختلفة (كالرموز المستخدمة في مهن محددة مثل الطب والهندسة)؛ ما يكسب مستخدموها نوعاً من القوة. مع هذا الفهم لكيفية عمل القوة من خلال اللغة، على قوات أمننا الإمبراطورية أن تكون دائماً يقظة ومدركة ظهور اللغات الفرعية.

- محاضرة للأميرة إيrolan في كلية أراكن الحربية.

قال فارادين: «لست بحاجة إلى إخباركما بهذا، لكن حتى لا تتعا في خطأ، أخبركما أن أحد رجالي أبكم وقد تلقى أوامر بقتلكما إذا ظهرت عليّ أي علامات على الخضوع لأي سحر».

لم يتوقع أن يرى أي تأثير لهذه الكلمات فيهما. وبالفعل بدت الليدي چيسیکا وآيдахو غير متفاجئين من ذلك.

اختار فارادين بعناية ظروف لقائه الأول مع الثنائي، قاعة الاستقبال الرسمية في دولة شادام القديمة. كانت القاعة تفتقر إلى الفخامة، لكنها عوضت ذلك بالديكورات الغربية. في الخارج كانت فترة ما بعد ظهر يوم شتوي، ولكن إضاءة الغرفة المغلقة أعطت إيحاء يوم صيفي بفضل الضوء الذهبي المنبعث من كرات زجاجية مصنوعة من أنقى أنواع البلورات الإيكيةسية.

ملأت الأخبار الواردة من أراكس فارادين بنشوة هادئة. أنهى نمر قاتل حياة التوأم ليتو، وكانت أخته الناجية غنيمة في عهدة عمته، ويشاع أنها رهينة. فسر التقرير بالكامل سبب حضور آيداهو والليدي چيسيكاب؛ كانا يبحثان عن ملجأ. أبلغه جواسيس كورينو عن سريان هدنة ضعيفة على أراكس. وافقت عالية على الخضوع لاختبار يسمى «محاكمة المس» التي لم يُشرح الغرض منها كاملاً. ومع ذلك، لم يُحدّد موعد لهذه المحاكمة واعتقد اثنان من جواسيس كورينو أنها قد لا تُقام أبداً. كان التالي مؤكداً، على أي حال: ثمة قتال دائر بين فرمن الصحراء والفرمن الإمبراطورين العسكريين، حرب أهلية فاشلة أوصلت الحكومة إلى طريق مسدود مؤقتاً. أصبح سييتش ستيلجار الآن منطقة محايدة رسمياً بعد عملية تبادل رهائن. من الواضح أن غنيمة كانت تعدُّ إحدى الرهائن، بيد أن آلية عمل ذلك لم تكن واضحة.

أحضر جنديان من الساردوكار چيسيكاب وآيداهو إلى

قاعة الاستقبال مقيدین جيداً إلى كرسيين طافين بأسلاك رقيقة مميتة من الشيجواير تستطيع أن تمزق اللحم عند أدنى مقاومة. تأكد الجنديان من القيود ثم مضيا مبتعدين في صمت.

في الواقع، لم يكن التحذير ضرورياً. فقد شاهدت جيسिका الأبكم المسلح وهو يقف مقابل الحائط إلى يمينها وفي يده سلاح ناري قديم، ولكنه فعال. نظرت حولها إلى ديكورات الغرفة الغربية. رُصِّعت الأوراق العريضة للشجيرة الحديدية النادرة بلألئ تشبه العيون، وتشابكت لتشكل هلالاً يتوسط السقف المقبب. كانت الأرضية من كتل متناوبة من الخشب الألماسي وأصداف الكابوزو المرصوفة داخل إطارات مستطيلة من عظام بيغاوات موضوعة بحيث يكون طرفها الأطول عمودياً، ومقطوعة بدقة بالليزر ومصقولة بعناية. وكانت الجدران مزينة بمواد صلدة مختارة بعناية، تحمل أنماطاً منسوجة تحدد المواقع الأربعة لرمز الأسد الذي يطالب به نسل الراحل شادام الرابع. كانت الأسود مصممة من الذهب.

فضل فارادين استقبال الأسيرين واقفاً. كان يرتدي سروالاً رسمياً قصيراً وسترة حريرية ذهبية مفتوحة عند الرقبة. كانت زخرفة ثوبه الوحيدة رمز الانفجار النجمي الأميري لعائلته الملكية منقوشاً على صدره ناحية اليسار. رافقه الباشار تيكانيك مرتدياً زي ساردوكار بنياً فاتحاً وأحذية ثقيلة، ويحمل مسدس ليزر مزخرفاً في حافظة

أمامية عند مشبك حزامه. وكان تيكانيك الذي عرفت
چيسيكاً وجهه القاسي من تقارير البني چيسيرت، يقف
خلف فارادين إلى يساره بنحو ثلاث خطوات. وربض
عرش خشبي داكن على الأرضية بالقرب من الجدار
خلفهما.

وجه فارادين كلامه إلى چيسيكاً قائلاً: «الآن، هل
لديك ما تقولينه؟»

أشارت إلى أسلاك الشيجواير التي تقيد ذراعيها وقالت:
«أود أن أسأل لماذا نحن مقيدان هكذا؟»

قال فارادين: «تلقينا الآن فحسب تقارير من أراكس
تفسر وجودكما هنا. ربما سأطلق سراحك الآن». ابتسم
وأكمل: «إذا كنتِ..» بتر عبارته حين دخلت والدته من
أبواب قاعة الاستقبال خلف الأسيرين.

سارعت وينسيشيا الخطى متجاوزة چيسيكاً وآيداهو
دون أن تنظر إليهما، وسلمت فارادين جهاز استقبال
رسائل صغير مكعب الشكل، وشغَّلته. تابع شاشته المتوهجة
بعناية، كان ينظر إلى چيسيكاً من حين إلى آخر، ثم يعود
إلى المكعب. أظلمت الشاشة المتوهجة مع نهاية الرسالة،
فأعاد فارادين المكعب إلى والدته، مشيراً إلى أنها يجب
أن تريه لتيكانيك. وبينما كانت تفعل هذا، تجهم في وجه
چيسيكاً.

وقفت وينسيشيا بجانب يد فارادين اليمنى، والمكعب

المظلم في يدها مخفياً جزئياً تحت ثنية رداؤها الأبيض.
نظرت چيسيكاً يميناً إلى آيداهو، لكنه رفض أن يبادلها
النظرات.

قال فارادين: «البنى چيسيرت غاضبات منى، يعتقدن
أننى مسؤول عن قتل حفيدك».

حافظت چيسيكاً على هدوء وجهها، وفكرت: إذن قصة
غنيمة محل ثقة، إلا إذا.. لم تعجبها الاحتمالات الأخرى
المجهولة.

أغمض آيداهو عينيه، وفتحهما ونظر إلى چيسيكاً.
واصلت التحديق إلى فارادين. أخبرها آيداهو عن رؤية
راچيا* التي راودته، لكنها لم تبد أي قلق. لم يعرف
كيف يفسر برود أعصابها. كان واضحاً أنها تعرف شيئاً ما
لا تكشف عنه.

قال فارادين: «هذا هو الوضع»، وشرع في شرح كل
ما عرفه عن الأحداث في أراكس دون أن يخفي شيئاً.
وختم قائلاً: «نجت حفيدتك، لكن يقال إنها محتجزة عند
الليدي عالية. هذا ينبغي أن يسعدك».

سألت چيسيكاً: «هل قتلت حفيدي؟»

أجاب فارادين بصدق: «لم أفعل. علمت مؤخرًا بالمؤامرة،
لكنها لم تكن من صنعى».

نظرت چيسيكاً إلى وينسيشيا، ورأت تعبير الشماتة على

ذلك الوجه قلبي الشكل، وفكرت: هذا صنيعها! اللبوة
تخطط من أجل شبلها، لكنها ستندم على هذه اللعبة.

أعادت چيسیکا انتباهها إلى فارادين وقالت: «لكن
الأخوية تعتقد أنك قتلتته».

التفت فارادين إلى والدته: «أريها الرسالة».

ترددت وينسيشيا، فصاح بنبرة غاضبة: «قلت أريها
إياها!» لاحظت چيسیکا غضبه وحفظت ذلك في
ذاكرتها لتستخدمه في المستقبل.

بوجه شاحب، أدرات وينسيشيا شاشة مكعب الرسائل
إلى چيسیکا، ثم شغلته. تدفقت الكلمات فوق السطح،
مستجيبة لحركات عين چيسیکا:

يقدم مجلس البني چيسيرت على كوكب والاك التاسع احتجاجاً رسمياً ضد عائلة كورينو على اغتيال ليتو آتريديز الثاني. تكلف مفوضية الأمن الداخلي لمجلس اللاندراد بجمع الحجج والأدلة واختيار أرضية محايدة وتقديم أسماء القضاة للموافقة عليها من جميع الأطراف. مطلوب ردكم الفوري.

- ثابت ريكوش

ممثلاً عن اللاندراد

عادت وينسيشيا إلى جانب ابنها.

سألت چيسيكاً: «كيف سترد؟»

قالت وينسيشيا: «بما أن ابني لم يُنصب رسمياً قائداً لعائلة كورينو، فسوف.. إلى أين أنت ذاهب؟» كانت العبارة الأخيرة موجهة إلى فارادين الذي -في أثناء حديثها- استدار، وتوجه نحو باب جانبي بالقرب من الأبكم اليقظ. تمهل فارادين، ودار نصف استدارة وقال: «سأعود إلى كتي والأنشطة الأخرى التي تثير اهتمامي أكثر».

سألت وينسيشيا: «كيف تجرؤ؟» احمرت رقبتها وخداها

بتورد غامق.

قال فارادين بشجاعة: «سأفعل بعض الأشياء بنفسى. لقد اتخذت قرارات باسمي، قرارات أجدها بغیضة جداً. إما أنني سأأخذ القرارات بنفسى من الآن فصاعداً أو يمكنك

أن تجدي لنفسك وريثاً آخر لآل كورينوا!»

انتقلت چيسيكاً بنظرتها بسرعة بين المشاركين في هذه المواجهة، ورأت غضباً حقيقياً في ملامح فارادين. وقف مساعده الباشار جامداً لكن متأهباً، محاولاً إظهار أنه لم يسمع شيئاً. كادت وينسيشياً تصرخ من شدة غضبها. بدا فارادين مستعداً تماماً لقبول أي نتيجة تنجم عن خطوته الجريئة تلك. أعجبت چيسيكاً باتزانها، ورأت أشياء كثيرة في هذه المواجهة قد تكون ذات قيمة لها مستقبلاً. يبدو أن قرار إرسال النور القاتلة لمهاجمة حفيديها قد اتخذ دون علم فارادين. لا شك في صدق قوله إنه علم بالمؤامرة بعد بدايتها. ولا يمكن الخطأ في تأويل الغضب الحقيقي في عينيه وهو واقف هناك، مستعداً لقبول أي نتيجة.

استنشقت وينسيشياً نفساً عميقاً مرتجفاً، ثم قالت: «حسناً، سيجري تنصيبك الرسمي غداً. يمكنك التصرف مقدماً الآن». التفتت إلى تيكانيك الذي رفض النظر إليها.

فكرت چيسيكاً: سينشب صراع شرس بين الأم وابنها بمجرد خروجهما من هنا. لكنني أعتقد أنه انتصر.

عادت بأفكارها إلى الرسالة من مجلس اللاندراد. كانت الأخوية قد خبان رسائلهن بحنكة، وهو ما يدل على حنكة النبي چيسيريت. كانت هناك رسالة مخفية موجهة إلى چيسيكاً في رسالة الاحتجاج. كشفت حقيقة الرسالة أن جاسوسات الأخوية يدركن وضع چيسيكاً، وقد قيمن

فارادين بدقة فائقة جعلتهن يخمنّ أنه سيعرض الرسالة على أسيرته.

قالت چيسیکا، مخاطبة فارادين عندما عاد إلى مواجهتها: «أريد إجابة عن سؤالي».

قال فارادين: «سأخبر اللاندراد أنني بريء من هذا الاغتيال. سأضيف أنني أشارك الأخوية رفضها لطريقة الاغتيال، مع أنني لا أستطيع أن أكون مستاء كلياً منه. أعتذر عن أي حزن ربما أصابك. لا يمكن معرفة ما تخبئه لك الحياة!»

فكرت چيسیکا: لا يمكن معرفة ما تخبئه لك الحياة! كانت هذه مقولة مفضلة لدوقها، وقد لاحظت شيئاً في تصرف فارادين يدل على معرفته بذلك. أجبرت نفسها على تجاهل احتمال أنهم قتلوا ليتو حقاً. كان عليها أن تفترض أن خوف غنيمة على ليتو قد دفعها إلى الكشف الكامل عن خطة التوأمين لها. سيسهل المهربون عندئذ لقاء جيرني بليتو، وستنفذ أساليب الأخوية. يجب اختبار ليتو، لا مفر من ذلك. دون الاختبار، سيحكم عليه بالهلاك مثلها حكم على عالية وغنيمة.. حسناً، يمكن التعامل مع ذلك لاحقاً. لا طريقة لإرسال ليتو الواعي ما قبل الولادة إلى الأم المبعّلة غايوس هيلين موهم لاختباره.

أطلقت چيسیکا تهيدة عميقة. قالت: «عاجلاً أم آجلاً، سيخطر ببال أحدهم أنه يمكنك وحفيدتي توحيد شمل

عائلتي، وتضميد الجروح القديمة».

قال فارادين وهو يلقي نظرة سريعة على والدته: «لقد ذكر هذا الأمر أمامي من قبل. وكان ردي أنني أود انتظار ما ستؤول إليه الأحداث الأخيرة في أراكس. لا داعي للتسرع في القرار».

قالت چيسیکا: «ربما قد أسديت خدمة لابنتي دون أن تدري».

تشجج فارادين وقال: «اشرحي!».

قالت چيسیکا: «الأمور في أراكس ليست كما تظهر عليه. عالية تحيك لعبتها الخاصة، لعبة الشُّنعة. حفيدتي في خطر ما لم تجد عالية طريقة لاستغلالها».

«هل تتوقعين مني أن أصدق أنك وابنتك متنازعتان، وأن عائلة آتريديز تتحارب فيما بينها؟»

نظرت چيسیکا إلى وينسشيا، ثم التفتت إلى فارادين: «أرى هنا أن عائلة كورينو تتحارب أيضًا».

ابتسم فارادين بسخرية: «منطقي. كيف أسديتُ خدمة لابنتك؟»

«بالتورط في وفاة حفيدي، عن طريق خطفي».

«خطفك...».

حذرت وينسشيا: «لا تثق بهذه الساحرة».

قال فارادين: «سأختار من أثق به يا أمي. سامحيني يا ليدي چيسيكالكنني لا أفهم مسألة الخطف هذه. فهمت أنك وخادمك المخلص...».

قالت چيسيكال: «الذي هو زوج عالية».

ألقي فارادين نظرة متأنية على آيداهو، ثم نظر إلى الباشار: «ماذا تعتقد يا تيك؟»

بدا أن لدى الباشار أفكاراً مشابهة لتلك التي أعلنتها چيسيكال. قال: «يعجبني منطقها. عليك الحذر».

قال فارادين: «إنه منمات-غولة. يمكننا اختباره حتى الموت ولن نظفر منه بإجابة مؤكدة».

قال تيكانيك: «لكنه اقراض محتمل أننا ربما خدعنا».

عرفت چيسيكال أن اللحظة قد حانت لإقناعه. تمت أن يمنع الحزن آيداهو من خيانتها أو الكشف عن هويته. كرهت استغلاله بهذه الطريقة، ولكن هناك اعتبارات أكبر.

قالت چيسيكال: «أولاً، قد أعلن صراحة للأخوية أنني أتيت إلى هنا بإرادتي الحرة».

قال فارادين: «مثير للاهتمام».

قالت چيسيكال: «يجب أن نثق بي وتمنحني الحرية الكاملة في سالوسا سوكانداس. لا يمكن أن يظن أحد أنني أتحدث مجبرة».

اعترضت وينسيشيا: «لا!»

تجاهلها فارادين: «أي مبرر ستعطينه؟»

«أنني مبعوثة الأخوية، وقد أرسلت إلى هنا حتى أتولى
تعليمك».

«لكن الأخوية تتهم...».

قالت چيسيكاً: «يتطلب ذلك منك قراراً حاسماً».

قالت وينسيشيا: «لا تثق بها!»

نظر إليها فارادين بأدب شديد، وقال: «إن قاطعتني ثانية،
سأمر تيك بإخراجك من هنا. سمع موافقتك على التنصيب
الرسمي. هذا يلزمه طاعتي الآن».

نظرت وينسيشيا إلى الأبكم الواقف مقابل الجدار
الجانبى: «أقول لك، إنها ساحرة!»

تردد فاردين. ثم قال: «تيك، ما رأيك؟ هل أنا
مسحور؟»

«ليس في تقديري. هي-».

«كلاكما مسحور!».

«أمي!» كانت لهجته جامدة وحاسمة.

ضمت وينسيشيا قبضتها، وأرادت أن تتحدث، لكنها
استدارت، وخرجت من الحجرة.

قال فارادين مخاطباً چيسيكاً ثانية: «هل ستوافق البني
چيسيريت على ذلك؟»
«سيفعلن».

استوعب فارادين الآثار المترتبة على ذلك، وابتسم
ابتسامة مشدودة: «ماذا تريد الأخوية من كل هذا؟»
«زواجك من حفيدتي».

رمى آيداهو چيسيكاً بنظرة مستفسرة كأنه سيتحدث،
لكنه ظل صامتاً.

قالت چيسيكاً: «هل ستقول شيئاً يا دانكن؟»
«كنت سأقول إن البني چيسيريت يردن ما أردن دوماً:
عالمًا لا يتعارض معهن».

قال فارادين: «افتراض واضح، لكني لا أرى سبباً لذكره
الآن؟»

اهتز حاجبا آيداهو، ولكن أسلاك الشيجواير لم تسمح
لجسده بالاهتزاز أيضاً، ابتسم باضطراب.

رأى فارادين الابتسامة، والتفت لمواجهة آيداهو: «هل
أسليك؟»

«هذا الوضع برمته يسليني. عقد أحد أفراد عائلتك صفقة
مع نقابة القضاء عن طريق استخدامهم لحمل أدوات
اغتيال إلى أراكس، أدوات لا يمكن إخفاء النية منها.

لقد أسأت إلى النبي چيسيرت بقتل ذكر رغبن فيه من أجل برنامج التناسل...».

«هل تهمني بالكذب يا غولة؟»

«حسنًا. أصدق أنك لم تعرف شيئًا عن المؤامرة. لكنني اعتقدت أن الوضع تطلب مني تسليط الضوء على هذه النقطة».

حذرت چيسيكًا: «لا تنس أنه مننتات».

قال فارادين: «ذلك ما كنت أفكر فيه». مرة أخرى واجه چيسيكًا. «دعينا نقول إنني سأحررك، وأنت ستعلنين أنك هنا بمحض إرادتك. لا يزال هذا يترك مسألة وفاة حفيدك. المنتات على صواب».

سألت چيسيكًا: «هل كانت أمك؟»

حذر تيكانيك: «سيدي!»

لوح فارادين بيده يسر: «لا بأس. ولو قلت إنها كانت أمي؟»

قالت چيسيكًا مخاطرة بكل شيء في اختبار هذا الانشقاق الداخلي بين عائلة كورينو: «يجب أن تندد بها وتنفيها».

قال تيكانيك: «سيدي».

قال آيداهو: «ربما تكون خدعة داخل خدعة هنا».

والليدي چيسيكا وأنا من تعرضنا للخداع».

تيس فك فارادين.

وفكرت چيسيكا: لا تدخل يا دانكن! ليس الآن!

لكن كلمات آيداهو حرّضت قدراتها البني چيسيرتية على التفكير المنطقي. صدمها دانكن. بدأت تتساءل إن كان ثمة احتمال أنها تعرضت للاستغلال بطرائق لا تفهمها. غنيمة وليتو. الواعون ما قبل الولادة يمكنهم النهل من تجارب داخلية لا نهائية، من مخزون نصح أشمل بكثير مما تعتمد عليه البني چيسيرت الأحياء.

ثم كان ذلك السؤال الآخر: هل كانت الأخوية صادقة تماماً معها؟ ربما ما زلن لا يثقن بها. فبعد كل شيء، خانتهن چيسيكا مرة.. من أجل حبيبها الدوق.

نظر فارادين إلى آيداهو بعبوس حائر: «أيها المنتات، أريد أن أعرف ماذا يمثل الواعظ بالنسبة إليك؟»

«رتب عبورنا إلى هنا. أنا.. لم أتحدث معه عشر كلمات حتى. كان هناك وسطاء بيننا. يمكن أن يكون.. يمكن أن يكون پول آتريديز، لكن ليس لدي معلومات كافية للتأكد. كل ما أعرفه على وجه اليقين أن الوقت كان قد حان لمغادرتي أراكس، وكانت لديه الإمكانيات لذلك».

ذكره فارادين: «أنت تقول إنك تعرضت للخداع».

قال آيداهو: «عالية لتوقع منك أن تقضي علينا بدم

بارد، وتخفي الدليل على ذلك. فبعد أن تخلصت من الليدي چيسيكاً، لم يعد لي قيمة. والليدي چيسيكاً، بعد أن خدمت أغراض الأخوية، لم تعد مفيدة لمن. عالية ستوجه إصبع الاتهام إلى النبي چيسيريت، لكنهن سيفزن».

أغمضت چيسيكاً عينيها بتركيز. كان محققاً! بإمكانها سماع الحزم في صوته، والإخلاص العميق في قوله. أصبح كل شيء واضحاً دون تناقض. أخذت نفسين عميقين وشحذت ذاكرتها ثم دخلت في النشوة، وأدارت المعلومات في عقلها، ثم فتحت عينيها. خلال ذلك تحرك فارادين من أمامها ليصبح على بعد نصف خطوة من آيداهو-مساحة لا تزيد على ثلاث درجات.

قالت چيسيكاً: «لا تتحدث أكثر من ذلك يا دانكن»، وفكرت بأسف في تحذير ليتو لها من تدبير النبي چيسيريت. سكت آيداهو بعدما كان على وشك الحديث.

قال فارادين: «أنا من يأمر هنا. تابع يا منّات». ظل آيداهو صامتاً.

دار فارادين نصف استدارة وتأمل چيسيكاً.

حدقت في نقطة على الحائط البعيد، وراحت تراجع ما عرفته من خلال آيداهو والنشوة. لم تتخلّ النبي چيسيريت عن سلالة آتريديز بالطبع. لكن أردن السيطرة على

الكويزاتس هاديراك، واستثمرن الكثير في برنامج التناسل الطويل. أردن صداماً مفتوحاً بين آل آترديدز وآل كورينو، الموقف الذي سيسمح لهن بالتدخل بوصفهن مُحَكِّمَات. كان دانكن على حق. سيخرجن من ذلك وهن يسيطرن على كلِّ من غنيمه وفارادين. كان هذا الحل الوسط الممكن الوحيد. العجيب أن عالية لم تره. ابتلعت چيسیکا ريقها متغلبة على ضيق في حلقها. عالية.. سُنة! كانت غنيمه محقة في إشفاقها على عالية. لكن من تبقى حتى يشفق على غنيمه؟

قالت چيسیکا: «وعدت الأخوية بوضعك على العرش برفقة غنيمه بصفتها خليلتك».

تراجع فارادين خطوة إلى الوراء، هل تقرأ الساحرة العقول؟

قالت چيسیکا: «عملن سراً وليس من خلال والدتك. أخبرتك أنني لا أعلم بخطتهن».

قرأت چيسیکا انفضاح الأمر في ملامح وجه فارادين. كم كان مكشوفاً. لكن إطار الخطة كله كان صحيحاً. أظهر آيداهو قدرات منمات بارعة في رؤية هو ما مخفي وراء البيانات المحدودة المتاحة له.

قال فارادين: «إذا فقد لعبن لعبة مزدوجة وأخبرتك».

قالت چيسیکا: «لم يخبرني بأي شيء عن هذا. كان دانكن محقاً؛ لقد خدعني». أومأت إلى نفسها. كان هذا

تأخيراً معتاداً تتبعه الأخوية دائماً لكسب الوقت - قصة معقولة، يمكن قبولها بسهولة لأنها تتوافق مع ما قد يعتقد المرء عن دوافعهن. لكنهن أردن إقصاء چيسيكاً عن الطريق -أخت معينة كانت قد خذلتهم ذات مرة.

تحرك تيكانيك إلى جانب فارادين: «سيدي، هذان الشخصان خطران جداً..».

قال فارادين: «انتظر قليلاً، يا تيك. هذه القضية معقدة جداً». واجه چيسيكاً. «لدينا أسبابنا للاعتقاد أن عالية قد تقدم نفسها عروساً لي».

ارتعش آيداهو لا إرادياً، ثم تمالك نفسه. بدأ الدم يقطر من معصمه الأيسر حيث مزقته أسلاك الشيجواير.

اتسعت عينا چيسيكاً قليلاً. كانت تعرف ليتو الأول - الدوق ليتو- عاشقاً وأباً لطفليها، محل ثقة وصديق، رأت أن طبيعته في التفكير البارد تنبعث الآن من خلال الأعيب شُنة.

سأل آيداهو: «هل ستقبل؟»

«ما زلت أنظر في الأمر».

قالت چيسيكاً: «دانكن، قلت لك أن تصمت». خاطبت فارادين: «كل ما طلبت منك مقابل ذلك وفاة شخصين لا يهم وفاتهما- نحن الاثنين».

قال فارادين: «اشتبهنا في غدر. ألم يكن ابنك من قال:

(الغدر يولد الغدر)؟»

قالت چيسيكاً: «الجماعة تسعى إلى السيطرة على كل من آل آترديدز وآل كورينو. أليس هذا واضحاً؟»

«نفكر جدياً الآن بقبول عرضك، يا ليدي چيسيكاً، لكن يجب إعادة دانكن آيداهو إلى زوجته المحبة.»

ذكر آيداهو نفسه: الألم أحد وظائف الأعصاب. الألم يأتي كما يأتي الضوء إلى العينين. المجهود ينبع من العضلات وليس من الأعصاب. كان تمريناً ذهنياً قديماً أكمله في نفس واحد، ثم ثني معصمه وقطع شرياناً مقابل أسلاك الشيجواير.

قفز تيكانيك إلى المقعد، وضغط قفل التقييد لتحرير الأسلاك، وصرخ طالباً المساعدة الطبية. اندفع المساعدون فوراً من خلال الأبواب الخفية في الجدران.

فكرت چيسيكاً: طالما أظهر دانكن شيئاً من الحماسة.

درس فارادين چيسيكاً بعينه لحظة فيما كان المسعفون يعتنون بآيداهو: «لم أقل إنني سأقبل بعالية»

قالت چيسيكاً: «هذا ليس سبب قطع معصمه.»

«أوه؟ اعتقدت أنه كان ينتحر ببساطة.»

قالت چيسيكاً: «أنت لست بهذا الغباء. توقف عن التظاهر معي.»

ابتسم. «أنا أدرك جيداً أن عالية ستدمرني. حتى البني
چيسيريت لا يتوقعن مني أن أقبل بها».

رمت چيسيكاً فارادين بنظرة موزونة. ما حقيقة هذا
الوريث الشاب لآل كورينو؟ لم يلعب دور الأحمق. مرة
أخرى، تذكرت كلمات ليتو بأنها ستقابل تلميذاً شائعاً. قال
آيداهو إن الواعظ أراد ذلك أيضاً. تمت لو قابلت هذا
الواعظ.

سألت چيسيكاً: «هل ستنفي وينسيشيا؟»

قال فارادين: «أرى أنها صفقة عادلة».

نظرت چيسيكاً إلى آيداهو. انتهى المسعفون منه، وقيده
بشكل أقل خطورة إلى المقعد العائم.

قالت: «يجب أن يحذر المنتات من المطلقات».

قال آيداهو: «أنا متعب. ليس لديك فكرة عن مدى
تعبي».

قال فارادين: «عند استغلاله بإفراط، حتى الولاء يبلى في
النهاية».

مرة أخرى، رمقت فارادين بنظرة مقيّمة.

عندما رأى فارادين ذلك، فكر: بمرور الوقت ستعرفني
على وجه اليقين، وسيكون هذا قيماً. منشقة بني چيسيرتية
ستصبح ملكي! الشيء الوحيد الذي امتلكه ابنها ولم
امتلكه. دعها تنظر إليّ بشكل سطحي الآن. يمكنها أن

ترى الباقي لاحقًا.

قال فارادين: «مبادلة عادلة. أقبل عرضك بشروطك». أشار إلى الأبكم مقابل الحائط بحركة معقدة بأصابعه. انحنى فارادين فوق أزرار التحكم في المقعد، وأطلق سراح چيسیکا.

سأل تيكانيك: «سيدي، هل أنت متأكد؟»

سأل فارادين: «أليس هذا ما ناقشناه؟»

«نعم، لكن...».

ضحك فارادين، وخاطب چيسیکا. «تيك يرتاب في مصادري. لكن المرء يتعلم من الكتب والمخطوطات أن ثمة حدًا للأشياء التي يمكن القيام بها. يتطلب التعلم الفعلي القيام بتلك الأشياء».

فكرت چيسیکا مليًا في ذلك وهي ترفع نفسها من فوق المقعد. رجع ذهنها إلى إشارات يد فارادين. يمتلك لغة معارك على غرار لغة آل آتريديز! تحدث من منطلق تحليل دقيق. أحدهم هنا يقلد واعياً آل آتريديز.

قالت چيسیکا: «بالطبع، سترغب في أن أعلمك كما نتعلم البني چيسيرت».

أشرق وجه فارادين إليها. قال: «العرض الوحيد الذي لا يمكنني مقاومته».

أعطاني كلمة السر رجل مات في زنانات أراكين.
كما ترون، هذا المكان الذي حصلت فيه على هذا الخاتم
الذي يشبه السلحفاة. كان ذلك في السوق* خارج المدينة
حيث كان المتمردون يختبئون. كلمة السر؟ آه، تغيرت
عدة مرات منذ ذلك الحين. كانت «إصرار». وكلمة
السر المقابلة لها «سلحفاة». نجوت بفضلها من هناك. لهذا
اشتريت هذا الخاتم تذكراً.

- التاجر المهندس: محادثات مع صديق.

كان ليتو قد توغل في الصحراء عندما سمع الدودة
خلفه، وهي تقترب من مطراقه المثبت في الأرض، وغبار
الاسپايس الذي نثره حول النمرين الميتين. كان هذا فأل
حسن لبداية خطتهما: كانت الديدان نادرة جداً في هذه
الأجزاء من الصحراء في معظم الأوقات. لم تكن الدودة
ضرورية، لكنها مفيدة. لن تضطر غنيمة إلى تفسير أمر
الجثة المفقودة.

علم أن غنيمة قد أعدت نفسها للاعتقاد بأنه مات. لم
يتبق لها سوى كبسولة وعي صغيرة ومعزولة، ذاكرة
حبيسة يمكن تذكّرها بكلمات منطوقة باللغة القديمة التي لا
يتقاسمها سواهما في كل هذا العالم. سيشر نبيو. إن سمعت
هذه الكلمات: سيشر نبيو.. الصِّرَاطُ الذهبي.. عندها فقط
ستتذكره. حتى ذلك الحين، كان ميتاً في نظرها.

الآن شعر ليتو بالوحدة حقاً.

تحرك بمشيته العشوائية فبدأت أصوات خطواته طبيعية في الصحراء. لا شيء في عبوره سيخبر الدودة أن لها بشرياً تحرك هنا. كانت طريقة في المشي مغروسة بعمق داخله حتى أنه لم يكن بحاجة إلى التفكير فيها. تحركت الأقدام من تلقاء نفسها، لا إيقاع يمكن تحديده لوتيرتها. أي صوت يصدر عن قدميه يمكن أن يعزى إلى الريح والجازبية، كأنه لم يمر أي إنسان هنا.

عندما أنجزت الدودة عملها خلفه، جثم ليتو خلف الجانب المنزلق لأحد الكثبان، ونظر ورائه إلى صخرة الخادم. نعم، لقد أصبح بعيداً بما يكفي. زرع مطراقاً، واستدعى وسيلة نقله. جاءت الدودة بسرعة، ما أعطاه وقتاً قصيراً للتموضع قبل أن تبتلع المطراق. بينما تعبر، ارتقى فوق جانبها بمساعدة خُطّافي الصّانعة، وفتح الحافة الأمامية الحساسة لإحدى حلقات الدودة، وأدار الوحش الطائش إلى الجنوب الشرقي.

كانت دودة صغيرة لكنها قوية. يمكنه الشعور بقوة التوائها وهي تدمدم عبر الكثبان الرملية. هب النسيم خلفه فشعر بحرارة عبورها، يولد الاحتكاك حرارة تحولها الدودة في داخلها إلى الاسپايس.

عندما تحركت الدودة، تحرك عقله. كان ستيلجار هو من أخذه في أول رحلة على ظهر دودة. ترك ليتو ذاكرته تندفق، فسمع صوت ستيلجار: هادئاً ودقيقاً ومليئاً بالوقار كأنما من عصر آخر. لم يكن ستيلجار معجباً بتصرفات

الفرمن المخمورين بالاسپايس وترنحاتهم المخيفة، ولا الصوت العالي والمتفاخر المنتشر في هذه الأيام. لا، كان لستيلجار واجباته، كان مرشداً ملكياً: «في العصور القديمة، كانت العصافير تُسمى على أسماء ترانيمها. وكان لكل ريح اسمها. كانت الرياح بسرعة ستة كيلومترات تدعى باستازا، والرياح بسرعة عشرين كيلومتراً تدعى كويشما، والرياح بسرعة مئة كيلومتر كانت هينالي دافعة الرجال. وثمة أيضاً رياح الشيطان في الصحراء المفتوحة: هولاسيكالي والا، الريح التي تنهش اللحم».

أبدى ليتو، الذي كان على دراية بهذه الأمور مسبقاً، امتنانه لحكمة هذه التوجيهات، فقد كان صوت ستيلجار يحمل كثيراً من المعارف والأشياء القيّمة.

«في العصور القديمة عاشت قبائل صيادي المياه. أُطلق عليهم إِدوالي. تعني الكلمة «حشرات الماء»، لأن هؤلاء الناس لا يتورعون عن سلب ماء فرمني آخر. إن أمسكوا بك وحدك في الصحراء فلن يتركوا لك حتى ماء جسدك. كانوا يعيشون في سييتش چاكوروتو. ثم اتحدت القبائل الأخرى هناك وقضت على الإدوالي. كان ذلك منذ زمن طويل، قبل كاينز حتى - في أيام جد جدي الأكبر. ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا، لم يذهب أي فرمني إلى چاكوروتو. إنها من المحظورات».

وهكذا استرجع ليتو المعرفة الكامنة في ذاكرته. كم هو رائع أن يستطيع المرء استغلال ذاكرته، ولكن الذاكرة

نفسها غير كافية، حتى لمن كان ماضيه متنوعاً مثله، إلا إذا عرف كيف يستخدمها وتبين قيمتها في عقله. سيكون في چاكوروتو ماء، ومصيدة رياح، وكل معدات فرمن السييتش، بالإضافة إلى المزية الفريدة أنه لن يجرؤ فرمني على التجول هناك.. كثير من الشباب لا يعرفون أن هناك مكاناً يُسمى چاكوروتو حتى. أوه، إنهم يعرفون عن فونداك بالطبع، لكن هذا مكان تهريب.

كانت چاكوروتو مكاناً مثاليًا يخبئ فيه الموتى - بين المهربين وأموات عصر آخر.

شكراً لك، يا ستيلجار.

تعبت الدودة قبل الفجر. انزلق ليتو عن جانبها، وشاهدها تحفر في الكثبان الرملية، وتتحرك ببطء في النمط المألوف لتلك المخلوقات. سوف تغوص عميقاً بصمت ومرارة.

فكر: يجب أن أنتظر انقضاء النهار.

وقف على قمة كثيب رملي، وجال بعينه في الأرجاء: فراغ.. فراغ.. فراغ. فقط المسار المتموج للدودة المخفية يكسر الجمود.

اخترقت صرخة بطيئة من طائر ليلي أول خطوط الضوء الأخضر على طول الأفق الشرقي. حفر ليتو مخبأً في الرمال، ونفخ خيمة تقطير حول جسده ووجه رأس منشاق رمال إلى أعلى من أجل دخول الهواء.

قبل أن يأتيه النوم بوقت طويل، كان يرقد في الظلام الإجماري، مُفكِّراً في القرار الذي اتخذه مع غنيمة. لم يكن قراراً سهلاً، خصوصاً بالنسبة إلى غنيمة. لم يخبرها عن كل رؤيته ولا عن كل المنطق المستقى منها. كانت رؤية وليس حلماً في تفكيره الآن. لكن خصوصية هذا الشيء أنه رآه كرؤية. لو وُجدت أي حجة لإقناعه بأن والده لا يزال على قيد الحياة، فإنها تكمن في تلك الرؤية.

فكر ليتو: نحن مقيدون برؤية النبي. ولا يمكن لنبي أن يتحرر من الرؤية إلا بموته بطريقة تتعارض مع رؤيته. هذا ما كشفته رؤية ليتو المتعددة، وقد تأمل فيها لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخيار الذي اتخذه.

فكر: يا لشقاء يوحنا المعمدان. لو أنه امتلك فحسب الشجاعة للموت بطريقة مختلفة.. لكن ربما كان اختياره هو الاختيار الأشجع. أتى لي أن أعرف الخيارات التي كانت متاحة له؟ لكنني أعرف الخيارات التي كانت أمام أبي.

تنهد ليتو. تخليه عن إرث والده كانت بمثابة خيانة إليه. لكن إمبراطورية آترديز كانت بحاجة إلى إعادة تنظيم. فقد حدث أسوأ ما في رؤية پول. كيف استعبد الرجال دون رحمة أو شفقة. وترك الدين ليضرب بعنف وجنون كل من يخالفه.

ونحن محاصرون في رؤية أبي.

عرف ليتو أن الخروج من هذا الجنون هو في السير على طريق الصِّراطِ الذهبي. رآه والده. لكن البشرية قد تهجر هذا الصِّراطِ الذهبي وتستدير إلى الورا، وتنظر إلى زمن المؤدب، وتحسبه عصرًا أفضل. كان على البشرية تجربة بديل المؤدب، وإلا لن يفهموا أساطيره قط.

الأمن.. السلام.. الازدهار..

لو كان لهم الخيرة من أمرهم، فليس هناك شك فيما سيختاره معظم مواطني هذه الإمبراطورية.

فكر: رغم أنهم سيكرهوني. رغم أن غنيمة ستكرهني.

شعر بحكة في يده اليمنى، وفكر في القفاز الرهيب في رؤيته لرؤية أبيه. فكر: سيكون ذلك.. سيكون ذلك.

دعا: أراكس، أعطني القوة.

ظل كوكبه قويًا وحيًا تحته ومن حوله. ضغط رمله على خيمة التقطير. كان كثيب عملاقًا يحصي ثرواته الهائلة. كان يكانًا خادعًا، جميلًا وقبيحًا على حد سواء. العملة الوحيدة التي يعرفها تجاره حقًا كانت الاسپايس نبض قوتهم، بغض النظر عن كيفية تكديس هذه القوة. امتلكوا هذا الكوكب بالطريقة التي قد يمتلك بها رجل سببية، أو الطريقة التي تمتلك بها البني چيسيريت أعضاء أخويتهم.

لا عجب أن ستيلجار كره الكهنة-التجار.

شكرًا لك، يا ستيلجار.

ثم تذكر ليتو جمال حياة السييتش القديمة قبل أن تأتي
الإمبراطورية بتكنولوجيا جديدة، وتدفع عقله كما تدفقت
أحلام ستيلجار. قبل زمن كرات الإنارة والليزر، قبل
الأورنيثوبتر وزحافات الاسپايس، كان هناك نمط حياة
مختلف: نساء سمرات مع أطفالهن الرضع فوق أوراكهن،
ومصايح تحرق زيت الاسپايس وتنشر عبقًا كثيفًا من
رائحة القرفة، وزعماء يقنعون شعبهم بالحجة دون فرض
إرادتهم على أحد. كانت حياة مليئة بالظلام، ولكنها
داقة في الكهوف الصخرية..

فكر ليتو: قفاز رهيب سيعيد التوازن.

ثم نام.

تحدثت أخته بوضوح عن النمر وقالت إنها متيقنة أنها هاجمته: «رأيت دمه وقطعة من رذائه ممزقة بمخالب حادة». استجوبنا أحد المتآمرين والبقية إما ماتوا وإما في الأسر. كل شيء يدل على مؤامرة من تدير كورينو. وقد أكدت عرافة حقيقة صدق هذه الشهادة.

- تقرير ستيلجار إلى لجنة اللاندراد.

تأمل فارادين دانكن آيداهو من خلال جهاز التجسس محاولاً فهم سلوك هذا الرجل الغريب. كان الوقت بعد الظهر بقليل، وآيداهو يقف خارج الجناح المخصص لليدي چيسیکا، ينتظر لقاءها. هل ستقابله؟ كانت تعرف أنهما مراقبان بالطبع. لكن هل ستراه؟

كان فارادين في الغرفة التي أشرف فيها تيكانيك على تدريب نمري اللازا- غرفة محرمة بالتأكيد، مملوءة بالأدوات المحظورة من صنع التليلاكسو والإيكسين. من خلال حركة المفاتيح في يده اليمنى، يستطيع فارادين رؤية آيداهو من ست زوايا مختلفة، أو ينتقل إلى داخل جناح الليدي چيسیکا حيث زرعت أجهزة تجسس متطورة بالقدر نفسه.

أزعجت عينا آيداهو فارادين. هاتيك الكرتان المعدنيتان المحفورتان اللتان أعطاهما التليلاكسو لغولهم في خزانات إعادة الإحياء، والتي ميزت مالكهما بأنه مختلف تماماً عن البشر الآخرين. لمس فارادين جفنيه، متحسباً الأسطح

الصلبة للعدسات اللاصقة الدائمة التي أخفت لون عينيه الأزرق بسبب إدمانه الاسپايس. لا بد أن عينيه تريان العالم بطريقة مختلفة. كيف يمكن أن يكون خلاف ذلك. أغرى الأمر فارادين بالبحث عن جراحي التليلاكسو، والحصول على إجابة عن ذلك السؤال.

لماذا حاول آيداهو الانتحار؟

هل كان هذا حقًا ما حاوله؟ لا بد أنه كان يعلم أننا لن نسمح بذلك. ظل آيداهو علامة استفهام خطيرة. أراد تيكانيك إبقاءه في سالوسا أو قتله. ربما سيكون ذلك الخيار الأفضل.

تحول فارادين إلى منظر أمامي. جلس آيداهو على دكة صلبة خارج باب جناح الليدي چيسیکا. كان بهواً بلا نوافذ له جدران خشبية فاتحة مزينة بأعلام صغيرة. كان آيداهو يجلس فوق الدكة لأكثر من ساعة، وبدأ أنه مستعد للانتظار إلى الأبد. انحنى فارادين مقترباً من الشاشة.

كان آيداهو خبير فنون النزال المخلص لآل آترديز، مدرب پول المؤدب، قد تلقى معاملة طيبة خلال سنواته في أراكس. وصل إلى جناح الليدي چيسیکا بعنفوان شباب واضح في خطوته النشيطة. لا شك أن اتباع نظام غذائي يحوي الاسپايس بشكل منتظم قد ساعده، بالطبع. علاوة على هذا التوازن الأيضي الرائع الذي تقدمه حاويات التليلاكسو دومًا. هل يتذكر آيداهو حقًا ماضيه

قبل وجوده في الحاويات؟ لا أحد آخر أحياه، التليلاكسو
يمكنه ادعاء ذلك. يا له من لغز محير آيداهو هذا!

كانت تقارير وفاته في مكتبة فارادين. أبلغ الساردوكار
الذي قتله عن مدى قوته: قتل آيداهو تسعة عشر جندياً
من الساردوكار قبل أن يسقط. تسعة عشر ساردوكاراً!
كان جسده يستحق الإرسال إلى خزانات إعادة الإحياء،
لكن التليلاكسو جعلوا منه منتهات. يا له من مخلوق
غريب عاش في ذلك الكائن المتجدد. كيف هو شعوره
أن يكون حاسوباً بشرياً بالإضافة إلى كل ما يمتلكه من
مواهب؟

لماذا حاول الانتحار؟

عرف فارادين مواهبه ومآثره الشخصية، ولم يكن لديه
سوى قليل من الأوهام عنها. كان مؤرخاً وعالم آثار
وقاضياً. دفعته الضرورة إلى أن يصبح خبيراً في اختيار
أتباعه وخدمه -الضرورة ودراسة متأنية لآل آتريديز.
رأى ذلك بوصفه الثمن الذي طالبت به الأرستقراطية
دائماً. تولى الحكم يستلزم أحكام دقيقة وحاسمة بشأن أولئك
الذين يتمتعون بسلطتك. سقط أكثر من حاكم في أخطاء
وتجاوزات مرؤوسيه.

كشفت دراسته الدقيقة لآتريديز عن موهبة رائعة في
اختيارهم الخدم. عرفوا كيف يحافظون على ولائهم،
وكيف يحافظون على حماس محاربيهم وانضباطهم.

لم يكن آيداهو يتصرف وفقاً لشخصيته.

لماذا؟

ضيق فارادين عينيه محاولاً رؤية ما وراء جلد هذا الرجل. كان يبدو أنه شديد التحمل، وأنه لا يمكن أن يتعب. أعطى انطباعاً بأنه مستقل بذاته، كان منظم ومتكامل بحزم. أنتجت حاويات التليلاكسو شيئاً أكثر من مجرد إنسان. أدرك فارادين هذا. كان آيداهو يتمتع بقدرة رائعة على البقاء والتكيف مع المواقف المختلفة، كما لو كان يتصرف وفقاً لقوانين راسخة، ينهض من جديد كلما سقط. كان يتحرك في مدار ثابت مع قدرة على الصمود تتعلق به أشبه بصمود كوكب يدور حول نجم. كان يستجيب للضغط دون أن ينكسر - فقط ينحرف عن مداره قليلاً، ولكن لا يغير أي شيء أساسي.

لماذا قطع معصمه؟

مهما كان دافعه، فقد فعل ذلك من أجل آل آترديز، من أجل عائلته الحاكمة. كان آل آترديزي نجم مداره. بطريقة ما يعتقد أن إبقائي لليدي چيسيكاً هنا يقوي آل آترديز.

ذكر فارادين نفسه: مننتات يعتقد ذلك.

أعطى ذلك الفكرة بعداً إضافياً، إذ إنه نادراً ما يخطئ المنتات.

بعد أن توصل إلى هذا الاستنتاج، كاد فارادين يستدعي مساعديه حتى يُرحّلوا الليدي چيسیکا عن سالوسا برفقة آيداهو. كان على وشك أن يفعل ذلك قبل أن يتراجع.

كلا هذين الشخصين -منتات غولة وساحرة بني چيسيرتية- لاعب أساسي في لعبة السلطة هذه ولا يمكن معرفة دوافعهما. يجب إعادة آيداهو وحده إلى كثيب لأن وجوده سيؤدي بالتأكيد إلى إثارة المشكلات على أراكس، ويجب أن تبقى چيسیکا هنا، وتُستخرج منها معرفتها الغريبة لما فيه منفعة لآل كورينو.

عرف فارادين أنه دخل في لعبة دقيقة وقاتلة. لكنه أعد نفسه لهذا الاحتمال على مر السنين، منذ أن أدرك أنه أكثر ذكاءً وفطنة من المحيطين به. كان اكتشافاً مخيفاً لطفل، وعلم أن المكتبة كانت ملجأه، وكذلك معلمه.

التهمة الشكوك الآن، وتساءل إن كان مستعداً تماماً لهذه اللعبة. عزل أمه، وفقد مشورتها، لكن قراراتها كانت دائماً خطيرة عليه. النور! كان تدريبيهما فظيماً واستخدامهما غباء. كم كان من السهل تتبعهما! يجب أن تكون شاكرة أنها لم تعاقب بأكثر من النفي. كانت نصيحة الليدي چيسیکا تلائم احتياجاته بدقة رائعة. يجب إرغامها على كشف طريقة تفكير آل آترديز.

بدأت شكوكه تتلاشى. فكر في أن الساردوكار سيستعيدون قوتهم ومرونتهم بفضل التدريب الشاق

والتقشف الذي أمر به. كانت قواته من الساردو و كار قليلة، ولكنهم كانوا أعداداً للفرمن عندما يتقابلون رجلاً لرجل. لم يكن ذلك كافياً ما دام عليه الالتزام بمعاهدة أراكين التي تحدد حجم القوات. كان بمقدور الفرمن التغلب عليه بأعدادهم، إلا في حالة تقييدهم وإضعافهم بسبب حرب أهلية.

كان من السابق لأوانه اندلاع معركة الساردو و كار ضد الفرمن. كان بحاجة إلى وقت. كان بحاجة إلى حلفاء جدد من بين العائلات الكبرى الساخطين، والأقوياء الجدد من العائلات الصغرى. كان بحاجة إلى الوصول إلى تمويل تشوم. كان بحاجة إلى الوقت لكي يغدو ساردو و كاره أقوى، ويزداد الفرمن ضعفاً.

نظر فارادين مرة أخرى إلى الشاشة التي كشفت الغולה الصبور. لماذا أراد آيداهو رؤية الليدي چيسيكاً في هذا الوقت؟ كان يعلم أنهم يتجسسون عليهما، وأن كل كلمة وكل إيحاءة ستُسجل وتخضع للتحليل.

لماذا؟

نظر فارادين بعيداً عن الشاشة إلى الرف بجانب وحدة التحكم. في الضوء الإلكتروني الباهت، يمكنه أن يميز البكرات التي تحتوي على أحدث التقارير من أراكس. كان جواسيسه دقيقين، كان عليه أن يشكرهم. كان هناك الكثير مما يمنحه الأمل والسرور في تلك التقارير.

أغمض عينيه، ومرت النقاط البارزة في تلك التقارير عبر ذهنه في شكل موجز غريب اختصر به محتوى البكرات لاستخداماته الخاصة:

بعد أن أصبح الكوكب خصبًا، تحرر الفرمن من عبء الأرض، وتلاشى أسلوب حياة السيتش العريق في مجتمعاتهم الجديدة. كان الفرمن ينشؤون في ثقافة السيتش القديمة على مقولة الروتا: «مثلها تعرف كيانك، فإن السيتش هو أساس ثابت للمعرفة، ومنه تنطلق إلى العالم، وإلى الكون».

يقول الفرمن التقليديون: «انظروا إلى الماسيف»، أي إن العلم الرئيسي هو القانون، ولكن النظام الاجتماعي الجديد يتخلى عن القوانين القديمة. الانضباط يتلاشى، قادة الفرمن الجدد لا يعرفون سوى قليل من تعاليم أجدادهم الدينية والتاريخ المخفي في الأساطير الغنائية. الناس في المجتمعات الجديدة أكثر تقلبًا وانفتاحًا؛ يتشاجرون في كثير من الأحيان وهم أقل استجابة للسلطة. قوم السيتش الأكبر سنًا أكثر انضباطًا، وأكثر ميلًا إلى الأعمال الجماعية، ويميلون إلى العمل بجدية أكبر؛ هم أكثر حرصًا على مواردهم. لا يزال كبار السن يعتقدون أن المجتمع المنظم هو إنجاز لأفراده، أما الشباب فينفرون من هذا الرأي. بقايا الثقافة القديمة التي لا تزال موجودة بينهم، تنظر إلى الشباب ولسان حالها: «رياح الموت قد أتلفت ماضيهم».

أعجب فارادين بملخصه. التنوع الجديد في أراكس لا بدّ

أن يجلب العنف. كانت المفاهيم الأساسية محفوظة جيداً
في البكرات:

يقوم دين المؤدب على التقاليد الثقافية لسيتش الفرمن
القديم، بينما تنصل الثقافة الجديدة من تلك الضوابط.

لم تكن المرة الأولى التي يسأل فيها فرادين نفسه لماذا
اعتنق تيكانيك هذا الدين. فقد اتبع تيكانيك أخلاقياته
الجديدة بشكل متناقض. كان يظهر الصدق والإخلاص،
ولكنه في الوقت نفسه يبدو كأنه مضطر إلى ذلك.
كان تيكانيك مثل الشخص الذي خطأ داخل الزوبعة
لاختبارها فقبضت عليه قوى خارجة عن إرادته. كان
فرادين منزجاً من تحول تيكانيك الذي محا شخصيته، فقد
كان هذا ارتداد إلى عصور الساردوكار القديمة جداً.
وكان يخشى أن يسلك الفرمن الشباب مسلكه نفسه،
وأن يعودوا إلى تقاليدهم الفرمنية القديمة، وأن تسود فيهم
العادات الفطرية الوراثة.

عاد فرادين إلى التفكير في ما قرأه في التقارير، فقد
ذكرت أمراً مقلماً: بعض العادات الثقافية القديمة لا تزال
موجودة بين الفرمن مثل «ماء الحمل». فهم يحتفظون
بالسائل السلوي الذي يخرج مع المولود، ويقطرونه ليصبح
الماء الذي يشربه الطفل لأول مرة. ويتطلب هذا الطقس
وجود عرابة تصب الماء على الطفل قائلة: «هذا ماء
حملك». حتى الفرمن الشباب لا يزالون يتبعون هذا التقليد
مع مواليدهم الجدد.

ماء حملك.

شعر فارادين بالاشمئزاز من فكرة شرب الماء المستخرج من السائل السلوي الذي كان يسبح فيه قبل الولادة. وتصور التوأم الناجية غنيمة التي فقدت والدتها وهي تشرب تلك المياه الغريبة. هل تساءلت يوماً عن هذا الارتباط الغريب بماضيها؟ على الأرجح لا. نشأت فرمينة. ما كان طبيعياً ومقبولاً لدى الفرمن كان طبيعياً ومقبولاً لها.

حزن فارادين للحظة على وفاة ليتو الثاني. كان يود أن يناقش معه هذه النقطة. ربما ستتاح فرصة لمناقشتها مع غنيمة في المستقبل.

لماذا قطع آيداهو معصميه؟

كان هذا السؤال يراوده كلما نظر إلى شاشة التجسس. مرة أخرى، هاجمت الشكوك فارادين. كان يشتهي أن يستسلم لنشوة الاسپايس الغامضة كما فعل پول المؤدب، ويطلع على المستقبل، ويجد الإجابات - عن أسئلته. لكنه مهما تناول من الاسپايس، لم يتغير وعيه العادي، وظل يتدفق في اللحظة الحالية، عاكساً عالماً من الشكوك.

أظهرت شاشة التجسس خادمة تفتح باب جناح الليدي چيسیکا. أشارت المرأة إلى آيداهو، الذي نهض عن الدكة ودخل من الباب. ستقدم الخادمة إليه تقريراً مفصلاً لاحقاً، لكن فارادين وقد انتابه الفضول من

جديد، لمس مفتاحاً آخر على وحدة تحكمه، وشاهد أيدهو
يدخل غرفة الجلوس في جناح الليدي چيسيكاً.
كم بدا المتتات هادئاً ومتماسكاً، وكم كانت عينا الغولة
مبهمتين.

قبل كل شيء، يجب أن يكون المنتات ذا معرفة واسعة وشاملة في كثير من المجالات، وليس متخصصاً في مجال محدد فحسب. من الحكمة أن يشرف على اتخاذ القرارات الحاسمة أشخاص واسعو الاطلاع، فالخبراء والمتخصصون يقودونك إلى الفوضى بسرعة. فهم يتورطون في تفاصيل لا قيمة لها، ويصدرون تعليقات لا معنى لها. من ناحية أخرى، على المنتات ضليع المعرفة أن يضيف إلى صنع القرار حساً منطقياً سليماً. ويجب ألا ينعزل عن الواقع الرحب الذي يحيط به. يجب أن يظل قادراً على أن يقول: «ليس هناك لغز حقيقي في هذا حالياً. هذا ما نريده الآن. قد يثبت خطأ ذلك لاحقاً، لكننا سنصحح ذلك عندما نصل إليه». ويجب أن يفهم المنتات واسع المعرفة أن كل ما نستطيع تمييزه في عالمنا هو جزء من ظواهر أكبر. الخبير في مجال بعينه ينظر إلى ما يعرفه، في المعايير الضيقة لتخصصه فحسب، أما واسع المعرفة فينظر إلى ما يمكن أن يستكشفه، يبحث عن مبادئ الحياة، مدركاً تماماً أن هذه المبادئ تتغير وتتطور، وأنه يجب أن ينظر إلى خصائص التغيير نفسه. لا يمكن أن يكون هناك تصنيف دائم لهذه التغييرات، ولا كتيب أو دليل. يجب أن تنظر إليها بأقل قدر ممكن من الأفكار المسبقة، وتساءل نفسك: «ماذا يفعل هذا الشيء الآن؟»

-دليل المنتات.

في اليوم الأول المقدس لمن اتبعوا المؤدب، يوم

الكويزاتس هاديراك، يحتفل المؤمنون ببول آتريديز المؤلّه الذي كان قادراً على أن يكون في أماكن متعددة في آن واحد. ذكر النبي چيسيريت الذي اختلطت داخله كل سلالات الذكور والإناث في قوة لا تنقسم ليصبح الواحد مع الكل. وقد أطلق المؤمنون على هذا اليوم اسم آييل، التضحية، لإحياء ذكرى الوفاة التي جعلته «حاضراً في كل مكان».

اختار الواعظ في الصباح الباكر من هذا اليوم الظهور مرة أخرى في ساحة معبد عالية، متحدياً أمر اعتقاله الذي كان الجميع يعلم أنه صدر. سادت هدنة هشة بين كهنوت عالية وقبائل الصحراء المتمردة، لكن هذه الهدنة كانت تثير القلق في نفوس سكان أراكين. ولم يهدئ الواعظ هذا القلق، بل زاده.

كان ذلك اليوم الثامن والعشرين من الحداد الرسمي على ابن المؤدب بعد ستة أيام من طقوس إحياء الذكرى في المعبر القديم التي تأجلت بسبب التمرد، ولكن حتى القتال لم يوقف الحج.

علم الواعظ أن الساحة ستكون مزدحمة بشدة في هذا اليوم، فقد حرص معظم الحجاج على أن يكونوا في أراكس من أجل عبور آييل، «ليشهدوا بأنفسهم الحضور المقدس للكويزاتس هاديراك في يوم عيده».

دخل الواعظ إلى الساحة مع أول ضوء، فوجد المكان

مزدحمًا بالمؤمنين. وضع يده برفق على كتف مرشده الشاب، شاعرًا بالغرور والفوقية في مشية الفتى. عندما اقترب الواعظ، لاحظ الناس كيف تغير سلوكه قليلاً. لم يكن هذا الاهتمام مزعجاً للمرشد الشاب، ولكن الواعظ يقبله فحسب لأنه ضرورة.

وقف الواعظ على الدرجة الثالثة من سلام المعبد، وانتظر حتى يسود الهدوء. عندما انتشر الصمت مثل موجة عبر الحشد، وسمع خطوات المتأخرين عند أطراف الساحة، تنحج. كان الجو بارداً في الصباح ولم تنزل الأنوار بعد على الساحة من قم المبنى. شعر بالصمت المطبق في الساحة الكبرى عندما بدأ يتحدث.

نادى بصوت عال وقوي يشبه صوت راكب ديدان من الصحراء: «جئت لتقديم الولاء والوعظ في ذكرى ليتو آترديدز متعاطفاً مع كل من يعاني. أقول لكم ما تعلمه ليتو الميت، أن الغد لم يأت بعد وقد لا يأتي أبداً. هذه اللحظة هنا هي الوقت والمكان الوحيدان اللذان يمكننا ملاحظتهما في عالمنا. أقول لكم أن تستمتعوا بهذه اللحظة وتفهموا ما تعلمه لكم. أقول لكم أن تعلموا أن تقدم أي حكومة وتخلفها ظاهراً في تقدم مواطنيها وتخلفهم».

سرت همهمة مضطربة في الساحة. هل سخر من موت ليتو الثاني؟ تساءلوا إن كان الحراس الكهنة سوف يهرعون الآن ويعتقلون الواعظ.

عرفت عالية أن الواعظ لن يواجه أي إزعاج. كانت تعليماتها أن يُترك دون مضايقة في هذا اليوم. تنكرت ببذلة تقطير جيدة مع قناع رطوبة لإخفاء أنفها وفمها، وعباءة عادية بقلنسوة لإخفاء شعرها. وقفت في الصف الثاني خلف الواعظ تراقبه بعناية. هل هو پول؟ ربما غيرته السنوات على هذا النحو. كان دائماً ماهراً في استخدام الصوت، حقيقة جعلت من الصعب التعرف عليه من خلال كلامه، ومع ذلك، كان الواعظ يسيطر على صوته بحرفية. لم يكن پول يستطيع أن يفعل ذلك بشكل أفضل. شعرت بضرورة معرفة هويته قبل أن نتصرف ضده.

كم أبهرتها كلماته!

لم تر في كلام الواعظ أي سخرية. كان يستعمل الجمل المؤثرة بصدق وحماس. ربما يجد الناس بعض الصعوبة في فهم معنى كلماته، ولكنهم يعرفون أنه تعمد ذلك وأنه يريد تعليمهم شيئاً.

فهم الواعظ ردة فعل الجمهور وقال: «السخرية تدل على عجز عن التفكير خارج نطاق افتراضاتنا. أنا لا أسخر. قالت لكم غنيمة إن دم أخيها لا يمكن محوه ونسيانه، وأنا أوافقها الرأي. سيُقال إن ليتو سار على خطى والده، وفعل ما فعله والده. ستقول كنيسة المؤدب إنه ضحى بإنسانيته من أجل مسار قد يظهر لنا عبثياً ومتهوراً لكن التاريخ سيثبت صحة اختياره. ذلك التاريخ يُعاد كتابته الآن». ثم أردف: «أقول لكم إن عليكم أن تتعلموا درساً

آخر من حياتي المؤدب وليتو ونهايتيهما».

تساءلت عالية متابعة كل تفصيل في كلامه لماذا قال الواعظ نهايتيهما بدلاً من موتيهما. هل كان يقول إن أحدهما أو كليهما لم يمت حقاً؟ كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ أكدت عرافة حقيقة قصة غنيمة. فإذا يقول هذا الواعظ إذن؟ هل يتحدث عن أسطورة أم حقيقة؟

رفع الواعظ ذراعيه وصاح: «انظروا إلى هذا الدرس الآخر. إن أردتم أن تحافظوا على إنسانيتكم، فاهجروا العالم!» أنزل ذراعيه، ووجه عينيه الفارغتين مباشرة إلى عالية. كأنه يخاطبها شخصياً بطريقة واضحة جداً حتى أن كثيرين من حولها التفتوا لبروها. ارتجفت عالية من القوة التي تنبعث من الواعظ. قد يكون هذا پول. ربما!

قال: «لكنني أدرك أن البشر لا يستطيعون تحمل الواقع حقاً. معظم الأرواح هاربة من ذواتها. معظمكم يفضلون حقائق الإسطبل؛ تحشرون رؤوسكم في الحظيرة وتمضغون التبن باقتناع حتى تموتون. يستغلکم الآخرون لمصالحهم الخاصة. لا تجرؤون على العيش لو لمرة خارج الإسطبل حتى ترفعوا رؤوسكم وتصبحوا مخلوقات مستقلة. جاء المؤدب حتى يخبركم عن ذلك. دون فهم رسالته، لا يمكنكم تجييله!»

أحدهم في الحشد، ربما كاهن متنكر، لم يعد يطبق الأمر أكثر من ذلك. صاح بصوت مبحوح: «إنك لا تعيش

حياة المؤدب! كيف تجرؤ على إخبار الآخرين كيف
يجب أن يجلوه!»

صرخ الواعظ: «لأنه مات!»

التفتت عالية لترى من تحدى الواعظ لكنه ظل مخفياً
عن نظرها، جاء صوته فوق الرؤوس المتداخلة في صيحة
أخرى: «إن كنت تعتقد أنه مات حقاً، فأنت وحدك من
الآن فصاعداً!»

فكرت عالية: بالتأكيد إنه كاهن. لكنها فشلت في
التعرف على الصوت.

قال الواعظ: «أتيت فقط لأطرح سؤالاً بسيطاً. هل
يجب أن يتبع موت المؤدب انتحار أخلاقي لكل الناس؟
هل هذا حتمي بعد مجيء المسيح؟»

صاح الصوت من الحشد: «إذا تعترف به مسيحاً!»

سأل الواعظ: «لم لا، بما أنني نبي زمانه؟».

كان في صوته وأسلوبه حزم هادئ جعل متحديه
يصمت، رد الحشد بههمة مضطربة تشبه صوت حيوان
خافتاً.

كرر الواعظ: «أجل. أنا نبي ذلك الزمان».

وهي تنظر إليه، رصدت عالية التلميحات الخفية في نبرة
صوته. من المؤكد أنه أسر الحشد. هل تدرب على يد النبي
چيسيريت؟ هل كانت هذه حيلة أخرى من حيل

المبشّرات الحاميات. ربما ليس پول على الإطلاق، ولكن مجرد جزء آخر من لعبة القوة اللا متناهية؟

صرخ الواعظ: «أنا أنطق بالأسطورة والحلم! أنا الطبيب الذي يلد الطفل ويعلن ولادته. لكنني آتي إليكم في زمان موت. ألا يزعجكم ذلك؟ يجب أن يزلزل ذلك نفوسكم!»

حتى عندما اعترأها الغضب من كلماته، فهمت عالية أسلوبه المتقن في الخطابة. وجدت نفسها تتقدم مع الآخرين، صعوداً على السلام، وقد ازدحم الناس حول هذا الرجل الطويل الذي يلبس زي الصحراء. لفت مرشده الشاب انتباهها: كم بدا ذلك الفتى متقد العينين ووحقاً! هل سيوظف المؤدب مثل هذا الشاب الساخر؟

صرخ الواعظ: «أتعمد إزعاجكم. هذه نيتي! جئت إلى هنا لمكافحة احتيال دينكم التقليدي الرسمي ووهمه. كما هي الحال مع كل هذه الأديان، تتجه مؤسستكم الدينية نحو الجبن، تتجه نحو الرداءة والخمول والرضا عن النفس.»

بدأت المهمة الغاضبة ترتفع وسط الحشد.

شعرت عالية بالتوترات وتساءلت بشماتة هل كانت ستندلع أعمال شغب؟ هل يستطيع الواعظ التعامل مع هذه التوترات؟ إن لم يكن كذلك، فقد يلقي حتفه هنا!

نادى الواعظ مشيراً إلى الحشد: «ذلك الكاهن الذي تحداني!»

فكرت عالية: يعرف. سرت بداخلها إثارة تكاد تكون
شبكة، في إيجاءاته الخفية. لعب هذا الواعظ لعبة خطيرة
لكنه لعبها جيداً.

دعا الواعظ: «أنت أيها الكاهن في عباءة إفتائك*، أنت
قسيس للقانعين بأنفسهم. جئت لا لأتحدى المؤدب، بل
لأتحداك! هل دينك حقيقي عندما لا يكلفك شيئاً ولا
يحمل أي مخاطرة؟ هل دينك حقيقي عندما تسمن بسببه؟
هل دينك حقيقي عندما ترتكب الفظائع باسمه؟ من أين
يأتي انحرافك عن الوحي الأصلي؟ أجبني أيها الكاهن!»

لكن المتحدي ظل صامتاً. ورأت عالية أن الحشد كان
ينصت مرة أخرى بانبهار لكل كلمة ينطق بها الواعظ.
من خلال مهاجمة الكهنة، اكتسب تعاطفهم! وإن كانت
معلومات جواسيسها صحيحة، فإن معظم الحجاج والفرمن في
أراكس يظنون أن هذا الرجل هو المؤدب.

صرخ الواعظ: «ابن المؤدب خاطراً!» وسمعت عالية دموعاً
في صوته. «المؤدب خاطراً! دفع الثمن! وعلى ماذا حصل
المؤدب؟ دين لا يحتاج إليه!»

فكرت عالية: كيف ستكون هذه الكلمات لو أنها صادرة
من پول نفسه. يجب أن أعرف! اقتربت من السلام،
وتحرك معها الآخرون. شقت طريقها عبر الحشد حتى
كادت تمد يدها وتلمس هذا النبي الغامض. شمت رائحة
الصحراء تفوح منه، مزيج من الاسپايس وحجر الصوان.

كان كل من الواعظ ومرشده الشاب مغبرين، كأنهما قد أتيا مؤخرًا من البيداء الشاسعة. استطاعت أن ترى عروق يدي الواعظ تحت جلده الظاهر من فتحات أزرار معصم بذلة تقطيره. واستطاعت أن ترى أن إصبعًا من يده اليسرى كانت تحمل أثر خاتم تقلده طويلًا في الماضي. كان پول يتقلد خاتمًا في تلك الإصبع: خاتم صقر آترديز الذي يوجد الآن في سييتش تبر. كان ليتو ليتقلده الآن لو عاش.. أو سمحت له باعتلاء العرش.

مرة أخرى حدق الواعظ بعينه الفارغتين في عالية، وتحدث من كذب، ولكن بصوت انتقل عبر الحشد: «المؤدب أراكم شيئين: مستقبلًا مؤكدًا، ومستقبلًا مجهولًا. بوعي كامل، واجه عدم اليقين المطلق للعالم الأكبر. خطأ أعمى من موقعه في هذا العالم. أظهر لنا أن على الرجال أن يفعلوا هذا دومًا: اختيار المجهول بدل المؤكد». لاحظت عالية أن صوته اتخذ نبرة التماس في نهاية هذا البيان.

نظرت عالية حولها، ودست يدها فوق مقبض سكينها العاجية. لو قتلته الآن ماذا هم فاعلون؟ مرة أخرى، شعرت بالإثارة تسري خلالها. لو قتلته وكشفت نفسي منددة بالواعظ بصفته دجالًا ومهرطقًا!

ولكن ماذا لو أثبتوا أنه پول؟

دفع أحدهم عالية أقرب إلى الواعظ. شعرت أنها مفتونة بحضوره حتى عندما كانت تقاوم لتهدئة غضبها. هل كان

هذا پول؟ بحق الآلهة! ماذا يمكنها أن تفعل؟

سأل الواعظ: «لماذا سلب ليتو آخر منا؟» نضح صوته بألم حقيقي. «أجيبوني إن استطعتم! آه.. آه، رسالتهم واضحة: تخلوا عن اليقين المريح». كررها في صيحة مدوية: «تخلوا عن اليقين! هذا أعمق أمر في الحياة. هذا كل شيء يتعلق بالحياة. نحن أدوات لاستكشاف المجهول، غير المؤكّد. لماذا لا تستطيعون سماع المؤدّب؟ إن كان اليقين معرفة مستقبل مطلق معرفة تامة، إذن فهو الموت متكرراً! المستقبل المؤكّد والمطلق لا يختلف عن الحاضر! أظهر المؤدّب هذا لكم!»

وبحركة مفاجئة، مد الواعظ يده وأمسك بذراع عالية. فعل ذلك دون أي تردد أو توانٍ. حاولت الابتعاد، لكنه أمسكها بقبضة موجهة، وتحدث مباشرة في وجهها بينما تراجع من حولهما في ارتباك.

سألها: «ماذا قال لك پول آريديز يا امرأة؟»

سألت نفسها: كيف يعرف أنني امرأة؟ أرادت أن تغوص في أرواحها الداخلية، وتطلب حمايتهم، لكن عالمها الداخلي ظل صامتاً بشكل مخيف، مفتوناً بهذا الشكل المتجسد من ماضيهم.

صرخ الواعظ: «قال لك إن الكمال يساوي الموت! التنبؤ المطلق كمال.. التنبؤ المطلق موت!»

حاولت تخليص نفسها من أصابعه. أرادت أن تمسك بسكينها وتجرحه حتى يتركها، لكنها لم تجرؤ. لم تشعر قط

بهذه الرهبة طوال حياتها.

رفع الواعظ ذقنه حتى يتحدث من فوقها إلى الجموع. صرخ: «أمنحكم كلام المؤدب! قال: (سأمرغ وجوهكم في الأشياء التي تحاولون تجنبها. لا أستغرب أنكم لا تريدون أن تصدقوا سوى ما يريحكم. وإلا فكيف يخرع البشر الفخاخ التي تخوننا وتقودنا إلى الرداءة؟ وإلا كيف يمكننا تعريف الجبن؟) هذا ما أخبركم به المؤدب».

فجأة، حرر ذراع عالية، ودفعها وسط الحشد. كانت ستقع لولا الناس الذين تلقفوها.

قال الواعظ: «الوجود يعني الانفراد، الابتعاد عن الخلفية المعروفة. أنت لا تفكر أو يكون لك وجود حقاً ما لم تكن على استعداد للمخاطرة حتى بسلامتك العقلية في الحكم على وجودك».

هبط الواعظ الدرج، وأخذ ذراع عالية مرة أخرى -دون أن يهتز أو يتردد. كان أطف هذه المرة. انحنى مقترباً منها، وهمس بصوت لا تسمعه سوى أذنيها، وقال: «توقفي عن محاولة شدي مرة أخرى إلى الخلفية يا أختاه».

ثم، وضع يده على كتف مرشده الشاب، وخطا داخل الحشد. تنحى الناس حتى يفسحوا طريقاً للشائئ الغريب. امتدت الأيدي حتى تلمس الواعظ، لكن بحنان جم، خوفاً مما قد يجدوه تحت رداء الفرمن المغبر.

بينما وقفت عالية وحيدة في صدمتها خرج الحشد خلف

الواعظ.

غمرها اليقين. كان هو بالفعل پول، لم يبق شك. كان شقيقتها. شعرت بما شعر به الحشد. وقفت في حضرة الوجود المقدس، والآن عالمها يتداعى من حولها. أرادت أن تركض خلفه وتتوسل إليه أن ينقذها من نفسها، لكنها لم تستطع التحرك. بينما ازدحم الآخرون لمتابعة الواعظ ومرشده، وقفت ثمة بيأس مطلق، ضيق عميق لدرجة أنها لم تستطع إلا أن ترتجف، غير قادرة على التحكم في عضلاتها.

سألت نفسها: ماذا سأفعل؟ ماذا سأفعل؟

الآن لم يكن لديها حتى دانكن لتكئ عليه، ولا والدتها. بقيت أرواحها الداخلية صامتة. غنيمة موجودة، محتجزة بأمان، تحت الحراسة داخل الحصن، لكن عالية لم تستطع حمل نفسها على أخذ هذه الضائقة إلى التوأم الناجية.

الجميع انقلبوا عليّ؛ فماذا أنا فاعلة؟

تقول النظرة المحدودة وضيقة الأفق لعالمنا إنه يجب ألا تنظر بعيداً لتتوقع المشكلات التي قد نتعرض لها وتستعد لها مسبقاً، فقد لا تحدث مثل هذه المشكلات أبداً. بدلاً من ذلك، اهتم بالذئب داخل أسوارك. فربما لا يكون لقطعان الذئاب التي تعوي في الخارج وجود من الأساس.

- كتاب الأزهر. شمرا 1: 4

انتظرت چيسيكا آيداهو أمام نافذة غرفة جلوسها. كانت غرفة مريحة مع دواوين ناعمة وكراسي قديمة الطراز. لم يكن هناك أي مقاعد معلقة مضادة للجاذبية في أي غرفة من غرفها، وكانت كرات الإنارة البلورية عتيقة. تطل نافذتها على فناء حديقة على بعد طابق واحد أسفلها.

سمعت الخادم يفتح الباب، ثم صوت خطوات آيداهو على الأرضية الخشبية، ثم فوق السجادة. استمعت دون أن تلتفت، وأبقت عينيها فوق الضوء المنقط لأرضية الفناء الخضراء. كان عليها أن تسيطر على الحرب الصامتة المربعة لعواطفها الآن. أخذت أنفاساً عميقة بناء على تدريب الپرانا بيندو، وشعرت بتيار الهدوء القسري يسري داخلها.

ألقت شمس منتصف النهار ضوءها الساطع على طول شعاع من الغبار في الفناء مضيئة الدائرة الفضية لشبكة عنكبوت ممتدة بين أغصان شجرة الزيزفون التي كادت تصل إلى نافذتها. كان الجو بارداً داخل جناحها، ولكن خارج النافذة المغلقة كان الهواء شديد السخونة. كانت

قلعة كورينو في مكان قاحل يتناقض مع اخضرار
حديقته.

سمعت آيداهو يتوقف خلفها مباشرة.

قالت دون أن تلتفت: «البراعة في استخدام الكلمات
موهبة للخداع والتضليل يا دانكن. لماذا تريد الكلام معي؟»

قال: «ربما لن ينجو سوى أحدنا فقط.»

«وهل تريد مني أن أمدح جهدك؟» استدارت، ورأته
يقف بهدوء، يراقبها بعينه المعدنيتين الرماديتين اللتين لا
تركزان على شيء محدد. كم كانتا فارغتين!

«دانكن، هل تخشى أن تهتز مكانتك في التاريخ؟»

تحدثت باتهام وتذكرت المرة السابقة التي تحدثت فيها مع
هذا الرجل. كان مخموراً وقتها، ومكلفاً بمهمة التجسس
عليها، ومشتتاً بالالتزامات المتضاربة. لكن هذا كان
دانكن ما قبل الغولة، لم يكن هذا الرجل نفسه على
الإطلاق، هذا لم يكن متناقضاً في أفعاله أو مشتتاً.

أكد خلاصة كلامها بابتسامة. وقال: «للتاريخ محكمته
الخاصة التي يصدر فيها أحكامه. لا أظن أنني أهتم بحكم
التاريخ علي.»

سألت: «لماذا أنت هنا؟»

«لنفس السبب الذي أنت هنا من أجله يا سيدتي.»

لم تكن هناك أي أمانة خارجية تدل على استيعاب القوة المذهلة لهذه الكلمات البسيطة، لكنها فكرت بغضب: هل يعرف حقًا سبب وجودي هنا؟ كيف يمكن أن يعرف؟ وحدها غنيمة تعرف. إذاً هل يمتلك بيانات كافية من أجل حساب منتاتي؟ ربما كان ذلك ممكناً. وماذا لو قال شيئاً يفضح نياتي؟ هل سيفعل ذلك إذا كان يشاركني سبب وجودي هنا؟ لا بد أنه يعرف أن فارادين -أو خدمه- يتجسس على كل تحركاتهما، وكل كلامهما.

قالت: «وصل آل آترديز إلى مفترق طرق مرير. فقد انقلبت العائلة على نفسها. وأنت يا دانكن كنت من أوفى رجال الدوق حينما هاجم البارون هاركونن...».

قال: «دعينا لا نتحدث عن الهراكنة. فقد انتهى ذلك الزمان ودوقك ميت».

وتساءل: هل تستطيع أن تخمن أن پول أخبره بأن دماء الهاركونن تجري في عروق آترديز؟ يا لها من مخاطرة فعلها پول، لكنها جعلت دانكن آيداهو أقرب إليه، فالثقة التي أظهرها پول بكشفه هذا السر كانت أثمن من أن يقدرها أحد. كان پول يعرف ما فعله رجال البارون بآيداهو.

قالت چيسیکا: «عائلة آترديز لم تمت».

سأل: «ما عائلة آترديز؟ هل أنتِ منها؟ عالية؟ غنيمة؟ هل هم الذين يخدمون هذه العائلة؟ أنظر إلى هؤلاء الناس وأراهم يحملون علامات معاناة لا توصف! كيف يمكن

أن يكونوا آتريديز. قالها ابنك بصدق: (المعاناة والاضطهاد مصير كل من يتبعني». أود النأي بنفسي عن ذلك يا سيدتي».

«هل انضممت حقًا إلى صف فارادين؟»

«أليس هذا ما فعلته يا سيدتي؟ ألم تأتِ إلى هنا لإقناع فارادين أن الزواج من غنيمة سيحل جميع مشكلاتنا؟»

تساءلت: هل يعتقد ذلك حقًا؟ أم أنه يتحدث حتى يسمعه الجواسيس الذين يراقبوننا؟

قالت: «لطالما كانت عائلة آتريديز فكرة في الأساس. أنت تعرف ذلك، يا دانكن. اشترينا الولاء بالولاء».

قال آيداهو بسخرية: «خدمة للشعب، آه، لقد سمعت دوقك يقول ذلك كثيرًا. لا بد أنه يرقد في قبره نادمًا، يا سيدتي».

«هل تعتقد حقًا أننا انحدرنا إلى ذلك المستوى؟»

«سيدتي، ألم تسمعي أن هناك مجموعة من الفرمن المتمردين -يسمون أنفسهم مقاومي الصحراء الداخلية- يلعنون عائلة آتريديز وحتى المؤدب؟»

قالت: «سمعت تقرير فارادين». متسائلة إلى أين يريد أن يصل بهذا الحديث وما نيته.

«أكثر من ذلك، يا سيدتي. أكثر من تقرير فارادين. سمعت بأذني لعناتهم. وهذا ما قالوه: (فلتحرقوا يا آل

آتريديزا! فلا تبقى منكم أرواح، أو أشباح، أو أجساد، أو ظلال، أو سحر، أو عظام، أو شعر، أو أقوال، أو كلمات. ولا يكون لكم قبر ولا بيت ولا حفرة ولا تابوت. ولا يكون لكم بستان أو شجرة أو حتى شجيرة، ولا ماء ولا خبز ولا نور ولا نار. ولا يكون لكم أبناء، أو أسرة، أو ورثة، أو قبيلة. ولا يكون لكم رأس ولا ذراعان ولا أرجل ولا مشية ولا ذرية. ولا يكون لديكم مقاعد على أي كوكب. ولا يُسمح لأرواحكم أن تخرج من الأعماق، ولا تكونوا أبداً من بين الذين يُسمح لهم بالعيش على الأرض. ولا تروا الشي هولود أبداً، بل تظلون مقيدين ومكبلين بالرجس، ولا تنعم أرواحكم بالنور المجيد إلى أبد الآبدين». هذه صيغة اللعنة، يا سيدتي. هل يمكنك أن تتخيلي مثل هذه الكراهية من الفرمن؟ سلّموا آل آتريديز كلهم إلى اليد اليسرى الملعونة إلى الشمس-المرأة الحبلى بالحريق».

اقشعر بدن چيسيكاء. لا شك أن آيداهو ألقى تلك الكلمات بالنبرة نفسها التي سمع بها اللعنة الأصلية. لماذا كشف هذا لآل كورينو؟ كانت تستطيع أن تتخيل فرمنياً غاضباً، مخيفاً في غيظه، يقف أمام قبيلته ويتلو تلك اللعنة القديمة. لماذا أراد آيداهو أن يسمعها فارادين؟

وقالت: «تقدم حجة قوية لزواج غنيمه وفاردين».

قال: «أنتِ دائماً تتبعين منهجاً متشدداً في مواجهة المشكلات. غنيمه فرمنية. لا يمكنها أن تتزوج من شخص يدفع جزية الفاي لأحد من أجل الحماية. تنازل

آل كورينو عن حصصهم كلها في تشوم لابنك وورثته.
يعيش فارادين بفضل آل آتريديز. وهو يتذكر عندما
غرس دوقك راية الصقر على أراكس. هل تتذكرين ما
قاله: (ها أنا ذا هنا، وقد أتيت لأبقى!). لا تزال عظامه
مدفونة هناك. وسيضطر فارادين إلى العيش على أراكس،
وساردوكاره معه».

هز آيداهو رأسه عندما فكر في هذا التحالف.

قالت بصوت بارد: «هناك قول مأثور: (المشكلة تُقشَّر
مثل البصلة)»

كيف يجروُ على معاملتي باستعلاء ما لم يكن يمثِّلُ أمام
عيني فارادين المراقبتين...

قال آيداهو: «بطريقة ما، لا أستطيع أن أرى الفِرمِن
والساردوكار يتشاركان كوبجًا. هذه طبقة لا يمكن انتزاعها
من البصلة».

لم تعجبها الأفكار التي قد نثيرها كلمات آيداهو في
فارادين ومستشاريه، وتحدثت بحدة: «لا يزال قانون آل
آتريديز يحكم هذه الإمبراطورية!» وفكرت: هل يريد آيداهو
ان يعتقد فاردين أنه يستطيع استعادة العرش من دون آل
آتريديز.

قال آيداهو: «أوه، نعم. لقد نسيت تقريبًا. قانون آتريديز!
كما فسّره، بالطبع، كهنة الإكسير الذهبي. لا يسعني إلا
أن أغمض عيني وأسمع دوقك يقول لي إن الأملاك

تُكتسب دائماً ويُحتفظ بها عن طريق العنف أو التهديد به. الفرص متاحة للجميع ولا يمكن التنبؤ بما يخبئه القدر! كما اعتاد جبرني أن يغنيها. الغاية تبرر الوسيلة؟ أم أنني أخلط بين الأمثال؟ حسناً، لا يهم إن كان من يستخدم القوة علانية فيالق الفرمن أم الساردوكار، أو إن كنا نبرر استخدام العنف باسم القانون - فالظلم والاستبداد لا يزالان موجودين. وطبقة البصل لن تُزال يا سيدتي. أتعلمين، أتساءل أي قوة عسكرية سيستخدم فارادين؟»

تساءلت چيسیکا: ماذا يفعل؟ سيتلقف آل كورينو هذه الحجّة ويبتهجون بها!

«هل تعتقد أن الكهنة لن يسمحوا لغنيمة بالزواج من فارادين؟» غامرت چيسیکا، محاولة معرفة ما تهدف إليه كلمات آيداهو.

«يسمحون لها؟ بحق الآلهة! سيترك الكهنة عالية تفعل ما تشاء. يمكنها تزويج نفسها إلى فارادين.»

تساءلت چيسیکا: هل وصل أخيراً إلى النقطة التي كان يوجّه الحديث إليها؟

قال آيداهو: «لا، يا سيدتي. هذه ليست القضية. لا يستطيع شعب هذه الإمبراطورية التمييز بين حكم آل آترديز وحكم الوحش ربان. يموت الناس كل يوم في زنازين أراكين. غادرت لأنني لم أستطع أن أهب سيفي ساعة أخرى لآل آترديز! ألا تفهمين ما أقوله، لماذا أتيت

إليك هنا بصفتك أقرب ممثلة لآل آتريديز؟ لقد خانت
إمبراطورية آتريديز دوقك وابنك. أحببت ابنتك، لكنها
ذهبت في اتجاه وذهبت في آخره. إذا آل الأمر إلى ذلك،
فسوف أنصح فارادين بقبول يد غنيمة -أو يد عالية-
ولكن بشروطه الخاصة!»

فكرت: يمهد الطريق إذا لانسحاب رسمي بشرف من
خدمة عائلة آتريديز. لكن هذه الأمور الأخرى التي
تحدث عنها، هل يدرك ما أنجزته كلماته نيابة عني؟!
عبست في وجهه.

«أنت تعلم أن الجواسيس يستمعون إلى كل كلمة،
صحيح؟»

قهقه: «جواسيس؟ يستمعون كما كنت سأسمع لو أنني
مكانهم. ألا تعرفين كيف تتغير ولاءاتي بطريقة مختلفة؟
كم ليلة قضيتها وحيداً في الصحراء، والفرمن على حق
فيما يقولون عن ذلك المكان. في الصحراء لا سيما ليلاً،
تواجهين خطر التفكير العميق.»

«هل هذا المكان الذي سمعت فيه الفرمن يلعنونا؟»

«نعم. من بين العروبة* . انضمت إليهم بأمر من
الواعظ يا سيدتي. نطلق على أنفسنا اسم زار سادوس،
أولئك الذين يرفضون الخضوع للكهنهة. أنا هنا لإصدار
إعلان رسمي إلى أحد أفراد آتريديز أنني انتقلت إلى صف
العدو.»

نظرت چيسيكاً إليه، تبحث عن أي خلجات دقيقة، لكن لم تجد أي شيء في ملامح آيداهو يشير إلى أنه يكذب أو يخفي شيئاً. هل كان من الممكن حقاً أنه انتقل إلى صف فارادين؟ ثم تذكرت إحدى قواعد أخويتها:

في الشؤون الإنسانية، لا شيء يبقى ثابتاً؛ كل الشؤون الإنسانية تدور في دوامة، تتحرك دائرياً وإلى الخارج.

إن كان آيداهو قد رحل حقاً عن حظيرة آل آترديز، فذلك يفسر سلوكه الحالي. كان يتحرك دائرياً وإلى الخارج. كان عليها أن تأخذ هذا الاحتمال في الاعتبار.

ولكن لماذا أكد أنه نفذ أمر الواعظ؟

تسارع عقل چيسيكاً، وبعد أن نظرت في الخيارات، أدركت أنها قد تضطر إلى قتل آيداهو. كانت الخطة التي علقت عليها آمالها حساسة جداً بحيث لا يمكن السماح لأحد بالتدخل فيها. لا أحد! ألمحت كلمات آيداهو إلى أنه يعرف خطتها. قاست موقع كل منهما في الحجرة مقارنة بالآخر، وتحركت واستدارت حتى تتمركز في موقع يتيح لها توجيه ضربة قاتلة.

قالت: «لقد كان نظام فارفلوشس الذي يطبق التمييز الطبقي دائماً أحد أسباب قوتنا». تركته يتساءل عن سبب تغيير موضوع المحادثة. «مجلس لاندسراد للعائلات الكبرى، وسِسراد الإقليمي، جميعهم يستحقون...»

قاطعها: «لا تحاولي إلهائي».

استغرب آيداهو وضوح نيّاتها. هل كانت متساهلة في التستر، أم أنه تمكن أخيراً من اختراق حواجز تدريب البني چيسيريت؟ رَجَّح السبب الأخير، لكنّ هناك شيئاً في ذاتها أيضاً، فقد تغيرت مع مرور الزمن. أحزنه رؤية الفرمن الجدد يختلفون عن القدامى في أشياء صغيرة. شعر أن عبور الصحراء كان وسيلة لنقل شيء ثمين إلى البشرية، لكنه لم يستطع تسمية هذا الشيء كما لم يستطع تفسير ما حدث لليدي چيسيكّا. نظرت چيسيكّا إلى آيداهو بدهشة صريحة، ولم تحاول إخفاء ردة فعلها. هل يمكنه قراءتها بهذه السهولة؟

قال: «لن تستطيعي قتلي». استعمل عبارة تحذيرية فرمنية: «لا تلتطخي سكتيني بدمك». وفكر: أصبحت فرمنياً إلى حد كبير. شعر بالسخرية عندما أدرك مدى تقبله ثقافة الكوكب الذي استقبل حياته الجديدة.

قالت: «أعتقد أنه من الأفضل أن تغادر».

«ليس حتى تقبلي انسحابي من خدمة آتريديز».

«قبلت!» عضت على شفتيها. وبعد أن نطقت الكلمة، أدركت أن هذه المحادثة كانت مجرد ردة فعل انفعالية في معظمها. كانت بحاجة إلى وقت للتفكير وإعادة النظر. كيف عرف آيداهو ماذا ستفعل؟ لم تصدق أنه قادر على القفز بالزمن على طريق الاسپايس.

تراجع آيداهو مبتعداً عنها حتى وصل إلى الباب. انحنى:

«أدعوكِ سيدتي للمرة الأخيرة، ثم لن أدعوكِ بذلك مرة أخرى. نصيحتي إلى فارادين أن يُعيدكِ إلى والاك بهدوء وسرعة في أقرب وقت ممكن. أنتِ لعبة خطيرة حتى يُبقيكِ حوله. لا أعتقد أنه يراكِ على أنكِ لعبة. إنكِ تعملين لصالح الأخوية وليس لصالح آل آتريديز. أتساءل إن كنتِ خدمت آل آتريديز يوماً. أنتن الساحرات تتحركن على نحو عميق ومظلم فلا يثق بكن أي فانٍ».

قالت بسخرية: «الغولة يعدُّ نفسه فانياً؟»

قال: «مقارنة بك».

أمرته: «غادرا!»

«هذه نيتي». خرج من الباب، متجاهلاً النظرات الفضولية للخادم الذي كان من الواضح أنه يتنصت على المحادثة.

فكر: أنجزت المهمة. ولن يستطيعوا تفسير حوارنا إلا بطريقة واحدة.

في عالم الرياضيات وحده يمكنك أن تفهم رؤية المؤدب الدقيقة للمستقبل. هكذا: أولاً، لنفترض أن الفضاء يتألف من عدد معين من النقاط- الأبعاد. (حيث يمثل مضاعف «ن» الكلاسيكي مجموع الأبعاد «ن») في هذا الإطار، يصبح الزمن كما نعرفه عادة، مجموع خصائص بعد واحد. بتطبيق هذا على ظاهرة المؤدب، نجد أننا إما نواجه خصائص جديدة للزمن وإما (عن طريق التبسيط من خلال حساب التفاضل والتكامل اللا نهائي) أننا نتعامل مع أنظمة منفصلة تحتوي كل منها على خصائص «ن». في حالة المؤدب، نفترض الاحتمال الثاني. كما يظهر من خلال التبسيط، لا يمكن أن توجد الأبعاد- النقاط «ن» بشكل مستقل إلا في إطارات زمنية مختلفة. وهكذا يمكن إثبات وجود أبعاد منفصلة للزمن لتعيش معاً. وبما أن هذه الحالة لا مفر منها، نطلب تنبؤات المؤدب منه أن ينظر إلى مضاعف «ن» ليس كمجموع، ولكن كعملية داخل إطار واحد. في الواقع، جمد المؤدب عالمه في ذلك الإطار الواحد، الذي كان رؤيته عن الزمن.

- باليمباشا: محاضرات في سييتش تبر

استلقى ليتو على قمة كثيب رملي، ينظر عبر الرمال المفتوحة إلى تكوين صخري متعرج. كانت الصخرة تشبه دودة هائلة تمتد فوق الرمال في ضوء الشمس الصباحي بشكل يبعث على الرهبة ويوحى بالخطر. لم يتحرك أي شيء هناك. لا طير يحلق فوق الرؤوس، ولا حيوان يهرول

بين الصخور. كان يرى فتحات مصيدة الرياح في وسط
ظهر الصخرة/ الدودة تقريباً. يوجد ماء هنا. كان للصخرة
الشبيهة بالدودة المظهر المألوف لمأوى سييتش، إلا أنها
خالية من الحياة. استلقى بهدوء، ممتزجاً بالرمال، يراقب.
ظلت ألحان جيرني هاليك تتدفق في عقله، في تكرار
رتيب:

تحت التل،

حيث يركض الثعلب بخفة،

تشرق أشعة الشمس بين السحب،

حيث ينام حيي الوحيد

أسفل التل في أجمة الشمر،

ألمح حبيبي الذي لا يستطيع الاستيقاظ.

يختبئ في قبر،

تحت التل.

تساءل ليتو: أين مدخل هذا المكان؟

أيقن أن هذا المكان لا بد أن يكون فونداك/ چاكوروتو،
ولكن هناك شيء مريب يتجاوز غياب حركة الحيوانات.
شعر بشيء يحوم عند حافة إدراكه الواعي. تحذير من نوع
ما.

ما الذي يختبئ تحت التل؟

كان غياب الحيوانات مقلقًا. أيقظ حسّه الفرميني الحذر: الغياب يقول أكثر من الوجود عندما يتعلق الأمر بالنجاة في الصحراء. لكن كان ثمة مصيدة رياح هنا. لذا لا بد من وجود ماء، وبشر لاستخدامها. كان هذا المكان المحظور الذي توارى خلف اسم فونداك، فُقدت هويته الأخرى حتى في ذكريات معظم الفرمن.

لا يمكن رؤية الطيور أو الحيوانات هناك.

لا يوجد بشر - ولكن هنا بدأ الصِّراط الذهبي.

قال أبوه ذات مرة: «هناك مجهول في كل مكان، في كل لحظة. هناك إيّ بحث عن المعرفة».

نظر ليتو إلى يمينه على طول قمم الكثبان الرملية. هبت عاصفة هائلة مؤخرًا. كانت بحيرة الأزرق*، السهل الجبسي، مكشوفة تحت غطاءها الرمي. تقول خرافة فرمنية إن كل من رأى البيان* أي الأراضي البيضاء، سيحقق أمنية ذات وجهين-احتمالين، أمنية قد تهلكه. لم ير ليتو سوى سهل جبسي أخبره أن مياهاً جارياً كانت موجودة هنا قديمًا في أراكس.

تمامًا كما ستوجد مرة أخرى.

نظر إلى الأعلى، وطاف بعينه في الأرجاء بحثًا عن أي حركة. كانت سحب السماء مليئة بالفجوات ما بعد انقضاء العاصفة. والضوء النافذ منها يولّد إحساسًا بيباض

كالحليب، والشمس الفضية مخفية في مكان ما فوق
حجاب الغبار الممتد إلى ارتفاعات عالية.

مرة أخرى، أعاد ليتو انتباهه إلى الصخرة المتعرجة.
أخرج منظاره من عدة الفرمن، وركز عدساته المتحركة
وألقى نظرة على الرمادي العاري، هذا التكوين الصخري
الذي عاش فيه قوم چاكوروتو في السابق. كشف تكبير
المنظار عن شجيرات شائكة، تلك التي تسمى ملكة الليل.
كانت الشجيرات تقبع في الظلال عند شق قد يكون
مدخلاً إلى السييتش القديم. تفحص التكوين الصخري
بكامله. تحولت الشمس الفضية إلى اللون الأحمر ثم
الرمادي ملقية ضوء مسطحاً انتشر على الامتداد الطويل
للصخور.

تدحرج، مديراً ظهره إلى چاكوروتو، ونظر بالمنظار حوله
في دائرة محيط. لا شيء في تلك البرية يدل على عبور
بشري من هنا. كانت الريح قد محت آثار ليتو بالفعل، ولم
يتبق سوى استدارة غامضة حيث سقط عن ظهر دودته
ليلاً.

نظر مرة أخرى إلى چاكوروتو. باستثناء مصيدة الرياح،
لم يكن هناك ما يشير إلى أن رجالاً قد مروا بهذا الدرب.
وباستثناء ذلك التكوين الصخري، لم يكن هناك شيء هنا
يظهر فوق الرمال الباهتة؛ بادية خالية ممتدة حتى الأفق.

شعر ليتو فجأة أنه في هذا المكان لأنه رفض أن يكون

مقيداً بالنظام الذي ورثه عن أسلافه. كان يفكر في كيفية
نظر الناس إليه، لا أحد سيفهم غايته إلا أخته غنيمه.

بسبب ذكريات الآخرين المشوشة في عقله، لم يكن هذا
الطفل طفلاً قط.

فكر: يجب أن أتحمّل مسؤولية القرار الذي اتخذناه.

مرة أخرى تفحص امتداد الصخرة. بكل الأوصاف
لا بد أن هذه فونداك، ولا مكان آخر يمكن أن يكون
چاكوروتو. شعر بعلاقة وطيدة غريبة مع هذا المكان
المحظور. بنهج النبي چيسيريت، فتح عقله على چاكوروتو،
غير ساعج إلى معرفة أي شيء عنه. كانت المعرفة حاجزاً
يمنع التعلّم. لبضع لحظات سمح لنفسه فقط أن يتماهى معه،
دون أن يقدم أي مطالب، أو يطرح أي أسئلة.

كانت المشكلة في غياب الحياة الحيوانية، لكن شيئاً
ما لفت انتباهه. فهم ذلك حينها: لم يكن هناك طيور
آكلة للجيفة - لا نسور ولا عقبان ولا صقور. حتى عندما
اختفت صور الحياة أخرى، بقيت تلك الطيور دائماً.
كل مكان فيه ماء في هذه الصحراء له سلسلة حياة. في
نهاية السلسلة كان آكلة الجيفة على الدوام. لم يأت أي
شيء لتقصي وجوده. كم كان ليتو يعرف جيداً «كلاب
حراسة السييتش»، تلك السلالة من الطيور الجاثمة على
حافة الجرف في تبر، متعهدي دفن الموتى البدائيين الذين
ينتظرون اللحم البشري. كما قال عنهم الفرمن: «منافسونا».

لكنهم قالوا ذلك دون حسد لأن الطيور آكلة الجيفة
كانت تنبئهم عادة عندما يقترب الغرباء.

ماذا لو كان المهربون قد هجروا فونداك؟

توقف ليتو لحظات ليشرّب من أحد أنابيب الترشيح في
بذلة تقطيره.

ماذا لو لم يكن هناك ماء؟

راجع موقفه. قاد دودتين في الرمال ليصل إلى هنا،
ركبهما بخطافيه طوال الليل، وتركهما نصف ميتتين.
كانت هذه الصحراء الداخلية حيث يوجد وكر المهربين.
إن وجدت الحياة هنا، إن كان من الممكن أن توجد، فلا
بد أن تكون بفضل وجود الماء.

ماذا لو لم يكن هناك ماء؟ ماذا لو لم يكن لفونداك/
چاكوروتو وجود؟

مرة أخرى صوب منظاره نحو مصيدة الرياح. كانت
حوافيها الخارجية متآكلة بفعل الرمال، وتحتاج إلى صيانة،
لكنها كانت لا تزال تعمل. لا بد أن يكون هناك ماء.

لكن ماذا لو لم يكن هناك ماء؟

ربما فقد السييتش المهجور مياهه في الهواء، بسبب كارثة
ماء. ولكن لماذا لا توجد أي طيور آكلة للجيف؟ هل قُتلوا
من أجل مياههم؟ من قتلهم؟ كيف يمكن القضاء عليهم
جميعاً؟ بالسم؟ بالماء المسموم.

لم تذكر أسطورة چاكوروتو قصة تسمم خزان السييتش، لكن ربما حدث ذلك. ولو قُلت أسراب الطيور الأصلية، أليس من المفترض أن تتجدد بحلول هذا الوقت؟ أُيدت إدوالي منذ أجيال ولم تذكر القصص السم مطلقاً.

نظر ليتو مرة أخرى إلى الصخرة بمنظاره. كيف يمكن أن يُدمر السييتش بالكامل؟ لا بد أن بعضهم نجا من الهلاك. كان نادراً أن يكون جميع سكان السييتش في مأواهم. كانت مجموعات منهم تجوب الصحراء بانتظام، وتساfer إلى المدن.

أطلق ليتو تنهيدة استسلام، ونحى منظاره. انزلق من الجانب الخفي لأحد الكثبان الرملية، ووارى خيمة تقطيره بعناية تحت الرمال، ومحا أي آثار لدخوله الصحراء بينما كان يستعد لقضاء الساعات الحارة داخل الخيمة.

سرت موجات التعب البطيء في أطرافه وهو يجلس نفسه في الظلام. داخل الخيمة المليئة بالعرق، نام معظم النهار، وتخيل الأخطاء التي كان يمكن أن يرتكبها. كانت أحلامه وسيلة لحماية نفسه من الضغوط التي يواجهها، لكن لا حماية ممكنة في هذا الاختبار الذي اختاره هو وغنيمة. سيحرق الفشل روحيهما. تناول رقائق الاسپايس ونام، واستيقظ ليأكل مرة أخرى، وشرب ثم رجع إلى النوم. كانت رحلة طويلة إلى هذا المكان، اختباراً شاقاً لعضلات طفل.

عند المساء استيقظ منتعشاً، واستمع بحثاً عن علامات الحياة. خرج من كفنه الرملي. كان في السماء غبار عال يهب في اتجاه محدد، لكنه شعر بالرمال تلسع وجهه من اتجاه آخر - إشارة مؤكدة إلى تغيير في الطقس. شعر بقدم عاصفة.

زحف بحذر إلى قمة كتيبه، ونظر مرة أخرى إلى تلك الصخور المهمة. كان الهواء المضطرب أصفر. أشارت العلامات إلى اقتراب عاصفة كوريوليس، الريح التي تحمل الموت في جوفها. ستكون هناك طبقة دوارة كبيرة من الرمال التي تدفعها الرياح والتي قد تمتد عبر أربع درجات من خطوط العرض. أصبح الفراغ المقفر في السهل الجبسي سطحاً أصفر الآن، يعكس سحب الغبار. غمره سلام المساء الكاذب. ثم تداعى النهار وحلّ الليل العابر السريع للصحراء الداخلية. بدت الصخور كأنما قمماً نائمة مغطاة بالضوء الأبيض للقمر الأول. شعر بأشواك رملية تلسع جلده. صدح صوت رعد جاف يشبه صدى حوض رملي بعيد، وفي المسافة بين ضوء القمر والظلام رأى حركة مفاجئة: خفافيش. سمع رفرقة أجنحتهم، وصريرهم الخافت.

خفافيش.

كان هذا المكان المهجور يوحى بالخراب، سواء كان ذلك مقصوداً أم لا. كان المكان الذي يفترض أن يكون معقل المهربين الأسطوري: فونداك. لكن ماذا لو لم يكن

فونداك؟ ماذا لو كان الحظر ما زال ساريًا، وكانت هذه مجرد بقايا من چاكوروتو الشبحية؟

اختبأ ليتو في الجانب المظلم من كشييه، وانتظر حتى يشتد ظلام الليل. الصبر والحذر! الحذر والصبر. لمدة من الوقت، سلى نفسه بمراجعة طريق تشوسر من لندن إلى كانتبري في ذهنه، محصياً الأماكن من ساوثوارك: ميلين إلى سانت توماس، خمسة أميال إلى ديبفورد، وستة أميال إلى غرينتش، وثلاثين ميلاً إلى روتشستر، وأربعين ميلاً إلى سيتينجبورن، وخمسة وخمسين ميلاً إلى بوجتون أسفل بلين، وثمانية وخمسين ميلاً إلى هاربلداون، وستين ميلاً إلى كانتبري. شعر كأنه يحلق فوق الزمن لأنه يعرف أن القليلين في عالمه يتذكرون تشوسر، أو يعرفون أي لندن غير القرية في جانسرید. كان سانت توماس مذكوراً في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي وكتاب الأزهر، لكن كانتبري زالت من ذاكرة البشر، كما زال الكوكب الذي كانت موجودة فيه. وهنا يقع عبء ذكرياته، عبء تلك الأرواح الكثيرة التي تهدد بابتلاعه. ذهب إلى كانتبري مرة واحدة.

كانت رحلته الحالية أطول وأخطر.

زحف ليتو فوق قمة الكثيب، وشق طريقه نحو الصخور المضاءة بنور القمر. اختلط بالظلال، وانزلق فوق القمم، دون أن يصدر أي صوت يدل على وجوده.

تبدد الغبار كما يحدث في كثير من الأحيان مباشرة قبل العاصفة، وأضواء الليل. لم يكشف النهار عن أي حركة، لكنه سمع مخلوقات صغيرة تهرب في الظلام وهو يقترب من الصخور.

في واد بين كثيبين رمليين، صادف عائلة من اليرابيع تفر هاربة منه. استراح عند القمة التالية، وأحاطت به مشاعر القلق. هذا الشق الذي رآه: هل كان مدخلًا؟ كانت هناك مخاوف أخرى: كان السييتش القديم محميًا بالأنفخ المسمومة في الحفر، والأشواك المسمومة فوق النباتات. تذكر التعاليم الشفهية السرية للفرمن «الأغرافا»: الليل مليء بالأصوات التي لا يسمعها ويفهمها إلا الفرمن. فأصاخ السمع بحثًا عن أصوات خفية.

ارتفعت الصخور الرمادية فوقه الآن، وأصبحت عملاقة بسبب اقترابه منها. وبينما كان ينصت، سمع أصواتًا ناعمة لطيور مختبئة في ذلك الجرف خوفًا أن تصبح فريسة. كانت أصوات طيور نهارية، ولكنها خرجت في الليل. ما الذي قلب عالمهم رأسًا على عقب؟ اقتراس الإنسان؟

تجمد ليتو فجأة فوق الرمال. لمح نارًا مشتعلة فوق الجرف، وسلسلة من الأحجار الكريمة المتلائة والغامضة تتناقض مع سواد الليل، إشارة قد يرسلها سييتش إلى الرحالة عبر البيداء. من الذين يسكنون هذا المكان؟

زحف إلى الأمام في أعماق الظلال عند قاعدة الجرف،

وتحسس بيده على امتداد الصخرة، وحرك جسده وراء يده وهو يبحث عن الشق الذي رآه في ضوء النهار. حدد مكانه في خطوته الثامنة، وأخرج منشاق الرمال من حقيبته، واستكشف الظلام. في أثناء تحركه، سقط شيء مشدود وملتف على كتفيه وذراعيه؛ ما أدى إلى شل حركته.

مصيدة عريشة!

قاوم رغبته في المقاومة فهذا سيجعل العريشة تعتصره أكثر. أسقط المنشاق، وثني أصابع يده اليمنى محاولاً الإمساك بالسكين فوق خصره. شعر بالغباء لعدم إلقائه شيئاً في ذلك الشق من بعيد حتى يستكشف الأخطار الكامنة في الظلام. كان عقله مشغولاً جداً بالنار فوق الجرف.

كانت كل حركة يقوم بها تشدّ مصيدة العريشة عليه أكثر، لكن أصابعه لمست أخيراً مقبض السكين. أغلق يده حول المقبض، وبدأ بسحب السكين بحذر.

أحاط به ضوء ساطع، جمّد حركته تماماً.

«آه، صيد ثمين في شبكتنا». كان صوتاً ذكورياً أجش أتى من خلف ليتو، وكان في نبرته شيء مألوف على نحو غامض. حاول ليتو أن يدير رأسه، مدرّكاً خطورة العريشة التي تسحق الجسد كثير الحركة.

انتزعت يدُ سكينه قبل أن يرى أسره. تحركت اليد فوق

جسده بخبرة، واستولت على الأجهزة الصغيرة التي كان يحملها هو وغنيمة من أجل البقاء. لم يفوت الباحث شيء، حتى أسلاك الشيجواير في شعره.

لم ير ليتو الرجل بعد.

فعلت الأصابع شيئاً ما بفخ العريشة، وشعر ليتو أنه بات يستطيع التنفس بسهولة، لكن الرجل قال: «لا تحاول الهروب يا ليتو آتريديز... لقد أخذت ماءك في كأسٍ».

بجهد خارق، بقي ليتو هادئاً، وقال: «هل تعرف اسمي؟»

«بالطبع! عندما ينصب المرء مصيدة مزودة بطعم، فهذا لغرض. يهدف المرء إلى اصطياد طريدة محددة، أليس كذلك؟»

ظل ليتو صامتاً، لكن أفكاره كانت تدور دون توقف.

قال الصوت الثقيل: «تُشعر بالخيانة!» قلبته اليدان بلطف، ولكن باستعراض واضح للقوة. كان أشبه بذكر بالغ يخبر الطفل عن احتمالات ما هو آت.

حدق ليتو إلى الوجع المنبعث من المصباحين الطافيين، ورأى الخطوط العريضة السوداء لوجه مقنع بقلنسوة بذلة تقطير. مع تأقلم عينيه، ميز شريطاً داكناً من الجلد، وعينين مظلمتين تماماً بإدمان المزاج.

قال الرجل: «أنت تتساءل لماذا تكبدنا كل هذه المتاعب». انبعث الصوت من الجزء السفلي المغطى من

وجهه بنبرة مكتومة غريبة، كأنه يحاول إخفاء لكنة معينة.

قال ليتو: «لم أعد أتعجب منذ زمن طويل من عدد الأشخاص الذين يريدون موت توأمي آتريديز. أسبابهم واضحة».

في أثناء حديثه، كان عقل ليتو يصارع الغموض بحثاً عن إجابات. نخ بطعم؟ لكن من كان يعرف غير غنيمه؟ مستحيل! لن تخون غنيمه شقيقها. ثم هل كان هناك من يعرفه جيداً ليتنبأ بأفعاله؟ من؟ جدته؟ كيف تستطيع ذلك؟

قال الرجل: «لا يمكنك الاستمرار على ما أنت عليه. هذا خطأ فادح. يجب أن نتلقى تعليماً قبل اعتلاء العرش». حدقت عينا الرجل الزرقاوان إليه، وأكمل: «تساءل كيف يمكن لأحد أن يعلم شخصاً مثلك؟ أنت الذي تحمل في ذاكرتك أرواحاً كثيرة محبوسة؟ هذا كل ما تملكه، كما ترى! تعتقد أنك عالم، ولكنك مجرد مستودع لأرواح ميتة. ليس لديك بعد حياتك الخاصة. أنت مجموعة من الشخصيات تسير بهدف واحد: السعي وراء الموت. ليست صفة جيدة في الحاكم أن يكون ساعياً وراء الموت. سوف تغطي محيطك بالجنث. والدك، على سبيل المثال، لم يفهم قط...».

«كيف تجرؤ على التحدث عنه بهذه الطريقة؟»

«تجرات على ذلك مرات عديدة. كان حينذاك پول آترديز فحسب. حسناً، يا فتى، مرحباً بك في مدرستك».

مد الرجل يده من تحت ردائه، ولمس خد ليتو. وشعر ليتو بصدمة قوية، ثم وجد نفسه يسقط في الظلام حيث كان علم آترديز الأخضر يرفرف. وكان العلم الأخضر مزيناً برموز النهار والليل، وقد أخفى عمود الراية داخله أنبوب مياه. سمع صوت قرقرة الماء وهو يغيب عن الوعي. أم كان صوت أحدهم يضحك!

ما زلنا نتذكر الأيام الذهبية قبل هايزنبرغ، الذي أظهر للبشر الجدران التي تحيط بحججنا المسبقة. الأرواح التي في داخلي تستمتع بهذا. المعرفة، كما تعلمون، لا تفيد إلا بوجود غاية، والغاية هي التي تبني الجدران المحصنة.

- ليتو آتريديز الثاني (صوته)

تحدثت عالية بقسوة مع الحراس الذين التقتهم في ردهة المعبد. كانوا تسعة رجال يلبسون الزي الأخضر المغبر لدوريات الضواحي، وكانوا يلهثون ويتصببون عرقاً بعد مجهودهم. كان الضوء الخافت لآخر النهار يأتي من الباب وراءهم. كانت المنطقة خالية من الحجاج. سألتهم: «ألم تسمعوا أوامري؟» عجبت من شدة غضبها، ولكنها لم تحاول كبجه، بل تركته ينفجر. اهتز جسدها عندما أطلقت العنان لغضبها وتوترها. ذهب آيداهو ... ذهبت الليدي چيسيكاً ... لا توجد تقارير ... فقط إشاعات عن وجودهما في سالوسا. لماذا لم يبعث آيداهو رسالة؟ ماذا فعل؟ هل اكتشف أخيراً أمر جافيد؟

ارتدت عالية لون الحداد الأصفر لأراكن، لون الشمس الحارقة في تاريخ الفرمن. بعد دقائق قليلة، ستقود الموكب الجنائزي الثاني والأخير إلى أولد جاب، لتكمل نصب الحجرى لابن أخيها المفقود. سينتهي بناؤه ليلاً، تكريماً للشخص الذي كان مقدرًا له أن يكون قائد الفرمن. وقف الحراس الكهنة متحدّين في وجه غضبها، ولم يبدوا أي ندم. كانوا يقفون أمامها، والضوء الضعيف يبرز

ملاحظتهم. كان بإمكانها أن تشم رائحة عرقهم بسهولة من خلال بذلات تقطيرهم رديئة الجودة. تقدم زعيمهم، وهو كازا أشقر طويل القامة يحمل شعارات عائلة كادلام فوق غطاء رأسه، وأزاح قناع بذلته التقطيرية جانباً ليتحدث بوضوح أكبر. كان صوته مملوءاً بالغرور الذي كان متوقفاً من نسل العائلة التي حكمت يوماً في سييتش تبر.

«بالتأكيد حاولنا القبض عليه!» من الواضح أن الرجل كان مستاء من هجومها: «إنه ينطق بالكفر! نحن نطيع أوامرك، ولكننا سمعناه بآذاننا!»

قالت عالية بصوت خافت متهم: «ولكنكم فشلتم في الإمساك به.»

دافعت عنهم إحدى الحارسات الأخريات، شابة قصيرة القامة: «كانت الحشود مزدحمة هناك! أقسم إن الناس عرقلوا طريقنا!»

قال الكادلام: «سنلاحقه، لن نفشل كل مرة.»

عبست عالية: «لماذا لا تفهمونني وتطيعونني؟»

«سيدتي، نحن...»

«ماذا ستفعل، يا سليل كادلامب (27)، لو قبضت

عليه واكتشفت أنه في الحقيقة أخي؟»

من الواضح أنه لم يلاحظ تشديد نبرتها عندما نطقت

اسمه، مع أنه لا يمكن أن يكون حارساً كهنوتياً دون تعليم
وذكاء يتماشى مع مهام وظيفته. هل أراد التضحية بنفسه؟
ابتلع الحارس ريقه ثم قال: «يجب أن نقتله بأنفسنا، لأنه
ينشر الفوضى».

وقف الآخرون مرعوبين، لكنهم لم يتراجعوا. كانوا
يعرفون ما سمعوه.

قال كادلام: «إنه يحرض القبائل على التمرد ضدك».

فهمت عالية كيف نتعامل معه الآن. تحدثت بنبرة
هادئة وعقلانية: «أنا أفهم. إن كان عليك التضحية
بنفسك بهذه الطريقة، وقتله علانية أمام الجميع حتى يعرفوا
من أنت وماذا تفعل، فأظن أنه عليك ذلك».

«التضحية ب...». توقف عن الكلام ونظر إلى رفاقه. كان
قائد هذه المجموعة، وكان له الحق في التحدث باسمهم،
لكنه بدا راغباً في أن يبقى صامتاً.

تمهل الآخرون بانزعاج.

في خضمّ المطاردة تحدوا عالية. كان من العجيب أن
يفكروا الآن في هذا التحدي لـ «رحم اللجنة» كما يسمون
عالية. ابتعد الحراس قليلاً عن قائدهم بضيق واضح.

قالت عالية «من أجل مصلحة الكنيسة، يجب أن يكون
ردنا الرسمي شديداً. أنت تفهم ذلك، أليس كذلك؟»

«لكنه...»

قالت: «سمعتَه بنفسِي. لكن هذه حالة استثنائية».

«لا يمكن أن يكون المؤدّب يا سيدي!»

فكرت عالية: كم تجهل الكثير!

قالت: «لا يمكننا المجازفة بالقضاء عليه في مكان عام، أو إيدائه أمام أعين الناس. لو سنحت لنا فرصة أخرى، بالتأكيد».

«إنه دائماً محاط بالحشود هذه الأيام!»

«إذن عليك أن تتحلى بالصبر. بالطبع، إذا أصرت على أن تتحداني...». تركت له أن يتخيل العواقب دون أن تعلنها، لكنها كانت مفهومة جيداً. كان الكادِلام طموحاً، وأمامه مستقبل مهني واعد.

استعاد الرجل رباطة جأشه: «لم نقصد أن نتحداك يا سيدي، لقد تصرفنا بتسرع، أستطيع أن أرى ذلك. اغفري لنا، لكنه...».

قالت كما يقول أحد أمثال الفرمن: «لم يحدث شيء؛ ولذلك لا شيء يستحق المغفرة». كانت هذه المقولة إحدى الطرائق العديدة التي حافظت بها القبيلة على السلام بين أفرادها، وكان هذا الكادِلام لا يزال فرمياً قديماً بما يكفي لتذكر ذلك. كانت عائلته تحمل تقاليد عريقة في القيادة. يجب عدم المبالغة في جعلهم يشعرون بالذنب، يخدم الفرمني أفضل عندما يكون خالياً من الذنب أو

الحنق.

أبدى تقديره لحكمها بأن حنى رأسه قائلاً: «من أجل خير القبيلة. أفهم».

قالت: «اذهبوا واغتسلوا. سيبدأ الموكب في غضون دقائق».

«نعم يا سيدتي». تحركوا بعيداً، وكل حركة تكشف عن ارتياحهم لهذا الهروب.

داخل رأس عالية دمدم صوت جهير: «آه، لقد تعاملت مع ذلك ببراعة. ما زال بعضهم يؤمن بأنك تريد موت الواعظ. سيجدون طريقة».

صرخت: «اخرس. اخرس! ما كان يجب أن أسمع إليك أبداً! انظر إلى ما فعلته...»

قال الصوت الجهير: «أضعك على طريق الخلود».

شعرت بصدى صوته يتردد في جمجمتها كأنه وجع بعيد، وفكرت: أين يمكنني أن أتواري؟ لا مكان أهرب إليه!

قال البارون: «سكين غنيمة حادة. تذكرني ذلك».

رمشت عالية. نعم، هذا شيء يجب تذكره. كانت سكين غنيمة حادة. هذه السكين قد تُخرجهم من مأزقهم الحالي.

إذا آمنت بكلمات معينة، فإنك تؤمن بما تحمله من حجج خفية. وإذا اعتقدت أن شيئاً معيناً صحيح أو خاطئ، حقيقي أو زائف، فإنك تصدق الافتراضات الموجودة في الكلمات التي تعبر عن تلك الحجج. وكثيراً ما تكون مثل هذه الافتراضات مليئة بالثغرات، لكنها تظل غالية عند المؤمنين بها.

-الدليل غير المحدد من نبوءات بانوبليا.

غمر عقل ليتو مزيج من الروائح القوية. شم القرفة الثقيلة للهِزاج، والعرق المتصاعد من الأجساد العاملة، والرائحة اللاذعة لوعاء تقطير موتى غير مغطى، ورائحة غبار من أنواع شتى لكن رائحة غبار حجر الصوان تهيمن. شكلت الروائح أثراً عبر رمال الأحلام، وخلقت أشكالاً من الضباب في أرض بور. كان يعلم أن هذه الروائح يجب أن تخبره بشيء، لكن جزءاً منه لم يستطع الاستماع بعد.

أفكار مثل الأطياف حامت في ذهنه: في هذا الزمان، ليس لدي ملامح نهائية؛ أنا كل أسلافي. غروب الشمس على الرمال غروب شمس روحي. ذات مرة كان الحشد الداخلي بديعاً، لكن هذا انتهى. أنا فرمني، وسأحظى بنهاية فرمنية. انتهى الصِّراط الذهبي قبل أن يبدأ. ليس المسار سوى درب عصفت به الرياح. عرفنا نحن الفرمن كل الحيل لإخفاء أنفسنا: لم نترك أي براز، ولا ماء، ولا آثار. الآن، انظر إلى دربي يتلاشى.

سمع صوت رجل يهمس في أذنه: «يمكنني قتلك يا آتريديز. يمكنني قتلك يا آتريديز». تكررت العبارة مرات عديدة حتى فقدت معناها، وأصبحت مجرد كلمات يحملها حلم ليتو، تعويذة من نوع ما. «يمكنني قتلك يا آتريديز».

تنحج ليتو وشعر أن ذلك أيقظ حواسه. نجح حلقة الجاف أن يقول: «من؟»

قال الصوت بجانبه: «أنا فرمني متعلم وقد قتلت رجلي. سلبتنا من آهتنا يا آتريديز. ما الذي يهمننا بشأن مؤدبك البشع؟ مات إلهك».

هل كان ذلك صوت عرابة حقاً أم جزءاً آخر من حلمه؟ فتح ليتو عينيه، ووجد نفسه بلا قيود فوق أريكة صلبة. رفع رأسه ونظر إلى صخرة، وكرات إنارة خافتة، ووجه مكشوف يحدق إلى وجهه قريباً جداً منه لدرجة أنه يمكن أن يشم رائحة تنفسه المشبعة بروائح معروفة لطعام السييتش. كان الوجه فرمنياً. لا يمكن أن يخطئ المرء في التعرف على البشرة الداكنة، وتلك الملامح الحادة، واللحم شحيح المياه. لم يكن هذا ساكن مدينة بديناً. هنا كان أحد فرمن الصحراء.

قال الفرمني: «أنا نمري، والد جافيد. هل تعرفني الآن يا آتريديز؟»

قال ليتو بصوت متحشرج: «أعرف جافيد».

«نعم، عائلتك تعرف ابني جيداً. أنا نفور به. أنت يا

آتريديزي، قد نتعرف عليه على نحو أفضل عما قريب».

«ماذا..»

«أنا أحد معلمي مدرستك يا آتريديزي. مهمتي الوحيدة هي أن أكون الشخص الذي قد ينهي حياتك. سأفعل ذلك بكل سرور. في هذه المدرسة، التخرج يعني أن تواصل العيش؛ الفشل يعني أن تقع في قبضتي المميتة».

سمع في ذلك الصوت إصراراً لا يقبل المجادلة. انتابته رعشة. كان هذا جوم جبار بشرياً، عدواً متسلطاً يختبر حقه في الانضمام إلى جموع البشر. شعر ليتو بأن جدته متورطة في هذا، ووراءها الحشود المجهولة من البني چيسيريت. تلوى عندما وصل إلى هذه الفكرة.

قال نمري: «تعليمك يبدأ معي. ذلك عادل ومناسب لأنه يمكن أن ينتهي بي. أصغ إليّ بعناية الآن. كل كلمة من كلماتي تحمل في طياتها حياتك. كل شيء عني يحمل في ثناياه موتك».

نظر ليتو حوله في الغرفة: جدران صخرية قاحلة، لا شيء سوى هذه الأريكة، وكرات الإنارة الخافتة، وممر مظلم خلف نمري.

قال نمري: «لن تتجاوزني». وصدق ليتو.

سأل ليتو: «لماذا تفعل هذا؟»

«أوضحت ذلك بالفعل. فكر في أي خطط تدور في

رأسك! أنت هنا، ولا تستطيع أن تخطط لمستقبلك في وضعك الحالي. الحاضر والمستقبل لا يتلاقيان. لكن إن كنت تعرف ماضيك جيداً، إن نظرت إلى ماضيك، ورأيت من أين أتيت، فربما تجد سبباً آخر. وإلا، فسيكون موتك».

لاحظ ليتو أن لهجة نمري لم تكن قاسية، لكنها كانت حازمة وتخفي الموت في ثناياها.

تراجع نمري إلى الورا على كعبيه، محدقاً إلى السقف الصخري: «قديمًا كان الفرمن ينظرون إلى الشرق عند الفجر. إيوس، كما تعرف؟ تعني الكلمة «الفجر» في إحدى اللغات القديمة».

قال ليتو، بفخر مرير: «أنا أتكلم تلك اللغة».

قال نمري: «لم تستمع إليّ إذن»، حمل صوته نبرة وعيد. «كان الليل ميقات الفوضى، والنهار وقت النظام. هكذا كان الأمر في زمن تلك اللغة التي تقول إنك تتحدث بها: الظلام-فوضى، والضوء-نظام. نحن الفرمن غيرنا ذلك. كان إيوس الضوء الذي لم نثق به. فضلنا ضوء القمر أو النجوم. كان الضوء منظمًا أكثر من اللزوم، ويمكن أن يكون ذلك قاتلاً. هل ترى ما فعلته يا آترديدز- إيوس؟ الإنسان مخلوق فقط من ذلك النور الذي يحميه. كانت الشمس عدونا على كثيب». وضع نمري نظرتة في مستوى ليتو. «أي ضوء تفضله يا آترديدز؟»

من خلال سلوك نمري الرصين، شعر ليتو أن هذا السؤال يحمل معنى عميقاً. هل سيقته نمري إذا أخطأ في الإجابة؟ ربما. لاحظ ليتو يد نمري تستريح بهدوء بجوار المقبض المصقول لسكين عاجية تزينها حلقة لامعة على شكل سلحفاة سحرية.

رفع ليتو جسمه مستنداً إلى مرفقيه، وتأمل في معتقدات الفرمن. كانوا شعباً يحبون القانون، ويستمتعون بسماع دروسه المبنية على المقاييس والمثل. هؤلاء هم الفرمن القدامى. ماذا عن ضوء القمر؟

نظر ليتو إلى نمري، وهو يبحث عن أي دليل على نيّاته، وقال: «أفضل.. ضوء لسان الحق*». بدا نمري محبطاً، لكن يده ابتعدت عن السكين. تابع ليتو: «هو النور الذي يكشف الحقيقة، نور الرجل الكامل الذي يظهر فيه بوضوح تأثير المتكلم*». أليس جديراً بأن يكون الضوء المفضل للإنسان؟»

قال نمري: «أنت تتحدث كمن يلقي خطاباً، وليس كمن يؤمن بما يقول».

فكر ليتو: نعم، أنا ألقى خطاباً. لكنه شعر بانحراف نمري عن المسار الصحيح، وكيف أنه يصفني كلامه بلعبة الأحاجي التي تعلمها منذ طفولته. استخدمت آلاف الأحاجي في تدريب الفرمن على التفكير السريع والذكي. وكان على ليتو أن يركز على هذه العادة ليجد أمثلة تملأ

عقله. «التحدي: الصمت؟ الجواب: صديق المطارد».

أوما نمري برأسه كأنه يتفق معه في هذه الفكرة، وقال: «هناك كهف هو كهف الحياة بالنسبة إلى الفرمن. إنه كهف حقيقي أخفته الصحراء. أغلقه الشي هولود، الأب الروحي لجميع الفرمن. حكى لي عمي زياماد عنه، وهو لم يكذب علي يوماً. هذا الكهف موجود بالفعل».

سكت نمري في تحدٍ بعد أن أنهى كلامه، وترقب رد فعل ليتو. كهف الحياة؟ قال ليتو: «أخبرني عمي ستيلجار أيضاً عن هذا الكهف. وقال لي أنه أُغلق لمنع الجبناء من الاختباء فيه».

انعكس ضوء كرة إنارة متوهجة في عيني نمري المظلمتين. سأل: «هل ستفتح يا آترديز ذلك الكهف؟ هل تريد أن تسيطر على الحياة بواسطة وزارتك: الوزارة المركزية للمعلومات والأوقاف والحج؟ هل تعرف أن مولانا* الذي يديرها يدعى كوثر*؟ لقد ترقى كثيراً منذ كان يعيش مع عائلته التي عملت في مناجم الملح في نيازي. قل لي، يا آترديز، ما الذي يعيب وزارتك؟»

استوعب ليتو أنه بات منخرطاً في لعبة الأحاجي مع نمري، وأن الثمن هو حياته. شعر بتهديد نمري الذي يمسك سكينه العاجية ويستعد لاستخدامها إذا أخطأ في الإجابة. قال نمري، ملاحظاً فهم ليتو للوضع: «صدقني يا آترديز، أنا كسار الحجارة. أنا المطرقة الحديدية».

الآن فهم ليتو. رأى نمري نفسه على أنه مرزبة*، المطرقة الحديدية التي يضرب بها الموتى الذين لا يستطيعون الرد بشكل مرضٍ على الأسئلة التي يجب أن يجيبوا عنها قبل الدخول إلى الجنة.

ما انخطأ في الوزارة المركزية التي أنشأتها عالية وكهنتها؟

تذكر ليتو سبب قدومه إلى الصحراء، وأمله في أن يجد الصراط الذهبي الذي ينقذ البشرية. لم يكن دافع نمري فيما أشار إليه في سؤاله أكبر من دافعه في البحث عن الحقيقة التي دفعته إلى الصحراء.

قال ليتو: «على الله قصد السبيل».

ارتد ذقن نمري إلى الأسفل، وهدق بحدة إلى ليتو. سأل: «أمن الممكن أن يكون صحيحاً أنك تصدق هذا؟»

قال ليتو: «هذا سبب وجودي هنا».

«حتى تجد الطريق؟»

«لأجدها لنفسي». وضع ليتو قدميه على حافة السرير الضيق. شعر ببرودة الأرضية الصخرية التي لم تغطها أي سجادة، وأكمل: «أنشأ الكهنة وزارتهم لإخفاء الطريق».

قال نمري: «أنت تتحدث مثل متمرّد حقيقي»، ومسح إصبعه على خاتمه الذي يحمل شكل سلحفاة. «سوف نرى. استمع بعناية مرة أخرى. هل تعرف الجدار الحامي العالي في جلال الدين*؟ هذا الجدار يحمل علامات عائلتي التي

نُقِشَتْ هناك منذ العصور الأولى. رأى ابني جافيد تلك العلامات. شاهدها أيضاً عبيدي جلال* ابن أخي. رأى أيضاً علاماتنا مجاهد شفقات* من القبائل الأخرى. في موسم العواصف قرب سُكَّار، ذهبت مع صديقي يعقوب آباد إلى ذلك المكان. كانت الرياح شديدة الحرارة مثل الزوابع التي تعلمنا منها رقصاتنا. لم تسنح لنا الفرصة لمشاهدة العلامات لأن عاصفة أغلقت الطريق. ولكن عندما مرت العاصفة رأينا رؤية ثاتا على الرمال المتطايرة. كان وجه شاكر علي* هناك للحظة ينظر إلى مدينته من القبور. تلاشت الرؤية في لحظة، لكننا جميعاً رأيناها. أخبرني يا آترديز أين تقع مدينة القبور؟»

فكر ليتو: الزوابع التي تعلمنا منها رقصاتنا. رؤية ثاتا وشاكر علي. هذه كلمات رحالة زَنْسِيّ، من الذين يرون أنفسهم الرجال الحقيقيين في الصحراء.

كان محظوراً على الفرمن امتلاك القبور.

قال ليتو: «تقع مدينة القبور في نهاية المسار الذي يسلكه الرجال جميعاً». ثم راح يردد المزامير الزَنْسِيَّة: «تقع في حديقة مساحتها ألف خطوة مربعة. فيها مدخل نفخ طوله مئتان وثلاث وثلاثون خطوة، وعرضه مئة خطوة وكلها مرصوفة بالرخام من جايبور القديمة. فيها يسكن الرزاق*، الذي يقدم الطعام لكل من يطلب. وفي يوم الحساب، كل من وقف وبحث عن مدينة القبور، لن يجدها. لأنه مكتوب: ما تعرفه في عالم، لن تجده في آخر.»

قال نمري بسخرية: «مرة أخرى تتحدث كمن لا يؤمن بما يقول. لكنني سأقبل ذلك الآن لأنني أعتقد أنك تعرف سبب وجودك هنا». ابتسم ابتسامة باردة، وأكمل: «أنا أهبك حياتك مؤقتاً يا آتريديز».

نظر ليتو إلى الرجل بحذر. هل كان هذا سؤالاً آخر مقنعاً؟

قال نمري: «جيد! انتهى إعداد وعيك. وغرستُ الأشواك في منزلك. شيء آخر، إذن. هل سمعت أنهم لا يزالون يستخدمون بذلات التقطير المقلدة في مدن كدريش البعيدة؟»

بينما ينتظر نمري، حاول ليتو أن يجد في ذهنه معنى خفياً لكلامه. بذلات تقليد مقلدة؟ ارتديت في كواكب عديدة. قال: «عادات كدريش المبهرجة قصة قديمة تتكرر كثيراً. يندمج الحيوان الحكيم في بيئته المحيطة».

أوماً نمري برأسه ببطء. ثم قال: «الشخص الذي أوقعك في المصيدة، وأحضرك إلى هنا سوف يراك الآن. لا تحاول الفرار من هذا المكان. سيكون ذلك نهايتك». نهض نمري وهو يتحدث، وخرج إلى الممر المظلم.

لمدة طويلة بعد رحيله، حذق ليتو إلى الممر. كان يسمع الأصوات الآتية من هنالك، الأصوات الخافتة لرجال الحراسة. بقيت قصة نمري عن الرؤية-السراب في ذهن ليتو. استرجع في ذهنه عبور الصحراء الطويل إلى

هذا المكان. لم يعد يهم إن كان هذا المكان هو فونداك/
چاكوروتو. لم يكن نمري مُهْرَبًا. كان شيئًا أقوى. واللعبة
التي مارسها نمري تفوح منها رائحة الليدي چيسيكا. رائحة
البنّي چيسيريت. شعر لیتو بوجود خطر محقق عندما أدرك
ذلك. لكن ذلك الممر المظلم حيث اختفى نمري كان
المخرج الوحيد من هذه الغرفة. وفي الخارج كان يوجد
سیتش غريب، ومن ورائه امتدت الصحراء. بدت
الصرامة القاسية لتلك الصحراء والفوضى المنظمة للسراب
والكثبان الرملية التي لا نهاية لها لیتو جزءًا من الفخ الذي
وقع فيه. يمكنه إعادة عبور تلك الرمال، لكن إلى أين
ستأخذه الرحلة؟ كانت الفكرة مثل مياه راكدة. لن تروي
ظمأه.

يركز الناس النمطيون في تفكيرهم على اللحظة الراهنة دون اعتبار للماضي والمستقبل، لذا يميلون إلى تنظيم أفكارهم وأفعالهم في خطوات متسلسلة يجب إكمالها بترتيب معين، ويستخدمون اللغة والكلمات لوصف الواقع دون طرائق التفكير الأخرى كالتخيل. يحد هذا الفخ العقلي من قدرتهم على رؤية نتائج أفعالهم وعواقبها على المدى الطويل في المستقبل، لذا يتفاجئون بالأزمات التي يتعرضون لها دون أن يكونوا قد خططوا للتعامل معها.

- سجل أعمال أراكس (لييت كاينز)

ذُكرت چيسیکا نفسها: الكلمات والحركات متزامنة، وشحذت أفكارها استعداداً للقاء القادم.

كانت الساعة بعد الإفطار بوقت قصير، وشمس سالوسا سوكانداس الذهبية قد بدأت للتو تلامس الجدار البعيد للحديقة المسورة التي تطل عليها نافذتها. ارتدت ملابسها بعناية: عباءة سوداء بقلنسوة رأس تليق بألم موقرة، وشعار آل آترديدز الذهبي المطرز على العباءة في دائرة حول الحاشية وعند نهاية كل كم. رتبت چيسیکا ثنية ثوبها بعناية وهي تدير ظهرها إلى النافذة، مُبقية ذراعها اليسرى فوق خصرها لإبراز رسمة الصقر على الشارة.

لاحظ فارادين شعار آترديدز، وعلق عليه عند دخوله دون أن يبدي أي غيظ أو دهشة. لاحظت سخرية خفية في صوته وتعجبت منها. رأت أنه كان يرتدي

الذي الرمادي الضيق الذي اقترحته. جلس على الديوان الأخضر المنخفض الذي وجهته إليه مسترخياً، ذراعه اليمنى فوق ظهره.

تساءل: لماذا أتق بها؟ هذه ساحرة بني چيسيرتية!

ابتسمت چيسیکا وهي تقرأ الفكرة في التناقض بين جسده المسترخي والتعبير على وجهه وقالت: «أنت تثق بي لأنك تعلم أن صفقتنا جيدة، وتريد ما يمكنني أن أعلمك إياه».

رأت انقباضة عبوس على جبينه، ولوحت بيدها اليسرى لتهدئته: «حسناً، أنا لا أقرأ العقول. أقرأ الوجه والجسد، والسلوكيات، ونبرة الصوت، والذراعين. يمكن لأي شخص فعل ذلك بمجرد تعلم نهج البني چيسيرت».

«وسوف تعلميني؟»

قالت: «أنا متأكدة من أنك درست التقارير عنا. هل يوجد أي تقرير عن خيانتنا لوعد صريح؟»

«لا توجد تقارير، ولكن..»

«نحيا بالثقة الكاملة التي يمنحها الناس صدقنا. وهذا لم يتبدل».

قال: «أجد هذا معقولاً. أنا متحمس للبدء».

قالت: «أنا متعجبة لأنك لم تطلب سابقاً معلومة من البني چيسيرت. كن سيغتمن الفرصة على الفور حتى تكون

مدِيناً لهن مستقبلًا».

قال: «أمي لم تصبغ إليّ قط عندما طلبت منها أن تفعل ذلك. لكن الآن..» هز كتفيه، معبراً عن رفض وينسيشيا. «هل نبدأ؟»

قالت چيسيكاً: «كان من الأفضل أن تبدأ هذا في سن أصغر. سيكون الأمر أصعب عليك الآن وسيستغرق وقتاً أطول بكثير. عليك أن تبدأ بتعلم الصبر، الصبر الشديد. ادعوا ألا تجده ثمناً باهظاً جداً».

«ليس مقابل المكافأة التي تعرضينها».

لمحت الصدق وضغط التوقعات والرغبة في صوته. شكّل هذا كله نقطة بداية. قالت: «فن الصبر، إذن - يبدأ ببعض تمارين الپرانا بيندو الأولية للساقين والذراعين، من أجل تنفسك. سنترك اليدين والأصابع لوقت لاحق. هل أنت جاهز؟»

جلست على كرسي مواجه له.

امثل فارادين، لكنه شعر بالحماقة. كانت هذه يديه. كان يعرفهما.

قالت چيسيكاً: «تخيل أن يديك تشيخان. يجب أن تشيخا في عينيك. وتصبحان عجوزتين جداً. لاحظ مدى جفاف الجلد..»

قال: «يدي لا تتغيران». كان يشعر بالفعل بارتجاف

عضلات ذراعيه.

«استمر في التحديق إلى يديك. تخيلهما عجوزتين بقدر ما تستطيع. قد يستغرق الأمر بعض الوقت. لكن عندما تراهما تشيخان، اعكس العملية. اجعل يديك شابتين مرة أخرى - احرص على نقلهما من الطفولة إلى أربل العمر حسب الرغبة، ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً».

احتج، وهو يشعر بألم في كتفيه: «لا تتغيران!»

قالت: «إن طلبت ذلك من حواسك، ستتغير يداك. ركز على تخيل سيرورة الزمن الذي تنشده: من الطفولة إلى الشيخوخة، ومن الشيخوخة إلى الطفولة. قد يستغرق الأمر ساعات أو أياماً أو شهوراً. لكن يمكن تحقيقه. سيعلمك عكس التغيير هذا كيف تنظر إلى كل نظام كأنه في حالة توازن نسبي.. نسبي فحسب».

«اعتقدت أنني أتعلم الصبر». شعرت بالغضب يملأ صوته والإحباط يسيطر عليه.

قالت: «والتوازن النسبي. هذه الرؤية التي تبنيها بإيمانك الخاص، يمكن للخيال التلاعب بالمعتقدات. لقد تعلمت طريقة محدودة لرؤية العالم. الآن عليك أن تصنع العالم بما يناسبك. هذا سيمكنك من استغلال أي توازن نسبي لمصلحتك الخاصة، لخدمة أي غايات تستطيع أن تتخيلها».

«كم من الوقت قلت إن الأمر يستغرق؟»

ذكرته: «صبراً».

ابتسم ابتسامة عفوية. ارتبكت عيناه وهو ينظر نحوها.

احتدت: «انظر إلى يديك!»

اختفت الابتسامة. عادت نظرتة إلى يديه الممدودتين
بثبات.

سأل: «ماذا أفعل عندما تتعب ذراعاي؟»

قالت: «توقف عن الكلام وركز. لو أصبحت متعباً جداً،
توقف. ثم استأنف ذلك بعد دقائق قليلة من الاسترخاء
والتمرين. يجب المواظبة على هذا حتى تنجح. في مرحلتك
الحالية، هذا أهم ما قد تدركه. أتقن هذا الدرس وإلا فلن
تأتي الدروس الأخرى».

استنشق فارادين نفساً عميقاً، وعض على شفتيه، وهدق
في يديه. أدارهما ببطء: ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً.. كانت
كتفاه ترتعدان من التعب. ذهاباً، وإياباً.. لم يتغير شيء..

نهضت چيسيكاً، وتوجهت إلى الباب الوحيد.

قال دون أن يرفع انتباهه عن يديه: «إلى أين تذهبين؟»

«سيكون أداؤك أفضل إذا كنت وحدك. سأعود بعد

ساعة تقريباً. اصبر».

«أعرف!»

تأملته لحظة. كم بدا عازماً. تذكرت ابنها المفقود بشكل

مفاجئ وضاق صدرها. تنهدت، وقالت: «عندما أعود سأعطيك تمارين لاسترخاء عضلاتك. أعط الأمر فرصة. ستدهش مما تستطيع أن تفعله بجسدك وحواسك»

خرجت.

ابتعد الحراس المنتشرون في كل مكان عنها بثلاث خطوات وهي تمشي في الممر. كان خوفهم ورهبتهم واضحين. كانوا ساردو كاراً، حذروا مراراً من براعتها، وتربوا على قصص هزيمتهم على يد فرمن أراكس. كانت هذه الساحرة أم موقرة فرمنية، وبني چيسيرت، وآتريديزية.

نظرت چيسيكاً إلى الورااء فرأت وجوههم الصارمة، كان ذلك دليلاً على تقدم خطتها حسب رغبتها. استدارت بعيداً حين وصلت إلى الدرج، هبطته وعبرت ممراً قصيراً إلى الحديقة أسفل نوافذها.

فكرت وهي تشعر بحصى المشى تحت قدميها وترى الضوء الذهبي يرشح من خلال الخضرة: فقط لو استطاع دانكن وآيداهو إنجاز مهمتهما.

سوف نتعلم أساليب التواصل المتكاملة عندما تنجز الخطوة التالية في تعليمك العقلي. هذه وظيفة غشائية (شكلية) ستراكب فوق مسارات البيانات في وعيك، وتحل التعقيدات وكل المدخلات من تقنيات فهرس المنتجات التي أتقنتها بالفعل. ستكون مشكلتك الأولية التوترات العاجلة الناشئة عن التجميع المتباين للتفاصيل الدقيقة/البيانات عن مواضيع متخصصة. كن حذرًا. من دون التكامل المتراكب للمنتات، يمكنك الانغماس في مشكلة بابل، وهي التسمية التي نعطيها للأخطار واسعة الانتشار، الناجمة عن الوصول إلى توافقات وتركيبات خاطئة من معلومات دقيقة.

- دليل المنتجات.

أرسل صوت احتكاك الأقمشة ببعضها شرارات الوعي إلى ذهن ليتو. شعر بالدهشة لمدى حدة حواسه التي أتاحت له التفريق بين الأقمشة من خلال صوتها: صوت رداء فرمني ناعم يحتك بالستارة الخشنة عند باب الغرفة. استدار نحو الصوت. جاء من الممر الذي خرج منه ثمري قبل دقائق. عندما استدار ليتو، رأى خاطفه يدخل. كان الرجل نفسه الذي أسره: الشريط الجلدي الداكن ذاته فوق قناع بذلة التقطير، والعينان المتقدتان المتطابقتان. رفع الرجل يده إلى قناعه، ونزع الأنبوب من أنفه، وخفض القناع، وفي ذات الحركة، قلب غطاء رأسه للخلف. حتى قبل أن يركز على ندبة السوط السوداء على طول فك

الرجل، تعرف عليه ليتو. كان التعرف سريعاً في ذهنه ثم جاء التأكد من التفاصيل لاحقاً. لا شك في ذلك، هذه الكفة البشرية الضخمة، هذا المحارب-الشاعر، كان جيرني هاليك!

ضغط ليتو على قبضتيه بقوة، وشعر بصدمة التعرف عليه. لم يكن لديه خادم أوفى من جيرني هاليك. ولم يكن أحد أكثر مهارة في قتال دروع الطاقة منه. كان صديق پول ومعلمه الموثوق به.

وكان خادم الليدي چيسیکا.

تبادرت إلى ذهن ليتو هذه الحقائق وغيرها؛ كان جيرني خاطفه. جيرني ونمري شريكان في هذه المؤامرة. وكانت چيسیکا متورطة فيها معهما.

قال هاليك: «أنت تعرف رجلي، نمري. صدقه يا سيدي الصغير. لديه مهمة واحدة فقط. هو الوحيد الذي يستطيع قتلك إذا اقتضت الضرورة».

رد ليتو تلقائياً بنبرة والده: «إذن انضممت إلى أعدائي يا جيرني! لم أتوقع قط...».

قال هاليك: «لا تحاول أن تخدعني بأي من حيلك الشيطانية، من فضلك. أنا محصن ضدها جميعاً. أنا أطيع أوامر جدتك، هي التي خططت لتعليمك بأدق التفاصيل، وهي التي وافقت على اختياري نمري ليكون معي، ما سيحدث بعد ذلك، مهما كان مؤلماً، هو بأمرها».

«وبماذا تأمر؟»

أخرج هاليك يده من ثنايا رداثه، وأظهر حاقناً فرمياً بدائياً، ولكنه فعال. امتلأ أنبوب الحاقن الشفاف بسائل أزرق.

تراجع ليتو إلى الخلف على السرير الضيق حتى اصطدم بالجدار الصخري. وبينما كان يتحرك، دخل نمري، ووقف بجانب هاليك، وهو يمسك سكينه العاجية، سد الاثنان المخرج الوحيد.

قال هاليك: «أرى أنك تعرفت على خلاصة الاسپايس. عليك أن تخوض رحلة الدودة. يجب أن تنجو منها. وإلا فإن ما تجرأ والدك عليه ولا تجرؤ عليه أنت سيظل يطاردك بقية أيامك».

هز ليتو رأسه بصمت. عرف هو وغنيمة أن خلاصة الاسپايس الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقضي عليهما. كان جيرني مجنوناً أحمق! كيف يمكن لچيسیکا.. شعر ليتو بحضور أبيه في ذاكرته. اندفع إلى ذهنه محاولاً تجريده من دفاعاته. أراد ليتو أن يصرخ بغضب، لكن لم يستطع تحريك شفثيه. كان هذا الشيء الصامت الذي يخاف منه وعيه الذي استيقظ ما قبل ولادته. كانت هذه نشوة الاستبصار، رؤية للمستقبل الثابت بكل حتميته وأهواله. بالتأكيد لا يمكن أن تأمر چيسیکا بإخضاع حفيدها لمثل هذا الاختبار العسير. لكن صورتها ظهرت في عقله،

وملأته بأسباب القبول. حتى تعويذة مواجهة الخوف
فرضت نفسها عليه بصوت متكرر: «يجب ألا أخاف.
الخوف قاتل. الخوف ميتةٌ صغيرةٌ تُهلك قبل الأوان.
سأواجه خوفي. سأسمح له بتجاوزي والمرور من خلالي.
وحين يمر.»

أطلق ليتو لعنة قديمة معروفة منذ عهد الدولة الكلدانية،
وحاول التحرك والانقضاض على الرجلين اللذين كانا
يقفان فوقه، لكن عضلاته رفضت الانصياع. كأنه دخل
بالفعل في النشوة، رأى ليتو يد هاليك تتحرك، الحاقن
يقترّب. تألق ضوء كرة الإنارة داخل السائل الأزرق.
لامس الحاقن ذراع ليتو اليسرى. سرى الألم خلاله إلى
أعلى وصولاً إلى عضلات رأسه.

فجأة رأى ليتو امرأة شابة تجلس خارج كوخ بدائي في
ضوء الفجر. كانت تجلس أمامه مباشرة، وهي تتخصّص
حجوب البن حتى تصبح بنية وردية، وتضيف إليها الهيل
والمزاج. دوى صوت ربابة من مكان ما خلفه. تردد
صدى الموسيقى حتى دخلت رأسه، وواصلت تردددها.
غمرت جسده ف شعر أنه صار ضخماً، ضخماً جداً، وليس
طفلاً على الإطلاق. وجلده لم يكن جلده. كان يعرف
هذا الإحساس! جلده لم يكن جلده. انتشر الدفء في
جسده. فجأة مثلها حدث في رؤيته الأولى، وجد نفسه
واقفاً في الظلام. كان الوقت ليلاً. نجوم مثل مطر من
الجر سقطت في هبات من فضاء متألئ.

على الرغم من أنه كان يدرك أنه لا مفر من مصيره، لكنه حاول مقاومته حتى سمع صوت أبيه في رأسه: «سأحميك في النشوة. لن يسيطر عليك الآخرون داخلك».

أسقطت الريح ليتو أرضاً، ودحرجته. أطلقت صفيراً، وصبت الغبار والرمل فوقه، ومزقت ذراعيه ووجهه، وشقت ملابسه، وجلدته أطراف القماش الممزقة التي لم تعد ذات نفع. لكنه لم يشعر بأي ألم، ورأى الجروح تلتئم بالسرعة التي ظهرت بها. واصل تدحرجه مع الريح. وجلده لم يكن من جلده.

فكر: سوف يحدث.

لكن الفكرة كانت بعيدة وجاءت إليه كأنها ليست تابعة منه، ليست منه حقاً؛ كما أن جلده ليس جلده.

امتلاً بالرؤية. تحولت إلى ذاكرة مجسمة تفصل بين الماضي والحاضر، والمستقبل والحاضر، والمستقبل والماضي. اندمج كل فاصل زمني في رؤية ثلاثية الأبعاد شعر بها كخريطة مجسمة لوجوده المستقبلي.

فكر: الزمن مقياس للفضاء، تماماً كما أن المسافة مقياس للفضاء، لكن القياس يجلسنا في حيز المكان الذي نقيسه.

شعر بالنشوة تتعمق. ظهرت في صورة تضخيم للوعي الداخلي الذي امتزجت به هويته الذاتية وشعر من خلالها أنه يتغير. كان يعيش الزمن، ولكنه لم يستطع القبض على لحظة منه. غمرته شظايا الذاكرة، شاهد المستقبل والماضي

كأنه فيلم متحرك. رقصت الأزمنة معاً بانسجام مستمر. كانت ذاكرته عبارة عن عدسة، كشاف ضوء يلتقط شظايا الذاكرة ويعزلها، لكنه فشل دائماً في إيقاف الحركة والتغيير المتواصلين المتدفقين داخل مجال رؤيته.

تجلى ما خطط له هو وغنيمة من خلال كشاف الضوء ذلك، وطغى على كل شيء، لكن الآن أرعبته تلك اللحظة. رؤية واقع الرؤية آلمته، انكمش من فرط الرعب لإدراكه حتميتها الأكيدة.

وجلده لم يكن جلده! تداخل الماضي والحاضر داخله، وتجاوزا حواجز خوفه. لم يستطع فصلهما. وفي لحظة ما وجد نفسه يشارك في جهاد بطري ضد الآلات، مصمماً على تدمير أي آلة تحاكي الإدراك البشري. ومع أن ذلك الجهاد مضى وانتهى، فقد انغمس في التجربة، واستوعب أدق التفاصيل. سمع زعيماً دينياً يخطب على منبر:

«يجب أن نقضي على الآلات المفكرة. يجب أن يضع البشر قواعدهم الخاصة، وهذا شيء لا يمكن أن نسمح للآلات بفعله. يعتمد المنطق والتفكير على المعلومات والحوارزميات التي يستخدمها المفكر وليس على الأجزاء المادية التي تعالج المعلومات، لذلك نحن البشر الأفضل في التفكير!»

سمع الصوت بوضوح، وكان يعرف محيطه: قاعة خشبية واسعة ذات نوافذ قائمة، كان الضوء الوحيد في المكان

قادمًا من ألسنة اللهب المتطائرة. قال الزعيم: «جهادنا بمثابة
«برنامج نفايات». نحن نتخلص من الأشياء التي تدمرنا نحن
البشر!»

في ذهن ليتو كان المتحدث خادماً للكمبيوترات، شخصاً
عرفها وخدمها. لكن المشهد اختفى ووقفت غنيمة أمامه
قائلة: «جيرني يعرف. أخبرني. إنها كلمات دانكن، وكان
دانكن يتحدث بصفته منبأً. عند فعل الخير، لا ينبغي
للهرء أن يتباهى، وعند فعل الأمور السيئة لا ينبغي للهرء
ان يكثر من لوم نفسه وتقريرها)»

كان هذا المشهد من مستقبه البعيد. لكنه شعر أنه
حقيقي. كان واقعياً مثل أي ذكرى من ذكريات الأرواح
التي تسكن داخله. سأل أباه: «أليس هذا صحيحاً يا أبي؟»
لكن صوت أبيه داخله تحدث بنبرة مُحذِّرة: «لا تستدع
كارثة! أنت تتعلم كيف ترى وتفهم أشياء متعددة في
وقت واحد. دون ذلك قد تتجاوز نفسك، وتفقد موقعك
في الزمن.»

وتواصلت المشاهد البارزة في مخيلته. تداخلت الأزمنة:
الماضي والحاضر-الآن، دون انفصال حقيقي بينهما. كان
يعلم أن عليه أن يتماهى مع هذه الرؤية ويقبلها، لكن ذلك
أرعبه. كيف يمكنه العودة إلى حالته الطبيعية؟ ومع ذلك
شعر بأنه مجبر على وقف كل جهد للمقاومة. لم يستطع
استيعاب عالمه الجديد بتقسيمه إلى أجزاء موسومة

وجامدة. كان كل جزء يتحرك ويتغير. لم يكن هناك شيء مستقر أو يمكن التنبؤ به. كان عليه أن يكتشف إيقاع هذا التغيير، وأن يرى بين التغييرات المتغير نفسه. دون أن يعرف من أين بدأ هذا التغيير، وجد نفسه يتحرك في خضم لحظة نشوة هائلة، قادرًا على رؤية كيف أثر الماضي في المستقبل، وكيف تشكل الحاضر من خلال الماضي، وكيف ترتبط اللحظة الراهنة بكل من الماضي والمستقبل. عايش قرونًا طويلة بين نبضة قلب وأخرى.

طاف وعي ليتو حراً، ولم يكن هناك حواجز أو منطق يقيد، شاهد «المستقبل المؤقت» الذي تكلم عنه نمري في ذهنه، لكن ضمن احتمالات مستقبلية أخرى. في هذه الرؤية القوية والصادمة شعر بأنه صار مالك كل ذكرياته وحياة كل الأرواح داخله. استعان بأفضل أسلافه الذين كانوا بداخله للتحكم في رؤيته. شعر أنه سيد تلك الأرواح. فكر ليتو: عندما تنظر إلى شيء ما من مسافة بعيدة، لا يمكنك إلا أن ترى مزيته الرئيسة أو الأساسية، وليس التفاصيل أو التعقيدات. بلغ هذه المسافة، وتمكن من رؤية حياته الآن: الحيات الماضية العديدة للأرواح بداخله. كانت هذه الذكريات عبأه، ومصدر سعادته، وما احتاج إليه. ولكن رحلة الدودة منحته بعداً جديداً من الوعي، ولم يعد بحاجة إلى إرشاد صوت والده في ذهنه. رأى ليتو الماضي والحاضر بوضوح عبر هذا البعد الجديد. وتعرف في الماضي على جده الأكبر هاروم، كان حكم جده نموذجاً

مثالاً للمستقبل البعيد الذي ينتظره.

ومن خلال هذا البعد الجديد الواضح، اكتسب ليتو مبادئ جديدة، وطرقاً جديدة للمشاركة والتفاعل مع الآخرين. وأدرك أنه مهما كانت حياته التي يختارها الآن، فإنه سيعيشها بشكل مستقل عن تجربة أسلافه الجماعية في داخله، امتداد من الأرواح، معقد لدرجة أن حياة-زمن برمته لا يكفي لإحصائها.

عند إثارتها، تمتلك هذه التجربة الجماعية، قوة تكفي لإخضاع ذاتيته. قوة يمكن أن تؤثر في فرد، أو أمة، أو مجتمع، أو حضارة برمتها. وهذا هو السبب الذي من أجله تعلم جيري أن يخشى هذه القوة. ولهذا السبب انتظر نمري بسكينه. لم يكن يمكن السماح لهما بأن يروا هذه القوة بداخله. لا أحد يستطيع أن يراها بالكامل -حتى غنيمة.

في تلك اللحظة، اعتدل ليتو في مرقد، ووجد أن نمري هو الوحيد الموجود لحراسته.

قال ليتو بصوت عتيق: «ليس هناك حدود واحدة لكل البشر. الاستبصار بكل ما يحدث في المستقبل مجرد أسطورة خالية من المعنى. لا يمكننا التنبؤ إلا بالأحداث المحلية الأكثر أهمية وتأثيراً في الزمن. ولكن في عالم فسيح لا نهاية له، حتى الأحداث المحلية يمكن أن تكون ضخمة وساحقة لدرجة أنه يصعب على ذهنك فهمها أو مواجهتها».

هز نمري رأسه بعدم فهم.

قال ليتو: «أين جيرني؟»

«ذهب لئلا يشاهدني أقتلك».

«هل ستقتلني يا نمري؟» يكاد سؤاله يكون رجاء إلى الرجل بأن يقتله.

خفف نمري من قبضته على سكينه. «بما أنك طلبت مني ذلك، فلن أحقق مرادك. إن كنت غير مبالي بعواقب أفعالك، ربما...».

قال ليتو: «داء الالامبالاة يدمر أشياء كثيرة». أوما إلى نفسه. «نعم، حتى الحضارات تموت بسببها. كأنها الثمن الذي يجب دفعه لتحقيق مستويات جديدة من التعقيد أو الوعي».

نظر إلى نمري وأكل: «إذن هل أمروك أن تبحث عن الالامبالاة في؟» ورأى أن نمري لم يكن مجرد قاتل - بل مخادعا أيضا.

قال نمري: «كعلامة على قوة غير مقيدة»، لكن كانت تلك كذبة.

«قوة عمياء، نعم». تنهد ليتو بعمق. «خلت حياة أبي من أي عظمة أخلاقية. لم يكن سوى ضحية شرك نبوءته الذي شيده لنفسه».

بول، أيها المؤدب،

مهدي كل الناس،

زفير أنفاسك

أطلق الإعصار.

- من أغاني المؤدب.

قالت غنيمة: «لن أفعل ذلك أبداً. سأقتله ليلة زفافنا». تحدثت بعناد منيع قاوم حتى تلك اللحظة كل محاولات التملق. كانت عالية ومستشاروها يحاولون إقناعها حتى انتصف الليل، مبقين الجناح الملكي في حالة من الاضطراب، وقد أرسلوا طلباً لمستشارين جدد، وطلباً للطعام والشراب. كان المعبد برمته والحصن المجاور له يغليان بالإجباط من القرارات غير المحسومة.

جلست غنيمة على كرسي طاف أخضر في جناحها، غرفة ضخمة ذات جدران داكنة خشنة تشبه صخور السيتش، ومع ذلك، كان السقف مصنوعاً من الكريستال المموج الذي كان يتلألأ بالضوء الأزرق، والأرضية من البلاط الأسود. كان الأثاث بسيطاً: منضدة صغيرة للكتابة وخمسة كراسي طافية، وسرير ضيق في كوة، على طراز الفرمن.

كانت غنيمة ترتدي رداء حداد أصفر.

قالت عالية للمرة المئة تقريباً: «أنت لست حرة لتقرري

كل شيء في حياتك».

يجب أن تدرك الحمقاء الصغيرة ذلك عاجلاً أم آجلاً!
يجب أن توافق على الخطبة من فارادين. يجب عليها!
فلتقتله لاحقاً، لكن الخطبة تتطلب موافقة صريحة من
المخطوبة الفرمنية.

قالت غنيمه متمسكة بعبارتها الوحيدة التي راحت
تكررها: «لقد قتل أخي. الكل يعرف هذا. سيصق الفرمن
عند ذكر اسمي إن وافقت على هذه الخطبة».

فكرت عالية: ولهذا يجب أن توافقي. قالت: «أمه من
قتلت أخاك. نفاها فارادين بسبب هذا. ماذا تريد من
أكثر من ذلك؟»

قالت غنيمه: «أريد دمه. إنه كورينو».

احتجت عالية قائلة: «لقد عاقب أمه. ولماذا يجب أن
تقلقي بشأن الرعاع الفرمن؟ سيقبلون كل ما نطلب منهم
قبوله. يا غنيمه، سلام الإمبراطورية يتطلب أن...».

قالت غنيمه: «لن أوافق. لا يمكنك إعلان الخطبة
دونى».

إيرولان، التي دخلت الغرفة فيما كانت غنيمه تتحدث،
نظرت باستفسار إلى عالية والمستشارتين اللتين وقفتا بجانبها
مغمومتين. رأت إيرولان عالية وهي ترفع ذراعها في حالة
من الاشمزاز وتسقط على كرسي في مواجهة غنيمه.

قالت عالية: «تحدثي أنتِ معها يا إيرولان».

سحبت إيرولان كرسيًا طافيًا، وجلست بجانب عالية.

قالت غنيمة: «أنتِ كورينو يا إيرولان. لا تجربي حظكِ

معي».

نهضت غنيمة، وعبرت إلى سريرها وجلست القرفصاء، وهي تنظر إلى النساء. لاحظت أن إيرولان ترتدي عباءة سوداء تماشى مع عباءة عالية، قلنسوة رأسها ملقاة إلى الخلف وتكشف عن شعرها الذهبي، شعر حداد تحت الوجج الأصفر لكرات الإنارة الطافية التي أضاءت الغرفة.

نظرت إيرولان إلى عالية، ثم نهضت وعبرت الغرفة لتقف في مواجهة غنيمة. «غني، سأقتله بنفسي إذا كان هذا السبيل لحل الأمور. فارادين من دمي، كما أكدت بلطف. لكن لديك واجبات أعلى بكثير من التزامك تجاه الفرمن...».

قالت غنيمة: «لا يبدو وقع ذلك أفضل، قادمًا منك مقارنة بعمتي الغالية. دم الأخ لا ينسى. هذا أكثر من مجرد مثل فرمني صغير».

ضغطت إيرولان شفيتها معًا. ثم قالت: «فارادين يحتاج جدتك رهينة. ويحتاج دانكن، وإن لم نفعل ذلك...».

قالت غنيمة وهي تحديق من فوق إيرولان إلى عالية: «لست مقتنعة بقصصك عن كيفية حدوث ذلك. ذات

مرة فضل دانكن الموت على ترك الأعداء يقتلون والدي.
ربما لم يعد هذا الجسد-الغولة الجديد كما كان...».

قالت عالية وهي تستدير في كرسيها: «دانكن مكلف
بجماية جدتك! أنا واثقة أنه فعل ما يجب عليه». وفكرت:
دانكن! دانكن! لم يكن من المفترض أن تفعل ذلك بهذه
الطريقة.

حدقت غنيمة إلى عمّتها، وقرأت نغمات المؤامرة الخفية
في صوتها. قالت: «أنت تكذّبين يا رحم الجنة. سمعت عن
شجاركِ مع جدتي. ما الذي تخشين إخبارنا به عنها وعن
زوجك الغالي دانكن».

قالت عالية: «لقد سمعتِ كل شيء»، لكنها شعرت
بطعنة خوف من هذا الاتهام المجرد، وما يعنيه. أدركت
أن الإرهاق جعلها مستهترة. نهضت، وقالت: «كل ما
أعرفه، أنت تعرفينه». ثم استدارت إلى إيرولان: «اقنعيا.
يجب أن تُصبح...».

أطلقت غنيمة شتيمة فرمينة بذيئة قطعت كلام
إيرولان. كان صادماً أن تخرج من فم فتاة لم تبلغ بعده.
في الصمت الذي تلاها، قالت غنيمة: «أنت تظنين أنني
طفلة لا تعرف شيئاً، أنك تستطيعين إقناعي بمرور الوقت،
أنني سأنصاع لإرادتك في النهاية. أعيدي التفكير يا وصية
السماء. أنت تدركين أكثر من أي شخص آخر، السنوات
التي أحملها في داخلي. سأسمع كلامهم، ولكن لن أسمع

كلامك».

بالكاد كبحت عالية نفسها عن الرد بغضب ونظرت إلى غنيمة بعينين حادتين. سُنة؟ من تظن نفسها هذه الفتاة؟ شعرت عالية بخوف جديد من غنيمة ينمو في داخلها. هل وافقت على عقد تسوية مع الأرواح التي أتت إليها ما قبل الولادة؟

قالت عالية: «لديك الوقت الكافي لتدركي الحقيقة».

قالت غنيمة: «ربما يكون لدي وقت كافٍ لأرى دماء فارادين تنهمر من سكينتي. اعلمي ذلك جيداً.. إن تركت معه وحدي، فسيموت أحدنا بالتأكيد».

سألت إيرولان: «هل تعتقدين أنك أحببت أخاك أكثر مني؟ تلعبين لعبة غبية! كنت أمًّا له كما كنت لك. كنت...».

قالت غنيمة: «لم تعرفيه قط. أنتم جميعاً باستثناء عمتي العزيزة في بعض الأحيان، تعاملوننا كأطفال. أنتم الحمقى! عالية تعلم! انظري إليها وهي تهرب من...».

قالت عالية: «أنا لا أهرب من شيء»، ولكنها أدارت ظهرها لإيرولان وغنيمة، ونظرت إلى المستشارتين الأمازونيتين اللتين تظاهرتا بأنهما لا يسمعان هذا الجدل. كان من الواضح أنهما فقدتا الأمل في غنيمة. وربما شعرتا بالتعاطف معها. طردتهما عالية من الغرفة بغیظ. كان الارتياح واضحاً على وجهيهما وهما تنفذان أمرها.

أصرت غنيمة: «أنت تهربين».

قالت عالية وهي تنظر إلى غنيمة الجالسة القرفصاء على السرير الضيق: «اخترت أسلوب حياة يناسبني». أمن الممكن أن تكون قد عقدت تلك التسوية الرهيبة مع الأرواح داخلها؟ حاولت عالية قراءة ملامح غنيمة، لكنها لم تجد أي دليل على أنها تغدر بها. ثم تساءلت عالية: هل تراه داخلي؟ لكن كيف يمكنها ذلك؟

قالت غنيمة بصوت متهم: «خفت أن تكوني بوابة للأرواح التي تسكنك. لكننا نحن الواعين ما قبل الولادة نعلم ذلك. ستكونين بوابتهم، سواء أردت أم لا. لا يمكنك نفهم».

وفكرت غنيمة: نعم أعرفك - سُنة. وربما سأسلك الطريق نفسه الذي سلكته، لكن في الوقت الحالي لا يمكنني إلا أن أشفق عليك وأحتقرك.

ساد الصمت بين غنيمة وعالية، صمت كثيف أيقظ تدريب النبي چيسيريت داخل إيرولان. نظرت إليهما بالتناوب، ثم قالت: «لماذا سكتما فجأة؟»

قالت عالية: «تبادرت إلى ذهني فكرة تحتاج إلى تفكير عميق».

قالت غنيمة ساخرة: «فكري على مهلك يا عمتي العزيزة».

قالت عالية وهي تمخد الغضب الذي أبجه الإرهاق

بداخلها: «كفى الآن! اتركها تفكر. ربما تعود إلى
رشدتها».

نهضت إيرولان، وقالت: «يكاد يطلع الفجر على أي
حال. غني، قبل أن نرحل، هل تهتمين بسماع آخر رسالة
من فارادين؟ إنه...».

قالت غنيمه: «لن أستمع إليها. ومن الآن فصاعدًا، توقفي
عن مناداتي بهذا التصغير السخيف. غني! إنه يدعم فقط
الاقتراض الخاطيء بأني طفلة يمكنك...».

سألها إيرولان، مكررة سؤالها السابق، لكنها قالت
مستخدمة نمطًا دقيقًا من الصوت؛ أسلوب النبي چيسيريت
في التأثير في الآخرين بصوتهم: «لماذا سكتما أنت وعالية
بجأة؟»

ألقت غنيمه رأسها إلى الوراء ضاحكة. «إيرولان! هل
تحاولين استخدام الصوت للتأثير في؟»

صدمت إيرولان: «ماذا؟»

قالت غنيمه: «أنت تعلمين جدتك مصّ البيض (28)».

«أنا ماذا؟»

«حقيقة أنني أتذكر هذا المثل وأنت لم تسمعي به قط،
يجب أن يجعلك نتوقفين وتفكرين بجديّة. كان مثلاً
قديمًا يشي بالازدراء عندما كنتن أيتها النبي چيسيريت
صغيرات. لكن إن لم يكن هذا كافيًا لتهديبك، فاسألي

نفسك: ماذا كان يفكر فيه والداك الملكيان عندما أطلقا عليك اسم إيرولان! ألا يعني اسمك خراباً (29)؟»

رغم تدرّيبها، تورد وجه إيرولان. «أنت تحاولين استفزازي يا غنيمة».

«وأنتِ حاولتِ التأثير فيّ بالصوت! أتذكر الجهود البشرية الأولى في هذا المجال. أتذكر ذلك الزمان، يا إيرولان المخربة! الآن، اخرجن من هنا، جميعكن».

لكن عالية كانت مبهورة الآن، وقد خطر لها اقتراح أزاح تعبها جانباً. قالت: «ربما لدي اقتراح قد يغير رأيك يا غني».

«غني مرة أخرى!» أفلتت ضحكة متكلفة من غنيمة، ثم قالت: «فكري لحظة: إذا كنتُ أرغب في قتل فارادين، فلن أحتاج إلى سوى اتباع خططك. أقترض أنك فكرت في ذلك. احذري من غني عندما تكون في مزاج وديع. كما ترين، أنا صريحة تماماً معك».

قالت عالية: «هذا ما كنت أتمناه. إن أنت..».

قالت غنيمة: «دماء الأخ لا تُمحي. لن أصبح أمام أحبائي الفِرمِن خائفة له. لا غفران أبداً ولا نسيان. أليست هذه تعاليمنا الدينية؟ إنني أحذرك هنا، وسأقولها علناً: لا، لا يمكنكِ خطبتي إلى فارادين. من سيصدق ذلك ممن يعرفني؟ فارادين نفسه لن يستطع تصديق ذلك. عند سماع هذه الخطبة، سيضحك الفِرمِن في سرهم، ويقولون:

(انظروا! تستدرجه إلى فخ). إن كنتِ...».

قالت عالية وهي تتحرك إلى جانب إيرولان: «أفهم ذلك». لاحظت أن إيرولان المصدومة تقف في صمت، مدركة بالفعل إلى أين تتجه هذه المحادثة.

قالت غنيمة: «سوف أستدرجه إلى الفخ فعلاً. إن كان هذا ما تريدينه، فسأوافق، لكنه قد لا يسقط فيه. إن كنت ترغبن في أن تكون هذه الخطبة الزائفة بمثابة عملة عديمة القيمة لشراء عودة جدتي وزوجك أيدهو الغالي، فليكن ذلك. لكنها مسؤوليتك. اشترى رجوعهما. لكن سأقتل فارادين مهما حدث».

استدارت إيرولان حتى تواجه عالية قبل أن تتمكن من الكلام. «عالية! إن نقضنا عهدنا..» توقفت عند هذه النقطة للحظة فيما كانت عالية تفكر مبتسمة في الغضب المحتمل بين العائلات الكبرى في مجمع نظام فارفلوشس، والعواقب الهدامة لفقدان الإيمان بشرف آل آتريديز، وتزعزع الثقة الدينية فيهم، وكل الأسس الكبيرة والصغيرة التي ستنتهكها.

احتجت إيرولان قائلة: «سيضرنا ذلك. كل إيمان بنبوة پول سيتدمر.. إنها.. الإمبراطورية..».

سألت عالية بصوت هادئ: «من يجرؤ على مساءلة حقنا في تقرير ما انخطأ وما الصواب؟ نحن نحكم بين الخير والشر. أحتاج فقط إلى أن أعلن..».

احتجت إيرولان: «لا يمكنك فعل هذا! ذكرى پول..»
قالت غنيمه: «ذكراه ليست إلا أداة أخرى في يد
الكنيسة والدولة. لا تتحدثي بحماقة، يا إيرولان». لمست
غنيمه السكين العاجية على خصرها، ونظرت إلى عالية.
«لقد أخطأت في الحكم على عمتي الذكية، الوصية على
كل ما هو مقدس في إمبراطورية المؤدب. لقد أخطأت
بالفعل في الحكم عليك. استدرجي فارادين إلى حجرة
استقبالنا إن أردت».

توسلت إيرولان قائلة: «هذا تهور».

سألت عالية متجاهلة إيرولان: «هل توافقين على هذه
الخطبة يا غنيمه؟»

قالت غنيمه، ويدها لا تزال على سكينها: «بشروطي».
قالت إيرولان وهي تفرك يديها فعلياً: «أنفض يدي من
هذا. كنت مستعدة للدفاع عن خطبة حقيقية تُسفي..»
قالت غنيمه: «سنعطيك أنا وعالية جرحاً شفاؤه أصعب
بكثير. أحضره بسرعة، إن كان سيأتي. غالباً سيأتي. هل
سيشك في طفلة مثلي في سنواتها الغضة؟ دعونا نخطط
لمراسم الخطبة الرسمية التي تستلزم حضوره. فلتسبح الفرصة
لي حتى أكون وحدي معه.. دقيقة أو دقيقتين و..».

ارتجفت إيرولان من هذا الدليل على أن غنيمه كانت،
بعد كل شيء، فرمينة تماماً، طفلة لا تختلف عن البالغين

في هذه الدموية الرهيبة. بعد كل شيء، اعتاد أطفال
الفرمن قتل الجرحى في ساحة المعركة، محررين النساء من
هذا العمل الروتيني حتى يتمكن من جمع الجثث ونقلها إلى
أوعية تقطير الموت حتى لا يهدر ماؤهم. ولدت غنيمه،
التي تحدثت بصوت طفلة فرمينة ولكن بكلمات ناضجة
مدروسة وإحساس ثار قديم معلق مثل هالة حولها،
بداخل إيرولان مخاوف عديدة.

قالت عالية: «سمع وسينفذ»، محاولة ألا يعكس وجهها
وصوتها فرحتها. «سنجهز ميثاق الخطبة الرسمي. سيكون
مجمع العائلات الكبرى شهوداً على التوقيعات. لا يمكن أن
يشك فارادين في...».

قالت غنيمه: «سيشك لكنه سيأتي. وسيكون معه
حراس. لكن هل سيفكرون في حمايته مني؟»

احتجت إيرولان قائلة: «بحق كل ما حاول پول فعله،
دعونا على الأقل نجعل موت فارادين يبدو كأنه حادث،
أو نتيجة مؤامرة خارجية...».

قالت غنيمه: «سأفتخر بإظهار سكينى المملطخة بدمائه
لرفاقي الفرمن».

قال إيرولان: «عالية، أتوسل إليك. تخلي عن هذا الجنون
المتهور. أعطني الكانلي ضد فارادين، أي شيء له...».

قالت غنيمه: «لا نحتاج إلى إعلان رسمي للشار منه.
الإمبراطورية كلها تعلم ما نشعر به».

أشارت إلى كم ردائها. «نرتدي أصفر الحداد. عندما استبدله باللون الأسود لمخطوبة فرمسية، هل سيخدع ذلك أحداً؟»

قالت عالية: «إدعي أن ينخدع فارادين بذلك، ومندوبو العائلات الكبرى الذين سندعوهم حتى يشهدوا...».

قالت إيرولان: «كل واحد من هؤلاء المندوبين سينقلب ضدك. تعلمان ذلك!»

قالت غنيمية: «نقطة ممتازة. اختاري هؤلاء المندوبين بعناية يا عالية. يجب أن يكونوا من الأشخاص الذين لن تمنع في التخلص منهم لاحقاً.»

رفعت إيرولان ذراعها في حالة يأس، واستدارت وخرجت من الغرفة.

قالت غنيمية: «أخضعها للمراقبة الشديدة خشية أن تحاول تحذير ابن أختها.»

قالت عالية: «لا تحاولي تعليمي كيف أدير مؤامرة.»
استدارت وتبعت إيرولان، ولكن بوتيرة أبطأ. انتفض الحراس والمعاونون المنتظرون في الخارج وهرولوا في أعقابها مثل جزيئات رمل تُسحب في دوامة دودة تصعد من باطن الأرض.

هزت غنيمية رأسها بحزن من جانب إلى آخر مع انغلاق الباب، وفكرت: تماماً مثلها فكرتُ أنا وليتو المسكين. بحق

الآلهة! أتمنى لو كنت أنا من قتلها النمر بدلاً منه.



سعت قوى عديدة إلى السيطرة على توأمي آتريديز، وعندما أُعلن عن موت ليتو، تعاضمت هذه الحركة من المؤامرة والمؤامرة المضادة. لاحظ معي الدوافع المتنوعة: خشيت الأخوية عالي؛ سُنة بالغة، لكنهن ما زلن يطمعن في تلك الصفات الجينية التي يحملها آل آتريديز. ولم تر التراتبية الكنسية الهرمية في الأوقاف والحج سوى القوة الخفية الكامنة في السيطرة على وريث المؤدب. وأرادت تشوم مدخلاً إلى ثروة كثيب. وسعى فارادين وساردوكاره إلى استعادة مجد آل كورينو. وخافت نقابة القضاء من المعادلة (أراكس = المزاج)؛ من دون الاسپايس، لن يتمكنوا من التنقل عبر القضاء. وأرادت چيسیکا إصلاح ما أفسدته بمخالفتها للبني چيسيرت. ووسط كل هذا، قلة هم الذين فكروا في سؤال التوأمين نفسيهما عن خططهما، حتى فات الأوان.

- كتاب كريوس

بعد وجبة العشاء بوقت قصير، رأى ليتو رجلاً يعبر أمام المدخل المقوس لغرفته. انشغل عقله بهذا الرجل. كان باب غرفة ليتو مفتوحاً ورأى بعض الحركة في الممر- سلال اسپايس تجرها فوق عربات ثلاث سيدات يرتدين ثياباً راقية من كواكب أخرى وهو ما أكد له أنهن مُهَرَّبَات. قد لا يكون هذا الرجل الذي أخذ عقل ليتو في رحلة مختلفاً عن الآخرين هنا لكنه تحرك مثل ستيلجار، نسخة أصغر بكثير من ستيلجار.

سافر عقله في رحلة عجيبة. ملأ الزمان وعيه مثل كرة
نجمية ساطعة. كان يستطيع أن يرى أبعاداً زمنية لا نهائية،
كان عليه أن يبحث داخل مستقبله قبل أن يدرك في أي
لحظة يوجد جسده. تدفقت ذكرياته (الأرواح) متعددة
الجوانب وانحسرت، لكنها ملكه الآن. كانت مثل
الأمواج على شاطئ، ولكن إن ارتفعت كثيراً، فيمكنه
أن يأمرها وستراجع، تاركة وراءها الملك هاروم.

كان يستمع أحياناً إلى تلك الأرواح-الذكريات. تقف
إحداها مثل مرشد، يشرّب برأسه خارج مسرح الأرواح،
وينادي بإشارات تدل على سلوكه. جاء والده في أثناء
تلك الرحلة الذهنية، وقال: «أنت طفل تطمح إلى أن
تصبح رجلاً. عندما تصبح رجلاً، ستبحث عبثاً عن
الطفل الذي كنته يوماً».

طوال الوقت، شعر بجسده مملوءاً ببراغيث وقمل سييتش
قديم سيئ الصيانة. لم يبدُ أن هذه المخلوقات تزج أياً من
الخدم الذين أحضروا طعامه المليء بالاسپايس. هل امتلك
هؤلاء الناس مناعة من هذه الأشياء، أم أنهم تعودوها
حتى استطاعوا تجاهل انزعاجهم؟

من هم هؤلاء الناس الذين اجتمعوا حول جيرني؟ كيف
وصلوا إلى هذا المكان؟ هل كان چاكوروتو؟ أعطته
ذكرياته المتعددة إجابات لم ترق له. كانوا قبيحين وكان
جيرني أقبحهم. لكن الكمال كان ينتظر هنا، مختبئاً تحت
سطح قبيح.

علم جزء منه أنه لا يزال تحت تأثير الاسپايس، ومقيد بالجرعات الكبيرة من المزاج التي يتناولها في كل وجبة. أراد جسده الطفل أن يتمرد فيما كانت شخصيته الناضجة شغوفة بالوجود الآني للذكريات التي انتقلت إليه من آلاف السنين.

عاد عقله من رحلته، وتساءل إن كان قد ترك جسده خلفه حقًا. أربك الاسپايس حواسه. شعر بضغط القيود الذاتية تتراكم أمامه مثل كثمان باراشان الطويلة في البداء التي تبني ببطء لنفسها منحدرًا مقابل جرف صحراوي. في يوم من الأيام سيتدفق رذاذ من الرمال فوق الجرف ويغطيها، ثم كميات أكبر فأكبر.. وستبقى الرمال وحدها مكشوفة للسماء.

لكن الجرف لا يزال هناك تحتها.

فكر: ما زلت داخل النشوة.

كان يدرك أنه سيصل قريبًا إلى مفترق الحياة والموت. واصل خاطفوه إرساله في نشوة تحت سيطرة الاسپايس، غير راضين عن ردوده في كل مرة يعود فيها منها. وكان نمري المخادع ينتظره بسكينه دومًا. رأى ليتو نسخًا لا تحصى من الماضي والمستقبل لكنه لم يعرف بعد ماذا يريد نمري.. أو جيرني هاليك. كانا يطلبان شيئًا خارج الرؤى. جذبه مفترق الحياة والموت. كان يعلم أن حياته يجب أن تمتلك معنى داخليًا محددًا يحملها فوق ظروف الرؤية.

عند التفكير في هذا المطلب، شعر أن وعيه الداخلي كيانه الحقيقي، فيما النشوة كيانه الخارجي. أخافه هذا. لم يكن يرغب في العودة إلى السييتش بيراغيثه، ونمري، وجيرني هاليك. فكر: أنا جبان.

لكن الجبان، حتى الجبان، قد يموت بشجاعة بمجرد إشارة. أين تلك الإشارة التي يمكن أن تجعله كاملاً مرة أخرى؟ كيف يمكن أن يستفيق من النشوة والرؤية إلى العالم الذي يطالبه به جيرني؟ دون هذا التغيير، ودون الاستيقاظ من رؤى بلا هدف، علم أنه يمكن أن يموت في سجن من اختياره.

في هذا، كان عليه أن يتعاون مع خاطفيه. كان عليه أن يجد في مكان ما الحكمة؛ توازنًا داخليًا ينعكس على العالم، ويستعيد من خلال ذلك قوته الهادئة. عندها فقط قد يبحث عن صراطه الذهبي، وينجو من الجلد الذي لم يكن جلده.

كان أحدهم يعزف الباليست في السييتش. شعر ليتو أن جسده ربما سمع الموسيقى في الحاضر. شعر بالسرير تحت ظهره. أمكنه سماع الموسيقى. كان جيرني يعزف الباليست. لا توجد أصابع أخرى تضاهي إتقانه العزف على تلك الآلة الموسيقية الصعبة. عزف أغنية فرمونية قديمة، تسمى حديثاً* بسبب منولوجها الداخلي والصوت الذي يستدعي تلك الأنماط الضرورية للنجاة في أراكس. تحكي الأغنية قصة وظائف البشر داخل سييتش.

شعر ليتو أن الموسيقى تنقله في أرجاء كهف قديم
خلاب. رأى النساء يطحن الاسپايس للحصول على
الوقود، ويجفن الاسپايس للتخمير، ويصنعن أقمشة
الاسپايس. كان المزاج في كل مكان في السيتش.

حانت تلك اللحظات التي لم يستطع ليتو فيها التفريق بين
الموسيقا والناس في الرؤية التي تجري داخل الكهف.
كانت خشخشة النول الآلي يشبه ضربات الباليست.
لكن عيونه الداخلية رأت أقمشة من شعر بشري، وفراء
طويلاً لفئران متحورة، وخيوط قطن صحراوي، وشرائط
ملفوفة من جلد طيور. رأى مدرسة سيتش. تدفقت لغة
كثيب البيئية في ذهنه على أجنحة موسيقاها. رأى المطبخ
الذي يعمل بالطاقة الشمسية، الغرفة الطويلة التي ما زالت
تُصنع فيها بذلات التقطير وتخزن. رأى المتنبؤون بالطقس
يستقروون العلامات على العصي التي جلبوها إلى الداخل
من الرمال.

في مرحلة ما خلال هذه الرحلة، أحضر له أحدهم
طعاماً ودسه في فمه، ورفع رأسه بذراع قوية. عرف
أن هذا إحساس حقيقي، لكن العزف البديع استمر في
داخله.

كأنما جاءت في اللحظة التالية بعد تناوله الطعام المشبع
بالاسپايس، رأى اندفاع عاصفة رملية. أصبحت الصور
المتحركة داخل أنفاس الرمال انعكاسات ذهبية لعيون

عثة، وتقلصت حياته إلى الأثر اللزج الذي خلفته وراءها
حشرة زاحفة.

تدفقت كلمات من نبوءات بانوب داخله: «يقال إنه
لا يوجد شيء ثابت، لا شيء متوازن، لا شيء راسخ في
الكون كله - لا شيء يبقى على حاله، كل يوم، أحياناً
كل ساعة، تجلب معها تغييراً».

فكر: المبشرات الحاميات العجائز يعرفن ما يفعلنه.
عرفن عن الغايات الرهيبة. عرفن كيف يتلاعبن بالناس
والأديان. حتى أبي لم ينج منهن، ليس في النهاية.

هناك وجد الدليل الذي كان يبحث عنه. فحسه ليتو.
شعر بالقوة تسري في جسده مجدداً. تقلّب كيانه المتعدد
الجوانب كله، ونظر إلى العالم. جلس من مرقدته ووجد
نفسه وحيداً في الزنزانة الكئيبة. فقط الضوء القادم من
الممر الخارجي حيث مر الرجل وأخذ عقله في تلك الرحلة
التي دامت دهوراً.

نادى بالأسلوب الفرمني القديم: «حظاً سعيداً لنا جميعاً».

ظهر جيرني هاليك في المدخل المقوس، رأسه معتم
مقابل الضوء القادم من الممر الخارجي.

قال ليتو: «أحضر ضوءاً».

«هل ترغب في مزيد من الاختبار؟»

ضحك ليتو: «لا، حان دوري لأختبرك».

«سوف نرى». استدار هاليك مبتعداً، وعاد في لحظة مع كرة إنارة زرقاء متوهجة في ثنية مرفقه الأيسر. ألقاها في الزنزانة، وتركها تطفو فوق رأسيهما.

سأل ليتو: «أين نمري؟»

«في الخارج مباشرة حيث يمكنني استدعاؤه».

قال ليتو: «آه، الأب العجوز الأبدى ينتظر دائماً بصبر». شعر بأنه متحرر على نحو غريب، متأهب على حافة اكتشاف محدد.

سأل هاليك: «تنادي نمري بالاسم المخصص لشي هولود؟».

قال ليتو: «سكينه مصنوعة من سن دودة، لذا هو الأب العجوز الأبدى».

ابتسم هاليك ابتسامة عابسة لكنه ظل صامتاً.

قال ليتو: «ما زلت تنتظر إصدار حكم علي. ولا توجد طريقة لتبادل المعلومات. سأعترف دون إصدار أحكام. ومع ذلك لا يمكنك أن تطلب من العالم أن يكون محددًا».

نبه صوت حفيف خلف هاليك ليتو إلى اقتراب نمري. توقف على مبعده نصف خطوة إلى يسار هاليك.

قال ليتو: «اليد اليسرى الملعونة».

جأر نمري: «ليس من الحكمة المزاح بشأن الأبدية والمطلق». ألقى نظرة جانبية على هاليك.

سأل ليتو: «هل أنت الرب يا نمري حتى تستحضر المطلقات؟» لكنه أبقى انتباهه على هاليك. سيأتي الحكم منه.

حذق الرجلان إليه فحسب دون إجابة.

شرح ليتو: «كل حكم يحتمل الخطأ. ادعاء المعرفة المطلقة يعني أن تصبح وحشيًا. المعرفة مغامرة لا تنتهي على حافة الشك».

سأل هاليك: «ما لعبة الكلمات هذه التي تلعبها؟»

قال نمري: «دعه يتكلم».

قال ليتو: «إنها اللعبة التي بدأها نمري معي»، وشاهد رأس الفرمي العجوز يومئ موافقًا. تعرّف قطعًا على لعبة الأحاجي.

قال ليتو: «حواسنا دائمًا تمتلك مستويين على الأقل».

قال نمري: «الإشارات الحسية والمعنى الذي نستقيه منها».

قال ليتو. «ممتاز. أعطيتني الإشارات الحسية. ومنحتك أنا معناها. الحسيات معابر إلى العقليات. فأنا أرى وأسمع وأشم وأمس وأتذوق؛ أشعر بتغيرات في درجة الحرارة بجلدي. أشعر بمرور الوقت. وربما أستطيع استيعاب

مشاعر الآخرين وتحليل المعنى وراءها. أها! أنا سعيد.
أترى يا جبرني؟ ويا نمري؟ لا غموض في حياة الإنسان.
الحياة ليست مشكلة يجب حلها، ولكنها واقع يجب
تجربته».

قال نمري: «تختبر صبرنا يا فتى. هل هذا المكان الذي
تتمنى أن تموت فيه؟»

لكن هاليك وضع يده على يد نمري الممسكة بمقبض
السكين مانعاً إياه.

قال ليتو: «أولاً، أنا لست فتى». رسم بيده العلامة
الأولى على أذنه اليمنى. «لن تقتلني؛ سيكون مائي عبثاً
عليك (30)».

سحب نمري نصف السكين من غمدها: «لا أدين لك بأي
شيء!»

قال ليتو: «لكن الرب خلق أراكس لتدريب المؤمنين.
لم أظهر لك إيماني فحسب، بل جعلتك واعياً بوجودك.
تطلب الحياة أخذاً ورداً. عرفت ذلك بفضلتي! عرفت أن
واقعك يختلف عن كل الآخرين؛ وبالتالي، أنت تعرف
أنك على قيد الحياة».

قال نمري: «الاستخفاف بالأشياء لعبة خطيرة حتى
تمارسها معي». أمسك سكينه العاجية نصف المسحوبة.

قال ليتو: «الاستخفاف مكون ضروري في الدين. ولا

داعي للحديث عن أهميته في الفلسفة. الاستخفاف الطريقة الوحيدة المتبقية لنا لاختبار عالمنا».

سأل هاليك وهو يتعد عن نمري قليلاً: «هل تعتقد أنك تفهم الكون؟»

قال نمري: «نعم»، وكان صوته ينضح بالموت.

قال ليتو: «لا يمكن فهم العالم إلا إذا عرفت أنه متغير ومتحرك مثل الريح. لا يمكن الوثوق بمنطق العقل البشري وحده لفهم حقيقة الكون ومنطقه. نعرف الخلق بالاكشاف. خلقنا الرب في هذا الكون الشاسع لأننا كنا مختلفين عن غيرنا من الكائنات. على وجه الغمر كانت ظلمة وفراغاً. ثم كان نوراً وحركة».

حذره هاليك: «أنت تلعب الغمضة مع الموت».

قال ليتو: «لكن، كلاهما صديقي». واجه نمري. «عندما تقدّم مرشحاً ليكون «صديق سييتشكم»، ألا تذبح صقراً ونسراً قرباناً؟ أليس هذا الرد: (الرب يرسل كل إنسان إلى نهايته، مثل الصقور، مثل النسور ومثل هؤلاء الأصدقاء؟)»

انزلت يد نمري بعيداً عن سكينه. ودس النصل مرة أخرى في غمده. حلق بعينين جاحظتين في ليتو. احتفظ كل سييتش بطقوس صداقته السرية، ولكن ها هو ذا الفتى قد نطق بجزء مختار من الطقوس. سأل هاليك: «هل هذا المكان نهايتك؟»

قال ليتو، وهو يشاهد مسرحية الأمل والشك تتجسد على وجه هاليك القبيح: «أعرف ما تحتاج إلى أن تسمعه مني يا جيري». لمس ليتو صدره. «لم يكن هذا الطفل طفلاً قط. يعيش والدي بداخلي، لكنه ليس أنا. لقد أحبته يا جيري، وكان إنساناً شجاعاً وشهماً، نيته إغلاق دائرة الحروب ووضع نهاية لها، لكنه قدّر حساباته دون حساب حركة الأبدية كما تعبر عنها الحياة. هذه راجيا! نمري يعرف. يمكن لأي فان أن يرى حركتها. احذر من المسارات التي تضيق احتمالات المستقبل. هذه المسارات تحيد بك عن طريق الأبدية إلى أنفاخ قاتلة».

سأل هاليك: «ما الذي أحتاج إلى أن أسمعه منك؟»

قال نمري: «إنه يلعب بالكلمات فحسب»، لكن صوته حمل في طياته تردداً عميقاً وشكوكاً.

قال ليتو: «أنا أتحالف مع نمري ضد أبي. وأبي بداخلي يتحالف معنا ضد ما أوجده الناس من بعده مستغلين اسمه».

سأل هاليك: «لماذا؟»

«لأنني أجلب إلى البشرية الإيمان بقضاء الله خيره وشره (31)؛ ليختبروا ذاتهم ويقرروا مصيرهم. في هذا العالم، أختار التحالف ضد أي قوة تجلب الإذلال للبشرية. جيري! جيري! إنك لم تولد وترعرع في الصحراء، لذا قد لا تعرف الحقيقة التي أتحدث عنها. لكن نمري

يعرف. في الأرض المفتوحة كالصحراء، كل الاتجاهات التي تسير فيها جيدة».

صرخ هاليك: «ما زلت لم أسمع ما يجب أن أسمعه».

وقال نمري: «إنه يتحدث من أجل الحرب وضد السلام».

قال ليتو: «لا. ولم يتحدث أبي بدوره ضد الحرب. لكن انظروا إلى ما أوجده الناس مستغلين اسمه. للسلام معنى واحد في هذه الإمبراطورية. الحفاظ على نمط حياة واحد. أنت مأمور بأن تكون راضياً. يجب أن تكون الحياة موحدة على جميع الكواكب كما هي في الحكومة الإمبراطورية. الهدف الرئيسي للدراسة الكهنوتية إيجاد الأشكال الصحيحة للسلوك البشري. من أجل هذا، يلجؤون إلى كلام المؤدب! أخبرني يا نمري، هل أنت راضٍ؟»

«لا». خرجت الكلمات بشكل صريح وعفوي بالرفض.

«إذن هل تجدِّف؟»

«بالطبع لا!»

«لكنك لست راضياً. أترى يا جيرني؟ نمري يثبت ذلك لنا. لا إجابة واحدة صحيحة لكل سؤال أو مشكلة. على المرء أن يكون متقبلاً للآراء المختلفة. حتى حجر المونوليث العملاق غير مستقر. إذاً لماذا تطلب عبارة صحيحة واحدة

مني؟ هل هذا مقياس حكمك الوحشي؟»

سأل هاليك، وفي صوته ألم: «هل ترغبني على قتلك؟»

قال ليتو: «لا، بل سأشفق عليك. أرسل كلمة إلى جدتي بأنني سأتعاون. قد تندم الأخوية على تعاوني، لكن الآتريديزي إن أعطى كلمته، أوفى بما وعد.»

قال نمري: «على عرافة الحقيقة أن تختبر ذلك. آل آتريديزو.»

قال هاليك: «ستتاح له الفرصة حتى يقول أمام جدته ما يجب عليه قوله.» أوما برأسه نحو الممر.

تمهل نمري قليلاً قبل المغادرة، ونظر إلى ليتو: «أدعو الرب أننا نفعل الصواب بتركه على قيد الحياة.»

قال ليتو: «اذهبا يا صديقي. اذهبا وتفكرا.»

عندما غادر الرجلان، استلقى ليتو على ظهره، وشعر بالسرير البارد يلامس عموده الفقري. جعلت الحركة رأسه يدور على حافة وعيه المثقل بالاسپايس. في تلك اللحظة رأى الكوكب بأسره - كل قرية، كل بلدة، كل مدينة، الأماكن الصحراوية والأماكن المزروعة. كل الأشكال التي اصطدمت برؤيته، حملت علاقات حميمية مع مزيج العناصر داخلها وخارجها. رأى هياكل المجتمع الإمبراطوري تنعكس في الهياكل المادية لكواكبها وجماعاتها. مثل تفتُّح شيء هائل داخله، رأى هذا الوحي

كما لا بد أن يكون: نافذة على الأجزاء غير المرئية من المجتمع. وعند رؤية هذا، أدرك ليتو أن كل نظام يحوي مثل هذه النافذة. حتى نظام ذاته وعالمه. كان متلصصاً كونياً يختلس النظر عبر تلك النوافذ.

هذا ما سعت إليه جدته والأخوية! كان يعلم ذلك. تدفق وعيه في مستوى جديد أعلى. شعر بالماضي محمولاً في خلاياه، في ذكرياته، في النماذج الأصلية التي أثرت في تفكيره، وفي الأساطير التي تحاصره، في لغاته وآثارها الممتدة إلى ما قبل التاريخ. كل الكائنات من ماضيه البشري وغير البشري، كل الحياة التي تحكم فيها الآن، اندمجت داخله أخيراً. وشعر بنفسه كأنه شيء عالق في مد وجزر النيوكليوتيدات. على خلفية الأبدية، كان مخلوقاً أولاً فيه الولادة والموت متزامنان تقريباً، لكنه كان أزلياً وبدائياً، مخلوقاً من ذكريات جزئية.

فكر: نحن البشر شكل من أشكال المستعمرات!

أرادوا تعاونه. كان التعاون الذي وعد به قد جنبه سكين نمري لمدة أخرى. من خلال الدعوة إلى التعاون سعوا للعثور على من يشفيه من الشُّنعة.

فكر: لكنني لن أجلب لهم نظاماً اجتماعياً بالطريقة التي يتوقعونها!

شوهت تكشيرة فم ليتو. علم أنه لن يكون مؤذياً دون وعي منه كما كان والده -الاستبداد يكمن في أحد الطرفين

والعبودية في الطرف الآخر- ولكن هذا العالم قد يصلي من أجل تلك «الأيام القديمة المجيدة».

تحدث إليه والده داخله في تلك اللحظة، مفتشاً عنه بحذر، غير قادر على المطالبة باهتمام ليتو، ولكنه يتوسل ليستمع إليه.

أجاب ليتو: «لا. سنعطيم تعقيدات وأغازاً حتى يشغلوا بها عقولهم. هناك طرائق عديدة للهروب من الخطر. كيف سيعرفون أنني خطير ما لم يعيشوا معي آلاف السنين؟ نعم يا أبي، سمنحهم علامات استفهام. سمنحهم أسئلة».

لستم مذنبين ولا بريئين. كل ذلك أضحي من الماضي.
الذنب يُوسِع الموتى ضرباً، وأنا لست المطرقة الحديدية
(المرزبة) (32). أنتم -يا جموع الأموات- مجرد أناس
فعلوا أشياء معينة، وذكرى تلك الأشياء تنير مساري.

-ليتو الثاني إلى ذاكرته- الأرواح داخله

(عن خرق العادة)

قال فارادين بصوت هامس: «إنها تتحرك من تلقاء
نفسها!» وقف أمام سرير الليدي چيسيك، وكان وراءه ثلة
من الحراس، كانت الليدي چيسيك قد اعتدلت في جلستها
فوق السرير. كانت ترتدي عباءة من الحرير الأبيض
المتلألئ مع شريط مائل حول شعرها النحاسي. كان
فارادين قد اقتحم خلوتها منفعلاً قبل لحظات.

سألت چيسيك: «كم الساعة؟»

بدا فارادين حائراً: «الساعة؟»

تكلم أحد الحراس: «إنها الثالثة بعد منتصف الليل يا
سيدتي.»

نظر الحارس إلى فارادين بخوف. جاء الأمير الشاب
مندفعاً عبر الممرات المضائة ليلاً جاذباً الحراس المدعورين
في أعقابه.

كان يرتدي الثوب الرمادي نفسه ووجهه يتصبب عرقاً
من الإثارة والجهد الذي بذله في أثناء اندفاعه عبر ممرات

القصر.

قال فارادين: «لكنها تتحرك». وهو يمد يده اليسرى ثم اليمنى. «شاهدت يدي تتقلصان في قبضتين صلبتين، وتذكرت! كانتا هكذا عندما كنت رضيعاً. تذكرت ذلك الوقت، لكن بشكل أوضح. كنت أعيد ترتيب ذكرياتي القديمة!»

قالت چيسیکا: «عمل رائع»، انتابها الحماس: «وماذا حدث عندما بدت يداك عجوزتين؟»

قال: «كان عقلي.. بليداً. وشعرت بألم في ظهري. هنا». لمس مكاناً فوق كليته اليسرى.

قالت چيسیکا: «تعلمت الدرس الأهم. هل تعرف ما هذا الدرس؟»

ألقى يديه إلى جنبيه، وحدث إليها. ثم قال: «عقلي يتحكم في واقعي». لمعت عيناه، وكررها بصوت أعلى هذه المرة: «عقلي يتحكم في واقعي!»

«ذلك بداية توازن الپرانا بيندو، لكنها البداية فحسب».

سأل: «ماذا أفعل بعد ذلك؟»

خاطر الحارس الذي أجاب سؤالها سلفاً، وقاطعهما: «سيدتي، الساعة متأخرة».

تساءلت چيسیکا: أليست مواقع تجسسهم مزودة بالحراس حتى في هذه الساعة؟

«اغرب عن وجهي، لدينا عمل لنقوم به».

قال الحارس: «لكن يا سيدتي». وانتقلت نظراته المذعورة من فارادين إلى چيسیکا ثم إلى فارادين مرة أخرى.

سألت چيسیکا: «هل تعتقد أنني سأسخره؟»

تبيس الرجل.

انفجر فارادين ضاحكًا بسرور. لوح بيده مشيرًا للحراس بالانصراف: «سمعتموها، اغربوا عن وجهي».

تبادل الحراس النظرات لكنهم أطاعوه.

جلس فارادين على حافة سريرها، وقال: «ماذا بعد ذلك؟» هز رأسه: «أردت أن أصدقك لكنني لم أفعل. ثم.. كأن عقلي ذاب. كنت متعبًا. استسلم عقلي وعزف عن مقاومتك. ثم حدث. هكذا فحسب!» فرقع أصابعه.

«لم أكن أنا من قاومه عقلك».

اعترف: «بالطبع. كنت أقاوم نفسي، وكل هذا الهراء الذي تعلمته سلفًا. الآن، ماذا بعد ذلك؟»

ابتسمت چيسیکا: «أعترف أنني لم أتوقع منك أن تنجح بهذه السرعة. مرت ثمانية أيام فقط و..».

قال مبتسما: «كنت صبورًا».

قالت: «وبدأت تتعلم الصبر أيضًا».

«بدأت؟»

قالت: «حبوت للتو فوق شفا هذه المعرفة. أنت الآن رضيع. قبل ذلك.. كنت مجرد إمكانية. لم تُولد حتى».

مالت زوايا فمه إلى أسفل في عبوس.

قالت: «لا تتجهم هكذا. لقد فعلتها. هذا مهم. كم عدد من يستطيعون القول إنهم ولدوا من جديد؟»

أصرّ: «ماذا بعد؟»

قالت: «سوف نتدرب على هذا الشيء الذي تعلمته. أريدك أن تغدو قادراً على فعل هذا بسهولة ويسر. لاحقاً، سوف تملأ مكاناً جديداً في وعيك الذي فتحه هذا التمرين. سوف يمتلئ بقدرتك على اختبار أي واقع في مقابل متطلباتك».

«هل هذا كل ما عليّ فعله الآن.. أتدرب».

«حسناً. الآن يمكنك البدء بتدريب العضلات. قل لي، هل يمكنك تحريك إصبع قدمك اليسرى الصغرى دون تحريك أي عضلة أخرى في جسمك؟»

«إصبع..» رأت تعبيراً متأملاً يظهر على وجهه وهو يحاول تحريك إصبع قدمه. نظر إلى قدمه الآن، وأمعن في التحديق إليها. تصبب العرق فوق جبهته. أفلتت منه زفرة عميقة. «لا أستطيع أن أفعل ذلك».

قالت: «بلى، يمكنك. سوف نتعلم أن تفعل ذلك. سوف تعرف كل عضلة في جسمك. ستعرف هذه العضلات مثلها تعرف يديك».

بلغ ريقه بقوة قلقاً من مدى ضخامة هذا الاحتمال. ثم قال: «ماذا تفعلين بي؟ ما خطتك من أجلي؟»

قالت: «أنوي أن أطلق سراحك في العالم. ستصبح كل ما تريده بشدة».

فكر في هذا للحظة. «ما أريده؟»

«نعم».

«هذا مستحيل!»

قالت «إلا إذا تعلمت التحكم في رغباتك بالطريقة التي تتحكم بها في واقعك». وفكرت: هاك! دعي محاليه يفحصون ذلك. سوف ينصحونه بالموافقة الحذرة، لكن فارادين سيقترب خطوة أكبر نحو إدراك ما أفعله حقاً.

أثبت فارادين تخمينها بشأنه بقوله: «إخبار الشخص بأنه سيحقق رغبة قلبه شيء، وتحقيق تلك الرغبة فعلياً شيء آخر».

قالت چيسيكاً: «لقد قطعت شوطاً أبعد مما كنت أعتقد. عمل ممتاز. أعدك: إن أكملت برنامج التعلم، فستكون رجلاً مستقلاً بذاتك تماماً. مهما فعلت، سيكون لأن هذا ما تريد فعله».

فكرت: فلتحاول عرافة حقيقة استخراج شيء من هذه الكلمات.

وقف فارادين، لكن التعبير الذي نظر به إليها كان دافئاً، عكس شعوراً بصداقة حميمة: «تعرفين، أنا أصدقك. اللعنة إذا كنت أعرف السبب، لكنني أصدقك. ولن أقول كلمة واحدة عن الأشياء الأخرى التي أفكر فيها».

شاهدته جيسيكاً وهو يتراجع إلى الوراء ويخرج من غرفة نومها. أطفأت كرات الإنارة، واستلقت في سريرها مجدداً. كان فارادين لمأحاً وعميق التفكير. أخبرها عملياً أنه بدأ رؤية ملامح خطتها، لكنه كان ينضم إلى مؤامرتها بمحض إرادته.

فكرت: انتظري حتى يبدأ بتعلم مشاعره. بتلك الفكرة، هيأت نفسها للعودة إلى النوم. كانت تعرف أن الغد سيكون مُحملاً بمواجهات كثيرة عابرة مع أفراد القصر الذين سيطرحون أسئلة ظاهرها البراءة.

يتغير المجتمع البشري دورياً من خلال تسارع في
سيرورة شؤونه، ما يخلق سباقاً محتدماً بين النشاط المتجدد
للأحياء، والقوة التدميرية المغرية للتفسيخ. في خضم هذا
السباق المتكرر، يصبح من الصعب إيجاد فسحة من الوقت
للتوقف والتفكير. فقط عندما يجد الإنسان هذه الفسحة،
يدرك أن كل شيء متاح وممكن، وأنه يمتلك القدرة على
خلق مصيره.

- أبوكريفا المؤدب.

قال ليتو في سرّه: الرمال تحمل رسالة مهمة.

شعر بالحصى أسفله حيث كان يجلس تحت سماء
ساطعة.

أجبروه على تناول جرعة أخرى ضخمة من المزاج. دار
عقل ليتو في دوامة. وقبع سؤال دون إجابة في أعماق هذه
الدوامة: لماذا يصرّون على أن أقولها؟ كان جيرني عنيداً،
بلا شك. وكان ينفذ أوامر سيدهتة چيسيكاً.

أخرجوه من السيتيش إلى وضخ النهار من أجل هذا
«الدرس». لازمه إحساس غريب بأنه سمح لجسده بأخذ
تلك الرحلة القصيرة خارج السيتيش في حين كانت ذاته
الداخلية مسرح معركة بين الدوق ليتو الأول والبارون
هاركونن العجوز. قاتلا داخله، ومن خلاله، لأنه لم يسمح
لهما بالتواصل مباشرة. عرّفه القتال بما عانتة عالية. عالية
المسكينة.

فكر: كنت محققاً في الخوف من رحلة الاسپايس.

ملأته مرارة عظيمة تجاه الليدي چيسيكاً. جوم چبارها اللعين! حاربته وانتصر، أو مت وأنت تحاول. لم تستطع وضع إبرة مسمومة في رقبته، لكنها استطاعت أن ترسله إلى وادي الهلاك الذي تملك ابنتها.

سمع ليتو أصوات تنفس تخترق وعيه. كانت ترتعش بصوت أعلى، ثم أخفض، ثم أعلى.. فأخفض. لم يكن هناك طريقة لتحديد إن كانت تلك الأصوات تأتي من الواقع الحاضر أم أنها جاءت من نشوة الاسپايس.

ارتخى جسد ليتو فوق ذراعيه المطويتين. شعر بالرمال الساخنة عبر أردافه. كان هناك بساط أمامه مباشرة، لكنه جلس على رمال مفتوحة. لمح ظلًا فوق البساط: نمري. حدق ليتو في البساط الموحل، وشعر بفقاعات تموج هناك. انجرف وعيه فوق تياره الخاص عبر منظر طبيعي امتد إلى أفق من الحضرة الباهرة.

دقت الطبول في جمجمته. شعر بالحرارة والحمى. كانت الحمى بمثابة ضغط حارق ملأ حواسه؛ ما أدى إلى تلاشي وعيه بجسده حتى لم يعد يشعر إلا بالظلال المتحركة لهلاكه. نمري والسكين. ضغط.. ضغط.. استلقى ليتو أخيراً معلقاً بين السماء والرمال. في هذه اللحظة انتظر ليتو حدوث شيء ما شاعراً بأن أيًا كان ما سيحدث فسيكون الشيء الأول والوحيد.

تكسرت أشعة الشمس القائظة من حوله في سطوع،
دون سَكينة، ودون رحمة. أين صراطي الذهبي؟ زحف
البق في كل مكان. جلدي ليس جلدي. بعث رسائل
على طول أعصابه، وانتظر ردود أفعال الشخص-الآخر
البطيئة.

أخبر أعصابه: نحو الرأس.

رأس ربما كان رأسه - لم يستطع الجزم بذلك - تحرك إلى
أعلى، ونظر إلى بقع السواد في الضوء الساطع.

همس أحدهم: «هو منغمس في النشوة الآن».

لا إجابة.

حريق.. نار.. شمس تُراكم حرارة فوق حرارة.

ببطء، جرفه تيار وعيه عبر الحاجز الأخير لمشهد أخضر،
وهناك، عبر الكثبان المطوية الخفيفة، ليس أبعد من
كيلومتر وراء حافة جرف طباشيرية، كان المستقبل المزدهر
الأخضر هناك. قذف التيار ليتو إلى الأعلى، وحمله عبر
اخضرار لا متناه، شسوع أخضر، أخضر في أخضر يتحرك
نحو الخارج إلى ما لا نهاية.

في كل ذلك الاخضرار، لم يكن هناك دودة ضخمة
واحدة.

ثروات من النمو البري، ولكن لا توجد الشي هولود في
أي مكان.

شعر ليتو أنه غامر بعبور الحدود القديمة إلى أرض جديدة لم يشهدها سوى الخيال، وأنه ينظر الآن مباشرة من خلال الحجاب التالي الذي أطلق عليه البشر الجاهلون: المجهول. كان واقعاً متعطشاً للدماء.

شعر بفاكهة حياته الحمراء تتمايل على غصن، وبسائلٍ يترسب بعيداً عنه، كان السائل خلاصة الاسپايس، يتدفق عبر عروقه.

من دون الشيء هولود، لا مزيد من الاسپايس.

رأى مستقبلاً من دون ثعبان -دودة كثيب الرمادية العظيمة. كان يعلم ذلك، لكنه لم يستطع أن ينتزع نفسه من النشوة ليعترض على مثل هذا المسار.

فجأة دفعه وعيه بعيداً، بعيداً عن هذا المستقبل القاتل. انتقلت أفكاره إلى أمعائه، وأصبحت بدائية، لم تحركها سوى مشاعر عنيفة. وجد نفسه غير قادر على التركيز على أي جانب معين من رؤيته أو محيطه، ولكن كان هناك صوت بداخله. تحدث لغة قديمة وفهمها تماماً. كان الصوت موسيقياً وإيقاعياً، لكن كلماته أزعجتته.

«يا أحمق، ليس الحاضر ما يؤثر في المستقبل، لكن المستقبل ما يشكل الحاضر. كل شيء مائل أمامك بشكل رجعي. بما أن المستقبل محدد بالفعل، فستكشف أحداث ستضمن أن ذلك المستقبل ثابت وحتمي.»

أذهلته الكلمات. شعر بالرعب الكامن في المادة الثقيلة لجسده. وبهذا علم أن جسده لا يزال موجوداً، لكن الطبيعة المتهورة والقوة الهائلة لرؤيته جعلته يشعر بأنه ملوث وأعزل، وغير قادر على توجيه إشارة إلى عضلاته وجعلها تطيعه. كان يعلم أنه يخضع أكثر فأكثر لهجوم تلك الأرواح الجماعية التي جعلته ذكرياتها يوماً ما يعتقد أنه حقيقي. ملاًه الخوف. اعتقد أنه ربما كان يفقد السيطرة الداخلية، ويسقط أخيراً في غياهب الشُّنعة.

شعر ليتو بجسده يتلوى من شدة الرعب.

أصبح يعتمد على انتصاره والتعاون الطوعي لتلك الذكريات-الأرواح معه. انقلبوا عليه، كلهم -حتى الملك هاروم الذي كان يثق به. كان يرقد متلاًئماً على سطح ليس له جذور، غير قادر على إعطاء أي أمانة عن حياته. حاول التركيز على الصورة الذهنية لنفسه، وواجه إطارات متداخلة، كل منها في عمر مختلف: من الرضيع إلى العجوز الهرم. تذكر التدريب المبكر لوالده: دع اليدين تصغرا، ثم تشيخ. لكن جسده كله غارق الآن في هذا الواقع المفقود، ذابت الصورة بأكملها في وجوه أخرى، ملامح أولئك الذين أعطوه ذكرياتهم.

حطمتها صاعقة ماسية.

شعر ليتو بشظايا من وعيه تنجرف بعيداً، لكنه احتفظ بإحساس بذاته في مكان ما بين الوجود والعدم. مع تسارع

الأمل، شعر بجسده يتنفس. شهيق.. زفير. أخذ نفساً عميقاً: ين. أخرجه: يانغ.

في مكان ما بعيداً عن متناوله، يقع مكان يمثل الاستقلال الأسمى، انتصار على كل الارتباك المتأصلة في حشد الأرواح بداخله - لا يوجد إحساس مزيف بالقيادة، بل انتصار حقيقي. عرف خطأه السابق الآن: سعى إلى القوة في حقيقة نشوته، واختار ذلك بدلاً من مواجهة المخاوف التي غدّى هو وغنيمة كل منهما الآخر بها.

هزم الخوف عالية!

لكن السعي وراء السلطة شيد نخباً آخر، وحوّل ليتو إلى خيال. رأى الوهم. استدارت عملية الوهم بأكلها نصف دورة، وبات الآن يعرف مركزاً يمكنه منه مشاهدة فرار رؤاه، وأرواحه الداخلية، دون غاية.

غمرته الغبطة. جعلته يرغب في الضحك، لكنه حرم نفسه من هذه الرفاهية، عالماً أنها ستفتح أبواب الذاكرة.

فكر: آآه، يا ذكرياتي. رأيت وهمك. لن تخترعني اللحظة التالية من أجلي بعد الآن. ستظهرون لي فحسب كيفية إنشاء لحظات جديدة. لن أنغلق على المسارات القديمة.

مرت هذه الفكرة عبر وعيه كما لو كان يمسح سطحاً، وفي أعقابها شعر بجسده بالكامل، رؤية مسرودة بأدق التفاصيل عن كل خلية وكل عصب. دخل حالة من

الهدوء الشديد. في هذا الهدوء، سمع أصواتًا، وهو يعلم أنها أتت من مسافة بعيدة، لكنه سمعها بوضوح كأن صداها أخذ يتردد في هوة.

أحد الأصوات كان صوت هاليك. «ربما أعطيناه كمية أكثر من اللازم».

أجاب نمري: «أعطيناه بالضبط ما طلبت منا إعطاءه».

قال هاليك: «ربما يجب أن نعود إلى هناك ونلقي نظرة أخرى عليه».

قال نمري: «صبيحة بارعة في هذه الأشياء؛ ستنادينا إن بدأ أي شيء يخرج عن السيطرة».

قال هاليك: «لا يروق لي عمل صبيحة».

«إنها عنصر ضروري».

شعر ليتو بالنور الساطع خارجه، والظلام داخله، كان الظلام سرّياً ووقائياً ودافئاً. بدأ النور يشتعل، وشعر أنه جاء من الظلام داخله، وانتشر إلى الخارج مثل سحابة لامعة. أصبح جسده شفافاً، وجذبه إلى أعلى، لكنه احتفظ بذلك الاتصال مع كل خلية وعصب. اصطف حشد الأرواح الداخلية، دون أن تتشابك أو تختلط ببعضها. أصبحت هادئة جداً في انسجام مع صمته الداخلي، كل روح-ذاكرة منفصلة، كان روحاني وغير مقسم.

تحدث إليهم ليتو بعد ذلك: «أنا روحكم. أنا الحياة

الوحيدة التي يمكنكم إدراكها. أنا بيت روحكم في الأرض التي لا مكاناً محددًا لها، الأرض التي هي موطنكم الوحيد المتبقي. دوني يعود الكون المفهوم إلى الفوضى. كل ما هو مبدع وسحيق مرتبط بي ارتباطًا وثيقًا. أنا وحدي أستطيع التوسط بينهما. دوني، ستغرق البشرية في مستنقع وغرور المعرفة. من خلالي، ستجدون أنتم وهم السبيل الوحيد للخروج من الفوضى: الفهم من خلال العيش».

بهذا حرر ذاته، وأصبح نفسه، شخصه الخاص الذي أحاط بكامل ماضيه. لم يكن انتصارًا، ولا هزيمة، بل شيئًا جديدًا يمكن مشاركته مع أي روح داخلية يختارها. تذوق ليتو هذه الحداثة، وتركها تمتلك كل خلية وكل عصب متخليًا عما قدمته له الرؤية، واستعاد كُليته في اللحظة نفسها.

ثم استيقظ في غشاوة بيضاء. وبومضة من الوعي عرف مكان جسده: جالسًا على الرمال على بعد كيلومتر تقريبًا من جدار الجرف الذي يمثل الحدود الشمالية للسييتش. كان يعرف ذلك السييتش الآن: چاكوروتو بالتأكيد.. فونداك. لكنه كان مختلفًا تمامًا عن الخرافات والأساطير والإشاعات التي سمح بها المهربون.

جلست امرأة شابة على بساط أمامه مباشرة، وكرة إنارة ساطعة مثبتة إلى كمها الأيسر، تطفو فوق رأسها مباشرة. عندما نظر ليتو بعيدًا عن كرة الإنارة، لمح نجومًا. كان يعرف هذه الشابة. كانت المرأة من رؤيته المبكرة، من

كانت تُحَمِّصُ القهوة. كانت ابنة أخت نمري، مستعدة بسكين عاجية مثل نمري. كان السكين في حجرها. كانت ترتدي رداء أخضر بسيطاً فوق بذلة تقطير رمادية. صبيحة*، كان هذا اسمها. وكان لدى نمري خططه الخاصة من أجلها.

رأت صبيحة اليقظة في عينيه، فقالت: «أوشك الفجر أن يبرز. قضيت الليلة كلها هنا».

قال: «ومعظم النهار. أنت تصنعين قهوة جيدة».

حيرتها هذه الجملة، لكنها تجاهلتها بإصرار وشى بالتدريب القاسي والتعليمات الواضحة التي تحدد سلوكها الحالي.

قال ليتو: «إنها ساعة القتل. لكن لم تعد هناك حاجة إلى سكينك». ألقى نظرة خاطفة على السكين العاجية في حجرها.

قالت: «نمري سيكون الحكم في ذلك».

ليس هاليك إذن. أكدت فقط معرفته الداخلية. قال ليتو: «الشي هولود جامع قامة عظيم، وماحي أدلة غير مرغوب فيه. استخدمته بهذه الطريقة بنفسني».

أراحت يدها بخفة فوق مقبض السكين.

قال: «كم يكشف مجلسنا وطريقة جلوسنا عن الكثير. أنت تجلسين على البساط وأنا على الرمال».

أغلقت يدها فوق مقبض السكين.

ثناء ليتو، اتسع فمه وتباعد لدرجة أن فكيه آماه. قال:
«رأيت رؤية تضمنتك».

استرخت كتفاها قليلاً.

قال: «كنا جائرين وأحاديي الفكر بشأن أراكس. فعل
بربري منا. هناك زخم معين في ما كنا نفعله، ولكن الآن
علينا التراجع عن بعض أفعالنا. يجب تحقيق توازن أفضل
في المقاييس».

لمس وجهه صبيحة عبوس مرتبك.

قال: «أتحدث عن رؤيتي. ما لم نستعد رقصة الحياة هنا
على كثيب، فسيختفي التين فوق أرض الصحراء».

لأنه استخدم الاسم الفرمني القديم للإشارة إلى الدودة
العظيمة، فقد استغرقت لحظة حتى فهمته ثم قالت:
«الديدان؟»

قال: «نحن في ممر مظلم. دون اسپايس، ستنهار
الإمبراطورية. لن تتحرك النقابة. ستفقد الكواكب ببطء
ذكرياتها الواضحة عن بعضها. سوف يتحولون إلى الداخل
متفوقين على أنفسهم. سيصبح الفضاء حدًا فاصلاً عصياً
عندما يفقد ملاحو النقابة مهارتهم. سوف نتشبث بقمم
كثباننا، جاهلين بما هو فوقنا وتحتنا».

قالت: «أنت تتحدث بغرابة شديدة. كيف رأيتني في
رؤيتك؟»

فكر: ثم بخرافة الفِرْمَن. قال: «صرتُ نظام كتابة رمزية (33). أنا حرف رسومي (34) حي لكتابة التغييرات التي يجب أن تحدث. إن لم أكتبها، فسوف تجابهون ألماً عظيماً يجب ألا يعانيه أي إنسان».

سألت: «ما هذه الكلمات؟» لكن يدها بقيت برفق على السكين.

أدار ليتو رأسه نحو منحدرات چاكوروتو، ليرى التوهج الوليد الذي سيكون القمر الثاني وهو يعبر قبل طلوع الفجر خلف الصخور. صرخة موت أرنبه صحراوية شقت طريقها من خلاله. رأى صبيحة ترتجف. ثم جاء صوت تصادم الأجنحة - طائر مفترس، مخلوق ليلي هنا. رأى توهجاً نارياً لأعين عديدة في حين اندفعت من فوقه، متجهة إلى مخبأ في الجرف.

قال ليتو: «يجب أن أتبع إملاءات قلبي الجديد. تنظرين إليّ على أنني مجرد طفل يا صبيحة، لكن إذا -».

قالت صبيحة: «لقد حذروني منك»، والآن أصبحت كتفاها مشدودتين في وضعية استعداد.

سمع الخوف في صوتها، فقال: «لا تخافيني يا صبيحة. عشتِ ثماني سنوات أكثر من جسدي هذا. لذلك، أنا أوقركِ. لكنني أملك آلاف السنين تفوق الحصر، عاشتها الأرواح الأخرى بداخلي، أكثر بكثير مما عرفته. لا تنظري إليّ كطفل. ربطت بين مسارات المستقبل

الكثيرة، ورأيت جسدينا في إحداها متشابكين في حب.
أنت وأنا يا صبيحة».

«ما.. هذا لا يمكن..». بترت عبارتها في حيرة.

قال: «ربما ستروق لكِ الفكرة مع الوقت. الآن ساعديني
على العودة إلى السيتش، لأنني كنت في أماكن بعيدة
وأنا ضعيف من إنهاك رحلاتي. يجب أن يسمع نمري أين
كنت».

ورأى فيها التردد، فقال: «ألست ضيف الكهف؟ يجب
أن يعرف نمري ما عرفته. لدينا أشياء عديدة لنفعلها وإلا
سيتهور عالمنا».

قالت: «لا أصدق ذلك.. عن الديدان».

«ولا عن تشابكنا في حب؟»

هزت رأسها. لكنه كان يرى الأفكار تجول في عقلها
مثل ريشة في مهب الريح. جذبتها كلماته وصدتها. أن
تكون محظية صاحب السلطة، كان ذلك بالتأكيد يحمل
سحراً سامياً. ومع ذلك، كانت هناك أوامر عمها. ولكن في
يوم من الأيام، قد يحكم ابن المؤدب هنا على كثيب وفي
أقصى بقاع الكون. ثم اعترها نور فرماني هائل، نابع من
الاختباء في الكهوف، تجاه مثل هذا المستقبل. سوف
يرى الجميع زوجة ليتو، ستكون موضع ثروة وتكهنات.
يمكن أن يكون لديها ثروة، و...

قال: «أنا ابن المؤدب، أستطيع رؤية المستقبل».

بيطء أعادت السكين إلى غمدها، ورفعت نفسها بسهولة عن البساط، وعبرت إلى جانبه وساعدته في الوقوف على قدميه. وجد ليتو نفسه مستمتعاً بأفعالها بعد ذلك: طويت البساط بدقة ولفته على كتفها اليمنى. رآها تقيس الاختلاف في حجميهما، متأملة كلماته: متشابكين في حب؟

فكر: الحجم شيء آخر يتغير.

وضعت يدها على ذراعه حتى تساعده وتسنده. تعثر، فتحدثت بحدة: «نحن بعيدان جداً عن السييتش على ذلك!» كانت تعني الصوت غير المرغوب فيه الذي قد يجذب دودة.

شعر ليتو أن جسده أصبح قشرة جافة مثل تلك التي تركها حشرة. كان يعرف هذه القشرة: كانت قشرة بناها المجتمع فوق تجارة المزاج، ودينها الإكسير الذهبي. الإسراف فيه أفرغه من مضمونه وأفقده معناه.. انحطت أهداف المؤدب السامية إلى السحر الذي فرضه الذراع العسكري للأوقاف*.

أصبح لديانة المؤدب اسم آخر الآن. كان «شين- سان- تشاو»، علامة إيكسية حددت شدة وجنون أولئك الذين اعتقدوا أنهم يستطيعون تحويل الكون إلى جنة باستعمال حد سكين عاجية مشهورة. لكن هذا أيضاً سيتغير مع تغير

إيكس. لأنهم كانوا مجرد الكوكب التاسع لشمسهم، وقد
نسوا حتى اللغة التي منحتم اسمهم.

تمم: « كان الجهاد نوعاً من الجنون الجماعي ».

«ماذا؟» كانت صبيحة تركز على مشكلة جعله يمشي دون
إيقاع، وبالتالي إخفاء وجودهما هنا على الرمال المفتوحة.
ركزت لحظة على كلماته، ثم فسرتها على أنها نتاج آخر
لإرهاقه الواضح. شعرت بوهنه، بالطريقة التي استنزفته
بها النشوة. تراءت لها النشوة قاسية وعقيمة. إن كانوا
سيقتلونه كما قال نمري، فيجب أن يحدث ذلك بسرعة
دون كل هذا التلاعب. لكن ليتو تحدث عن كشف
مذهل. ربما كان هذا ما سعى إليه نمري. بالتأكيد يجب
أن يكون هذا هو الدافع وراء سلوك جدة هذا الطفل.

وإلا فلماذا ستصادق سيدة كتيب على هذه الأعمال
المحفوفة بالخطر ضد طفل؟

طفل؟

مرة أخرى فكرت في كلماته. كانا عند قاعدة الجرف
الآن وقد توقفت، حتى تسمح له بالاستراحة هنا حيث
كان الوضع آمناً. نظرت إليه في ضوء النجوم الخافت،
وسألت: « كيف يمكن أن تختفي الديدان؟ »

قال: « أنا وحدي أستطيع تغيير ذلك. لا تخافي. يمكنني
تغيير أي شيء ».

«ولكنها...».

قال: «بعض الأسئلة بلا أجوبة. لقد رأيت هذا المستقبل، ولكن التناقضات تحيرني فحسب. هذا عالم متغير، ونحن أغرب تغير على الإطلاق. نتجاوب مع كثير من التأثيرات. عالمنا يحتاج إلى تحديث دائماً. والآن ثمة عائق يجب أن نُزيله. يتطلب هذا منا فعل أشياء وحشية، أن نعارض أعز رغباتنا وأبسطها... لكن يجب فعل ذلك».

«ما الذي يجب فعله؟»

سأل: «هل قتلت صديقاً من قبل؟» واستدار وقاد الطريق إلى الفجوة التي تنحدر صعوداً إلى المدخل الخفي للسيتش. كان يتحرك بأسرع ما يسمح به تعب النشوة، لكنها كانت خلفه مباشرة، تمسك بردائه وتوقفه.

«ما الذي تقوله عن قتل صديق؟»

قال ليتو: «سوف يموت على أي حال. لست مضطراً إلى القتل، لكن يمكنني منعه. إن لم أمنعه، ألا يضاهي هذا قتله؟»

«من هذا.. من سيموت؟»

قال: «البديل يبقيني صامتاً. قد أضطر إلى تسليم أختي إلى وحش».

مرة أخرى ابتعد عنها، وهذه المرة عندما شدت رداءه،

قاوم رافضاً الإجابة عن أسئلتها. فكر: الأفضل ألا تعرف حتى يحين الوقت.



وُصِف الانتقاء الطبيعي أنه بيئة غربلة انتقائية للكائنات التي ستمتلك ذرية. لكن فيما يتعلق بالبشر، فإن هذا التعريف محدود جدًا. يميل التكاثر الجنسي نحو التجربة والابتكار. ويثير أسئلة عديدة، بما في ذلك السؤال القديم حول إن كانت البيئة عاملاً انتقائياً بعد حدوث التباين الوراثي، أو إن كانت البيئة تلعب دوراً انتقائياً مسبقاً في تحديد التباينات التي تغربلها. لم يُجب كتيب حقاً عن هذه الأسئلة. أثار فحسب أسئلة جديدة قد يحاول ليتو والأخوية الإجابة عنها على مدى الخمسة جيل القادمة.

- كارثة كتيب

(عن خرق العادة)

لاحت الصخور البنية العارية للجدار الحامي في الأفق، مرئية لغنيمة، تجسيداُ لذلك الشبح الذي يهدد مستقبلها. وقفت على حافة حديقة السطح أعلى الحصن، وشمس المغيب خلفها. توهجت الشمس بلون برتقالي داكن برز من بين سحب الغبار المتداخلة، لون غني مثل حافة فم دودة.

تهدت وهي تفكر: عالية. عالية.. هل سيكون مصيرك مصيري أيضاً؟

ازدادت الأرواح داخلها صخباً في الآونة الأخيرة. كان هناك شيء يتعلق بالتكيف الأنثوي في مجتمع فرمني - ربما كان اختلافاً جنسياً حقيقياً، ولكن أيّاً كان - كانت الأنثى أكثر عرضة لهذا المد الداخلي. كانت جدتها قد

حذرتها من ذلك وهما يضعان الخطة، مستندة إلى الحكمة المتراكمة للبني چيسيريت التي تتمتع بها، لكنها أيقظت تهديدات تلك الحكمة داخل غنيمة.

قالت الليدي چيسيكاً: «للشُّعنة، المصطلح الذي نطلقه على الواعين قبل الولادة، تاريخ طويل من التجارب المريرة وراءها. يبدو أن الطريقة التي تحدث بها الشُّعنة تتضمن انقسام الأرواح الداخلية. تنفصل إلى حميدة وخبيثة. الحميدة تظل مطيعة ومفيدة. في حين أن الأرواح الخبيثة تتحد في روح واحدة قوية في محاولة للسيطرة على الجسد الحي ووعيه. من المعروف أن هذه العملية تستغرق وقتاً طويلاً لكن أماراتها معروفة جيداً».

سألت غنيمة: «لماذا هجرتِ عالية؟»

قالت چيسيكاً بصوت منخفض: «هربتُ مرعوبة مما خلقتة. استسلمت. الآن أشعر بالذنب لأنني.. ربما استسلمت أبكر من اللازم».

«ماذا تقصدين؟»

«لا أستطيع أن أشرح بعد، لكن.. ربما.. لا! لن أبيعك وهماً. عرفت الغفلة*، السهو البغيض، منذ زمن طويل في الأساطير البشرية. حملت أسماء كثيرة، لكنها عادة ما سُميت بالمس. هذا ما يبدو عليه الأمر، تضلين نفسك في طريق الشر، فيستحوذ عليك».

قالت غنيمة: «خاف ليتو من الاسپايس»، وقد وجدت

أنها تستطيع التحدث عنه بهدوء. اختار أن يدفع الثمن
الرهييب المطلوب منهما!

قالت چيسیکا: «وكان حكيمًا في خوفه هذا». لم تقل
أكثر من ذلك.

لكن غنيمه خاطرت بانفجار ذكرياتها الداخلية،
وحدقت إلى ما وراء حجاب ضبابي غريب، ووسعت
معرفة بلا جدوى بمخاوف البني چيسيريت بشأن الشنعة.
شرح ما حلَّ بعالية لم يخفف من هوله لو قليلًا. أشار
تراكم الخبرة البني چيسيرتية إلى طريقة محتملة للنجاة من
نخ الشنعة، ومع ذلك، عندما غامرت غنيمه بمشاركة ذلك
مع أرواحها الداخلية، استدعت أولًا الموهالاتا*؛ تحالفًا
مع الأرواح الحميدة التي قد تحميها.

تذكرت تلك المشاركة وهي تقف في توهج الغروب على
حافة حديقة سطح الحصن. شعرت على الفور بحضور-
ذكرى والدتها. تراءت تشاني هناك، طيفًا بين غنيمه
والمنحدرات البعيدة.

قالت تشاني: «ادخلي إلى هنا وستأكلين الزقوم*، طعام
جهنم! أغلقي هذا الباب يا ابنتي ففي ذلك سلامتك
الوحيدة».

ارتفع ضجيج الأرواح الداخلي حول رؤيتها، فهربت
غنيمه وركزت وعيها في عقيدة الأخوية بدافع اليأس أكثر
من الثقة. تلت عقيدة الأخوية بسرعة، وحركت شفيتها،

وتركت صوتها يرتفع إلى همس:

«الدين يشبه تقليد الأطفال للبالغين، فهو تغليف لمعتقدات سابقة: الأساطير وخرافاتها المعتمدة على التخمين، واقتراضات الثقة الخفية بالعالم، والتصريحات التي أطلقها الرجال طمعاً في النفوذ الشخصي، كلها مختلطة مع شذرات من التنوير. ودائماً ما تكون القاعدة المطلقة غير المعلنة «لا تشكك!» لكننا نشكك. نحن نخالف هذه القاعدة بطبيعتنا. والمهمة التي اخترناها لأنفسنا هي تحرير الخيال؛ وتسخيره لإبراز إبداع الإنسان العميق».

عاد الإحساس بالنظام ببطء إلى أفكار غنيمة. لكنها شعرت بجسدها يرتجف، رغم ذلك، وعرفت مدى هشاشة هذا السلام الذي حققته -وظل ذاك الحجاب الضبابي في ذهنها.

همست: «لب كماي، يا قلب عدوي، لن تكون قلبي».

واسترجعت في ذاكرتها ملامح فارادين، وجه شاب متجهم بحاجبين كثين وفم جامد.

فكرت: الكراهية ستقويني. بالكراهية، يمكنني مقاومة مصير عالية.

لكن هشاشة وضعها ظلت قائمة، وكل ما كان يمكن أن تفكر فيه هو مدى تشابه فارادين مع عمه الراحل شادام الرابع.

«ها أنتِ ذي هنا!».

كانت إيرولان قادمة من يمين غنيمة، تسير على طول المتراس بحركات ذكّرت غنيمة بحركات رجل محدد.

بينما تستدير، فكرت غنيمة: إيرون ابنة شادام.

سألت إيرولان وهي تتوقف أمام غنيمة وتشرّب فوقها بوجه عابس: «لماذا تستمرين في التسلل إلى الخارج بمفردك؟»

امتنعت غنيمة عن القول إنها ليست وحدها، وأن الحراس قد رأوها تخرج إلى السطح. وجّهت إيرولان غضبها إلى حقيقة أنهما في العراء وقد يكونان في مدى سلاح بعيد.

قالت غنيمة: «لا ترتدين بذلة تقطير. هل تعلمين أنه في الأيام القديمة، كان يُقتل فوراً أي شخص يُقبض عليه خارج السيتش دون بذلة تقطير. إهدار المياه كان يعني تعريض القبيلة للخطر».

احتدت إيرولان: «ماء! ماء! أريد أن أعرف لماذا تُعرضين نفسك للخطر بهذه الطريقة. عودي إلى الداخل. أنت تسببين المتاعب لنا جميعاً».

سألت غنيمة: «ما الخطر الموجود الآن؟ تخلص ستيلجار من الخونة. وحراس عالية في كل مكان».

حدقت إيرولان إلى السماء الآخذة في الإظلام. كانت

النجوم مرئية بالفعل فوق خلفية زرقاء-رمادية. أعادت انتباهها إلى غنيممة: «لن أجادلك. أرسلتني عالية لأخبرك أنه وصلتنا رسالة من فارادين. لقد قبل، ولكن لسبب ما يرغب في تأجيل المراسم».

«حتى متى؟»

«لا نعرف حتى الآن. يجري التفاوض بشأن ذلك. لكن سيرسل دانكن إلى كثيب»

«وجدتي؟»

«اختارت البقاء في سالوسا في الوقت الحالي».

سألت غنيممة: «من يستطيع لومها؟»

«هذا الشجار السخيف مع عالية!».

«لا تحاولي أن تخدعيني، يا إيرولان! لم يكن ذلك شجاراً سخيفاً. سمعتُ القصص».

«مخاوف الأخوية...».

قالت غنيممة: «إنها حقيقية. حسناً، لقد أوصلت رسالتك إلي. هل ستستغلين هذه الفرصة لمحاولة إقناعي ثانية؟»

«لقد استسلمت».

قالت غنيممة: «يجب أن تعرفي أفضل من محاولة الكذب علي».

«جيد جداً! سأستمر في محاولة إقناعك بذلك. هذه

الطريق جنون».

وتساءلت إيرولان لماذا تركت غنيمة تضايقها هكذا. يجب ألا تنزع البني چيسيريت من أي شيء. قالت: «أنا قلقة من الخطر الشديد الذي يهددك. تعلمين ذلك. غني، غني.. أنت ابنة پول. كيف يمكنك...».

قالت غنيمة: «لأنني ابنته. نحن، آترديز، نرجع بأصولنا إلى أجامنون، ونعلم ما يسري في دمائنا. لا تنسي ذلك أبداً، يا زوجة أبي التي لم تنجب قط. لدينا، نحن آل آترديز، تاريخ دموي ولم ننثه من الدم».

سألت إيرولان مشتتة الذهن: «من أجامنون؟»

قالت غنيمة: «يا لضالة تعليمك البني چيسيريت المتفاخر. ما زلت أنسى أنك غير متبحرة في التاريخ. لكن ذكرياتي تعود إلى..» بترت عبارتها. من الأفضل عدم إيقاظ تلك الأرواح من سباتها.

قالت إيرولان: «مهما كان ما نتذكرينه، يجب أن تعرفي مدى خطورة هذا الطريق».

قالت غنيمة: «سأقتله. هو مدين لي بحياة».

«وسأمنع ذلك إذا استطعت».

«نحن نعلم هذا بالفعل. لن نحصل على الفرصة لذلك. سترسلك عالية جنوباً إلى إحدى البلدات الجديدة حتى ينقضي الأمر».

هزت إيرولان رأسها بفرع. «غني، لقد أقسمت على أنني سأحرسك من أي خطر. وسأضحي بحياتي مقابل ذلك إن لزم الأمر. إذا كنت تعتقدن أنني سأرضى البقاء داخل جدران دجديدا الطوية في حين..».

قالت غنيمة وهي تتحدث بهدوء: «هناك دائما الهوانوي؛ أوعية تقطير الموتى كبديل. متأكدة أنك لن تستطيعي التدخل من منفاك في دجديدا».

شجبت إيرولان، ووضعت يدها على فمها، ونسيت للحظة تدريها كله. كانت ردة فعلها انعكاساً لمقدار الاهتمام الذي أولته غنيمة، هذا التخلي شبه الكامل عن كل شيء باستثناء الخوف الحيواني عليها. تحدثت من خلال الشعور المحطم سامحة له بالتجلي في رجفة شفيتها: «غني، لا أخاف على نفسي. سأرمي نفسي في فم الدودة من أجلك. نعم، أنا من تسمونها، زوجة أبيك التي لم تنجب قط، لكنك طفلي التي لم أنجبها. أتوسل إليك..». لمعت الدموع في زوايا عينيها.

كأخت غنيمة ضيق حلقها وقالت: «بيننا فارق آخر. لم تكوني فرمنية قط. في المقابل ما أنا إلا فرمنية، هذه هوة تفرقنا. عالية تعرف. مهما كانت، فهي تعرف هذا».

قالت إيرولان بمرارة: «لا يمكنك الجزم بما تعرفه عالية. لو لم أكن أعرف أنها آتريديزية، لأقسمت إنها سخرت نفسها من أجل تدمير عائلتها».

وكيف تعرفين أنها لا تزال آتريديزية؟ فكرت غنيمة متسائلة عن هذا العمى الذي أصاب إيرولان. كانت إيرولان بني چيسيريت، ومن يعرف أكثر منهم تاريخ الشُّنعة؟ لم تدع نفسها تفكر في الأمر حتى، ناهيك بتصديقه. لا بد أن عالية أَلقت سحراً معيناً على هذه المرأة المسكينة.

قالت غنيمة: «أنا مدينة لك بدين ماء. لذلك، سأحمي حياتك. لكن ابن عمك سيلقى جزاءه. لا تتحدثي أكثر من ذلك في هذا الشأن».

أنحمت إيرولان ارتعاش شفتيها، ومسحت عينيها. همست: «أحببت والدك. لم أعرف حتى أنني أحببته إلا بعد موته».

قالت غنيمة: «ربما لم يمت. هذا الواعظ...».

«غني! أحياناً لا أفهمك. هل من خصال پول مهاجمة عائلته؟»

هزت غنيمة كتفيها، ونظرت إلى السماء المعتمة: «قد يجد تسلية في مثل هذا -».

«كيف يمكنك التحدث باستهانة عن هذا...».

قالت غنيمة: «حتى أتجنب الأفكار السوداوية، لا أسخر منك. تعرف الآلهة أنني لا أسخر منك. لكنني مجرد ابنة أبي. أنا كل شخص ساهم ببذرة إلى آل آتريديز. إنك لا

تفكرين في الشُّنعة، لكنني لا يمكنني التفكير في أي شيء آخر. أنا الواعية ما قبل الولادة. أنا أعرف ما في داخلي». «تلك الخرافة القديمة الحمقاء حول...».

مدت غنيمة يدها نحو فم إيرولان: «توقفي. أنا كل بني چيسيرتية في برنامج التناسل اللعين بمن فيهن جدتي. بل وأكثر من ذلك بكثير». خدشت راحة يدها اليسرى، ولطخت ظفر إصبعها بقطرة من دمها. «هذا جسم هش، لكن ما مر به من تجارب.. يا إلهي، يا إيرولان! كم من تجارب مر بها! أتفهمين؟!» مدت يدها مرة أخرى مع اقتراب إيرولان. «أعرف كل تلك الاحتمالات المستقبلية التي استكشفتها والدي. لدي حكمة أعمار عديدة، وجهلها أيضًا. وكل نقاط ضعفها. إن كنت ستساعديني، يا إيرولان، فاعلمي أولاً من أنا».

انحنت إيرولان بشكل عفوي، وضمت غنيمة بين ذراعيها، مقربة إياها منها، خدها مقابل خدها.

فكرت غنيمة: لا تدعني أضطر إلى قتل هذه المرأة. لا ندع ذلك يحدث.

عندما اجتاحتها هذه الفكرة، غشا الليل الصحراء كلها.

دعاك طائر صغير

بمنقار مخطط قرمزي.

صاح مرة فوق سييتش تبر

ثم مضى إلى السهل الجنائزي

(مرثاة من أجل ليتو).

استيقظ ليتو على رنين حلقات الماء في شعر امرأة. نظر إلى باب زنزانتة المفتوح، وأبصر صبيحة جالسة هناك. كان وعيه مغموراً بالاسپايس، فرأى فيها كل ما أظهرته له رؤيته. كانت أكبر من سن الزواج بسنتين، وهي السن التي تتزوج فيها معظم نساء الفرمن أو تخطب على الأقل. لا ريب أن عائلتها كانت تدخرها لغرض ما.. أو شخص ما. كانت جاهزة للزواج.. كما هو واضح. رآها بعينه المسحورتين بالرؤية على أنها مخلوق من ماضي البشرية على الأرض: شعرٌ داكن وبشرة شاحبة، ومحجران عميقان منعاً عينها تامتي الزرقة صبغة خضراء. كان لديها أنف صغير وفم عريض فوق عظام ذقن حادة. وكانت علامة حية على أن خطة النبي چيسيريت كانت معروفة -أو مشتبه فيها- هنا في چاكوروتو. هل كنّ يأملن في إحياء إمبراطورية فرعونية من خلاله؟ إذن ماذا عن خطتهن لإجباره على الزواج من أخته؟ بالتأكيد لم تستطع صبيحة منع ذلك.

لكن آسريه كانوا يعرفون الخطة. كيف علموا بها؟

لم يشاركوه نفس الرؤية عنها. لم يذهبوا معه إلى حيث تتحول الحياة إلى غشاء متحرك في أبعاد أخرى. رؤيته التي كانت انعكاساً لنفسه كشفت له أن صبيحة كانت له، وله وحده.

مرة أخرى رنت حلقات الماء في شعر صبيحة، وأيقظت رؤاه. كان يعرف أين كان وماذا تعلم. لا شيء يستطيع محو ذلك. لم يكن يمتطي محفة صانعة عظيمة الآن، ورنين حلقات الماء يدق بين الركاب إيقاعاً لأغاني عبورهم. لا.. كان في زلزلة چاكوروتو، وقد شرع في تلك الرحلة الأخطر: رحلة ستقوده بعيداً ثم تعيده إلى أهل السنة والجماعة*، بعيداً عن عالم الحواس الحقيقي، ثم إياباً إليه.

ماذا كانت صبيحة تفعل وحلقات الماء ترن في شعرها؟ نعم بالتأكيد. كانت تمزج مزيداً من المشروب الذي ظنوا أنه أبقاه مقيداً: الطعام المخلوط بخلصة الاسپايس لإبقائه مقسماً نصفه داخل العالم الحقيقي ونصفه خارجه، إلى أن يموت أو تنجح خطة جدته. وكلها ظن أنه انتصر، أعادوه إلى صورته الأولى. كانت الليدي چيسیکا محقة بالطبع -تلك الساحرة العجوز! لكن يا له من شيء رهيب يجب فعله. لم يكن استدعاء تفاصيل كل تلك الأرواح التي تعيش داخله مجدياً حتى يتمكن من تنظيم البيانات، وتذكرها عندما يشاء. كانت تلك الأرواح مادة خاماً للغوغاءية. كان بإمكان أي روح منها أو كلها أن تسيطر عليه. كان الاسپايس وموقعه الغريب هنا في چاكوروتو

مقامرة يأسه.

الآن ينتظر جيرني الإشارة، وأنا أرفض أن أعطيها له.
إلى متى سيدوم صبره؟

حذق إلى صبيحة. أقت قلنسوة رأسها إلى الورا،
وكشفت الوشوم القبلية فوق صدغيها. لم يتعرف ليتو على
الوشوم في البداية، ثم تذكر أين كان. نعم، لا يزال في
چاكوروتو حياً.

لم يكن ليتو يعرف إن كان يجب أن يكون شاكرًا لجدته
أم يكرهها. أرادت منه أن يمتلك غرائز مستنيرة. لكن
الغرائز كانت مجرد ذكريات موروثه من الأسلاف بداخله
عن كيفية التعامل مع الأزمات. أخبرته ذكرياته المباشرة
عن تلك الأرواح الأخرى بأشياء أعمق بكثير. نظم كل
شيء الآن، ويمكن أن يرى خطر الكشف عن نفسه
لجيرني. لا توجد طريقة لإخفاء ما اكتشفه عن نمري.
وكان نمري مشكلة أخرى.

دخلت صبيحة الزنزانة حاملة وعاء في يديها. أعجب
بالطريقة التي رسم بها الضوء القادم من الخارج دوائر
قوس قزح على أطراف شعرها. رفعت رأسه برفق وبدأت
تطعمه من الوعاء. شعر بضعفه الشديد. سمح لها بإطعامه
بينما كان عقله يتجول متذكراً الجلسة مع جيرني ونمري.
صدقاها! نمري أكثر من جيرني، لكن حتى جيرني لم
يستطع أن ينفي ما أخبرته به حواسه عن الكوكب.

مسحت صبيحة فمه بحاشية رداؤها.

فكر وهو يتذكر الرؤية الأخرى التي ملأت قلبه بالألم:
آآه، يا صبيحة. كم من ليالٍ حلت فيها بجانب المياه
المفتوحة، وسمعت الرياح وهي تهب فوق الرؤوس. وكم
من ليالٍ كان جسدي يرقد فيها بجانب وكر الأفعى وحلت
بصبيحة في قيظ الصيف. رأيتها تفرد خبز الاسپايس المخبوز
على صوانٍ من البلاستيك الأحمر الساخن. رأيت الماء
الصافي في الساقية مترقرقًا ولامعًا، لكن رياحًا عاصفة
هبت على قلبي. كانت ترتشف القهوة وتأكل. تلمع أسنانها
في الظلال. رأيتها تُضفر حلقات الماء في شعرها. تخرق
رائحة ثديها العنبرية حواسي العميقة. تعذبني وتُثقلني
بوجودها.

أدى ضغط ذكرياته المتعددة إلى انفجار الغلاف الجليدي
للزمن الذي حاول مقاومته. شعر بأجساد ملتحمة،
أصوات مطارحة الغرام، إيقاعات متداخلة في كل انطباع
حسي: شفاه، تنفس، أنفاس رطبة، السنة. في مكان
ما في رؤيته كان هناك أشكال حلزونية سوداء، وشعر
بنبضاتها وهي تتقلب بداخله. ناشد صوت في جمجمته:
«من فضلك... من فضلك... من فضلك... من فضلك...»
كان ثمة انتفاخ بالغ في عضوه، وشعر بفمه مفعورًا،
ومتشبثًا بالنشوة.. ثم تنهد، حلاوة متدفقة من الأعماق، ثم
انهيار.

أوه، كم هو جميل أن ندع ذلك يرى النور!

همس: «صبيحة، آه يا صبيحتي».

كان من الواضح أن ليتو قد تعمق في النشوة بعد تناول طعامه، أخذت صبيحة الوعاء وغادرت، متمهلة أمام المدخل حتى تتحدث إلى نمري: «نادى اسمي مرة أخرى».

قال نمري: «ارجعي وابقى معه. يجب أن أجد هاليك وأناقش هذا معه».

وضعت صبيحة الوعاء إلى جانب المدخل وعادت إلى الزنزانة. جلست على حافة السرير، محدقة إلى وجه ليتو المظلل.

فتح ليتو عينيه ومد يده ولمس خدها. بدأ يحدثها عن الرؤية التي شاهدها فيها.

أمسكت يده وهو يتحدث. كم كان رقيقًا.. كم كان لطيفًا - استلقت فوق السرير شاردة، مستندة إلى يده. سحب يده بعيدًا، وجلس وهو يشعر بالضعف الشديد. استنزفه الاسپايس ورؤياه. فتش في خلاياه عن كل ذرة طاقة باقية فيها، ونهض عن سريره دون إزعاج صبيحة. كان عليه أن يغادر السييتش، لكنه كان يعلم أنه لن يتعد. ببطء أغلق أقفال بذلة تقطيره، ولف الرداء حوله، وانزلق عبر الممر إلى النفق الخارجي. كان هناك عدد قليل من الناس مشغولون بشؤونهم. عرفوه، لكنه لم يكن مسؤوليتهم. كان نمري وهاليك يعرفان ما كان ينويه؛ ولا يمكن أن تكون صبيحة غير مدركة لذلك.

وجد الممر الجانبي الذي يحتاج إليه، وسار فيه بجرأة.
تاركًا صبيحة تنام بسلام حتى أيقظها هاليك.

جلست، وفركت عينيها، ورأت السرير فارغًا، ورأت
عمها واقفًا خلف هاليك، والغضب على وجهيهما.

رد نمري على التعبير على وجهها: «نعم، لقد ذهب».

احتد هاليك: «كيف تركته يهرب؟ كيف حدث
هذا؟»

قال نمري، صوته هادئ بغرابة: «شاهد يتجه نحو المخرج
السفلي».

انكشت صبيحة أمامها وهي تتذكر.

سأل هاليك: «كيف؟»

«لا أعرف. لا أعرف».

قال نمري: «خيم الليل، وهو ضعيف. لن يذهب بعيدًا»

استدار هاليك إليه: «تريد أن يموت الصبي!»

«لن يزعجني ذلك».

مرة أخرى واجه هاليك صبيحة: «أخبريني بما حدث».

«لمس خدي. ظل يتحدث عن رؤيته.. نحن معًا».

نظرت إلى السرير الفارغ: «جعلني أنام. سحرني».

نظر هاليك إلى نمري: «هل يمكن أن يكون مختبئًا في

مكان ما في الداخل؟»

«لا مكان للاختباء في الداخل. كانوا سيعثرون عليه ويلهونونه. كان متوجهاً إلى المخرج. هو في الخارج قطعاً.»

تمت صبيحة: «سحر».

قال نمري: «ليس سحراً. نومها. كاد يفعل ذلك بي، هل نتذكر؟ قال إنني صديقه.»

قال هاليك: «إنه ضعيف جداً.»

قال نمري. «بجسده هذا، لن يذهب بعيداً. لقد عطلت مضخات الكعبين ببذلة تقطيره. سيموت من العطش إن لم نجده.»

كاد هاليك يستدير ويضرب نمري، لكنه حافظ على رباطة جأشه بتحكم صارم. حذرتة چيسيكا أن نمري قد يضطر إلى قتل الفتى. بحق الإلهة! يا له من منعطف وصلوا إليه، آتريديز في مواجهة آتريديز، قال: «هل يعقل أنه تاه في نشوة الاسپايس؟»

سأل نمري: «ما الفرق الذي يحدثه هذا؟ لقد هرب منا، يجب أن يموت.»

قال هاليك: «سنبدأ البحث عند الفجر. هل أخذ عدّة فرمن؟»

قال نمري: «يوجد دوماً بعضها إلى جانب أقفال الباب. سيكون أحق إن لم يأخذ واحدة. بطريقة ما، لم يترأى لي

أحمق قط».

قال هاليك: «إذا أرسل رسالة إلى أصدقائنا. أخبرهم بما حدث».

قال نمري: «لا رسائل هذه الليلة. هناك عاصفة قادمة. كانت القبائل تراقبها منذ ثلاثة أيام حتى الآن. ستصل هنا بحلول منتصف الليل. انقطع الاتصال بالفعل. وتعطل بث الأقمار الصناعية من هذا القطاع قبل ساعتين».

هزت تنهيدة عميقة هاليك. سيموت الصبي هناك بالتأكيد إن أمسكت به العاصفة الرملية. ستنتزع اللحم عن عظامه وتفتت عظامه إلى شظايا. سيصبح الموت المزيف حقيقة. صفع قبضته في راحة يده الأخرى المفتوحة. ربما تجسهم العاصفة داخل السييتش. لن يتمكنوا حتى من الخروج والبحث عنه. تشويش العاصفة قد عزل السييتش بالفعل.

قال مفكراً في أنهم ربما يطبعون رسالة على صوت خفاش ويرسلونها مع إنذار بالعاصفة: «المكودات».

هز نمري رأسه. «الخفافيش لن تطير في عاصفة. هيا يا رجل. إنها أكثر حساسية منا. سوف تنكش في المنحدرات حتى تنتهي العاصفة. من الأفضل انتظار الأقمار الصناعية لالتقاط بثنا مرة أخرى. ثم يمكننا محاولة العثور على رفاته».

قالت صبيحة: «ليس إن أخذ عدة فرمن، واختبأ في الرمال».

لعن هالك بصوت خفيض، ثم استدار، وخرج إلى
السييتش.

السلام يتطلب حلولاً، لكننا لا نتوصل أبداً إلى حلول حية؛ نحن نسعى إليها فحسب.. الحل الثابت، بحكم تعريفه، حل ميت. مشكلة السلام أنه يعاقب الأخطاء بدلاً من مكافأة الذكاء.

- كلمات أبي: سرد المؤدب

(أعاد صياغته خرق العادة).

«تدربه؟ تدرب فارادين؟»

نظرت عالية إلى دانكن آيداهو بغضب واستهجان.

أخذت هايلاينر تدور في مدار حول أراكس ساعة الظهيرة بالتوقيت المحلي. بعد ساعة، هبطت بآيداهو في أراكين، دون إنذار. في دقائق، أنزلته ثوبتر على قمة الحصن. كانت عالية قد استقبلته هناك، بيروود رسمي أمام حراسها، ولكنهما الآن يقفان في جناحها أسفل الحافة الشمالية. أبلغها للتو بتقريره، بصدق ودقة، مؤكداً كل معلومة وتفصيل بطريقة المنتات.

قالت عالية: «فقدت رشدها».

تعامل مع عبارتها على أنها مشكلة منتات. «كل المؤشرات تشير إلى أنها لا تزال متوازنة وعقلانية. يجب أن أقول إن مؤشر سلامتها العقلية -».

انفعلت عالية: «توقف عن ذلك! ما الذي تفكر فيه؟»

قال آيداهو، الذي كان يعلم أن اتزانه العاطفي يتطلب

الجنوح إلى برودة المنتات: «أظن أنها تفكر في خطبة حفيدتها». حافظ على ملامحه صلبة بعناية، واكتسى وجهه بقناع حزن عميق كاد يغمره حقًا. لم تكن عالية هنا، ماتت عالية، لمدة من الوقت كان يحتفظ بنسخة أسطورية من عالية في ذهنه، نسخة صنعها وفق احتياجاته الخاصة، لكن المنتات لا يمكنه أن يخدع نفسه طويلًا. كانت هذه المخلوقة ذات المظهر البشري ممسوسة؛ قادتها روح شيطانية. أعادت عيناه الفولاذيتان بأوجهها التي لا حصر لها والمتاحة رهن إرادته، إنتاج عدة صور من عالية - الأسطورة في مجال رؤيته لكن عندما جمعها معًا في صورة واحدة، لم يبق من عالية شيء. تغيرت ملامحها لتناسب مع مقتضيات أخرى. كانت واجهة لفظائع رهيبة ارتكبت بداخلها.

سأل: «أين غنيمة؟»

لم تفكر مليًا في سؤاله، وقالت: «أرسلتها مع إيرولان للبقاء في حراسة ستيلجار».

فكر: أرض محايدة. ثمة مفاوضات أخرى تُجرى مع القبائل المتمردة. كانت تخسر نفوذها، ولا تعرف ذلك... ام تعرف؟ هل هناك سبب آخر؟ هل انضم ستيلجار إليها؟ قالت عالية متفكرة: «الخطبة! ما الأوضاع في عائلة كورينو؟»

«سالوسا تعج بالأقارب الوافدين من الخارج، وكلهم

يستميلون فارادين، على أمل الحصول على نصيب من
كعكة عودته إلى السلطة».

«وهي تدربه على نهج البني چيسيريت؟»

«ألا يليق ذلك بزوج غنيمه؟»

ابتسمت عالية لنفسها وهي تفكر في غضب غنيمه العنيد.
فليتدرب فارادين. كانت چيسيكاً تدرب جثة. سيحل
كل شيء».

قالت: «يجب أن أفكر ملياً في هذا الأمر. أنت هادئ
جداً، يا دانكن».

«انتظر أسئلتك».

«أرى ذلك. كما تعلم، كنت غاضبة جداً منك على
أخذها إلى فارادين!»

«أمرتني أن أجعل الأمر يبدو حقيقياً».

«أجبرت على نشر التقرير الذي يفيد بأنكما أسيران».

«أطعت أوامرك».

«أنت حريفي في بعض الأحيان، يا دانكن. تكاد تخيفني.
ولكن إن لم تفعل ذلك، حسناً».

قال: «الليدي چيسيكاً بمأمن عن الأذى. وبالنسبة إلى
غنيمه، يجب أن نكون ممتنين على».

وافقت: «ممتنين إلى أبعد حد». وفكرت: لم يعد جديراً

بثقتي. يمتلك ذلك الولاء الآتريديزي اللعين. يجب أن أجد
ذريعة لإرساله بعيداً.. والقضاء عليه. يجب تصوير الأمر
على أنه حادث بالطبع.

لمست خده.

أجبر آيداهو نفسه على الرد على ملاطفتها، فأخذ يدها
وقبلها.

قالت: «دانكن، دانكن، كم هو محزن. لكن لا يمكنني
أن أبقى هنا معي. الكثير يحدث، والقليل من الأشخاص
الذين يمكنني الوثوق بهم تماماً».

حرر يدها، وانتظر.

قالت: «اضطرت إلى إرسال غنيمة إلى تبر. الأوضاع
هنا مضطربة جداً. هاجم غزاة من الأراضي الوعرة
القنوات في حوض كاجا، وسكبوا مياهها كلها في
الرمال. أصبحت أراكن تعاني شحاً في الإمدادات.
الحوض يعج الآن بيرقات الرمال التي تبتلع حصاد المياه.
أمرت بالتعامل معها، بالطبع، لكن الأمر يفوق قدراتنا».

لاحظ بالفعل قلة عدد حارسات عالية الأمازونيات في
الحصن. وفكر: سوف يستمر متمرذو الصحراء الداخلية في
اختبار دفاعاتها. ألا تعرف ذلك؟

قالت: «ما زالت تبر منطقة محايدة. المفاوضات مستمرة
الآن. أرسلت جاقيد إلى هناك مع وفد من الكهنوت.

لكني أريد أن تراقبهم في تبر، لا سيما إيرولان».

وافق: «إنها كورينو».

لكنه رأى في عينيها أنها ترفضه. كم أضحت هذه الكائن-
عالية واضحة!

لوحث بيدها. «اذهب الآن، يا دانكن، قبل أن ألين
وأبقىك هنا بجانبني. اشتقت إليك جداً».

قال سائحاً لكل أساه بالتدفق عبر صوته: «وأنا اشتقت
إليك».

حدقت إليه، أذهلها حزنه. ثم قالت: «من أجلي، يا
دانكن». وفكرت: يا للأسف، يا دانكن. قالت: «زيا
ستأخذك إلى تبر. نحن بحاجة إلى رجوع الثوبتر هنا بعد
إيصالك».

فكر: حيواناتها الأمازونية الأليفة. يجب أن أكون حذراً
من زيا.

قال وهو يمسك يدها مجدداً ويقبلها: «أفهم». كان يحدق
في الجسد الغالي الذي كان ذات يوم جسد عاليته. لم
يستطع النظر إلى وجهها وهو يغادر. شخص آخر حدق إليه
من عينيها.

خلال صعوده إلى منصة الإقلاع فوق سطح الحصن،
شعر أيدها بالتساؤلات غير المجابة تتزايد في ذهنه. كان
الاجتماع مع عالية يستدعي انتباه الجزء المنتاتي منه الذي

استمر في قراءة علامات البيانات التي يتلقاها. انتظر بجانب الثوبتر برفقة إحدى أمازونيات الحصن، يحدق بكآبة جنوباً. أخذت مخيلته بصره إلى ما وراء الجدار الحامي إلى سيديتش تبر. لماذا تأخذني زيا إلى تبر؟ إعادة ثوبتر مهمة وضيعة. وما سبب تأخرها؟ هل نتلقى زيا تعليمات خاصة من عالية؟

نظر آيداهو نظرة خاطفة إلى الحارسة الحذرة، وصعد إلى مقعد الطيار داخل الثوبتر. انحنى إلى الخارج وقال: «أخبري عالية أنني سأعيد الثوبتر على الفور مع أحد رجال ستيلجار».

قبل أن تتمكن الحارسة من الاحتجاج، أغلق الباب وأقلع بالثوبتر. رآها واقفة هناك مترددة. من يستطيع أن يستجوب خليل عالية؟ ارتفع بالثوبتر في الهواء قبل أن تقرر ما عليها فعله.

الآن، وحيداً في الثوبتر، أطلق العنان لحزنه في نحيب مفعج، رحلت عالية، اقترقا إلى الأبد. تدفقت الدموع من عينيه التليلاكسو، وهمس: «لو أن مياه كثيب كلها انسكبت في الرمال، لن تضاهي دموعي».

كانت هذه مبالغة غير منتاتية، علم ذلك، فأجبر نفسه على التقييم العقلاني للضروريات الحالية. تطلبت قيادة الثوبتر انتباهه. أعطته ردود أفعال الطيران بعض الراحة، واستعاد سيطرته على ذاته من جديد.

غنيمة مع ستيلاجار مجدداً. وإيرولان.

لماذا عيَّنت عالية زيا لترافقه؟ رأى في ذلك مشكلة
منتاتية، وأصابه الجواب عندما أتاه بالقشعريرة. كانت
الخطبة أن أموت في حادث.



هذا الضريح الصخري لجمجمة حاكم لا تستجيب لأي
دعاء. أصبح قبراً للهرثيات. وحدها الريح تسمع صوت
هذا المكان. صرخات مخلوقات الليل والأعجوبة العابرة
لقمري كثيب، كلها تقول إن يومه قد ولى. لا مزيد من
المتضرعين يأتون. وانفض الزوار عن المأدبة. كم كان
الطريق أسفل هذا الجبل مقفراً.

-عبارات منقوشة على ضريح دوق آتريديزي مجهول.

كان للشيء مظهر خادع من البساطة بالنسبة إلى ليتو:
تجنب الرؤية، وافعل ما لم ير من قبل. كان يعرف الفخ
في فكرته، كيف أن الخيوط العرضية لمستقبل مغلق تلتف
معاً حتى تمسك بك بسرعة، لكنه امتلك قبضة جديدة
على تلك الخيوط. لم ير نفسه يهرب من چاكوروتو إلى أي
مكان. يجب قطع الخيط الذي يربطه بصبيحة أولاً.

جلس القرفصاء الآن في ضوء النهار الأخير على الحافة
الشرقية للصخرة التي كانت تحمي چاكوروتو. أمدته عدته
الفرمنية بأقراص الطاقة والطعام. انتظر الآن استعادة
قوته. إلى الغرب تقع بحيرة الأزرق*، السهل الجبسي
حيث كانت المياه الوفيرة في الأيام التي سبقت الدودة.
وإلى جهة الشرق يقع بني شيرك، ولكنه لا يستطيع
مشاهدته. كان بني شيرك مجموعة متناثرة من المستوطنات
الجديدة تمتد فوق منطقة برية مفتوحة. جنوباً تقع
تانزروفت، أرض الأهوال: ثمانئة كيلومتر من الأرض
القاحلة لا يتخللها سوى بقع من الكثبان الرملية محاطة

بالعشب، ومصيدات الرياح لترويتها -تأثير التحول البيئي الذي أعاد تشكيل المناظر الطبيعية في أراكس. كانت ترعاها فرق محمولة بالثوبترات، ولم يمكث أحد فيها منذ مدة طويلة.

قال لنفسه: سأذهب جنوباً. سوف يتوقع مني جبرني أن افعل ذلك. لم يكن هذا وقتاً مناسباً لفعل شيء مفاجئ إطلاقاً.

سيحل الظلام قريباً وسيتمكن من مغادرة هذا المخبأ المؤقت. حدق إلى الأفق الجنوبي. صفّرت سحابة بنية-رمادية على طول الأفق ودارت مثل عمود دخان، رسمت خطاً مشتعلاً من غبار متموج - كانت عاصفة.

شاهد قلب العاصفة العالي يتصاعد من الفلاة الكبرى مثل دودة في رحلة بحث. لمدة دقيقة كاملة راقب قلب العاصفة، ورأى أنه لا يتحرك يميناً أو يساراً. قفز إلى ذهنه قول فرموني قديم: عندما لا يتحرك قلب العاصفة، فأنت في مسارها.

غيرت تلك العاصفة الكثير.

حدق لحظة إلى الورا غروباً في اتجاه تبر، وشعر بالسلام الرمادي المخادع لمساء الصحراء، ورأى السهل الجبسي الأبيض محاطاً بالحصى المدورة التي صقلتها الرياح، وشاهد البيداء المقفرة يغطي سطحها سحب الغبار البيضاء الساطعة. لم ير نفسه في أي رؤية ينجو من الأفعى الرمادية لعاصفة

هائلة، أو مدفوناً بعمق شديد في الرمال حتى يبقى حياً. لم يكن هناك سوى رؤيته عن التدحرج في الريح. لكن هذا قد يأتي لاحقاً.

هبّت عاصفة في الخارج، عبر درجات عديدة من خطوط العرض، وأخضعت ما حولها لها. يمكنه المجازفة بعبورها. هناك قصص قديمة، تُسمع دوماً من صديق لصديق، أنه يمكن للمرء أن يُبقي دودة مرهقة على السطح من خلال تثبيت خطاف صانعة أسفل إحدى حلقاتها العريضة، وبعد شلّ حركتها، يمتطي الدودة عبر العاصفة مختبئاً خلفها من الريح. كان هناك فرق بسيط بين الجرأة والتهور المنبوذ الذي أغراه. لن تأتي تلك العاصفة قبل منتصف الليل على أقرب تقدير. أمامه وقت. كم عدد الخيوط التي يمكن قطعها هنا؟ كلها، بما فيها الخيط الأخير؟

سيتوقع جيرني مني أن أذهب جنوباً، لكن ليس داخل عاصفة.

حدّق جنوباً، باحثاً عن معبر، ورأى مضيقاً مظلماً كأنه ضربة فرشاة سوداء رشيقة يخترق صخرة چاكوروتو. رأى تجميعات الرمل في جوف المضيق، رمال شمير. ينساب الرمل فوق أرض المضيق بغطرسة كأنه جدول ماء. شعر بحلقه الجاف العطشان، وهو يحمل عدة الفِرمِن على كتفه ويهبط الطريق المؤدي إلى الأخدود. كان لا يزال هناك ضوء يكفي ليراه أي عابر، ولكن لم يكن لديه متسع من

الوقت.

عندما وصل إلى حافة الأخدود، غطاه ليل الصحراء المركزية. أضواء نور القمر انخافت طريقه نحو تانزروفت. جعلت مخاوفه من ذكرياته الغنية قلبه يتسارع. شعر أنه ربما يتجه نحو الهوانوينا الاسم الذي وصفت به مخاوف الفرمن أعظم العواصف. الهوانوينا؛ وعاء تقطير موتى أرضي. لكن مهما حدث، سيكون بلا رؤية. كل خطوة تركت وراءها حالة الديان (35) التي يسببها الاسپايس، والتي وسعت وعيه بطبيعته الحدسية والإبداعية مع انفتاحها على سلسلة السببية الثابتة. مقابل كل مئة خطوة يخطوها الآن، لا بد من خطوة واحدة على الأقل جانباً، تتجاوز الكلمات وفي وصال مع واقعه الداخلي الذي أدركه حديثاً.

بطريقة أو بأخرى، أنا قادم إليك يا أبي.

سمع أصوات خافتة صادرة عن طيور غير مرئية في الصخور حوله، اهتدى بها إلى طريقه. في كثير من الأحيان، بينما يعبر الشقوق، ميز عيون خضراء عدائية لمخلوقات تجثم محتبئة هرباً من العاصفة الوشيكة.

خرج من الأخدود إلى الصحراء. شعر بالرمال النابضة بالحياة تتحرك وتنفس تحت قدميه، وتخبره عن أفعال عميقة في بواطن الأرض وداخات (36) كامنة. نظر خلفه إلى الصخور البركانية التي تلمع بضوء القمر فوق تلال

جاكوروتو. كانت تلك الصخور مشوهة ومنحنية بفعل تأثير الضغط العالي. لا يزال بجعبة أراكس ما يقوله عن مستقبله. غرس مطراقه في الرمال حتى يستدعي دودة، وعندما سمع صوتها يدوي تحت الأرض، انتظرها في مكانه متأهباً.

اتجهت يده اليمنى دون وعي إلى خاتمه الذي يحمل شعار صقر آترديز، والذي كان مخفياً في طية دشداشته. كان جيرني قد عثر على الخاتم، لكنه لم يأخذه منه. فيم كان يفكر عندما رأى الخاتم؟
أبي، توقع وصولي قريباً.

جاءت الدودة من الجهة الجنوبية. كانت تنحني لتفادي الصخور، ولم تكن بالحجم الذي كان يتمناه، لكنه لم يكن لديه خيار آخر. قدر مسارها، ورمى خطافيه على ظهرها، وقفز بسرعة إلى جانبها المغطى بالقشور، بينما هاجمت الدودة مطراقه وأثارت سحابة من الغبار.

استجابت الدودة بسهولة لضغط خطافيه. بدأت ريحها تضرب ثوبه. رفع عينيه إلى النجوم الجنوبية، التي كانت باهتة خلف الغبار، وقاد الدودة في ذلك الاتجاه.

نحو قلب العاصفة.

عندما ظهر القمر الأول، قاس ليتو ارتفاع العاصفة وأجل تقديره المبدئي لوصولها. لن تصل قبل الفجر. كانت تتمدد وتجمع مزيداً من القوة لتقفز بشكل هائل. ستكون

هناك كثير من المهام في انتظار فرق التحول البيئي بعد انقضاء العاصفة. كان الكوكب كأنه يحاربهم بغضب مقصود، وزاد غيظه مع كل شبر من الصحراء يتحول إلى واحة.

قاد الدودة جنوباً طوال الليل، وهو يشعر بمخزون طاقتها من حركاتها المنتقلة إلى قدميه. من حين إلى آخر سمح ليتها للوحش بالانحراف نحو الغرب، وهو ما كان يحاول فعله باستمرار، متبعاً حدود أراضيها غير المرئية أو واعيّاً بعمق مصدر العاصفة القادمة. كانت الديدان تختبئ تحت الرمال هاربة من الرياح المحملة بالرمال، لكن هذه الدودة لن تغوص تحت الصحراء ما دام خطاف الصانعة يبقي أياً من حلقاتها مفتوحة.

في منتصف الليل بدت على الدودة علامات تعب كثيرة. انتقل إلى الخلف على طول نتوءات جسمها الضخم، مخففاً قبضته عليها بحيث يسمح لها بالتباطؤ، ولكنه يواصل توجيهها جنوباً. وصلت العاصفة مباشرة بعد الفجر. في البداية ساد الهدوء الممتد لفجر الصحراء الذي ضغط على الكثبان الرملية واحدة تلو الأخرى. ثم دفع الغبار الهائل ليتوالى إغلاق سدائل قناع بذلة التقطير. وسط الغبار الكثيف، أصبحت الصحراء مشهداً مظلماً بلا معالم. ثم بدأت إبر الرمل تخدش خديه، وتوسع جفنيه. شعر بجيبيات الرمل الخشنة على لسانه، وعلم أنه حان وقت الحسم.

هل يجازف بالقصص القديمة ويشل حركة الدودة المنهكة؟ لم يستغرق سوى نبضة قلب لتجاهل هذا الخيار، وشق طريقه مرة أخرى إلى ذيل الدودة، ونزع خطافه. الدودة التي كادت تتوقف عن الحركة، بدأت تحفر الأرض. لكن الاستخدام المفرط لنظام النقل الحراري داخل الدودة ما زال يولد فرناً إعصارياً خلفها في العاصفة المتنامية. تعلم أطفال الفرمن خطورة هذا الوضع بالقرب من ذيل الدودة من خلال القصص الأولى التي رويت لهم. كانت الديدان مصانع أوكسجين. اندلعت النيران بضراوة في أحشائها، يغذيها الزفير الهائل للأوكسجين الناجم عن التفاعلات الكيميائية داخلها.

بدأت الرمال تضرب ما حول قدميه. فتح ليتو خطافه وقفز بعيداً ليتجنب فرن النار عند ذيل الدودة. كل شيء يتوقف الآن على الهبوط تحت الرمال التي جعلتها الدودة طرية.

أمسك بأداة تكثيف بالضغط في يده اليسرى، وحفر في سطح كثيب رملي مدرّكاً أن الدودة كانت مرهقة جداً بحيث لا تستطيع التراجع وابتلاعه في فمها الأبيض البرتقالي العملاق.

بينما كان يحفر بيده اليسرى، أخرج بيده اليمنى خيمة التقطير من عدته الفرمنية وأعدّها للنفخ. أنجز كل ذلك في أقل من دقيقة: وضع الخيمة في جيب رملي ذي جدران صلبة على الجانب المنزلق من أحد الكثبان. نفخ

الخيمة وزحف داخلها. قبل إغلاق السُّرة العاصرة لمدخل الخيمة، مد يده بأداة التكثيف وقلب وظيفتها. مال الوجه المنزلق فوق الخيمة. لم يدخل سوى قليل من حبيبات الرمل وهو يغلق الفتحة. الآن كان عليه أن يسرع. لن يصل أي منشاق رملي إلى الأعلى حتى يُبقيه مزوداً بهواء التنفس. كانت تلك عاصفة هائلة لا ينجو منها إلا القليل. ستملاً هذا المكان بأطنان من الرمال. فقط الفقاعة الرقيقة لخيمة التقطير بغلافها الخارجي المضغوط سوف تحميه.

تمدد ليتو على ظهره، وضم يديه فوق صدره وجلس في حالة سكون حيث تتحرك ريماء مرة واحدة فقط في الساعة. في هذا التزم المجهول. ستمر العاصفة وإن لم تعرّ الجيب الهش الذي لاذ إليه، فقد يخرج ناجياً. أو ربما يدخل مدينة السلام*، دار السلام (37). مهما حدث، علم أنه كان عليه أن يكسر خيوط-احتمالات المستقبل، خيطاً تلو الآخر، بحيث لا يبقى له أخيراً سوى الصِّراط الذهبي.

إمّا ذلك وإمّا لن يستطيع العودة إلى خلافة* ورثة والده. لن يعيش كذبة ديسبوسيني (38)، تلك الخلافة الرهيبة، هاتفاً باسم والده الديميورغوس (39). لن يصمت بعد الآن عندما يتلفظ الكاهن هراءً مهيناً: «سكينه العاجية ستمحق الشياطين!»

مع هذا الالتزام، انزلق وعي ليتو إلى شبكة نشوة الطاو

انخالدة.

توجد تأثيرات واضحة من رتبة أعلى في أي نظام كوكبي. عادة ما تظهر هذه التأثيرات من خلال إحداث تغييرات جوّية (تأنيس المناخ) تجعل الحياة ممكنة على الكواكب المكتشفة حديثاً. في كل هذه الحالات، تطور الحياة في المناطق المتجانسة أشكال تكيف متشابهة إلى حد مذهل. هذه الأشكال من التكيف ترمز إلى ما هو أكثر بكثير من الشكل؛ تشير ضمناً إلى وجود منظومة بقاء، ووجود علاقة بين هذه المنظومات البيئية. السعي البشري لهذا النظام المترابط وموقعنا فيه يمثل ضرورة عميقة. ومع ذلك، يمكن أن ينحرف هذا السعي ويقع في براثن قبضة محافظة على التماثل، لا تسمح بأي تغيير. ثبت دوماً أن هذا مدمر للعالم كله.

- كارثة كتيب (عن خرق العادة)

قالت چيسیکا: «ابني لم ير المستقبل حقاً؛ رأى عملية الخلق وعلاقتها بالأساطير التي يحلم بها الرجال». تحدثت بسرعة، ولكن دون أن تبدو مستعجلة. كانت تعلم أن المراقبين المتخفين سيجدون طريقة للتدخل حالما يدركون ما كانت تفعله.

جلس فارادين على الأرض في قلب عمود من ضوء شمس الظهرية الذي انسكب من النافذة خلفه إلى داخل الغرفة. لم تر چيسیکا سوى قمة شجرة في حديقة الفناء عندما نظرت من موقعها حيث تقف في مقابل الجدار البعيد. كان فارادين مختلفاً عما رأته من قبل: أكثر رشاقة

وقوة. ظهر التأثير المفترض لشهور من التدريب عليه. لمعت
عيناه عندما نظر إليها.

قالت چيسيكاً: «لم يرَ پول المستقبل بالفعل؛ رأى
الأشكال التي ستنبجم عن القوى الحالية إذا لم تتحول أو
يتغير مسارها. وبدلاً من أن يخون رفاقه من البشر، خان
نفسه. أبى أن يقبل ما يريحه فحسب لأن ذلك كان ليغدو
جنباً أخلاقياً».

تعلم فارادين الاستماع وهو يمحّص الكلام في صمت،
ويتحقق منه، ويحتفظ بأسئلته في داخله حتى يصوغها
بأقصى دقة ممكنة. كانت تتحدث عن رؤية البني
چيسيريت للذاكرة الجزئية التي تصفها بأنها شعيرة،
وبطبيعة الحال، تطرقت إلى أسلوب الأخوية في تحليل
پول المؤدب. رأى فارادين أن كلامها وأفعالها يجملان
دلالات خفية، وأن أفكارها ومشاعرها اللا واعية
تتناقض مع الهدف الظاهري لتصريحاتها.

قالت: «من بين كل ملاحظتنا، هذه هي الملاحظة
الأهم، الحياة قناع يستخدمه العالم للتعبير عن نفسه. نحن
نعتقد أن الجنس البشري كله والكائنات الأخرى التي
تساعده في الحياة تشكل مجتمعاً طبيعياً وأن مصير الحياة
بأكملها مرتبط بمصير الفرد. ولذلك عندما يأتي الاختبار
النهائي للذات، الرضا بالقدر، نتوقف عن أداء دور الإله
ومحاولة التحكم في كل شيء، ونعود إلى التأمل في الكون
والتعلم منه. في الأوقات الحاسمة، نختار أفراداً بعينهم،

ونحررهم بقدر ما نستطيع».

فهم الآن إلى أين تتجه بكلامها، ولأنه يدرك تأثيره في أولئك الذين يراقبون من خلال عيون التجسس، تجنب النظر إلى الباب. يمكن للعين المدربة وحدها أن تكتشف اضطراب توازنه اللحظي، لكن چيسيكا رآته وابتسمت. الابتسامة، في النهاية، يمكن أن تعني أي شيء.

قالت: «هذا حفل تخرج من نوع ما. أنا مسرورة جدًا بك يا فارادين. هلا وقفت، من فضلك».

أطاع، وحجب نظرها عن قمة الشجرة التي تبدو من خلال النافذة خلفه.

رفعت چيسيكا ذراعها بحماس إلى جانبها، وقالت: «أنا مسؤولة عن قول هذا لك. (أقف في الحضور البشري المقدس. كما أقف الآن، يجب أن تقف يوماً ما. أدعوك بتحقيق ذلك. لا يزال المستقبل غير مؤكد وهكذا يجب أن يكون، لأنه القماش الذي نرسم عليه رغباتنا. وهكذا دائماً ما تواجه الحالة البشرية قماشاً فارغاً على نحو رائع، ينتظر الرسم عليه. لا نمتلك سوى هذه اللحظة التي نكرس فيها أنفسنا باستمرار للحضور المقدس الذي نتشاركه ونخلقه)».

عندما أنهت چيسيكا حديثها، دخل تيكانيك من الباب إلى يسارها، متحركاً بعفوية زائفة فضحها العبوس على وجهه، وقال: «سيدي».

ولكن كان الأوان قد فات بالفعل. كلمات چيسيكا

وكل الاستعدادات السابقة قد حققت مبتغاهما. فارادين لم
يعد كورنيو. كان الآن بني چيسيريت.



الشيء الذي يبدو أنكم -أعضاء مجلس إدارة تشوم- غير قادرين على فهمه هو أن الولاء الحقيقي نادر في عالم التجارة. متى كانت آخر مرة سمعتم فيها عن موظف بذل حياته من أجل الشركة؟ ربما تكمن مشكلتكم في الاقتراض الخاطيء بأن بوسعكم أن تأمروا البشر بالتفكير والتعاون. كان هذا سبباً في إخفاق كل شيء من الأديان إلى القيادة العامة عبر التاريخ. للقيادة العامة تاريخ حافل في تدمير أممهم. أما الأديان، فأوصي بإعادة قراءة توماس أكويناس (40). أما أنتم في تشوم، يا له من هراء ذلك الذي تصدقونه! يجب أن يرغب الناس في فعل الأشياء منطلقين من دوافعهم الداخلية. الناس، وليس المنظمات التجارية أو النظام الهرمي في القيادة، هم من يُنجزون الحضارات العظيمة. تعتمد كل حضارة على جودة الأفراد الذين تنتجهم. إن أفرطتم في تنظيم البشر، وأفرطتم في فرض القوانين عليهم، وقمتم برغبتهم في العظمة - فلن يتمكنوا من العمل، وستنهار حضارتهم.

- رسالة إلى تشوم (منسوبة إلى الواعظ).

خرج ليتو من النشوة بسلاسة لم تفصل حالة عن الأخرى. انتقل من أحد مستويات الوعي إلى الآخر ببساطة.

كان يعرف مكانه. تدفقت طاقته التي استعادها خلاله، لكنه شعر بتحذير آخر من الهلاك الآسن بسبب الهواء الفقير بالأوكسجين داخل خيمة التقطير.

علم أنه إذا رفض التحرك، فسيظل عالقًا في الشبكة الخالدة، الحاضر الأبدى حيث نتعاش الأحداث جميعها معًا. هذا الاحتمال أغراه. رأى الزمن على أنه اتفاقية شكلها العقل الجماعي للأحاسيس كلها. كان الزمان والمكان تصنيفات فرضها عقله على الكون. لم يكن عليه سوى التحرر من حدود التعددية حيث جذبته الرؤى الاستبصارية. اختيار جريء يمكن أن يغير الاحتمالات المستقبلية المؤقتة.

ما الجرأة التي تتطلبها هذه اللحظة؟

استدرجته النشوة. شعر أنه انتقل من عالم المثال* إلى عالم الواقع ليجدهما متطابقين. أراد أن يحافظ على السحر الريحاني* لهذا الاكتشاف، لكن البقاء على قيد الحياة اقتضى منه اتخاذ قرارات محددة. توفقه العنيد في الحياة أرسل تعليماته عبر أعصابه.

فجأة، مد يده اليمنى إلى حيث ترك أداة التكثيف. أمسك بها وتدحرج على بطنه وثقب السرة العاصرة للخيمة. انجرفت بركة من الرمل فوق يده. كان يعمل في الظلام، مدفوعًا بشح الأوكسجين في الهواء.

عمل بسرعة، وأخذ يحفر نفقًا إلى أعلى بميل شديد.

حفر نفقًا طوله ستة أضعاف طول جسده قبل أن يفتح ثغرة تسلل من خلالها الظلام والهواء النقي. انزلق فوق الوجه المقابل للرياح والمضاء بالقمر لكثيب مائل طويل،

ووجد نفسه على بعد نحو ثلث المسافة من قمة الكثيب.
كان القمر الثاني فوقه. تحرك بسرعة مهتدياً بضوئه،
واختفى وراء الكثيب. امتدت النجوم فوقه مثل حصى
لامعة على الطريق. بحث ليتو عن كوكبة نجوم الرحالة،
ووجدتها، وترك عينيه تتبعان الذراع الممتدة للتوجه اللامع
لنجم الحوت*، النجم القطبي للجنوب.

فكر: هذا هو عالمك اللعين! عندما ترى النجم من قرب،
يبدو مكاناً مضطرباً مثل الرمال حوله، مكاناً للتغيير، لتفرد
متراكم فوق تفرد. وعندما تراه من بعيد، فقط الأنماط
تظهر، وتلك الأنماط تدفع المرء للإيمان بالمطلقات.

وفي المطلقات، قد نضل طريقنا. جعله هذا يفكر في
التحذير المألوف من أنشودة فرمنية: «من يضل طريقه
في تانزروفت يفقد حياته». يمكن للأنماط أن ترشد المرء
ويمكن أن تخدعه. على المرء أن يتذكر أن الأنماط تتغير.

أخذ نفساً عميقاً، وتحرك منمكاً بالعمل. انزلق إلى
الأسفل في الممر الذي صنعه، وأفرغ الخيمة، وأخرجها
وجمع عدة الفرمن.

تبدى توجه نجمي على طول الأفق الشرقي. حمل العدة،
وتساق إلى قمة الكثيب، ووقف هناك في الهواء البارد
ما قبل الفجر حتى شعر بالشمس المشرقة تدفئ خده
الأيمن. ثم صبغ فتحتي عيني قناع بذلة التقطير لتخفيف
الانعكاس، عالماً أن عليه أن يتوودد إلى هذه الصحراء الآن

بدلاً من مقاومتها.

عندما أعاد الصبغة إلى العدة، شرب من أحد أنابيب بذلة تقطيره، شفت رذاذ الماء ثم هواء. هبط على الرمال، وبدأ يتفقد بذلة تقطيره، وأخيراً وصل إلى مضخات الكعبين. قُطعت بمهارة بسكين رفيعة. خلع البذلة وأصلحها، لكن الضرر كان قد حدث. فقد ما لا يقل عن نصف مياه جسده. لولا ما رشته خيمة التقطير من مياه.. تفكر ملياً في هذا وهو يرتدي البذلة، متسائلاً كيف لم يتوقع ذلك. هنا كان مثلاً على خطر واضح من مستقبل بلا رؤية.

جلس ليتو القرفصاء فوق قمة الكثيب الرملي، ثم حاول تشجيع نفسه ضد وحشة هذا المكان. نظر حوله في المكان، يبحث في الرمال عن فتحة يصدر منها صفيح، أي شيء غير منتظم في الكثبان الرملية قد يدل على نشاط الاسپايس أو دودة. لكن العاصفة مسحت الأرض بتجانسها. أخرج مطراً من عدته، جهزه ثم أداره حتى يستدعي الشيء هولود من مخبئه العميق. ثم ابتعد وانتظر.

كانت الدودة قادمة من بعيد. سمع صوتها قبل أن يرى هيكلها، استدار شرقاً حيث جعل هدير الدودة المنزل الهواء يهتز، وانتظر أول بريق يرتقالي من الفم الصاعد من الرمال. ارتفعت الدودة من الأعماق في هسهسة عظيمة من الغبار أخفى جوانبها. اكتسح الجدار الرمادي المنحني الأرض متجاوزاً ليتو الذي غرز خطافيه في أحد

خطافاتها، وتسلق جانب الدودة في خطوات متناغمة. أدار الدودة جنوباً في مسار مقوس وهو يتسلق فوقها.

تحت خطافيه المُحْفِزِينَ، زادت الدودة من سرعتها. جلدت الريح رداءه وألصقته بجسمه. شعر بأنه ينشط مع نشاط الدودة، طاقة هائلة من الخلق بين كتفيه. ذكر نفسه: كل كوكب له زمانه المحدد، وكذلك كل حياة.

كانت الدودة من النوع الذي سماه الفرمن «هادرة». كانت تحفر بألواحها المسننة الأمامية بينما ذيلها يقود. نتج عن تلك الحركة أصوات هادرة، وتسببت في ارتفاع جزء من جسدها بعيداً عن الرمال في سنام متحرك. لكنها كانت دودة سريعة، وعندما صادفت ريحاً أخرى، أرسلت زفير القرن من ذيلها نسيماً حاراً نحوه. كان مليئاً بالروائح الكريهة المحمولة على فيض من الأوكسجين.

عندما انطلقت الدودة جنوباً، سمح ليتها لأفكاره أن تندفق بحرية. حاول أن يرى هذا العبور للصحراء على ظهر دودة احتفالاً جديداً بحياته، احتفالاً أنساه التفكير في الثمن الذي عليه دفعه مقابل صراطه الذهبي. مثل فرمن الأزمنة القديمة، كان يعلم أنه سيتعين عليه تبني مراسم جديدة عديدة للحفاظ على شخصيته من الانقسام إلى أجزاء ذكرياتها، لإبعاد الصيادين المفترسين لروحه إلى الأبد. هذه الصور المتضاربة، التي لا يمكن توحيداً أبداً، يجب الآن أن تُغلف في توتر حي، وتخلق قوة محرّكة تدفعه من الداخل.



فكر: عليّ أن أنشد الجديد دائماً. يجب أن أجد الخيوط
الجديدة في رؤيتي دوماً.

في وقت مبكر من بعد الظهر، لاح نتوء صخري أمامه إلى
يمين مساره قليلاً. تحول النتوء تدريجياً إلى هضبة ضيقة،
صخرة مرتفعة بالضبط حيث توقعها.

فكر: الآن يا نمري.. الآن يا صبيحة، لنر كيف ستكون
ردة فعل رفاقكم على حضوري. كان هذا الخيط الأكثر
حساسية أمامه، وكان أكثر خيوط الزمن خطورة بسبب
إغراءاته أكثر من تهديداته الواضحة.

بدت الهضبة متغيرة الأبعاد من بعيد. وتراءت للحظة
أنها تقترب منه وليس العكس. استمرت الدودة المنهكة
في الانحراف إلى اليسار. انزلق ليتو على منحدرها الهائل
حتى يُعيد غرس خطافيه، ويبقي الدودة العملاقة في
مسار مستقيم. وصلت رائحة مزاج خفيفة ولاذعة إلى
أنفه، قادمة من مكان غني بالاسپايس. كانا يعبران بقعاً
من الرمال القرمزية تشبه بقع الجذام حيث انفجرت هبة
اسپايس. أمسك الدودة بقوة حتى تجاوزا المنطقة. تبعهما
النسيم الذي تفوح منه رائحة القرفة لمدة من الوقت حتى
أدار ليتو الدودة في مسارها الجديد، واتجه مباشرة نحو
الهضبة الصاعدة.

ومضت الألوان فجأة، بعيداً في البداء الجنوبية: قوس
قزح متلائي من أداة من صنع الإنسان وسط تلك

المساحات الشاسعة. رفع منظاره، وركز العدسات الزيتية، ورأى من بعيد الأجنحة الخارجية لكشاف اسپايس، تتلأأ في ضوء الشمس. تحتها كانت حصادة عملاقة يتدلى جناحها مثل شرنقة قبل أن تتحرك ببطء. عندما أنزل ليتو المنظار، تضاءلت الحصادة إلى بقعة صغيرة، وشعر أن الهددهب* (الوجود الشاسع للصحراء في كل مكان) قد غلبه. أعطاه هذا لمحة عن كيف سيراه صيادو الاسپايس، جسمًا مظلمًا بين الصحراء والسماء، والذي كان رمز الفِرمِن للإنسان.

سوف يروونه بالطبع، وسيكونون حذرين، سينتظرون. كان الفِرمِن دائماً متشككين في بعضهم في الصحراء إلى أن يتعرفوا على الوافد الجديد أو يتأكدوا أنه لا يشكل أي تهديد. حتى بعد أن تأثروا بالطبيعة المتمدنة للحضارة الإمبراطورية وقواعدها المتطورة، ظلوا متوحشين نصف مروضين، مدركين دائماً أن السكين العاجية تتحلل عند وفاة صاحبها.

فكر ليتو: هذا ما يمكن أن ينقذنا. تلك الوحشية الفطرية. على مسافة بعيدة، انحرف كشاف الاسپايس يمينا ثم يساراً، مشيراً إلى الأرض. تخيل ليتو الركاب وهم يمسخون الصحراء خلفه بحثاً عن علامة على أنه ربما يكون هناك أكثر من راكب واحد على دودة واحدة. أدار ليتو الدودة إلى اليسار، وأمسكها حتى تغير مسارها، وهبط على جنبها ثم قفز.

ظلت الدودة هادئة فوقه السطح بضع لحظات بعد أن تخلصت من خطافيه، ثم غاصت بثلاثها الأمامي في الرمال، واستلقت هناك وهي تستريح من امتطائه لها مدة طويلة.

ابتعد عن الدودة. ستلبث هناك الآن. كان الكشاف يحوم حول الحصادة، ولا يزال يعطي إشارات بجناحيه. كانوا مجموعة من المنشقين يتقاضون أجرهم من المهريين. وكانوا حذرين من الاتصالات الإلكترونية. لا بد أن الصيادين يستخرجون الاسپايس بالقرب من هنا. لذلك لديهم حصادة.

دار الكشاف مرة أخرى، وخفض جناحيه، وخرج من دائرة تحليقه، واتجه نحوه مباشرة. تعرف عليها على أنها نوع من الثوبرات التي أحضرها جده إلى أراكس. حلقت المركبة فوقه مرة واحدة، وانطلقت على طول الكثيب الرملي حيث وقف، وانخفضت لتهبط في مواجهة النسيم. هبطت على بعد عشرة أمتار منه، مثيرة الغبار. انفتح شق في الباب المواجه له بما يكفي ليخرج منه شخص واحد في رداء فرمني ثقيل مع رمز رمح فوق الثدي الأيمن.

اقرب الفرمني ببطء، ما أعطى كل منهما الوقت ليدرس الآخر. كان الرجل طويل القامة وله عينان زرقاوان تامتا الزرقة بفعل الاسپايس. أخفى قناع بذلة التقطير النصف السفلي من وجهه وسحب غطاء الرأس ليحمي حاجبيه. كشفت حركة الرداء عن وجود يد تحته

تمسك مسدس مولي، توقف الرجل على مسافة خطوتين من ليتو، ونظر إليه بتعبير حائر في عينيه.
قال ليتو: «حظًا سعيدًا لنا جميعًا».

طاف الرجل بعينه في المكان، متأملًا الفراغ، ثم أعاد انتباهه إلى ليتو، وسأل: «ماذا تفعل هنا أيها الطفل؟» كان صوته مكتومًا بسبب قناع بذلة التقطير. «هل أنت مجنون لتجول في الصحراء بمفردك؟»

مرة أخرى، استخدم ليتو صيغة فرمزية تقليدية: «الصحراء موطني».

سأل الرجل: «وين*؟» إلى أين أنت ذاهب؟

«أسافر جنوبًا من چاكوروتو».

انطلقت ضحكة مفاجئة من الرجل. «حسنًا يا بطيخ*! أنت أغرب شيء رأيته في تانزروفت».

قال ليتو ردًا على «حسنًا يا بطيخ»، تلك التسمية ذات الإيحاءات المريعة: «أنا لست بطيخك الصغير». قدم البطيخ الصغير في الصحراء مياهه إلى أي مكتشف.

قال الرجل: «لن نشربك يا بطيخ. أنا موريس. أنا عريفة هذه الطائفة*». أشار بحركة من رأسه إلى حصادة الاسپايس البعيدة.

لاحظ ليتو كيف أطلق الرجل على نفسه لقب قاضي مجموعته، وأشار إلى الآخرين بالطائفة، أي فرقة أو عصابة.

لم يكونوا إخواناً*؛ مجموعة من الإخوة. كانوا منشقين
مأجورين. هنا يكمن الخيط الذي يحتاج إليه.

عندما بقي ليتو صامتاً، سأل موريس: «هل لديك اسم؟»
«بطيخ سيفي بالعرض».

هزت موريس ضحكة مكتومة: «أنت لم تخبرني ماذا تفعل
هنا؟»

قال ليتو مستخدماً العبارة الدينية التي تعني أنه في حج من
أجل أمته* متبعاً وحيه: «أبحث عن آثار أقدام دودة».
«وأنت في هذا العمر الصغير جداً؟ لا أعرف ماذا أفعل
بك؟ لقد رأيتنا».

سأل ليتو: «ماذا رأيت؟ أتحدث عن چاكوروتو ولا تبدر
عك أي ردة فعل».

قال موريس: «لعبة الأحاجي. ما هذا إذن؟» هز رأسه
نحو الهضبة البعيدة.

تحدث ليتو من خلال رؤيته: «شولوك فحسب».

تشنج موريس، وشعر ليتو بنبضه يتسارع.

ساد صمت طويل، واستطاع ليتو رؤية الرجل يناقش
ويستبعد إجابات مختلفة في رأسه. شولوك! في وقت
الحكاية الهادئ بعد تناول الطعام في السييتش، عادة ما
تروى قصص قوافل شولوك. كان المستمعون يعتقدون

دائمًا أن شولوك أسطورة ومكان لأحداث شائقة، و فقط لخدمة القصة. تذكر ليتو قصة شولوك: عثروا على متشرد على حافة الصحراء، وأحضروه إلى السييتش. في البداية رفض المتشرد الرد على أسئلة منقديه، ثم عندما تحدث، لم يفهم أحد كلماته. مع مرور الأيام ظل غير مكترث، ورفض تغيير ملابسه أو التعاون بأي شكل. في كل مرة تُرك فيها بمفرده كان يقوم بحركات غريبة بيديه. استدعوا مختلف المتخصصين في السييتش لدراسة هذا المتشرد. لكنهم لم يصلوا إلى إجابة. ثم عبرت امرأة عجوز من المدخل، ورأت يديه المتحركتين، وضحكت. وأوضحت: «يقلد والده فحسب الذي يبرم ألياف الاسپايس حتى يضفّر منها حبلاً. هذه الطريقة التي لا يزالون يفعلون بها ذلك في شولوك. يحاول فحسب أن يخفف من شعوره بالوحدة». والمغزى من الحكاية: «في طرائق شولوك القديمة، هناك أمان، وإحساس بالانتماء إلى المحيط الذهبي للحياة».

بينما ظل موريس صامتًا، قال ليتو: «أنا المتشرد من شولوك الذي لا يعرف سوى تحريك يديه».

تحرك رأس الرجل بسرعة ما أوحى إلى ليتو أنه يعرف القصة. استجاب موريس ببطء، بصوت منخفض ومشوب بالوعيد: «هل أنت إنسان؟»

قال ليتو: «إنسان مثلك».

«أنت تتحدث بأسلوب لا يناسب طفلًا. أذكرك بأني

قاض يمكنني مجابهة التقوى*».

فكر ليتو: آه، نعم. عندما ينطق مثل هذا القاضي بكلمة «تقوى» فإنها تحمل تهديداً فورياً. التقوى أي الخوف الذي يستحضره وجود شيطان، اعتقاد حقيقي بين كبار السن من الفرمن. علم العريفة طرائق قتل الشيطان، ولطالما وقع الاختيار عليه «لأن لديه الحكمة حتى يكون حازماً بلا قسوة، حتى يعرف متى يكون اللطف في الواقع السبيل إلى قسوة أكبر».

لكن الحديث وصل إلى النقطة التي سعى إليها ليتو. قال: «يمكنني الخضوع إلى المشهد*».

قال موريس: «سأكون الحكم في أي اختبار روحي. هل تقبل هذا؟»

قال ليتو: «بلا كيف*» أمر لا فائدة من شرح معناه أو الخوض في كلفيته.

علت نظرة خبيثة وجه موريس. قال: «لا أعرف لماذا أسمح بذلك. من الأفضل قتلك لكنك بطيخ صغير، ولدي ابن قد مات. هيا، سنذهب إلى شولوك، وسأجمع الإسناد* لاتخاذ قرار بشأنك»

لاحظ ليتو أن كل تصرفات الرجل تشير إلى قرار قاتل، وتعجب كيف يمكن لأحد أن يخدع بهذا.

قال: «أعلم أن شولوك أهل السنة والجماعة*».

سأل موريس وهو يشير إلى ليتو حتى يسبقه إلى الثوبتر:
«ماذا يعرف الطفل عن العالم الحقيقي؟»

أطاعه ليتو، لكنه استمع بعناية إلى صوت خُطى الفرمني.
قال ليتو: «أضمن طريقة لكتمان سر هي جعل الناس
يعتقدون أنهم يعرفون الإجابة بالفعل. لا يطرح الناس
أسئلة بعد ذلك. كان ذكاء منكم أنتم الذين طُردتم من
چاكوروتو. من كان يصدق أن شولوك، مكان القصة-
الأسطورة حقيقي؟ ولم كان ذلك ملائماً للمهرين أو أي
شخص آخر يرغب في امتلاك منفذ إلى كثيب».

توقفت خُطى موريس. استدار ليتو وظهره في مقابل
جانب الثوبتر، والجناح على يساره.

وقف موريس على بعد نصف خطوة من ليتو، وقد سحب
مسدس مولى، ووجهه مباشرة إليه، وقال: «إذن أنت
لست طفلاً، بل قزم ملعون أتى للتجسس علينا! أعتقد
أنك تتحدث بحكمة بالغة لا تصدر عن طفل، لكنك
ثرثرت، أبكر بكثير من اللازم».

قال ليتو: «لم أتحدث بما فيه الكفاية. أنا ليتو، ابن پول
المؤدّب. لو قتلني، فستغرق أنت وشعبك في الرمال. إن
عفوت عني، فسأقودك إلى العظمة».

زجر موريس: «لا تلعب معي يا قزم. ليتو في چاكوروتو
الحقيقي في حين أنك تقول..» بتر عبارته وسقطت اليد
الممسكة بالمسدس قليلاً بينما ضيق عينيه في تجهم حائر.

كان التردد الذي توقعه ليتو، أعطى ليتو إيماءً عضلياً أنه سيتحرك يساراً، ثم انحرف بجسده بما لا يزيد عن مليمتر واحد؛ ما أدى إلى تأرجح مسدس الفرمني بعنف مقابل حافة الجناح. طار مسدس المولى من يد موريس، وقبل أن يتمكن من استعادة توازنه، كان ليتو بجانبه، سكين موريس العاجية تضغط فوق ظهره.

قال ليتو: «الطرف مسموم. أخبر صديقك في الثوبتر أن يلزم مكانه بالضبط دون أن يتحرك مطلقاً. وإلا سأضطر إلى قتلك».

هز موريس رأسه تجاه الشخص داخل الثوبتر، وهو يمسد يده المصابة، وقال: «سمعك رفيقي بهالث. سيكون ساكناً مثل الصخرة».

لعلمه أنه ليس لديه سوى وقت قليل قبل أن يجدا حيلة ما، أو يأتي أصدقاؤهما للتحقق من أمرهما، تحدث ليتو بسرعة: «أنت بحاجة إليّ يا موريس. دوني، ستختفي الديدان والاسپايس من كثيب». شعر ليتو بالفرمني يتيبس.

سأل موريس: «لكن كيف تعرف عن شولوك؟ أعرف أنهم لم يقولوا شيئاً عنها في چاكوروتو».

«إذن أنت تعترف بأنني ليتو آتريديز؟»

«من يمكن أن تكون غيره؟ لكن كيف...؟»

قال ليتو: «لأنك هنا، شولوك موجودة، وبالتالي استنتاج الباقي غاية في البساطة. أنتم المطاريد الذين هربوا عند تدمير چاكوروتو. رأيت إشارتك بأجنحة الثوبتر، وبالتالي أنتم لا تستخدمون أي جهاز يمكن أن يُنصت عليه من بعيد. تجمعون الاسپايس، وهذا يعني أنكم تتاجرون به. ولا يمكنكم التجارة سوى مع المهريين. أنت مهرب ومع ذلك أنت فرمني. لا بد أنك إذا من شولوك».

«لماذا أغريتني أن أقتلك؟»

«لأنك كنت ستقتلني على أي حال عندما نعود إلى شولوك». سرت صلابة عنيفة في جسد موريس.

حذره ليتو قائلاً: «احذريا موريس. أعرف عنك. كان في تاريخكم أنكم سلبتم الماء من المسافرين المتهورين. وأصبح ذلك طقساً شائعاً بينكم. وإلا كيف يمكنكم إسكات الذين صادفوكم؟ وإلا كيف ستحافظون على سرکم؟ بطيخ! تغويني باللقاب لطيفة وكلمات طيبة. لماذا إهدار أي من مائي فوق الرمال؟ ولو تهت في الصحراء مثل الآخرين - فستظفر تانزروفت بي».

رسم موريس علامة قرون الدودة بيده اليمنى لصد السحر الريحاني الذي استدعته كلمات ليتو. أما ليتو الذي كان يعرف كيف أن الفرمن الأكبر سنًا لا يثقون بمنتات أو أي شيء يحاجهم بمنطقه الرصين، فقد أخفى ابتسامته.

قال موريس: «تحدث منري عنا في چاكوروتو. سأظفر

بمائه عندما...».

قال ليتو: «لن تمتلكوا سوى الرمال الفارغة إن واصلت لعب دور الأحمق. ماذا ستفعل يا موريس عندما يصبح كثيب برمته عشباً أخضر، وأشجاراً تجري من تحتها الأنهار؟»

«لن يحدث ذلك أبداً!»

«يحدث بالفعل أمام عينيك.»

سمع ليتو أسنان موريس تصطك من الغضب والإحباط. جأر الرجل: «كيف ستمنع هذا؟»

قال ليتو: «أعرف خطة التحول كلها. أعرف كل نقطة ضعف فيها، كل موطن قوة. دوني سيتلاشى الشيء هولود إلى الأبد.»

سأل موريس، وقد عادت نبرة الخبث إلى صوته: «حسناً، لماذا الخلاف هنا؟ نحن في مأزق. تحمل سكينك. يمكنك قتلي، لكن بهالك سيطلق عليك النار.»

قال ليتو: «ليس قبل أن أستعيد مسدسك. ثم سأستولي على الثوبتر. نعم، يمكنني أن أطير بها.»

جعد عبوس جبين موريس تحت غطاء رأس بذلته: «ماذا لو لم تكن من تقول؟»

سأل ليتو: «ألن يتعرف أبي عليّ؟»

قال موريس: «آه! هكذا عرفت، أليس كذلك؟
لكن...». بتر عبارته وهز رأسه، وأكمل: «ابني مرشده.
يقول إنكما لم تلتقيا قط.. كيف يمكن؟»

«إذن لا تؤمن بأن المؤدب يقرأ المستقبل؟»

قال موريس: «بالطبع تؤمن! لكنه يقول عن نفسه إن...»
مرة أخرى قطع موريس كلامه.

قال ليتو: «وكنت تظن أنه لا يدرك شكوكك. جئتُ
إلى هذا المكان في هذا الوقت بالضبط لألتقيك يا موريس.
أعرف كل شيء عنك لأنني رأيتك.. وابنك. أنا أعلم
كم تعتقدون أنكم آمنون، وكيف تسخرون من المؤدب،
وكيف تخططون لإنقاذ رقعتكم الصغيرة من الصحراء.
لكن رقعتكم الصغيرة محكوم عليها بالهلاك دوني يا
موريس. ستضيع إلى الأبد. ساءت الأوضاع كثيراً جداً
هنا على كثيب. كاد أبي يستنفد رؤياه، ولا يمكنكم أن
تلجؤوا إلا إليّ».

«ذلك الأعمى...». توقف موريس وبلع ريقه.

قال ليتو: «سيعود قريباً من أراكين، وبعد ذلك سنرى
كم هو أعمى. إلى أي مدى ابتعدت عن أساليب الفرمن
القديمة، يا موريس؟»

«ماذا؟»

«هو وديكاس (41) معكم. وجدته قومك وحده في

الصحراء وأتوا به إلى شولوك. كم كان اكتشافاً ثرياً!
أغنى من عرق اسپايس. ودكياس! عاش معكم. اختلط
ماؤه بمياه قبيلتك. هو جزء من نهر أرواحكم». ضغط ليتو
السكين بقوة فوق رداء موريس. «احترس يا موريس».
رفع ليتو يده اليسرى، وفكَّ سديلة قناع بذلة تقطير
الفرمني، وأسقطها.

قال موريس وهو يعرف ما خطط له ليتو: «إلى أين
ستذهب إن قتلنا نحن الاثنين؟»

«سأعود إلى چاكوروتو».

ضغط ليتو بالجزء اللحمي من إبهامه فوق فم موريس:
«عض واشرب يا موريس. وإلا ستموت».

تردد موريس، ثم عض بشراسة على لحم ليتو.

راقب ليتو حلق الرجل، ورأى انقباضة البلع، ثم سحب
السكين وأعادها إلى موريس.

قال ليتو: «أنا الآن ودكياس؛ إن لم أسئ إلى القبيلة، فلن
تستطيع أخذ مائي».

أوما موريس برأسه.

أشار ليتو بذقنه: «مسدسك هناك».

سأل موريس: «هل تثق بي الآن؟»

«وإلا كيف سيمكنني العيش مع المطاريد؟»

مرة أخرى، رأى ليتو نظرة الخبث في عيني موريس،
لكن هذه المرة كانت نظرة مدققة؛ تزن المزايا والعيوب.
استدار الرجل بعيداً بحركة مفاجئة وشت باتخاذ قرارات
سرية، واستعاد مسدسه ورجع إلى عتبة جناح الثوبتر.
قال: «هيا، نحن نتلكأ أكثر من اللازم في عرين دودة».

لا يمكن دومًا إخضاع استبصار المستقبل لقواعد الماضي. تشابك خيوط الوجود وفق قوانين كثيرة غامضة. يفرض المستقبل المنظور قواعده الخاصة. ولن يتواءم مع نظام الزنسنين أو نظام العلم. يخلق الاستبصار تكاملًا نسبيًا مبنياً على اللحظة الحالية، وينبه دائماً أنه لا يمكنك تضيير كل خيط في نسيج الماضي.

- كلمة*: كلمات المؤدب

(تعليق شولوك)

أوصل موريس الأورنيثوبتر إلى شولوك بسهولة ومهارة متقنة. شعر ليتو، الجالس بجانبه، بالوجود المسلح لبهات خلفهما. أصبح واثقاً من كل شيء الآن، ومن خيط رؤيته الضيق الذي تشبث به. إن فشل ذلك، فالله أكبر*. أحياناً كان على المرء أن يرضخ لأمر أكبر. كانت هضبة شولوك باهرة في هذه الصحراء.

وجودها الخفي هنا يدل على كثير من الرشى وكثير من الوفيات، وعلى امتلاك أصدقاء في مناصب عالية. كان بإمكان ليتو أن يرى في قلب شولوك، منخفضاً ذا جدران صخرية متداخلة مع الأخاديد العمياء التي تؤدي إليه. نمت نباتات صحراوية مثل شجيرات الملح وشجيرات الظل بكثافة حول الحواف السفلية لهذه الأخاديد، محاطة بحلقة داخلية من أشجار النخيل المروحية، ما يشير إلى ثروات المياه في هذا المكان. بُنيت مبانٍ بسيطة من الشجيرات الخضراء

وألياف الاسپايس بعيداً عن أشجار النخيل المروحية. كانت المباني تشبه أقراصاً خضراء متناثرة على الرمال. يعيش هنا منبوذو المطاريد، أولئك الذين لا يستطيعون الانحطاط أكثر إلا بالموت.

هبط موريس في الوادي المنخفض بالقرب من قاعدة أحد الأخاديد. كان هناك هيكل واحد يقف على الرمال مباشرة أمام الثوبتر: سقف من النباتات الصحراوية المتسلقة وأوراق البيجاتو، كلها مغطاة بنسيج الاسپايس المنصر بالحرارة. كانت مثلاً حياً عن النسخة الأولية لخيمة التقطير البدائية ما يدل على مقدار التخلف الذي أصاب بعض الذين عاشوا في شولوك.

علم ليتو أن الرطوبة تتسرب من المكان، وسيكون عامراً بالقوارض الليلية التي تعشش في الحقول الزراعية القريبة. هكذا عاش أبوه. والمسكينة صبيحة... هنا سيكون عقابها. بأمر من موريس، خرج ليتو من الثوبتر، وقفز إلى الرمال، وتوجه نحو الكوخ. رأى جمعاً من الناس منهمكين في العمل على مسافة أبعد باتجاه الأخدود بين النخيل. بدوا متهاكين وفقراء، وحقيقة أنهم لم يلقوا بالألأه أو للطائرة، قالت الكثير عن القمع هنا.

رأى ليتو الحافة الصخرية للقناة خلف العمال، ولم يخطئ في الشعور بالرطوبة في هذا الهواء: مياه جارية. عبر أمام الكوخ الذي كان بسيطاً كما توقع ليتو. انحنى فوق القناة، ونظر إلى الأسفل ورأى دوامة من الأسماك المفترسة في

تيار المياه العكر. تابع العمال عملهم في إزالة الرمال بعيداً عن الثقوب الصخرية التي تتدفق منها المياه متفادين النظر إليه. جاء موريس خلف ليتو، وقال: «أنت تقف على الحد الفاصل بين السمكة والدودة. لكل أخذود من هذه الأخاديد دودته. شققنا هذه القناة وسنزيل السمك منها لجذب اليرقات الرملية».

قال ليتو: «بالطبع. أقفاص احتجاز. أنتم تبيعون اليرقات والديدان الرملية خارج الكوكب».

« كان هذا اقترح المؤدب! »

«أعرف. لكن لا تنجو أي يرقة أو دودة رملية طويلاً بعيداً عن كثيب».

قال موريس: «ليس بعد. لكن يوماً ما...».

قال ليتو: «ليس قبل عشرة آلاف سنة». واستدار حتى يرى الاضطراب على وجه موريس. تدفقت الأسئلة هناك مثل الماء في القناة. هل يستطيع ابن المؤدب هذا أن يرى المستقبل حقاً؟ لا يزال البعض يعتقد أن المؤدب قد فعل ذلك، لكن.. كيف يمكن التيقن من شيء مثل هذا؟

استدار موريس وقادهم نحو الكوخ. فتح الباب المؤمن بقفل بدائي، ودعا ليتو للدخول. راح مصباح يعمل بزيت الاسپايس يحترق مقابل الجدار البعيد. وتحتته جلس ظل صغير، مديراً ظهره للباب. انبعثت من الزيت المحترق رائحة قرفة كثيفة.

قال موريس بسخرية: «أرسلوا أسيرة جديدة لتعني بسيتش المؤدب. إن أدت عملها جيدًا، فربما تحتفظ بمائها بعض الوقت».

اعترف إلى ليتو: «يظن البعض أن أخذ مثل تلك المياه شر بين. أولئك الفرمن الذين يلبسون القمصان-الحرير يكومون القمامة في مدنهم الجديدة! أكوام قمامة! متى شهد كثيب أكوام قمامة مثل هذه من قبل! بينما نصينا الحصول على مثل هؤلاء...». أشار إلى الظل بجانب المصباح. «إنهم شبه بربرين خائفين، ضائعين عن عشيرتهم، ولا يقبلهم الفرمن الحقيقيون أبدًا. هل تفهمني يا ليتو- بطيخ؟»

«أفهم». لم يتحرك الظل الجالس.

قال موريس: «أنت تتحدث عن قيادتنا. يقود الفرمن رجالٌ ملطخون بالدماء. ما الذي يمكنك أن تقودنا إليه؟» قال ليتو، مُرَّكًا انتباهه على الظل الجاثم على الأرض: «الكراليزيك».

نظر إليه موريس، وقطب حاجبيه فوق عينيه النيليتين. الكراليزيك؟ لم يكن ذلك مجرد حرب أو ثورة. كان ذلك صراع الإعصار. كانت كلمة من أساطير الفرمن القديمة: المعركة في نهاية العالم. كراليزيك؟

بلغ الفرمن الطويل ريقه بصعوبة. لا يمكن التنبؤ

بتصرفات هذا الإسبرط (42) كأنه متأفق من
المدينة (43)! التفت موريس إلى الظل الجالس
القرفصاء، وأمرها: «يا امرأة! لين واحد* (44)!».
أحضري لنا مشروب الاسپايس!
ترددت.

قال ليتو: «افعلي كما يقول يا صبيحة».

قفزت على قدميها، وهي تدور. حدقت إليه، غير قادرة
على رفع نظرتها عن وجهه.

سأل موريس: «هل تعرفها؟»

«إنها ابنة أخت نمري. أساءت إلى چاكوروتو فأرسلوها
إليك هنا».

«نمري؟ لكن...».

قال ليتو: «لين واحد».

هرعت صبيحة لتتجاوزهما، واندفعت عبر الباب، وسمعا
صوت أقدامها الراكضة.

قال موريس: «لن تذهب بعيداً». لمس بإصبعه جانب
أنفه. «إحدى قريبات نمري، ها. مشير للاهتمام. ما
الإساءة التي اقترفتها؟»

«سمحت لي بالهروب».

استدار ليتو وتبع صبيحة، ووجدتها تقف على حافة

القناة. انضم إليها ونظر إلى الماء المتدفق. رأى طيوراً تحلق فوق أشجار النخيل المروحية القريبة، وسمع نداءاتها ورفرفة أجنحتها. وصلته أيضاً أصوات العمال وهم يكنسون الرمال. لكنه فعل مثل صبيحة، ونظر إلى الأسفل، إلى عمق المياه وانعكاساتها. رأت زوايا عينيه بيغاوات زرقاء في سعف النخيل. طارت إحداها عبر القناة ورأى انعكاسها في دوامة فضية من الأسماك، كأن الطيور والأسماك المفترسة تسبح في السماء نفسها.

تنحنت صبيحة.

قال ليتو: «أنت تكرهيني».

«أهنتني. جلبت لي العار أمام قومي. عقدوا إسناداً (45)، وأرسلوني إلى هنا حتى أفقد مائي. كله بسببك!»

ضحك موريس من مكان قريب خلفهما: «والآن ترى يا ليتو-بطيخ أن نهر روحنا له روافد كثيرة».

قال ليتو مستديراً: «لكن مائي يتدفق في عروقك. هذا ليس رافداً. صبيحة قدري في رؤيتي، وأنا أتبعها. هربتُ عبر الصحراء حتى أجد مستقبلي هنا في شولوك».

«أنت و...». أشار موريس إلى صبيحة، وألقى رأسه إلى الوراء ضاحكاً.

قال ليتو: «لن أكون كما قد يعتقد أي منكما. تذكر هذا يا

موريس. وجدت آثار أقدام دودتي». شعر بالدموع تترقرق
في عينيه حينها.

همست صبيحة: «يعطي الموتى ماءه».

حتى موريس حدق إليه في رهبة. لم يبك الفِرم من قط إلا
إن كانت الدموع نابعة من أعماق الروح. أطبق موريس
فيه وهو يشعر بالإحراج، وسحب غطاء رأس جلايته.

نظر ليتو وراء الرجل، وقال: «هنا في شولوك ما زالوا
يدعون من أجل الندى على حافة الصحراء. اذهب، يا
موريس، وادعُ من أجل الكرايزيك. أعدك أنه سيأتي».

يتميز خطاب الفرمن بالإيجاز الشديد والدقة في التعبير. يغرقون في وهم المطلقات (46). تشكل اقتراضاتهم أرضاً خصبة للأديان المطلقة. بالإضافة إلى ذلك الفرمن مغرمون بالوعظ الأخلاقي. يتعاملون مع التغييرات الضخمة وعدم اليقين في مختلف أمورهم ببيانات مؤسسية. يقولون: «نحن نعلم أنه لا يمكن الإحاطة علماً بالمعرفة كلها، هذا حكر على الإله. ولكن كل ما يمكن أن يتعلمه الرجال، يمكنهم احتواؤه والسيطرة عليه». من خلال هذا النهج المتشدد في التعامل مع العالم، شيدوا إيماناً بديعاً بالعلامات والبشائر وبمصيرهم. هذا أصل أسطورة الكرايزيك: الحرب في نهاية العالم.

- تقارير النبي چيسيريت السرية/ الملف رقم 800881

ابتسم نمري إلى جيرني هاليك عبر الغرفة الحجرية المربعة، وقال: «هو بحوزتهم بسلام في مكان آمن. يمكنك إبلاغ أصدقائك بهذا».

سأل هاليك: «أين هذا المكان الآمن؟» لم ترق له نبرة نمري، وشعر بأنه مقيد بأوامر چيسيك. اللعنة على الساحرة! لم تكن تفسيراتها منطقية إلا في التحذير بشأن ما يمكن أن يحدث إن فشل ليتو في السيطرة على ذكرياته الرهيبة.

قال نمري: «إنه مكان آمن. هذا كل ما يسمح لي أن أخبرك به».

« كيف تعرف هذا؟ »

« تلقيت مكودًا. صبيحة معه. »

« صبيحة! قد تسمح له... »

« ليس هذه المرة. »

« هل ستقتله؟ »

« لم يعد الأمر بيدي. »

تجهم هاليك. مكود. كم المسافة التي تصل إليها الخفافيش التي تسكن تلك الكهوف الملعونة؟ كثيرًا ما رأهم يحلقون فوق الصحراء مع الرسائل الخفية المطبوعة فوق صرخاتهم الحادة. ولكن إلى أي مدى ستذهب تلك الرسائل في هذا الكوكب الشبيه بفوهة الجحيم؟

قال هاليك: « يجب أن أراه بنفسي. »

« هذا ممنوع. »

أخذ هاليك نفسًا عميقًا حتى يهدئ نفسه. كان قد انتظر يومين وليلتين تقارير البحث. الآن جاء صباح آخر وشعر أن دوره لم يعد مهمًا، وأنه أصبح مكشوفًا وضعيفًا. لم يحب القيادة على أي حال. بينما كان القائد ينتظر دائمًا، يفعل الآخرون الأشياء المثيرة والخطرة.

سأل: « لماذا ممنوع؟ » ترك المهربون الذين نظموا هذا السييتش الآمن أسئلة كثيرة دون إجابة، ولم يعد يرغب

في تلقي الشيء ذاته من نمري.

قال نمري: «يعتقد البعض أنك رأيت كثيراً برويتك هذا السييتش».

سمع هاليك التهديد في صوت نمري، واستعد للقتال من خلال اتخاذ وضعية متزنة، يده بالقرب من -وليس فوق- سكينه. كان يتمنى أن يكون معه درع طاقة، لكنه تخلى عنه بسبب تأثيره في الديدان، وخطر انفجاره بسبب الشحنات الكهربائية التي تولدها العواصف.

قال هاليك: «هذه السرية ليست جزءاً من اتفاقنا».

«لو كنت قد قتلته، فهل كان ذلك جزءاً من اتفاقنا؟»

شعر هاليك بالقلق من المؤامرات الخفية التي لم تحذره منها الليدي چيسيكاً. خططها الملعونة! ربما كان خطأً منه أن يثق ببني چيسيريت.

شعر فجأة بالخيانة. شرحت له المشكلة، وشارك في خططها متوقفاً أنها قد تحتاج إلى تعديلات لاحقاً مثل كل الخطة. لم تكن بني چيسيريت عادية؛ كانت چيسيكاً من آل آتريديز، التي كانت دائماً صديقة ومعيونة له. دونها، كان سيضيع في عالم أخطر من هذا الذي يعيش فيه الآن.

قال نمري: «لا يمكنك الإجابة عن سؤالتي».

قال هاليك: «كان عليك قتله فقط إن ثبت أنه ممسوس».

شُنعَة».

وضع نمري يده بجانب أذنه اليمنى: «علمت سيدتك أن لدينا طرائق محددة لاختبار ذلك. كانت حكيمة في أن تترك هذا القرار لي».

ضغط هاليك شفثيه في استياء.

قال نمري: «لقد سمعت كلمات الأم الموقرة لي. نحن الفِرمَن نفهم هؤلاء النساء، لكنك أنت الأجنبي لن تفهمهن أبداً. عادة ما ترسل نساء الفِرمَن أبناءهن إلى حتفهم».

تحدث هاليك من بين شفثيه المطبقتين: «هل تخبرني أنك قتلته؟»

«هو حي. في مكان آمن. سيستمر في تلقي الاسپايس».

قال هاليك: «لكنني سأرافقه إلى جدته إن نجا».

هز نمري كتفيه ببساطة.

فهم هاليك أن هذا كل ما سيعرفه. اللعنة! لن يستطع الرجوع إلى چيسیکا بمثل هذه الأسئلة غير المجابة! هز رأسه.

سأل نمري: «لماذا تسأل عما لا تستطيع تغييره؟ أنت تتقاضى أجراً جيداً».

عبس هاليك في وجه الرجل. الفِرمَن! كانوا يظنون

أن جميع الأجانب يهتمون بالمال أولاً. لكن نمري كان يتحدث عن أكثر من الكبرياء الفرمني. كانت هناك قوى أخرى تعمل هنا، وكان ذلك واضحاً لمن تلقى تدريباً على الملاحظة على يد بني چيسيرتية. كل هذا كان يشبه خدعة داخل خدعة، داخل خدعة..

غير هاليك صوته إلى نبرة مستهزئة، وقال: «الليدي چيسیکا ستغضب. يمكنها إرسال جنودها لمحاربة..»

لعن نمري: «زناديق*». أنت يا رسول الكهنوت! أنت تقف خارج المهالاتا! سأكون سعيداً بأن أظفر بمياهاك من أجل النبلاء!»

أمسك هاليك بسكينه، وجهاز كمة الأيسر بحيث يحمل مفاجأة صغيرة لمهاجميه. قال: «لا أرى أي ماء يسيل هنا. ربما أعمتك كبرياؤك».

«أنت تعيش لأنني أريدك أن تعلم قبل أن تموت أن سيدتك چيسیکا لن ترسل أحداً من جنودها ضد أي أحد. لن تُستدرج بسهولة إلى الهوانوي، أيها الوغد الأجنبي. أنا من النبلاء، وأنت..»

قال هاليك بصوت رزين: «أنا مجرد خادم آل آترديز. نحن الحثالة الذين رفعوا نير الهراكنة عن رقبتك الكريهة».

كشّر نمري كاشفاً عن أسنان بيضاء: «سيدتك سجينه في سالوسا سوكانداس. الرسائل التي كنت تعتقد أنها منها أتت من ابنتها».

بجهد هائل، تمكن هاليك من الحفاظ على صوته هادئاً:
«لا يهم. عالية سوف...».

سحب نمري سكينه العاجية: «ماذا تعرف عن رحم
الجنة؟ أنا خادمها أيها العاهر. سأنفذ أوامرها عندما آخذ
ماءك!» واندفع عبر الغرفة بهجوم متهور.

هاليك، الذي لم يكن ليخدع بمثل هذه الحيلة الظاهرة،
رفع الذراع اليسرى من ردائه، وأخرج شريطاً من
القماش الثقيل الذي خبأه هناك، واستخدمه لصد سكين
نمري. في الحركة نفسها، رمى هاليك القماش فوق رأس
نمري، وتسلل تحت القماش وطعنه بسكينه في الوجه.
شعر بإصابته الهدف وهو يصطدم بجسد نمري المحمي
بدرع معدني تحت ردائه. أطلق الفرمي صرخة واحدة
متألمة، وتراجع إلى الخلف وسقط. رقد هناك، الدم ينزف
من فمه فيما كانت عيناه تحدقان بكراهية إلى هاليك قبل
أن تخبواً ببطء. تنفس هاليك بعمق. كيف يمكن لهذا
الأحمق نمري أن يتوقع من أحد أن يغفل وجود درع
تحت الرداء؟ قال هاليك للجنة وهو يصلح كفه المفنخ،
وينظف سكينه قبل أن يرجعها إلى غمدها: «كيف تظن
أن خادمي آترديدز قد تدربوا يا أحمق؟»

أخذ نفساً عميقاً وفكر: حسناً الآن. خديعة من أنا؟ كان
هناك حقيقة في كلام نمري. چيسيكاً أسيرة كورينو،
وعالية تحيك مؤامراتها الخبيثة. حذرتة چيسيكاً بنفسها من

مخاطر عديدة قد تسببها عدوتها عالية. لم نتوقع أن تكون أسيرة. كان لديه تعليماته التي عليه اتباعها، على أي حال. أولاً كان عليه الهرب من هذا المكان. لحسن الحظ، كانوا جميعاً يلبسون أردية متشابهة إلى حدٍ ما. دحرج جسد نمري إلى الزاوية، ووضع الوسائد فوقه، وحرك السجادة لتغطية الدماء. عندما انتهى من ذلك، ضبط أنابيب الأنف والفم في بذلة تقطيره، ورفع القناع كأنه يستعد للخروج إلى الصحراء، وسحب غطاء رأس رداًته إلى الأمام وخرج إلى الممر الطويل.

فكر وهو يضبط وتيرة حركته في مشية بسيطة متأنية: الأبرياء يتحركون دون حرص زائد. شعر بحرية غريبة كأنه خرج من دائرة الخطر، وليس فيها.

فكر: لم ترق لي خطتها من أجل الصبي قط. وسأقول لها ذلك إن رأيتها. إن! لأنه إذا قال نمري الحقيقة، فإن أخطر خطة احتياطية دخلت حيز التنفيذ. لن تدعه عالية يعيش طويلاً إذا أمسكت به، ولكن ما دام ستيلجار موجوداً - فرمني صالح يعتق معتقدات فرمنية جيدة. شرحت له چيسيكاً ذلك: «هناك طبقة رقيقة جداً من الحضارة فوق طبيعة ستيلجار الأصلية. وهاك السبيل لإزالتها عنه...».

روح المؤدب أكثر من مجرد كلمات أو ديباجة قانون تحمل اسمه. إنه ذلك الشعور الداخلي بالغضب ضد الأقوياء المتقاعسين، ضد الدجالين والمتشددين الدينيين. هذا الشعور الذي يجب أن يكون له رأيه وسطوته، لأنه علمنا درساً تفوق أهميته جميع الدروس الأخرى: إن البشر لا يستطيعون الصمود إلا في مجتمع يسوده العدل والأخوة.

- ميثاق الفدائيين.

جلس ليتو متكاً بظهره على جدار الكوخ، وعيناه متجهتان إلى صبيحة، يشاهد خيوط رؤيته تتكشف. أعدت القهوة ووضعها جانباً. ثم جلست القرفصاء أمامه وهي تحرك وجبته المسائية فوق النار. كان طعامه عصيدة تفوح منها رائحة الاسپايس. كانت تحرك يديها بسرعة بالمغرفة وكانت العصيدة السائلة ذات اللون النيلي تلتخ جوانب الوعاء. أمالت وجهها الناعم فوق الوعاء، وخلطت الاسپايس المركز. خلفها مباشرة، كان هناك قماش خشن مشدود يشبه قماش خيمة تقطير ماء، مرقع بقماش أخف؛ ما شكّل هالة رمادية، تراقص مقابلها ظل صبيحة في ضوء لهب الطهي والمصباح الوحيد.

أثار هذا المصباح اهتمام ليتو. كان هؤلاء الناس من شولوك مسرفين في استخدام زيت الاسپايس: مصباح، وليس كرة إنارة. كانوا يحتفظون بالعبيد الهارين داخل جدرانهم، وفقاً لتقاليد الفرمن القديمة. ومع ذلك فقد استخدموا الأورنيثوبترات، وأحدث حصّادات الاسپايس.

كانوا مزيجاً غريباً من القديم والحديث.
دفعت صبيحة وعاء العصيدة نحوه، وأطفأت شعلة
الطهي.

تجاهل ليتو الوعاء.

قالت: «سوف أعاقب إن لم تأكل هذا».

نظر إليها مفكراً: إن قتلتها، فهذا سيحطم رؤية واحدة.
إن أخبرتها عن خطط موريس فسوف يحطم هذا رؤية
أخرى. وإن انتظرت أبي هنا، فسيتحول خيط الرؤية إلى
حبل متين.

فرز عقله خيوط الرؤى، كان بعضها مغريباً وملحاً.
كان هناك احتمال لمستقبل مع صبيحة يحمل واقعاً
جذاباً داخل وعيه الاستبصاري. وكاد يحجب جميع
الاحتمالات الأخرى حتى يتبعه إلى نهايته المؤلمة.

سألت: «لماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة؟»

لم يجيبها.

دفعت الوعاء قريباً منه.

حاول ليتو بلع ريقه الجاف. شعر برغبة قوية في قتل
صبيحة، وجد نفسه يرتجف منها. كم كان سهلاً تحطيم
رؤية، وإطلاق العنان للطيش والوحشية!

قالت وهي تلمس الوعاء: «موريس يأمر بهذا».

نعم، أمر موريس بذلك. غزت الخرافات كل شيء،
أراد موريس رؤية تخرجه حتى يفسرها. كان متوحشاً
قديمًا يطلب من الطبيب الساحر رمي عظام الثور وتفسير
نمط تبعثرها. كان موريس قد أخذ بذلة تقطير أسيره
«كإجراء احترازي بسيط». كان هناك انتقاد خيبيث موجه
إلى نمري وصبيحة في تلك الفكرة: وحدهم الحمقى يسمحون
للسجين بالفرار.

كان لدى موريس مشكلة عاطفية عميقة: نهر
الروح (47). تدفقت مياه الأسير في عروق موريس.
سعى موريس إلى الحصول على مبرر يسمح له بتهديد ليتو
بالقتل.

فكر ليتو: هذا الشبل من ذاك الأسد.

قالت صبيحة: «لن يعطيك الاسپايس إلا رؤى». أزعجها
صمته الطويل. «لقد رأيت رؤى في نشوة الطاو كثيراً.
ولكنها لا تعني شيئاً».

فكر: هذا هو! كان جسده يجلس نفسه في السكون،
ويترك جلده بارداً ورطباً. استحوذ تدريب البني
چيسيريت على وعيه، وأضاء بدقة ما وراءه حتى ألقى
ضوء الرؤية المتوهج على صبيحة وجميع رفاقها من المطاريد.
كان تعليم البني چيسيريت القديم واضحاً:

«تراكم اللغات لتعكس تخصصات في أسلوب حياة
محدد. يمكن التعرف على كل تخصص من خلال كلمات

اللغة، من خلال اقتراضاتها وتراكيب عباراتها. ابحث عن مواضع التوقف، وستجد تلك التخصصات. تمثل التخصصات الأماكن التي تتوقف فيها الحياة، وتصبح الحركة مسدودة وجامدة».

رأى صبيحة آنذاك على أنها صانعة للرؤية بحد ذاتها، وكل إنسان يحمل قوة مشابهة. ومع ذلك، استنكرت صبيحة رؤى نشوة الاسپايس. سببت الرؤى القلق لها ولذلك يجب تخيئتها جانباً ونسيانها عمداً. وجهوا دعاءهم إلى الشي هولود لأن الدودة هيمنت على كثير من رؤاهم. ودعوا من أجل الندى على حافة الصحراء لأن الرطوبة قيدت حياتهم. لكنهم تمرغوا في ثروة من الاسپايس، واستدرجوا اليرقات الرملية للقنوات المفتوحة. أمدته صبيحة من خلال إطعامه خلاصة الاسپايس برؤى استبصارية بقسوة عرضية، لكنه رأى الإشارات المضيفة في كلماتها: اعتمدت على المطلقات، وسعت إلى الحدود المقيدة، وكل ذلك لأنها لم تستطع تحمل قسوة القرارات الرهيبة التي لمست جسدها.

تثبتت برؤيتها الواحدة للكون، الرؤية التي أحاطت بها وجمدت الزمن كما يفترض، لأن البدائل أزعجتها.

في المقابل، شعر ليتو بالحركة النقية لذاته. كان ليتو عبارة عن غشاء يجمع أبعاداً زمنية لا نهائية، ولأنه رأى تلك الأبعاد، يمكنه اتخاذ القرارات الرهيبة.

كما فعل أبي.

قالت صبيحة بصوت مضطرب: «يجب أن تأكل هذا!»

رأى ليتو النمط الكامل للرؤى الآن، وعرف الخيط الذي يجب أن يتبعه. جلدي ليس جلدي. وقف وشد رداءه حول نفسه. تراءى له أن رداءه غريب عن جسده مع عدم وجود بذلة تقطير تحميه. كانت قدماه عاريتين فوق قماش الاسپايس المنصهر فوق الأرض، وشعر بالرمال تلسع أصابع قدميه.

سألت صبيحة: «ماذا تفعل؟»

«الهواء رديء هنا. أنا ذاهب إلى الخارج.»

قالت: «لا يمكنك الهروب. لكل أخدود دودته. إن ذهبت ما وراء القناة، ستستشعر الديدان وجودك من رطوبتك. هذه الديدان الأسيرة في حالة تحفيز شديدة - ليست مثل تلك الموجودة في الصحراء على الإطلاق. بالإضافة إلى أنه...». كان صوتها شامتا! «ليس بحوزتك بذلة تقطير.»

سأل محاولاً استفزازها: «لماذا تقلقين إذن؟»

«لأنك لم تأكل.»

«وسيعاقبونك؟»

«أجل!»

قال: «لكنني بالفعل مشبع بالاسپايس. كل لحظة رؤية». أشار بأحد قدميه الخافيتين إلى الوعاء: «اسكبي هذا فوق الرمال. من سيعرف؟»

همست: «إنهم يشاهدون».

هز رأسه، وأقصى صبيحة من رؤياه، وشعر بالحرية الجديدة التي تكتنفه. لا حاجة إلى قتل هذه البيدق المسكينة. رقصت على أنغام موسيقى أخرى دون أن تعرف حتى الخطوات، معتقدة أنها ربما تشارك في القوة التي أغرت قراصنة شولوك وچاكوروتو الجائعين. ذهب ليتولى قفل الباب، ووضع يده عليه.

قالت: «عندما يأتي موريس، سيكون غاضباً جداً من...».

قال ليتو: «موريس تاجر الفراغ. عمتي استنزفته».

وقفت على قدميها. «سأخرج معك».

وفكر: نتذكر كيف هربتُ منها. وهي الآن تشعر بهشاشة قبضتها عليّ. تحركت في داخلها رؤاها. لكنها لم تستمع إلى تلك الرؤى. لم يكن عليها إلا أن تفكر: كيف يمكنه التغلب على دودة أسيرة في واديها الضيق؟ كيف يمكنه العيش في نانزروفت دون بذلة تقطير أو عدة فرمن؟

قال: «يجب أن أكون وحدي لاستشارة رؤيتي. ستبقين

هنا».

«أين ستذهب؟»

«إلى القناة».

«البرقات الرملية تخرج ليلاً في أسراب».

«لن يأكلوني».

قالت: «في بعض الأحيان تنزل الدودة إلى ما وراء الماء مباشرة. إن عبرت القناة..» توقفت عن الكلام محاولة إضفاء نبرة تهديد على كلماتها.

سألها، وهو يفكر إن كان لا يزال بوسعها إنقاذ بعض أجزاء رؤيتها: «كيف يمكنني امتطاء دودة دون خطافات؟»

سألته: «هل ستأكل عند عودتك؟» وجلست القرفصاء مرة أخرى إلى جانب الوعاء والتقطت المغرفة وراحت تقلب مرق النيلة.

قال: «كل شيء في وقته»، كان يدرك أنها لن تكون قادرة على اكتشاف استخدامه الدقيق للصوت، الطريقة التي يزرع بها رغباته في قراراتها.

حذرت: «موريس سيأتي ليرى إن كنت حظيت برؤية».

قال ملاحظاً مدى ثقل وبطء حركتها الآن: «سوف أتعامل مع موريس بطريقتي».

تبادر إلى ذهنه نمط حياة الفِرمِن الطبيعي الذي يرشدها إليه الآن. كان الفِرمِن شعباً يتمتع بطاقة استثنائية عند

شروق الشمس، لكنهم يغرقون في الحزن العميق والنحول ليلاً. أرادت بالفعل أن تغرق في غياهب النوم والأحلام. خرج ليتو إلى الليل وحيداً.

كانت السماء متألثة بالنجوم، واستطاع تمييز معظم الهضاب المحيطة. تسلق تحت أشجار النخيل إلى القناة.

جلس ليتو القرفصاء على حافة القناة مدة طويلة، مستمعاً إلى هسهسة الرمال التي لا تهدأ داخل الوادي خلفه. كان صوتها صوت دودة صغيرة؛ أُخْتِيرت لهذا السبب بلا شك. سيكون من الأسهل نقل دودة صغيرة. فكر في الإمساك بالدودة: لا بد أن الصيادين أضعفوها برذاذ ماء، باستخدام طريقة الفرمن التقليدية في نقل الدودة إلى طقوس نشوة الطاو/التحول. لكن هذه الدودة لن تُقتل بالغمر بالمياه. هذه ستنقل على متن إحدى هايلاينرات النقابة إلى أحد المشتريين المتحمسين الذين من المحتمل أن تكون صحراءهم رطبة جداً. كان عدد قليل من الأجانب يدركون الجفاف الضروري الذي حافظت عليه اليرقات الرملية في أراكس. حافظت، لأنه حتى هنا في تانزروفت، سيكون هناك رطوبة محمولة في الهواء أكثر بعدة أضعاف مما عرفته أي دودة قبل موتها في أحد خزانات الفرمن.

سمع ليتو صبيحة تتحرك في الكوخ خلفه. كانت قلقة، مدفوعة برؤاها المكبوتة. تساءل كيف سيكون العيش

معها خارج الرؤية، ومشاركة كل لحظة كما تأتي. جذبته
الفكرة أكثر بكثير من أي رؤية اسبائس. كان هناك نوع
من التسليم والإيمان في مواجهة المستقبل المجهول.

«قُبلة في السييتش تساوي اثنتين في المدينة»

قالت حكمة الفِرم من القديمة كل شيء.. كان السييتش
التقليدي يعكس وحشية ممتزجة بالحياء. كان هناك آثار
لهذا الحياء في أهل چاكوروتو / شولوك، ولكنها كانت
آثاراً فقط. وأحزنه ذلك لأنه كشف له ما ضاع.

بيطء.. بيطء شديد حتى أن المعرفة غمرته قبل أن
يدرك بدايتها، أصبح ليتو مدرِّكاً الحفيف الناعم لكثير من
المخلوقات حوله.

يرقات رملية.

سيحين الوقت قريباً للانتقال من رؤية إلى أخرى. شعر
بحركة اليرقات الرملية كحركة داخل ذاته. عاش الفِرم
مع المخلوقات الغريبة لأجيال، عارفين أنه إذا خاطروا
بقليل من الماء كطعم، يمكنهم استدراجها حتى تصبح في
متناول أيديهم.

خاطر كثير من الفِرم المحتضرين من شدة العطش
بقطراتهم القليلة الأخيرة من المياه في هذه المقامرة،
مدركين أن الشراب الأخضر الحلو الذي يُعْتَصَر من
يرقة رملية قد يمددهم بندر يسير من الطاقة. لكن اليرقات
الرملية كانت عادة لعبة الأطفال الذين أمسكوا بها من

أجل الهوانوي (أوعية تقطير الموتى).

ومن أجل اللعب.

ارتجف ليتو من فكرة ما تعنيه تلك اللعبة بالنسبة إليه الآن.

شعر بأحد المخلوقات يزحف فوق قدمه العارية. ترددت اليرقة، ثم واصلت الحركة منجذبة إلى كمية الماء الكبيرة الموجودة في القناة.

لكن للحظة، شعر بحقيقة قراره الرهيب. قفاز اليرقات الرملية. كانت لعبة للأطفال. إن أمسك أحدهم بيرقة رملية في يده، وفردها فوق بشرته، فإنها تشكّل قفازاً حياً. يمكن أن تشعر تلك المخلوقات بالدم في الشعيرات الدموية تحت الجلد، لكن شيئاً ما مختلطاً بماء الدم نقرها. عاجلاً أم آجلاً، سينزلق القفاز في الرمال، حيث سيرفع إلى داخل سلة من ألياف الاسپايس. يهدئ الاسپايس اليرقات الرملية حتى يلقوها في أوعية التقطير.

سمع صوت اليرقات الرملية وهي تسقط في القناة، ودوامة من الأسماك المفترسة تلتهمها. يلين الماء اليرقات الرملية، ويجعلها مرنة. تعلم الأطفال هذا منذ سن مبكرة. بصقة من اللعاب تجذب الشراب الحلو من داخل اليرقات. استمع ليتو إلى تناثر المياه. كانت هذه هجرة اليرقات الرملية في صعودها إلى المياه الجارية، لكنها لم تستطع احتواء قناة متدفقة تحرسها الأسماك المفترسة.

لا تزال تأتي. لا تزال تنثر المياه.

لمس ليتو الرمل بيده اليمنى حتى وجد أصابعه تلامس القشرة الجلدية ليرقة رملية. كانت اليرقة بالحجم الكبير الذي توقعه. لم تحاول اليرقة الهرب منه، بل تحركت بحماسة فوق جسده. استكشف هيئتها بيده الأخرى - كانت تشبه الأماسة تقريباً. لم يكن لها رأس ولا أطراف ولا عيون، ومع ذلك كانت تستطيع العثور على الماء دون أي خطأ. مع رفيقاتها كان بإمكان جسد اليرقة أن يندمج مع جسد الأخرى، وتتحد معاً بواسطة الأهداب الخشنة التي تبرز من أجسادها، حتى يصبحا كائناً واحداً - كيساً ضخماً يحيط بالمياه، يفصل «السم» (الماء) عن ذلك العملاق الذي ستتحول إليه اليرقات الرملية: الشي هولود. تلوت اليرقات الرملية فوق يده، استطالت وتمددت. في أثناء حركتها، شعر بنظير لها يستطيل ويمتد في الرؤية التي اختارها. شعر باليرقات الرملية تفقد سماكتها، وتغطي مساحة أكبر من يده. لم يسبق أن واجهت أي يرقة رملية يداً مثل هذه من قبل؛ كانت كل خلية فيها مفرطة التشعب بالاسبائيس. لم يعيش أو يفكر إنسان آخر في مثل هذا الاحتمال من قبل.

ضبط ليتو توازن إنزيماته بدقة، مستفيداً من اليقين المضيء الذي اكتسبه في نشوة الاسبائيس. قدمت المعرفة من تلك الأعمار التي لا تُحصى الممتزجة داخله، إليه اليقين الذي اختار به التعديلات الدقيقة، وحمته من الموت

بجرعة زائدة كانت ستبتلعه لو خفف من درجة يقظته لحظة واحدة. وفي الوقت نفسه، امتزج باليرقات الرملية، تغذى عليها، وسمح لها بالتغذي عليه، وتعرّف عليها. قدمت إليه رؤيته-نشوته نموذجًا، واحتذى به بدقة متناهية.

شعر ليتو أن اليرقة الرملية تصبح أرفع، وتنتشر فوق يده أكثر فأكثر، وتصل حتى ذراعه. حدد موقع يرقة أخرى، ووضعها فوق الأولى. أشعل الاحتكاك تلويًا مسعورًا في المخلوقين. تشابكت أهدابها وأصبحت غشاءً واحدًا يحيط كوعه. تلاءمت اليرقات الرملية مع شكل القفاز الحي للعبة الأطفال، ولكنها أصبحت أرق وأكثر حساسية وهي تتبع دورها الجديد ككائن تكافلي. مد يده بالقفاز الحي، وشعر بالرمال، ميزت حواسه كل حبة رمل. لم تعد هذه يرقات رملية. كانت شيئًا أصلب وأقوى. وستزداد قوة مع الوقت.. واجهت يده التي راحت لتلمس الأرض، يرقة رملية أخرى زحفت حتى تتحد مع اليرقتين الأوليين، وتكيف نفسها للدور الجديد. غطت النعومة الجلدية ذراعه حتى كتفه.

وبتركيز شديد، دمج بشرته الجديدة في جسده، ما منع حدوث أي رفض. لم يُترك أي جزء من انتباهه للتفكير في العواقب الوخيمة لما فعله هنا. فقط ضرورات رؤيته-نشوته كانت هامة. الصِّراط الذهبي وحده يمكن أن يأتي من هذه المحنة.

خلع ليتو رداءه، واستلقى عاريًا على الرمال، وذراعه

المغطاة بالقفاز ممدودة في مسار اليرقات الرملية المهاجرة. تذكر مناسبة صادف فيها هو وغنيمة يرقة رملية، وثبتاها في الرمال حتى انكشيت في صورة دودة طفلة، أنبوب متصلب، وداخلها يعج بالشراب الأخضر. قضمها برفق من طرفها، ومصا الشراب بسرعة قبل أن يلتئم الجرح، وتذوقا قطرات قليلة حلوة.

انتشرت اليرقات فوق سطح جسده كله الآن. يمكن أن يشعر بنبض دمه فوق الغشاء الحي. حاولت إحداها تغطية وجهه، لكنه حركها بخشونة حتى استطالت إلى لفافة رقيقة. نما غشاء اليرقة أطول بكثير من الدودة-الطفلة (الطور الأول في دورة حياة دودة)، وظل مرناً. تذوق ليتو طرفه، واستطعم تدفقاً رقيقاً حلواً دام مدة أطول بكثير مما اختبره الفرم من قبل. يمكن أن يشعر بالطاقة من تدفق تلك الحلاوة خلاله. سرت إثارة غريبة في جسده. ظل مشغولاً بعض الوقت في إزاحة الغشاء بعيداً عن وجهه حتى بنى تنوءاً صلباً يلتف من الفك إلى الجبهة، وترك أذنيه مكشوفتين.

الآن يجب اختبار الرؤية.

نهض على قدميه، واستدار وركض نحو الكوخ، وبينما كان يجري، شعر بقدميه تتحركان بسرعة فائقة حتى أنه لا يستطيع التوازن. سقط على الرمال وتدحرج وقفز على قدميه. حملته القفزة مسافة مترين في الهواء، وعندما هبط حاول المشي، فتحرك مرة أخرى بسرعة هائلة.

أمر نفسه: قف! سقط في حالة من الاسترخاء التي فرضها عليه الپرانا يندو، وجمع حواسه في بحيرة الوعي. وركزها على التموجات الداخلية للحظة الآنية الثابتة - التي اختبر من خلالها الزمن، وسمح لنشوة رؤيته بتدفقته. عمل الغشاء بدقة كما تنبأت الرؤية.

جلدي ليس جلدي.

لكن عضلاته احتاجت إلى بعض التدريب حتى تتوافق مع هذه الحركة المتضخمة. عندما مشى، سقط وتدرج. ثم جلس. بهدوء، حاول التواء الجلدي تحت فكه أن يصبح غشاء يغطي فمه. بصق فوقه وعض عليه، متذوقاً الشراب الحلو، الذي سال إلى أسفل تحت ضغط يده.

مر وقت كافٍ لتتحد اليرقات الرملية بجسده اتحاداً منيعاً. تمدد ليتو في وضعية مستوية، واستدار على وجهه. بدأ في الزحف، حتى يحتك الغشاء بالرمال. كان يشعر بالرمال بوضوح، لكن لا شيء جرح جسمه. وبقليل من حركات السباحة اجتاز خمسين متراً من الرمال. كان رد فعل جسده شعوراً بالدفء الناجم عن الاحتكاك.

لم يعد الغشاء يحاول تغطية أنفه وفمه، لكنه الآن يواجه الخطوة الرئيسية الثانية على صراطه الذهبي. قادته حركته ما وراء القناة إلى الوادي حيث مكثت الدودة المحبوسة. سمعها تصدر صوت هسهسة تجاهه منجذبة إلى تحركاته.

نهض ليتو على قدميه، مصمماً على الوقوف والانتظار،

لكن الحركة المتضخمة أُلقت به إلى الأمام مسافة عشرين متراً في الوادي. كان يسيطر على ردود أفعاله بصعوبة، ثم جلس على وركيه مستقيماً. الآن بدأ الرمل ينتفخ أمامه مباشرة مرتفعاً في تلة هائلة مضاءة بالنجوم. انشقت الرمال على بعد بضعة أمتار منه. لمعت أسنان الدودة البلورية في الضوء الخافت. رأى فيها العملاق الكهفي المثائب، وفي أعماقه يتقد لهب خافت. غمره عبق الاسبايس الساطع. لكن الدودة توقفت. بقيت أمامه لا تتحرك قيد أنملة بينما كان القمر الأول يرتفع فوق الهضبة. انعكس الضوء عن أسنان الدودة محيطاً بالتوهج الباهر للحرائق الكيميائية في أعماقها.

نما الخوف الفرمي الغريزي عميقاً بداخل ليتو لدرجة أنه شعر برغبة قوية في الهروب تمزقه من الداخل. لكن رؤيته جعلته هادئاً مفتوناً بهذه اللحظة الممتدة. لم يقف أحد من قبل بهذا القرب من فم دودة حية، ونجا. نقل ليتو قدمه اليمنى بحذر، فلهست شيئاً صلباً تحتها، كانت رمال متيبسة. وكد فعل سريع، قفز نحو فم الدودة، وركع على ركبتيه. مع ذلك لم تتحرك الدودة.

لم تشعر الدودة إلا بالبرقات الرملية التي تغطي جسده، ولن تهاجم الدودة الصغار من أبناء جنسها.

ولن تهاجم دودة بالغة دودة أخرى إلا إذا دخلت نطاق أراضيها، وستنجذب إلى الاسبايس المكشوف.

ولكنها لن تتجاوز حاجزاً مائياً - وهذا ما كانت عليه
اليرقات الرملية التي تحتزن الماء في أجسادها.

على سبيل التجربة، حرك ليتو يده نحو ذلك الفم
العملاق، فتراجعت الدودة متراً كاملاً.

وبعد أن استعاد ثقته، ابتعد ليتو عن الدودة وبدأ يتعلم
كيفية التحكم في عضلاته الجديدة. سار بحذر نحو القناة.
وظلت الدودة خلفه بلا حراك. وعندما وصل ليتو إلى
الحاجز المائي، قفز من الفرع، وخطا على الرمال مسافة
عشرة أمتار، وهو يتقلب ويتدحرج ويضحك.

توهج الضوء على الرمال مع انفتاح شق في باب الكوخ.
ووقفت صبيحة، وهي نتلاًاً بضوء المصباح الأصفر
والبنفسجي، تنظر إليه.

عاد ليتو جرياً عبر القناة وهو يضحك، وتوقف أمام
الدودة، واستدار لمواجهتها، وهو يمد ذراعيه. صاح:
«انظري! الدودة تطيعني».

بينما تسمرت صبيحة في مكانها من فرط الصدمة، دار
ليتو حول الدودة صوب الوادي.

وبعد أن اكتسب خبرة في التعامل مع جلده الجديد،
اكتشف أنه يستطيع الركض بانقباضة صغيرة من عضلاته
فحسب؛ بالكاد كان عليه أن يبذل أي مجهود. وعندما
أجهد نفسه في الجري، انطلق فوق الرمال بسرعة فائقة،
والريح تحرق الدائرة الظاهرة من وجهه. وعندما وصل إلى

الطريق المسدود في نهاية الوادي، لم يتوقف، بل قفز إلى ارتفاع خمسة عشر متراً، وتمسك بالجرف، وخذش الجدار، وتسلقه مثل حشرة، حتى بلغ القمة فوق تانزروفت.

امتدت الصحراء الشاسعة أمام عينيه، وتلألأت في ضوء القمر الفضي.

سكنت بهجة ليتو الجنونية، فجلس على ركبتيه، وشعر بخفة جسده. نتج عن الجهد المبذول شريط أملس من العرق كانت بذلة تقطير لمتصه وتوجهه إلى نسيج الترشيح الذي يزيل الأملاح. وما إن استراح حتى اختفى الشريط، فقد امتصه الغشاء أسرع مما يمكن أن تفعل بذلة تقطير. مرر ليتو إصبعه بعناية على الغشاء تحت شفتيه، وقربه من فمه، وشرب الحلاوة.

لكن فمه لم يكن مقنعاً. من منظور الفرمن، كان يشعر أنه يضيع رطوبة جسده مع كل تنفس.

أخذ ليتو جزءاً من الغشاء ووضعها على فمه، ثم لفه خلف رأسه حتى لا يغلق أنفه، واستمر في ذلك حتى ثبت الغشاء الملفوف في مكانه.

في الطريق الصحراوية، دخل في نمط تنفس آلي: يستنشق من خلال أنفه، ثم يزفر من خلال فمه. انتفخ الغشاء الذي فوق فمه في فقاعة صغيرة، لكنه ظل في مكانه. لم تتجمع رطوبة على شفتيه وظل أنفه مفتوحاً. ثم استمرت عملية التكيف.

حلقت ثوبتر في المسافة بين ليتو والقمر. انحدرت، ثم هبطت بجناح مفتوح فوق الهضبة على بعد مئة متر تقريباً إلى يساره. نظر ليتو إليها، ثم استدار، ونظر إلى الورا في الطريق الذي سلكه في صعوده إلى الوادي. رأى أضواء كثيرة هناك وراء القناة، وجموع كبيرة من البشر تتحرك. سمع صرخات بعيدة، وشعر بمسحة من الهلع فيها. اقترب منه رجلان من الثوبتر، وقد انعكس ضوء القمر على أسلحتهما.

فكر ليتو: المشهد. وكانت فكرة حزينة. هنا كانت القفزة الهائلة فوق الصراط الذهبي. كان يرتدي بذلة تقطير حية ذاتية الإصلاح مصنوعة من غشاء اليرقات الرملية، وهو شيء ثمين جداً على أراكيس.. فكر: كان الثمن باهظاً. لم أعد بشراً. ستنشأ الأساطير حول هذه الليلة، وسيزيد المشاركون فيها من درجة تضخيمها أكثر من أي شيء يمكن التعرف عليه. لكن تلك الأسطورة ستصبح حقيقة.

نظر إلى الأسفل من فوق الهضبة، وقدر أن سطح الصحراء يبعد مئتي متر. أنار القمر الحواف والشقوق على المنحدر الشديد، ولكن لم يكن هناك مسار متصل بينها. وقف ليتو، واستنشق نفساً عميقاً، ونظر مرة أخرى إلى الرجال الذين يقتربون، ثم صعد إلى حافة الجرف، وأطلق نفسه في الفضاء. على بعد ثلاثين متراً أسفل ساقيه المثنتين واجه حافة ضيقة. امتصت العضلات المتضخمة الصدمة، وارتدت في قفزة جانبية إلى حافة أخرى، حيث

أمسك بنتوء ضيق بيديه، وسقط عشرين متراً، وقفز إلى مقبض صخري آخر، ثم نزل مرة أخرى، وهو يرتد، ويقفز، ويتشبث بالحواف الصغيرة. قطع الأربعين متراً الأخيرة في قفزة واحدة، وهبط في درجة بركبتين مثنيتين على الوجه المنزلق لكثيب رملي وسط وابل من الرمل والغبار. في القاع، نهض فوراً على قدميه، وانطلق إلى قمة الكثيب التالي في قفزة واحدة. كان يسمع صرخات متشنجة ومذهولة أعلى الجرف لكنه تجاهلها للتركيز على خطوات القفز من قمة كثيب إلى أخرى.

بعد أن اعتاد عضلاته المضخمة، شعر بمتعة حسية لم يتوقعها في حركته التي تبتلع المسافات. كانت رقصة باليه في الصحراء، تحدي لتانزروفت لم يجربه أحد من قبل.

عندما لاحظ أن ركاب الأورنيثوبتر تجاوزوا صدمتهم بما يكفي لمطاردته مرة أخرى، غاص في وجه كثيب رملي مظلل بالقمر، وحفر فيه.

كان الرمل مثل سائل ثقيل بالنسبة إلى قوته الجديدة، لكن درجة حرارة جسمه ارتفعت بشكل خطر عندما تحرك بسرعة هائلة. اخترق السطح الرملي عند الوجه البعيد من الكثيب، ووجد أن الغشاء قد غطى أنفه. نزعه، وشعر بالجلد الجديد ينبض فوق جسده وهو يمتص عرقه. صنع ليتو شيئاً يشبه الأنبوب من الغشاء عند فمه، وشرب منه بينما راح ينظر إلى السماء المزدانة بالنجوم. حسب

أنه ابتعد عن شولوك بمسافة خمسة عشر كيلومتراً. في ذلك الوقت، رسمت ثوبرات نمطها عبر النجوم، هيكل طائر عملاق يليه آخر وآخر. سمع صوت ارتعاش أجنحتها، همهمات محركاتها الهادئة. بينما يشرب من الأنبوب الحي، انتظر.

مر القمر الأول في مساره، ثم القمر الثاني. قبل ساعة من الفجر، تسلل ليتو إلى الخارج وفحص السماء؛ لا صيادين. الآن علم أنه سلك مساراً لا رجعة عنه. أمامه امتد نغ الزمن والمكان الذي أُعدَّ ليكون درساً لا يُنسى له وللبشرية جمعاء.

اتجه ليتو إلى الشمال الشرقي وقطع بخطوات واسعة خمسين كيلومتراً أخرى قبل أن يخبئ في الرمال طوال النهار، ولم يترك سوى حفرة صغيرة في السطح أبقاها مفتوحة بأنبوب صنعه من اليرقات الرملية. كان الغشاء يتعلم كيف يتعايش مع ليتو فيما كان ليتو يتعلم كيف يتعايش معه. حاول ألا يفكر في الأشياء الأخرى التي كان الغشاء يفعلها بجسده.

فكر: غداً سوف أداهم غار* رولين. سأحطم قنواتهم وأفرغ مياهها في الرمال. ثم سأنتقل إلى قرية ويندساك والفلق القديم ومضيق حرق. في غضون شهر سيكون التحول البيئي قد تراجع جيلاً كاملاً. سيتيح لنا ذلك فسحة لتطوير جدول زمني جديد.

سُيْلَقِي اللوم على وحشية القبائل المتمردة بالطبع. سيعيد البعض إحياء ذكريات چاكوروتو. سيكون لدى عالية أمور كثيرة لتعامل معها. أما غنيمة.. نطق ليتو في نفسه بصمت الكلمات التي ستعيد إليها ذاكرتها. سيأتي وقت ذلك لاحقاً.. إن نجوا من هذا الاختلاط الرهيب للخيوط.

استدرجه الصِّرَاطُ الذهبي إلى الخروج في الصحراء، شيء مادي تقريباً يمكن أن يراه بعينه المفتوحتين. وفكر كيف كان الأمر: كما يجب على الحيوانات أن تتحرك فوق الأرض لأن وجودها يعتمد على تلك الحركة، فإن روح البشرية، المحجوبة منذ دهور، تحتاج إلى مسار يمكن أن تتحرك فوقه.

فكر في أبيه حينها، قائلاً لنفسه: «قريباً سوف نتجادل رجلاً لرجل يا أبي، ولن تتجلى سوى رؤية واحدة».

حدود البقاء يرسمها المناخ. تمر التغيرات المناخية البطيئة دون أن يلاحظها جيل بأكمله. الظروف المناخية المتطرفة هي ما تحدد نمط التغير. قد يلاحظ البشر الزائلون الأقاليم المناخية (48)، وتقلبات الطقس السنوية، وفي بعض الأحيان قد يلاحظون ظواهر على غرار «هذا عام أبرد مما خبرته في أي وقت مضى». هذه الظواهر مفهومة. لكن البشر نادراً ما يستوعبون التغير الذي يحدث في المتوسط على مدى عقود طويلة. وهذا التغير بالذات هو الذي يعلم البشر كيفية البقاء على قيد الحياة على أي كوكب. يجب أن يتعلموا المناخ.

-أراكس، التحول (عن خرق العادة)

جلست عالية بساقين متشابكتين فوق سريرها، في محاولة استجماع شتات نفسها من خلال تلاوة تعويذة درء الخوف، لكن صوتاً ساخراً ضاحكاً تردد في رأسها مُعْرِقاً كل جهد. كانت تسمع الصوت. تحكم في أذنيها وعقلها.

«ما هذا الهراء؟ ما الذي تخافينه؟»

ارتجفت عضلات ربلي ساقها عندما حاولت الهرب، لم يكن ثمة مفر.

كانت ترتدي ثوباً ذهبياً من حرير پاليان شديد النقاء، يكشف عن السمرة التي بدأت تنفخ جسدها. كانت ساعة الحشاشين (49) قد انقضت لتوها. وكان الفجر وشيكاً. كانت التقارير التي تغطي الأشهر الثلاثة الماضية

موجودة أمامها على غطاء السرير الأحمر. سمعت أزيز مكيف الهواء ونسيماً خفيفاً يحرك الممصقات على بكرات الشيجواير.

أيقظتها مساعداتها مذعورات قبل ساعتين، وأحضرن لها أخبار التمرد الأخير، وطلبت عالية بكرات شيجواير التقرير، بحثاً عن نمط محدد.

توقفت عن ترديد التعويذة.

لا بد أن هذه الهجمات من عمل المتمردين. بوضوح. انقلب مزيد منهم على دين المؤدب.

سألها الصوت الساخر داخلها: «وما الخطأ في ذلك؟»

هزت عالية رأسها بعنف. خذها ثمري. كانت حمقاء أن تثق بمثل هذه الأداة المزدوجة الخطرة. همس مساعدوها بأن اللوم يقع على ستيلجار، وأنه كان متمرداً في السر. وماذا حدث لهالك؟ اختبأ بين أصدقاءه المهريين؟ ربما.

أمسكت بإحدى بكرات التقرير. وموريس! كان الرجل مجنوناً. كان هذا التفسير الوحيد الممكن. وإلا لكان عليها أن تؤمن بالمعجزات. لا يوجد إنسان، ناهيك بطفل (حتى طفل مثل ليتو) أن يقفز من إحدى هضاب شولوك، والبقاء على قيد الحياة للفرار عبر الصحراء في قفزات نقلته من قمة كثيب إلى قمة كثيب آخر.

شعرت عالية ببرودة أسلاك الشيجواير تحت يدها.

أين كان ليتو إذن؟ رفضت غنيمة تصديق أي احتمال آخر سوى موته. أكدت إحدى عرافات الحقيقة قصتها: قتل نمر لآزا ليتو. إذاً من الطفل الذي أبلغ عنه نمرى وموريس؟

ارتجفت.

دُمِّرت أربعون قناة، وانسكبت مياهها في الرمال. آمن جميع الفرمن المخلصين منهم والمتمردين بالخرافات! امتلأت تقاريرهم بقصص الأحداث الغامضة. قفزت اليرقات الرملية إلى القنوات التي تحطمت وباتت تستضيف كميات صغيرة من اليرقات. أغرقت الديدان نفسها عمدًا. تقاطر الدم من القمر الثاني وسقط على أراكس، حيث أثار عواصف عظيمة. وكان تواتر العواصف يتزايد!

فكرت في دانكن معزولاً عن العالم الخارجي في تبر، متضايقاً من القيود التي فرضها عليه ستيلجار هناك. بالكاد تحدث هو وإيرولان عن شيء آخر غير المعنى الحقيقي وراء هذه العلامات. حمقى! حتى جواسيسها تأثروا بتلك القصص اللعينة!

لماذا أصرت غنيمة على قصتها عن نمر لآزا؟

تنهدت عالية. كان هناك تقرير واحد مطمئن على بكرات الشيجواير. أرسل فارادين فرقة من حراس كوكبه «لمساعدتك في المشكلات التي تواجهينها، ولتمهيد الطريق من أجل مراسم الخطبة الرسمية». ابتسمت عالية لنفسها

وشاركت الضحكة الخافتة التي رنت في رأسها. على الأقل، كانت هذه الخطوة لا تزال قائمة. يمكن إيجاد تفسيرات منطقية لتفنيد كل هذا الهراء الخرافي الآخر.

في هذه الأثناء، كانت ستستعين برجال فارادين لإغلاق شولوك، واعتقال المعارضين المعروفين، خصوصاً بين النواب. فكرت في التحرك ضد ستيلجار، لكن الصوت الداخلي حذر من ذلك.

«ليس بعد».

همست عالية: «لا يزال لدى أمي والأخوية خطتهن. لماذا تدرّب فارادين؟»

قال البارون العجوز: «ربما يثيرها».

«ليس هذا البارد».

«لا تفكرين في مطالبة فارادين بإعادتها؟»

«أعرف المخاطر في ذلك!»

«جيد. في غضون ذلك، هذا المساعد الشاب الذي

جلبته زيا مؤخرًا. أعتقد أن اسمه أغارفيس - بوير

أغارفيس. إن دعوته هنا الليلة...».

«لا!»

«عالية...».

«اقرب الفجر، أيها الأحمق العجوز الشره! يوجد

اجتماع للمجلس العسكري هذا الصباح، وسوف يناقش الكهنة...».

«لا تثقين بهم، يا عزيزتي عالية؟»

«بالطبع لا!»

«جيد جداً. الآن، هذا جيد جداً. هذا المدعو بوير

أغارفيس...».

«قلت لا!»

التزم البارون العجوز داخلها الصمت، لكنها بدأت تشعر بالصداع. تسلل ألم بطيء من خدها الأيسر إلى جمجمتها. ذات مرة أرسلها غاضبة في الممرات بهذه الحيلة. الآن، عقدت العزم على مقاومته.

قالت: «إذا أصرت، فسوف أتناول مهدئاً».

يمكن أن يرى أنها تعني ذلك. بدأ الصداع بالانحسار. «جيد جداً. في وقت آخر إذا أيتها المشاكسة».

وافقت: «في وقت آخر».

بعزمك سُقت الرمال. وتهشمت رؤوس التنانين في القفار. أراك كوحش ينبثق من الكثبان. لك قرنا كبش، ولسان تين.

- الإنجيل الكاثوليكي البرتغالي (منقح) آران 2 آية 4.

كانت النبوءة الراسخة؛ أصبحت الخيوط حبلاً متيناً، شيئاً كان ليتو يعرفه طيلة حياته. أمعن في النظر إلى الصحراء عبر ظلال المساء الحائمة فوق تانزروفت. على بعد مئة وسبعين كيلومتراً شمالاً يقع الفلق القديم، الصدع العميق والمتعرج عبر الجدار الحامي الذي هاجر بمحاذاته الفرمن الأوائل إلى الصحراء.

لم تبق أي شكوك داخل ليتو. عرف سبب وقوفه هنا وحيداً في الصحراء، ولكنه شعر بأنه صاحب هذه الأرض كلها، وأنها تخضع لأمره. شعر أنه مرتبط بالبشرية جمعاء، بالحاجة العميقة إلى عالم له معنى، إلى نظام يمكن التعرف عليه وسط التغيير.

أعرف هذا العالم.

جاءت الدودة -التي أحضرته إلى هنا- إليه استجابة لخبطات قدمه، وارتفعت أمامه، وتوقفت مثل وحش مطيع. قفز فوقها، مستخدماً يديه المتضخمتين المغطاتين بالغشاء، وكشف الحافة الأمامية لحلقة من حلقات الدودة لإبقائها على السطح. كانت الدودة متعبة من جريها طوال الليل شمالاً. عمل «مصنعها» الداخلي من السيليكون-

الكبريت بطاقته القصوى، وزفرت هبّات غزيرة من الأوكسجين التي أرسلتها الرياح التالية في دوامات متموجة أحاطت بليتو. في بعض الأحيان أصابته هبّات الرياح الحارة بالدوار، وملأت عقله برؤى غريبة. تحولت رؤاه الذاتية التي تدور في فلك ذاته إلى أسلافه في الداخل، ودفعته إلى إحياء أجزاء من ماضيه الأرضي، ثم مقارنتها بذاته المتحوّلة.

بالفعل بدأ يشعر بنفسه ينحرف بعيداً عن كل ما هو بشري. أصبح مدمناً على الاسپايس بشكل شديد وابتلعه في أي مكان يجده فيه. لم يعد الغشاء الذي يكسوه يرقات رملية ولا جلدًا بشريًا. تسالت أهداب داخل جسده، وشكّلت مخلوقًا جديدًا يسعى إلى تحوُّله انخاص في الدهور القادمة.

فكر: رأيت هذا يا أبي ورفضته. كان شيئًا مرعبًا جدًا حتى تواجهه.

عرف ليتو ما صدّقه الناس عن والده، ولماذا.

مات المؤدب بسبب الاستبصار.

لكن بول آترديز انتقل من عالم الواقع إلى عالم المثل بينما لا يزال حيًا هاربًا من هذا الشيء الذي تجرأ ابنه عليه.

الآن لم يبق سوى الواعظ.

جلس ليتو القرفصاء على الرمال وأبقى انتباهه شمالاً.
ستأتي الدودة من ذاك الاتجاه، وعلى ظهرها يركب
شخصان: فرمني شاب ورجل أعمى.

مرّ سرب من الخفافيش السوداء فوق رأس ليتو،
ومالت في مسارها متجهة نحو الجنوب الشرقي. كانت
بقعاً عشوائية في السماء المظلمة، ويمكن لعين فرمني خبيرة
تحديد مكان قدومها ومعرفة مكان المأوى بهذه الطريقة.
لكن الواعظ يتجنب ذلك المأوى. كانت وجهته شولوك،
حيث لم يُسمح بوجود الخفافيش البرية خشية أن تدل
الغرباء على مكانهم السري.

ظهرت الدودة أولاً كجسم مظلم يتحرك بين الصحراء
والسماء الشمالية. حجب المطر* الرمال الهاطلة من
ارتفاعات شاهقة بفعل الرياح الأخيرة للعاصفة المنظر
بضع دقائق، ثم زالت الرمال وأصبحت الرؤية أوضح
وأقرب.

بدأت المنطقة الباردة عند قاعدة الكثيب حيث جثم
ليتو، تنضح رطوبتها الليلية. كان يستطيع أن يشم الرطوبة
الخفيفة في منخاريه. ضبط غطاء الغشاء الفقاعي فوق فمه.
لم يعد يحتاج إلى البحث عن المياه بين الشقوق والفجوات.
بفضل جينات والدته، كانت لديه أمعاء فرمنية طويلة
وضخمة تسترد الماء من أي شيء يأكله. استحوذت بذلة
التقطير الحية على كل جزء من الرطوبة واحتفظت به.
وحتى في أثناء جلوسه هنا، كان الغشاء الذي يلمس

الرمال، ينشر أهدابه -أرجله الكاذبة باحثًا عن جزيئات ماء يمكن تخزينها.

تأمل ليتو الدودة التي تقترب. كان يعلم أن المرشد الشاب قد شاهده بحلول هذا الوقت، وكان يشير إلى البقعة فوق الكثيب الرملي. لن يتمكن راكب الدودة من تمييز ملامح الكائن الذي يشاهده من مسافة بعيدة، لكن الفِرمن تعلموا كيفية التعامل مع هذه المشكلة. كل ما هو مجهول يمثل خطرًا. ستكون ردود فعل المرشد الشاب متوقعة تمامًا، لا يحتاج الأمر إلى رؤية.

وبناءً على هذا التوقع بالضبط، انحرف مسار الدودة قليلًا واتجهت مباشرة نحو ليتو. كانت الديدان العملاقة سلاحًا استخدمه الفِرمن عدة مرات. ساعدت الديدان في هزيمة شادام في أراكين. لكن هذه الدودة رفضت الانصياع إلى أمر راكبيها. توقفت على بعد عشرة أمتار من ليتو، لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يدفعها للتقدم حبة رمل أخرى.

نهض ليتو، وهو يشعر بالأهداب تتحرك من جديد داخل غشائه. حرر فمه وصرخ: «أهلاً، وسهلاً!»* مرحبًا، مرحبًا مرتين!

وقف الأعمى خلف مرشده على ظهر الدودة، ووضع يده على كتف الشاب. رفع الرجل وجهه إلى السماء، ووجه أنفه نحو ليتو كأنه يريد أن يشم سبب هذا التوقف. صبغ الغروب جبهته بلون برتقالي.

سأل الأعمى وهو يهز كتف مرشده: «من هذا؟ لماذا توقفنا؟» كان صوته أنفياً من خلال سدادات بذلة التقطير.

حدّق الشاب بخوف إلى ليتو، وقال: «شخص وحيد في الصحراء. طفل من مظهره. حاولت أن أتجاوزه، لكن الدودة أبت التحرك».

قال الرجل الأعمى: «ولماذا لم تخبرني؟»

احتج الشاب: «اعتقدت أنه مجرد شخص وحيد في الصحراء! لكنه شيطان».

قال ليتو: «تحدث مثل ابن حقيقي لجاكورتو. وأنت يا مولاي، أنت الواعظ».

«نعم، أنا هو». كان هناك خوف في صوت الواعظ لأنه ها هو ذا أخيراً يلتقي ماضيه.

قال ليتو: «هذا ليس بستاناً، لكنك مرحب بك لمشاركة هذا المكان معي الليلة».

سأل الواعظ: «من أنت؟ كيف أوقفت دودتنا؟» تخلل صوت الواعظ شيء من القلق والرغبة. تذكر رؤيته عن هذا الأمر.. عالماً أنه يمكن أن يصل هنا إلى النهاية.

احتج المرشد الشاب: «إنه شيطان. يجب أن نهرب من هذا المكان وإلا فأرواحنا..».

زار الواعظ: «صه!»

قال ليتو: «أنا ليتو آترديديز، توقفت دودتك لأنني أمرتها».

وقف الواعظ في صمت مطبق.

قال ليتو: «هيا يا أبي، انزل واقضِ الليلة معي. سأقدم لك شراباً حلواً، أرى أن لديك عدداً فرمينة مع برطمانات طعام ومياه. سنتشارك ثرواتنا هنا على الرمال».

اعترض الواعظ قائلاً: «ليتو لا يزال طفلاً، ويقولون إنه مات بسبب خيانة كورينو، لا أثر للطفولة في صوتك».

قال ليتو: «أنت تعرفني يا مولاي، أنا أصغر من عمري كما كنت أنت، لكن تجربتي عتيقة، وقد تعلمت كيف أتحدث».

سأل الواعظ: «ماذا تفعل هنا في الصحراء الداخلية؟»

قال ليتو: «بو جي». لا شيء من لا شيء. كانت هذه إجابة أحد الرحالة الزنسنيين، الذين عاشوا في سلام مع محيطهم دون توتر أو مشقة.

هز الواعظ كتف مرشده «هل هو طفل، مجرد طفل؟»

قال الشاب: «نعم»، وهو يواصل النظر بخوف إلى ليتو.

هزت تنهيدة مرتجفة جسد الواعظ.

قال المرشد: «لا، إنه شيطان في هيئة طفل».

قال ليتو: «سنييت الليلة هنا».

قال الواعظ: «سنفعل ما يقول». أزاح قبضته عن المرشد، وهبط عن جانب الدودة وانزلق فوق الرمال، وقفز بسهولة عندما لامست قدماه الأرض. استدار وقال: «أطلق سراح الدودة وأعدّها إلى الرمال. إنها متعبة ولن تضايقنا».

اعترض الشاب: «لن ترحل الدودة».

قال ليتو: «سوف ترحل. ولكن إن فكرت في الهروب على ظهرها، فسأدعها تلتهمك». انتقل إلى الجانب خارج مدى إحساس الدودة، وأشار إلى الجهة التي أتيا منها. «اذهب في ذاك الطريق».

ضرب الشاب بمنخسه حلقة الدودة التي خلفه، وهز خطافاً كان يُبقي حلقة في الدودة مفتوحة. بدأت الدودة تنزلق ببطء فوق الرمال، واستدارت في حين حرك الشاب خطافه أسفل جانب الدودة.

تسلق الواعظ منحدر الكثيب متبعاً صوت ليتو، ووقف على مسافة خطوتين منه. قام الواعظ بذلك بيقين وسرعة أخبرا ليتو أن المنافسة لن تكون سهلة.

هنا اقرقت الرؤى.

قال ليتو: «أزل قناع البذلة، يا أبي».

أطاع الواعظ وألقى بغطاء رأسه إلى الوراء وسحب سدادة الفم.

تأمل ليتو وجهه، ورأى الشبه العجيب بينهما. أظهرت ملامحها المتشابهة ارتباطهما بطريقة غامضة؛ ورثا الجينات نفسها لكن مصيرهما مختلف، لا لبس في ذلك! ورث ليتو تلك الملامح من أيام الماضي المزدهرة، من أيام جريان المياه، من بحار كلادان العجيبة. لكنهما الآن يقفان عند نقطة تحوّل في أراكس بينما الليل ينتظر ابتلاع الكئيبان الرملية.

قال ليتو وهو يلقي نظرة سريعة إلى اليسار حيث يستطيع رؤية المرشد الشاب يسير عائداً إليهما من المكان الذي ترك فيه الدودة: «إذن يا أبي».

قال الواعظ وهو يلوح بيده اليمنى بإشارة قاطعة: «مُو زين*». هذا ليس جيداً!

قال ليتو، صوته ناعم: «كُليش زين». هذا أفضل ما يمكننا الحصول عليه.

وأضاف، متحدثاً بلغة التشاكوبسا، لغة المعركة الآتريديزية: «ها أنا ذا هنا، وقد أتيت لأبقى! لا يمكننا أن ننسى ذلك يا أبي».

تدلت كتفا الواعظ. وضع كلتا يديه أمام محجريه الفارغين في إيماءة لم يستخدمها منذ مدة طويلة.

قال ليتو: «أعطيتك رؤية عيني ذات مرة، واستوليت على ذكرياتك. أعرف قراراتك، وسافرت إلى المكان الذي أخفيت ذاتك فيه».

أنزل الواعظ يديه. «أعرف. وهل ستبقى؟»

قال ليتو: «سميتني على اسم الرجل الذي كتب ذلك في شعار عائلته: ها أنا ذا هنا، وقد أتيت لأبقى» (50).

تنهد الواعظ بعمق: «إلى أي حد وصل هذا الشيء الذي فعلته بنفسك؟»

«جلدي ليس جلدي، يا أبي».

ارتجف الواعظ: «الآن عرفتُ كيف وجدتني هنا».

قال ليتو: «أجل، ربطت ذا كرتي بمكان لم يعرفه جسدي قط. أحتاج إلى ليلة مع أبي».

«أنا لست أباك. أنا مجرد صورة باهتة، أطلال». أدار رأسه نحو صوت المرشد المقرب. «لم أعد أبدأ إلى الرؤى لأرى مستقبلي».

وبينما يتكلم، غطى الظلام الصحراء. تلالأت النجوم فوقهم، واستدار ليتو أيضاً نحو المرشد الذي يرنو إليهما. هتف ليتو إلى الشاب: «صباح الخير*! تحياتي!»

جاء الرد: «صباح النور*!»

قال الواعظ بصوت أجش: «هذا الشاب آسان طارق خطر».

قال ليتو، تكلم بنبرة محادثة منخفضة: «كل المطاريد خطرون. لكن ليس علي».

قال الواعظ: «إن كانت هذه رؤيتك، فلن أشارك فيها».
قال ليتو: «ربما ليس لديك خيار. أنت في الحقيقة*». أنت
أبو الدهر، أبو دروب الزمن اللا-متناهية».

قال الواعظ: «لست أكثر من طعم في شرك»، شابت
المرارة صوته.

قال ليتو: «وقد ابتلعت عالية ذلك الطعم بالفعل. لكنني
لا أحب مذاقه».

جار الواعظ: «لا تستطيع فعل هذا!»

«فعلته. رفعت الأقلام وجفت الصحف. جلدي ليس
جلدي».

«ربما لم يفت الأوان بالنسبة إليك حتى...».

«فات الأوان». أمال ليتو رأسه إلى جانب واحد. كان
بإمكانه سماع آسان طارق وهو يتقدم على منحدر الكثيب
باتجاههما مستأنساً بأصواتهما. قال ليتو: «تحية طيبة، يا
آسان طارق من شولوك».

توقف الشاب أسفل ليتو مباشرة على المنحدر، كان يلفه
ظلام الليل، وبدا متردداً من وضع كتفيه وميلان رأسه.

قال ليتو: «نعم، أنا الهارب من شولوك».

بدأ الواعظ: «عندما سمعت...» ثم قال: «لا يمكنك فعل
هذا!»

«أنا فاعله. ما الذي يهم إن صرت أعمى مرة أخرى؟»
سأله الواعظ: «هل تعتقد أنني أخاف ذلك؟ ألا ترى
المرشد العظيم الذي أعطوني إياه؟»
«أراه». مرة أخرى واجه ليتو طارق. «ألا تسمعي يا
آسان؟ أنا الهارب من شولوك».
ارتجف الشاب: «أنت شيطان».

قال ليتو: «شيطانك أنت. لكنك شيطاني أيضًا». وشعر
ليتو بازدياد التوتر بينه وبين أبيه. كانوا جميعًا في لعبة
الظلال، إسقاطات أشكال لا تُدرك. وشعر ليتو بذكريات
أبيه، صورة من نبوءة معكوسة تميز الرؤى عن الواقع
الحالي.

شعر بها طارق؛ معركة الرؤى هذه. وتراجع عدة
خطوات إلى الوراء أسفل المنحدر.

همس الواعظ: «لا تستطيع التحكم في المستقبل»، امتلاً
صوته بالتعب كأنه يحمل ثقلًا عظيمًا.

شعر ليتو بالفجوة بينهما في تلك اللحظة، فقد كان أبوه
أحد عناصر الكون الذي تصارع معه حياته كلها. كان
عليهما أن يتخذا قرارًا حاسمًا قبل فوات الأوان، وأن ينتقيا
رؤية تحدد مصيرهما. وكان والده محققًا: عندما تحاول
السيطرة المطلقة على العالم، لا تصنع سوى الأسلحة التي
سيهزمك العالم بها في النهاية. لكي تختار

وتدير رؤية، عليك أن تتوازن على خيط رفيع واحد -
تلعب دور الرب على وتر مشدود عال دون أن يساعدك
او يدعمك أحد. لا يمكن لأي متسابق أن يتخلى عن
الحياة، واضعاً حداً للتناقض. عرف كل واحد منهما
الرؤى والقواعد. وأخذت كل الأوهام القديمة تحتضر.
وكلما تحرك أحدهما، كان الآخر يرد بالمثل. الحقيقة
الوحيدة التي كانت تهمهما الآن هي تلك التي تفصلهما
عن خلفية الرؤية. لم يكن هناك ملاذ آمن، بل تحول
مستمر للعلاقات، تحول محكوم بالقيود التي فرضها الآن،
وربطاها بالتغيرات الحتمية. لم يمتلك أي منهما سوى
شجاعة يائسة وحيدة للاعتماد عليها، لكن ليتو كان يمتلك
مزيتين: ألزم نفسه مساراً لا عودة عنه، وتقبل عواقبه
الوخيمة على ذاته. ومع ذلك تمنى والده أن يكون ثمة
طريق للرجوع، وأنه لم يقدم التزاماً نهائياً.

جأر: «لا يجب عليك أن تفعل ذلك! لا يجب عليك!»

فكر ليتو: يدرك أفضليتي.

تحدث ليتو بنبرة هادئة مخفياً توتره الداخلي، والمجهود
الذي يبذله في هذه المنافسة الضارية: «ليس لدي أي
إيمان قوي بالحقيقة. إنما إيماني بما أصنعه».

وشعر بعد ذلك بحركة تقارب بينه وبين أبيه، شيء
حُبِّي الشكل لم يلمس سوى إيمان ليتو الشخصي العاطفي
بنفسه. بمثل هذا الإيمان، كان يعلم أنه رسم علامات

الصِّراطِ الذهبي. وفي يوم ما، ستكون هذه العلامات دليلاً للآخرين إلى كيفية أن يكونوا بشرًا، هبة عجيبة من كائن لم يعد بشرياً في ذلك اليوم. لكن هذه العلامات وضعها المقامرون دائماً في مكانها. شعر ليتو بها مبعثرة في مشهد أرواحه الداخلية، وبهذا الشعور، تأهب للمقامة الأخيرة.

استنشق الهواء بهدوء، باحثاً عن الإشارة التي كان هو وأبوه يعلمان أنها ستأتي. بقي سؤال واحد: هل سيحذر أبوه المرشد الشاب المدعور الذي ينتظر أسفلهما؟

شم ليتو رائحة أوزون، الرائحة التي تكشف عن وجود درع طاقة. كان الشاب طارق يحاول قتل هذين الآتريديزين الخطرين تنفيذاً للأوامر التي تلقاها من المطاريد، دون أن يعرف الأهوال التي قد تنجم عن ذلك.

همس الواعظ: «لا تفعل».

لكن ليتو عرف أن الإشارة كانت حقيقية. شم الأوزون، ولكن لم يكن هناك وخز في الهواء من حولهما. كان طارق يستخدم درعاً مزيفاً في الصحراء، سلاحاً مصمماً خصيصاً لأراكيس. تأثير هولتزمان سيجلب دودة وسيجعلها تفقد عقلها في الوقت نفسه. لا شيء يمكن أن يُوقف مثل هذه الدودة - لا الماء، ولا وجود اليرقات الرملية.. لا شيء. نعم، زرع الشاب الجهاز في منحدر الكثيب، وابتعد عن منطقة الخطر.

انطلق ليتو من فوق قمة الكثيب، سمع أباه يصرخ محتجاً، لكن الزخم الرهيب لعضلاته المتضخمة أطلق جسده مثل الصاروخ. أمسك بيده اليمنى برقبة بذلة تقطير طارق، وبيده اليسرى برداء الشاب المنكوب عند الخصر. صدر صوت طقطقة واحدة عندما انكسرت رقبتة. تدرج ليتو ورفع جسده مثل أداة متوازنة بدقة قبل أن يغوص مباشرة في الرمال حيث أُخفي الدرع الزائف.

عثرت الأصابع على الدرع وأخرجته من الرمال، وطوحت به في قوس دائري بعيداً إلى الجنوب منهما.

ثم انفجر صوت مدو في الصحراء حيث ألقى الدرع الزائف. هدأ الصوت، وعاد الصمت.

نظر ليتو إلى قمة الكثيب حيث وقف والده، لا يزال متحدياً لكنه مهزوم. كان ذلك بول المؤدب يقف هناك أعمى غاضباً، على شفا اليأس نتيجة هروبه من الرؤية التي قبلها ليتو. سيتفكر عقل بول الآن في كوان (51) زنسني طويل: «بتنبئه بمستقبل دقيق، قدم المؤدب عنصراً من التطوير والنمو في الاستبصار نفسه الذي رأى من خلاله الوجود البشري. من خلال هذا، ابتلى هو نفسه بعدم اليقين. سعياً وراء التنبؤ المطلق المنظم، ضخم الفوضى وشوه التنبؤ».

بعد عودته إلى قمة الكثيب في قفزة واحدة، قال ليتو: «الآن أنا مرشدك».

«أبدًا!»

«هل ستعود إلى شولوك؟ حتى لو رحبوا بك عند وصولك دون طارق، أين ذهبت شولوك الآن؟ هل تراها عيناك؟»

واجه پول ابنه مصوباً محجريه الخالين من العينين نحوه:
«هل تدرك حقاً العالم الذي خلقته هنا؟»

سمع ليتو تشديد أبيه عند نطق كلامه. كانت الرؤية التي كانا يعرفان أنها بدأت بالتحقق هنا، تتطلب فعل خلقٍ في وقت معين. في تلك اللحظة، شارك الكون الواعي كله وجهة نظر خطية للزمن، امتلكت خصائص التقدم المنظم. دخلا هذا الزمن كما قد يخطوان فوق مركبة متحركة، ولا يمكنهما مغادرتها إلا بالطريقة نفسها.

في مقابل ذلك، أمسك ليتو بزمام خيوط متعددة، ومتوازناً في نظرتة -التي أضاءتها رؤيته- للزمن على أنه متعدد الخطوط والدوائر. كان المبصر في عالم من العميان. هو وحده القادر على بعثرة المنطق المنظم لأن والده لم يعد يمسك بالزمام. في منظور ليتو، غير ابن الماضي. والفكرة التي لم يُحلم بها بعد في المستقبل البعيد يمكن أن تنعكس على الحاضر وتحرك يده.

يده هو فحسب.

علم بول هذا لأنه فقد القدرة على رؤية كيف يتحكم ليتو في زمام الزمن، ولم يتمكن من التعرف إلا على العواقب

اللا-إنسانية التي قبلها ليتو. وفكر: هذا هو التغيير الذي
صليت من أجله فلماذا أخشاه؟ لأنه الصبراط الذهبي!
قال ليتو: «أنا هنا لأعطي هدفًا للتطور، وبالتالي أعطي
هدفًا لحياتنا».

«هل ترغب في أن تعيش تلك الآلاف من السنين، وأن
تتغير كما تعلم الآن أنك ستتغير؟»

أدرك ليتو أن والده لم يكن يتحدث عن التغييرات
الجسدية. كلاهما يعرف العواقب الجسدية: ليتو سيتكيف؛
الجلد الذي ليس جلده سيتكيف. سوف تذوب قوة الدفع
التطورية لكل جزء في الآخر، وسيظهر تحول واحد. عندما
يأتي التحول - إن أتى - سيظهر في العالم مخلوق مفكر ذو
أبعاد مذهلة - وسيعبده هذا الكون.

لا؛ كان پول يشير إلى التغييرات الداخلية والأفكار
والقرارات التي من شأنها أن تفرض نفسها على العباد.
قال ليتو: «أولئك الذين يعتقدون أنك ميت، أنت تعرف
ما يقولونه عن كلماتك الأخيرة».
«بالطبع».

قال ليتو: «الآن أنا أفعل ما كان يجب أن تفعله كل
الحياة في خدمة الحياة. أنت لم تقل ذلك قط، لكن
الكاهن الذي اعتقد أنك لن تستطيع العودة أبدًا لتكذيبه،
نسب تلك الكلمات إليك».

«لا أكذبه». أخذ پول نفساً عميقاً. «هذه كلمات أخيرة جيدة».

سأل ليتو: «هل ستبقى هنا أم ستعود إلى ذلك الكوخ في وادي شولوك؟»

قال پول: «هذا عالمك الآن».

مرّقت الكلمات المملأى بالهزيمة ليتو. حاول پول أن يوجّه آخر خيوط رؤيته الشخصية، خيار اتخذته قبل سنوات في سييتش تير. ومن أجل ذلك، وافق أن يصبح أداة انتقام في يد المطاريد الباقين في چاكوروتو. لوثوه، لكنه قبل بذلك بديلاً من رؤيته عن هذا العالم الذي اختاره ليتو.

كان الحزن داخل ليتو عظيماً لدرجة أنه لم يستطع التحدث عدة دقائق. عندما تمكن من الحديث، قال: «لذلك استدرجت عالية، وأغويتها وأربكتها ودفعتها إلى تلك الحالة من التقاعس عن فعل أي شيء، واتخاذ القرارات الخاطئة. وهي الآن تعرف من أنت».

«تعرف.. نعم، تعرف».

كان صوت بول عجوزاً، ومليئاً بالاعتراضات الخفية. ومع ذلك، كان هناك بقايا تحدّ داخله. قال: «سأنتزع الرؤية منك إن استطعت».

قال ليتو: «آلاف السنين من السلام هذا ما سأقدمه لهم».

«بل من السكون! الركود!»

«بالطبع. وهذه هي أنواع العنف التي أسمح بها. سيكون درساً لن تنساه البشرية أبداً.»

قال پول: «أنا أبصق على درسك! هل تعتقد أنني لم أر شيئاً مشابهاً لما تختاره؟»

وافق ليتو: «رأيتهُ.»

«هل رؤيتك أفضل من رؤيتي»

قال ليتو: «ليست أفضل بقدر مثقال ذرة، بل ربما رؤيتي أسوأ من رؤيتك.»

سأل پول: «إذن ماذا يمكنني أن أفعل سوى مقاومتك؟»
«اقتلني، ربما.»

«لست بهذه السذاجة. أعلم ما الذي بدأتُهُ. وأعلم عن القنوات المحطمة والاضطرابات.»

«الآن لن يعود آسان طارق إلى شولوك أبداً. عليك أن تعود معي أو تبقى بعيداً إلى الأبد لأن هذه رؤيتي الآن.»
«أرفض العودة.»

فكر ليتو، كم يبدو صوته عجوزاً، اعتصرت الفكرة قلبه الماء.
قال: «لدي خاتم صقر آل آتريديز مخبأ في الدشداشة. هل تود أن أعيده إليك؟»

همس پول: «لو متُّ فقط. أردت حقاً أن أموت عندما

ذهبت إلى الصحراء في تلك الليلة، لكنني علمت أنني لا أستطيع مغادرة هذا العالم. كان عليّ أن أعود...».

قال ليتو: «وتستعيد الأسطورة. أنا أعرف. وكان المتواطئون في چاكوروتو في انتظارك تلك الليلة كما علمت أنهم سينتظرونك. أرادوا رؤياك الاستبصارية! كنت تعرف ذلك».

«رفضت، لم أعطيهم ولا رؤية واحدة».

«لكنهم لوثوك. أطعموك خلاصة الاسپايس. وأغدقوا عليك بالنساء والأحلام. وراودتك رؤى».

«أحياناً». كم تراءى صوته مخادعاً.

سأل ليتو: «هل تريد استرداد خاتم الصقر؟»

جلس پول فجأة على الرمال، كان أشبه ببقعة داكنة في ضوء النجوم: «لا!»

فكر ليتو: إذن يعرف عبثية هذا المسار. كشف هذا الكثير، ولكن ليس كل شيء. تحول صراع الرؤى من مستوى الخيارات الدقيقة إلى رفض جذري للبدايل. كان پول يعلم أنه لا يمكنه الانتصار، لكنه كان يأمل في إبطال تلك الرؤية الوحيدة التي اتبعها ليتو. قال پول: «نعم، لوثت في چاكوروتو. لكنك لوثت نفسك».

اعترف ليتو: «هذا صحيح. أنا ابنك».

«هل أنت فرمني صالح؟»

«نعم».

«هل تسمح لرجل أعمى أن يذهب إلى الصحراء أخيراً؟
هل ستدعني أجد السلام بشروطي». ركل الرمال أسفله.
قال ليتو: «لا، لن أسمح بذلك. لكن من حقا أن
تسقط على سكينك إن أصرت على ذلك».

«وستحظى بجسدي!»

«أجل».

«لا!»

فكر ليتو: إذن يعرف ذلك المسار. إنقاذ الابن لجسد أبيه
المؤدب قد يكون بمثابة أحد أشكال تعزيز رؤية ليتو.
سأل ليتو: «أنت لم تخبرهم قط، أليس كذلك يا أبي؟»
«لم أخبرهم قط».

قال ليتو: «لكنني أخبرتهم. أخبرت موريس عن
الكراليزيك، صراع الإعصار».

تدلت كتفا پول. همس: «لا يمكنك. لا تستطيع».

قال ليتو: «أنا مخلوق من هذه الصحراء الآن، يا أبي. هل
يمكنك قول ذلك إلى عاصفة كوريوليسية؟»

قال پول بصوت أجش ومرتجف: «إنك تعتقد أنني
جبان لأنني رفضت هذا المسار. آه، أفهمك جيداً يا بني».

لطالما كان التنجيم والعرافة وغيرهما من ممارسات التنبؤ
بالمستقبل سبباً في شقاء ممارسيها. لكنني لم أضع قط في
مسارات المستقبل المحتملة لأن هذا المسار مرعب بدرجة
لا يمكن وصفها!»

وافق ليتو: «ما ستواجهه هناك أشد من جهادك في
كلادان. سأخذك إلى جيرني هاليك الآن».

«جيرني! يخدم الأخوية من خلال أمي».

والآن فهم ليتو ما رآه والده: «لا يا أبي. لم يعد جيرني
يخدم أي شخص. أعرف المكان الذي أجده فيه ويمكنني
اصطحابك إلى هناك. حان الوقت لنخلق الأسطورة
الجديدة».

«أرى أنني لا أستطيع التأثير فيك. دعني ألمسك إذن
لأنك ابني».

مد ليتو يده اليمنى وتلاقت أصابعه مع أصابع والده
الباحثة، شعر بقبضته القوية، ورد عليها بنفس القوة،
وتحدى كل حركة في ذراع پول. قال ليتو: «لن تضرنني
السكين المسمومة الآن. لقد تغير تركيبي الكيميائي».

ترقرقت الدموع في عيني پول العمياوين، وأرخى
قبضته، وسقطت يده بجانبه. «لو اتبعت طريقك، لكنت
أصبحت تجسيدا للشيطان*. فإذا ستصبح أنت؟»

قال ليتو: «لبعض الوقت سوف يطلقون عليّ مبشر

الشیطان أيضاً. ثم سیدوون التساؤل، وأخيراً سیفهمون.
لم تنظر فی رؤیتك بعيداً كفاية یا أبی. فعلت یداك أشياء
صالحة.. وشريرة..»

«لكن لم أعرف أنه شرٌّ إلا بعد حدوثه!»

قال ليتو: «هذه طريقة حدوث كثير من الشرور
العظيمة. لم تصل إلا إلى جزء من رؤيتي. ألم تكن قوتك
كافية؟»

«أنت تعلم أنني لم أستطع البقاء هناك. لم أستطع قط
أن أفعل شيئاً شريراً كان شره معروفاً قبل فعله. أنا لست
چاكوروتو». نهض على قدميه. «هل تعتقد أنني من
أولئك الذين يضحكون وحدهم في الليل؟»

قال ليتو: «من المحزن أنك لم تكن قط فرمناً حقيقياً.
نحن الفرمن نعرف كيف نفوض الأمر لمجلس العريفة.
يمكن لقضاتنا الاختيار بين الشرور. لطالما كان الأمر
كذلك بالنسبة إلينا.»

«الفرمن، أليس كذلك؟ عبيد القدر الذين ساعدت أنا
في صنعهم؟» خطى پول إلى ليتو، ومد يده بحركة نجولة
غريبة، ولمس ذراعه المغلفة، وتفحصها حيث لم يغط
الغشاء إحدى أذنيه، ثم انتقل إلى الخد، وأخيراً الفم. قال:
«آه، هذا جسدك الآن. إلى أين سيأخذك هذا الجسد؟»
أنزل يده.

«إلى مكان حيث يمكن للبشر أن يصنعوا مستقبلهم

بأنفسهم بين لحظة وأخرى».

«هذا ما تزعم. قد تقول سُنة الشيء نفسه».

قال ليتو: «أنا لست سُنة، ولكنني كنت على وشك أن أصبح كذلك. رأيت ما حلَّ بعالية. هناك شيطان يسكنها يا أبي. أنا وغني نعرف ذلك الشيطان: إنه البارون، جدك».

دفن پول وجهه بين يديه. ارتجفت كتفاه لحظة، ثم أنزل يديه وارتم على فمه تعبير قاس: «عائلتنا ملعونة. دعوت أن ترمي هذا الخاتم في الرمال، أن تُكرني وتهرب لتبني حياة أخرى. كان بإمكانك فعل ذلك».

«بأي ثمن؟»

بعد صمت طويل، قال پول: «النهاية تعدل المسار وراءها. مرة واحدة فشلت في النضال من أجل مبادئ. مرة واحدة فقط. قبلت أن أكون المهدي. فعلت ذلك من أجل تشاني، لكنها جعلتني قائداً سيئاً».

وجد ليتو نفسه غير قادر على الرد على هذا. كانت ذاكرة هذا القرار موجودة داخله.

قال پول: «لا أستطيع أن أكذب عليك أكثر مما أستطيع أن أكذب على نفسي. أعرف هذا. يجب أن يكون لكل رجل مثل هذا المستمع. سأسأل فقط هذا الشيء الوحيد: هل صراع الإعصار ضروري؟»

«هذا أو سينقرض البشر جميعاً».

سمع پول الحق في كلمات ليتو، وتحدث بصوت منخفض معترفاً أن رؤية ابنه أوسع من رؤيته: «لم أر ذلك من بين الخيارات».

قال ليتو: «أعتقد أن الأخوية تشك في ذلك، لا أجد تفسيراً آخر لقرار جدتي».

ثم هبت رياح الليل مَحْمَلَة بالبرودة، من حولهم. وجلدت رداء پول حول ساقيه. ارتجف. عند رؤية هذا، قال ليتو: «لديك عدة فرمن، يا أبي. سأنفخ الخيمة ويمكننا قضاء هذه الليلة في راحة».

لكن پول لم يستطع إلا أن يهز رأسه، وهو يعلم أنه لن يشعر بالراحة لا في هذه الليلة ولا غيرها. قال لنفسه: يجب تدمير المؤدب، البطل. الواعظ وحده يمكنه الاستمرار الآن.

كان الفِرمَن أول من ابتكروا علمًا للرموز الواعية وغير الواعية التي تمكنهم من تجسيد الحركات والعلاقات في نظامهم الكوكبي. كانوا أول من استخدموا لغة شبه رياضية لوصف المناخ في أي مكان، وكانت رموزهم المكتوبة تعكس (وتشمل) العوامل الخارجية. كانت اللغة جزءًا من النظام الذي تصفه. كان شكلها المكتوب يحاكي ما تصفه. كانت معرفتهم العميقة بما يمكن أن يدعم الحياة، تكمن في هذا التطور. يمكن للمرء أن يقيس مدى تفاعل هذه اللغة/ النظام من خلال حقيقة أن الفِرمَن عدّوا أنفسهم حيوانات صائدة، تعتمد على الغذاء.

- قصة لبيت كاينز (خرق العادة).

قال ستيلجار: «قهوة*»، أحضر القهوة. أشار بيد مرفوعة إلى أحد المساعدين الذي كان يقف جانبًا بالقرب من الباب الوحيد للغرفة ذات الجدران الصخرية القاسية حيث قضى هذه الليلة ساهرًا. كان هذا المكان الذي يتناول فيه عادة الفِرمَن العجوز فطوره المتقشف، وكانت ساعة الإفطار قد حانت، ولكنه لم يشعر بالجوع بعد هذه الليلة. وقف يفرد عضلاته.

جلس دانكن آيداهو على وسادة منخفضة بالقرب من الباب محاولًا قمع رغبة في الثأوب. أدرك للتو أنه وستيلجار قضيا ليلة كاملة في التحدث.

قال: «سامحني يا ستيل. أبقيتك مستيقظًا طوال الليل».

قال ستيلجار وهو يستلم صينية القهوة التي مرّرها المساعد من وراء الباب: «البقاء مستيقظًا طوال الليل يزيد عمرك يومًا». دفع كرسياً منخفضاً أمام أيدهو، ووضع الصينية عليه، وجلس مقابل ضيفه.

كان الرجلان يلبسان رداء الحداد الأصفر، لكن رداء أيدهو كان مستعاراً لأن أهل تبر انزعجوا من زيه الآتريديزي الأخضر.

صبّ ستيلجار المشروب الداكن من إبريق نحاسي كبير. شرب أولاً، ورفع كوبه إشارة إلى أيدهو، وهي عادة فرمينة قديمة تقول: القهوة آمنة. تذوقتها بنفسني.

كانت القهوة حارة، كما يحبها ستيلجار: حبوب بن محمصة حتى أصبحت بنية وردية، ثم طُحنت إلى مسحوق ناعم في هاون حجري وهي لا تزال ساخنة، ثم تفور في الأخير؛ ويضاف إليها قليل من الاسپايس.

استنشق أيدهو الرائحة الغنية بالاسپايس، ورشف بحذر، ولكن بصوت مسموع. لم يكن متأكدًا إن كان قد أقنع ستيلجار. بدأت قدراته العقلية بالتباطؤ في الساعات الأولى من الصباح. كانت جميع حساباته توجّهها المعلومة التي لا مهرب منها التي أمدتها بها الرسالة التي بعثها جبرني هاليك.

كانت عالية تعرف عن ليتوا! كانت تعرف.

ولا بد أن جافيد شريك في تلك المعرفة.

أخيراً قال آيداهو معاوداً فتح الجدل السابق من جديد:
«يجب أن تحررني من قيودك».

أصر ستيلجار على موقفه: «اتفاق الحياد يلزمي باتخاذ قرارات صعبة. غني في أمان هنا. أنت وإيرولان في أمان هنا. لكن لا يجوز لك إرسال رسائل. نعم، يمكنك أن تستقبلها لكن لا يجوز لك إرسالها. أنا ملتزم بكلمتي».

قال آيداهو رغم علمه أنه استخدم هذه الحجّة سابقاً: «هذه ليست المعاملة التي يستحقها ضيف وضيف قديم خاض معك الأهوال».

وضع ستيلجار فنجانه بحرص على الصينية، وثبت نظره على آيداهو وهو يقول: «نحن الفرمن لا نشعر بالذنب بسبب الأشياء نفسها التي تجعل الآخرين يشعرون به». رفع عينيه إلى وجه آيداهو.

فكر آيداهو: عليّ أن أقنعه بأن يسمح لي بأخذ غني والهرب من هنا. قال: «لم أقصد أن أوقظ ضميرك».

قال ستيلجار: «أنا أدرك ذلك. أسألك هذا السؤال لأعلمك درساً عن طبيعة الفرمن، لأنهم من نتعامل معهم: الفرمن. حتى عالية تفكر بطريقة الفرمن».

«والكهنة؟»

قال ستيلجار: «أولئك مسألة أخرى. يريدون أن يجعلوا الناس يتنفسون رائحة الخبيثة الرمادية، وأن يستمروا في

ذلك إلى الأبد. يريدون أن يعتقد الناس أنهم خطاة وأنهم بحاجة إلى التوبة ليعرفوا تقواهم». تحدث بصوت رزين لكن آيداهو سمع المرارة فيه، وتساءل لماذا لا تستطيع تلك المرارة إقناع ستيلجار.

قال آيداهو: «إنها خدعة قديمة للحكم الاستبدادي، وعالية تعرف ذلك جيداً. يجب أن يشعر الرعايا الصالحين بالذنب. والذنب ينبع من الشعور بالفشل. والطاغية الناجح يمنح الجماهير أسباب كثيرة للشعور بالفشل».

تحدث ستيلجار بنبرة جافة: «أدرك ذلك لكن عليّ أن أذكرك مرة أخرى أنك تتحدث عن زوجتك. أخت المؤدّب».

«أقول لك إنها ممسوسة!».

«يقول كثيرون ذلك. سيتعين عليها الخضوع للاختبار يوماً. وحتى ذلك الحين، هناك أمور أهم».

هز آيداهو رأسه بأسى: «يمكنك التأكد من كل ما قلته لك. كان الاتصال بچاكوروتو دائماً عبر معبد عالية. المؤامرة ضد التوأمين كان لها شركاء هناك. تذهب الأموال المخصصة لبيع الديدان خارج الكوكب إلى هناك. كل الخيوط تؤدي إلى عالية، إلى الوصية على العرش».

هز ستيلجار رأسه واستنشق نفساً عميقاً: «سييتش تبر منطقة محايدة. أعطيت كلتي».

احتج آيداهو: «لا يمكن أن تسير الأمور على هذا النحو!»
أوما ستيلجار برأسه: «أتفق معك. عالية محاصرة في
دائرة، والدائرة تضيق كل يوم. إنها تشبه عادتنا القديمة
بالزواج من نساء كثيرات. عادة تدل على عقم الذكور». «أنت تقول
إنها خانك مع رجال آخرين - استخدمت غوايتها الجنسية
سلاحاً- هذا ما فهمته من كلامك. إذا لديك حق قانوني
في الانتقام منها. جاوئد هنا في تبر يحمل رسائل من عالية.
كل ما عليك فعله هو-»

«على أرضك المحايدة؟»

«لا، ولكن بالخارج في الصحراء...»

«وإن انتهت هذه الفرصة للهروب؟»

«لن تُمنح مثل هذه الفرصة».

«مع ذلك، أقسم لك إن عالية ممسوسة. ماذا عليّ أن
أفعل لأقنعك به...».

قال ستيلجار: «هذا أمر صعب الإثبات». كانت هذه
الحجة التي كررها طوال الليل.

تذكر آيداهو كلمات چيسيك، وقال: «لكن لديك طرق
لإثبات ذلك».

قال ستيلجار: «هناك طريقة، نعم». وهز رأسه مرة
أخرى: «ولكنها مؤلمة، لا رجعة فيها. لهذا السبب أذكرك

بموقفنا من الشعور بالذنب. يمكننا أن نتخلص من شعورنا بالذنب القاتل حول أي شيء ما عدا محاكمة المس. وفي هذه الحالة تتحمل المحكمة التي تتألف من الشعب كله المسؤولية الكاملة».

«ألم تفعلوا ذلك من قبل؟»

قال ستيلجار: «أنا متأكد من أن الأم الموقرة لم تغفل تاريخنا في كلامها. أنت تعلم جيدًا أننا فعلنا ذلك من قبل».

رد آيداهو على الانزعاج في صوت ستيلجار: «لم أكن أحاول أن أشكك فيك. إنه فقط...».

قال ستيلجار: «إنها الليلة الطويلة، والأسئلة دون إجابات. والآن طلع الصبح».

قال آيداهو: «يجب السماح لي بإرسال رسالة إلى چيسيك».

قال ستيلجار: «ستكون هذه رسالة إلى سالوسا. أنا لا أعطي وعودًا في الليل. عليّ أن ألتزم بكلمتي، لهذا السبب تبر منطقة محايدة. سأمنعك دون أي كلمة، لقد تعهدت بهذا لعائلي كلها».

«يجب إحضار عالية إلى محاكمتك!»

«ربما. لكن أولاً، يجب أن نعرف إن كانت هناك ظروف تخفف من ذنبها. ربما كانت فشلاً في السلطة، أو

حتى سوء الحظ. ربما كانت تعاني تلك النزعة السيئة التي
يشارك فيها جميع البشر، وليس من المسّ على الإطلاق».

قال آيداهو: «تريد أن نتأكد فقط من أنني لست الزوج
المظلوم الذي يسعى لتنفيذ انتقامه عبر الآخرين».

قال ستيلجار: «هذه الفكرة ليست من عندي، تكلم
الناس عن ذلك». وابتسم ليخفف من حدة كلامه: «نحن
الفر من لدينا علم بتقاليدنا وحديثنا*. عندما نخاف من
منتجات أو أم موقرة، نعود إلى الحديث*. يقول الحديث إن
الخوف الوحيد الذي لا نستطيع التغلب عليه هو الخوف
من أخطائنا».

قال آيداهو: «يجب إخبار الليدي چيسيكًا. جيرني
يقول...».

«ربما لم تأت هذه الرسالة من جيرني هاليك».

«من سيكون إذا؟ نحن آتريديز، ولدينا وسائلنا للتحقق
من الرسائل. ستيل، ألن تتحرى على الأقل من بعض...».

قال ستيلجار: «چاكوروتو لم يعد لها وجود. أُبِدت
قبل أجيال عديدة». لمس كم آيداهو: «على أي حال،
لن أستطيع أن أكلف أيًا من رجالي بذلك. هذه أوقات
عصيبة، فالقناة تتعرض للتهديد.. هل تفهمني؟» رجع
بظهره إلى الورااء. «الآن، عالية..».

قال آيداهو: «لم تعد عالية موجودة».

«هذا ما تقوله». تناول ستيلجار رشفة أخرى من القهوة، وأعاد ملء فنجانه: «لنتوقف عند هذا الحد، يا صديقي آيداهو. في كثير من الأحيان لا حاجة إلى بتر ذراع لإزالة جبيرة».

«إذن فلنتحدث عن غنيمة».

«لا ضرورة لذلك. لديها تأييدي ودعمني. لا أحد يستطيع أن يؤذيها هنا».

فكر آيداهو: لا يمكن أن يكون ساذجاً إلى هذا الحد.

لكن ستيلجار نهض معلناً نهاية المقابلة.

نهض آيداهو عن الأرض، وهو يشعر بتيبس ركبتيه. كانت ساقاه مخدرتين. وفي الوقت الذي نهض فيه آيداهو، دخل مساعد ووقف جانباً، تبعه جاقيد إلى الحجرة. استدار آيداهو، كان ستيلجار يقف على بعد أربع خطوات. دون تردد، سحب آيداهو سكينه بحركة خاطفة واحدة، وطعن بها صدر جاقيد الغافل. ترنخ الرجل إلى الورااء وهو ينزع نصل السكين من جسده. استدار وسقط على وجهه. رجفت ساقاه، ثم مات.

قال آيداهو: «كان ذلك لإسكات الإشاعات».

وقف المساعد مشهراً سكينه حائراً في رده. كان آيداهو قد أغمد سكينه، تاركاً بقعة دم على حافة ردائه الأصفر. صرخ ستيلجار: «نجست شرفي. هذه أرض محايدة...».

رمق آيداهو النائب المصدوم بنظرات غاضبة: «اخرس!
أنت ترتدي طوق كلب لخدمة أسيادك يا ستيلجار!»
كانت إحدى أذع الإهانات التي يمكن توجيهها إلى
فرمني. شحب وجه ستيلجار.

قال آيداهو: «أنت خادم. بعت كثيراً من الفرمن مقابل
مياهم». كانت هذه ثاني أفظع إهانة، الإهانة التي
دمرت چاكوروتو الأصلية.

جزّ ستيلجار على أسنانه، ووضع يده فوق سكينه العاجية.
تراجع المساعد بعيداً عن الجثة عند مدخل الباب.

أدار آيداهو ظهره إلى النائب، وتوجه إلى الباب، وعبر
الفتحة الضيقة بجانب جسد جاquid، وتحدث دون أن
يلتفت، موجهاً الإهانة الثالثة: «ليس لك خلود. لا يحمل
أحد من نسلك دمك!»

هتف ستيلجار في حين واصل آيداهو مغادرة الحجرة: «إلى
أين تذهب الآن يا منات؟» كان صوت ستيلجار بارداً
مثل ريح تهب من القطبين.

قال آيداهو دون أن يستدير: «للعثور على چاكوروتو».

سحب ستيلجار سكينه: «ربما يمكنني مساعدتك».

كان آيداهو في جهة الممر الخارجية الآن. قال دون
توقف: «إن ساعدتني بسكينك يا سارق الماء، فمن فضلك،
افعل ذلك في ظهري. فذلك أنسب لمن يرتدي طوق

شيطان».

بخطوتين واثبتين، عبر ستيلجار الغرفة، وداس على جثة جافيد، وأمسك آيداهو في الممر الخارجي. أداره بيده المجعدة وأوقفه. وقف ستيلجار أمام آيداهو بوجه متوحش وسكين مسحوبة. كان غضبه شديداً لدرجة أنه لم ير الابتسامة الغريبة على وجه آيداهو.

زار ستيلجار: «اسحب سكينك أيها الحثالة المنتات!»

ضحك آيداهو. صفع ستيلجار بعنف - بيده اليسرى ثم اليمنى - صفتين موجعتين على رأسه.

صرخ ستيلجار صرخة مكتومة، وطعن آيداهو في بطنه بسكينه، وحركها لأعلى خلال الحجاب الحاجز إلى القلب.

انهار آيداهو على النصل، وهو يبتسم بسخرية إلى ستيلجار، الذي تحول من الغضب إلى الدهول.

قال آيداهو بصوت أجش: «ميتان من أجل آل آترديز. الثانية لسبب ليس أحسن من الأول». ترنح، وانهار على وجهه فوق الأرضية الحجرية، والدم يتدفق من جرحه.

حرق ستيلجار إلى سكينه التي يقطر منها الدم، والمنغرس في جسد آيداهو، وأخذ نفساً عميقاً مرتجفاً. استلقى جافيد ميتاً خلفه، وأمامه زوج عالية، رحم الجنة، ميتاً على يده. قد يُقال إن النائب كان يدافع عن شرف اسمه، وينتقم من خرق حياده المعلن. لكن هذا الرجل الميت

كان دانكن آيداهو. مهما كانت الأسباب المبررة، مهما كانت «الظروف المخففة»، لا شيء يمكن أن يبرر مثل هذا الفعل. حتى لو وافقت عالية عليه سرًا، لا بد أن نثار له علانية. كانت، بعد كل شيء، فرمينة. وحتى تحكم الفرمن، فلا يمكنها أن تكون غير ذلك.

عندها فقط أدرك ستيلجار أن هذا الوضع بالضبط ما كان آيداهو ينوي شراءه بـ «ميتته الثانية».

رفع ستيلجار رأسه. ورأى حارة زوجته الثانية تنظر إليه بصدمة وسط جمع من الناس. حيثما نظر ستيلجار، صادف وجوهًا مذهولة خائفة من العواقب.

انتصب ستيلجار ببطء في وقفته، ومسح النصل بكفه وأعاد السكين إلى غمدها. قال مخاطبًا الوجوه بصوت عادي: «من يريد أن يرافقتني فليحزم أمتعته على الفور.. أرسلوا الرجال لاستدعاء الديدان».

سألت حارة: «أين ستذهب يا ستيلجار؟»

«إلى الصحراء».

قالت: «سأذهب معك».

«بالطبع ستذهبن معي، كل زوجاتي سيذهبن معي، وغنيمة.. أحضرها فوراً».

«أجل يا ستيلجار.. فوراً». ترددت: «وايrolان؟»

«إن شاءت ذلك».

«نعم يا زوجي». ما زالت مترددة. «هل تأخذ غني رهينة؟»

«رهينة؟» جفل حقًا من الفكرة.

لمس جسد آيداهو بلطف بإصبع قدمه. «إن كان هذا المنتات محققًا، فأنا أمل غني الوحيد». وتذكر حينها تحذير ليتو: «احذر من عالية. يجب أن تأخذ غني وتهرب».

بعد الفرمن، بدأ جميع علماء البيئة الكوكبية ينظرون إلى الحياة بوصفها مظاهر للطاقة، ويسعون إلى اكتشاف العلاقات المهيمنة. من خلال الشظايا والأجزاء التي نمت إلى فهم شامل، تحولت حكمة الفرمن الشعبية إلى يقين جديد. الشيء الذي يمتلكه الفرمن بصفتهم شعباً، يمكن لأي شعب آخر أن يمتلكه. كل ما يحتاجون إليه هو تطوير معنى لعلاقات الطاقة. كل ما يحتاجون إليه هو ملاحظة أن الطاقة تستوعب أنماط الأشياء، وتنامى بها.

- كارثة أراكس (عن خرق العادة)

كان سييتش تويك موجوداً على الطرف الداخلي للجدار الزائف. وقف هاليك في ظل الدعامة الصخرية التي كانت تحمي المدخل العالي للسييتش، في انتظار من بداخله حتى يقرروا إن كانوا سيحمونه. وجه نظره إلى الخارج نحو الصحراء الشمالية ثم صعداً إلى سماء الصباح ذات اللون الأزرق الرمادي. دهش المهربون هناك عندما علموا أنه قد اقتنص دودة وامتطأها مع أنه أجنبي من خارج الكوكب. لكن هاليك كان متعجباً بالقدر نفسه من ردة فعلهم. كان الأمر بسيطاً بالنسبة إلى رجل رشيق الحركة رأى ذلك يحدث عدة مرات.

أعاد هاليك انتباهه إلى الصحراء، الصحراء الفضية بصخورها اللامعة وحقولها الخضراء الرمادية التي تظهر عليها آثار المياه. انتابه فجأة شعور بأن كل هذا حاوية هشة جداً للطاقة، للحياة - كل شيء معرض لتغيير مفاجئ في نمط

التحول.

كان يعرف مصدر ردة الفعل هذه. كان المشهد صاخباً على أرضية الصحراء تحته. نُقِلت حاويات يرقات الرمال الميتة داخل السييتش لتقطيرها واستعادة مياهها. كان هناك آلاف من تلك المخلوقات التي تحوي داخلها فيضاً من الماء. وكان هذا الفيض ما جعل الأفكار تتدافع في ذهنه.

نظر هاليك إلى الأسفل عبر حقول السييتش، وحدود القناة التي لم تعد تتدفق بالمياه الثمينة. رأى الثقوب في الجدران الحجرية للقناة، وشقوق البطانة الصخرية التي سكبت الماء في الرمال. ما الذي أحدث تلك الثقوب؟ كان بعضها يمتد عشرين متراً من أضعف أجزاء القناة، في الأماكن التي سببت فيها الرمال الناعمة منخفضات تمتص الماء. كانت تلك المنخفضات هي التي امتلأت بيرقات الرمال حيث كان أطفال السييتش يقتلونهم ويقتنصونها.

عملت فرق الصيانة على إصلاح جدران القناة المتضررة. ونقل آخرون قليلاً من مياه الري إلى النباتات الأشد عوزاً. أُغلق مصدر المياه في الخزان الكبير تحت مصيدة الرياح لسييتش تويك، لمنع تدفق المياه إلى القناة الممزقة، وفُصلت المضخات الشمسية. جاءت مياه الري من البرك الصغيرة المتبقية في قاع القناة، ومن الخزان داخل السييتش.

خشخش إطار قفل الباب المعدني وراء هاليك مع ارتفاع حرارة النهار. كأن الصوت يجذب عينيه، تحوّل نظر هاليك إلى أبعد منعطف في القناة، حيث كان الماء يسري بوفرة فاحشة إلى الصحراء. كان مزارعو السييتش المتفائلون قد زرعوا شجرة مميزة هناك، بات محكومًا عليها بالهلاك الآن ما لم يُستعدّ جريان المياه قريبًا. حدق هاليك في بقايا شجرة الصفصاف الممزقة بفعل الرمال والرياح. شعر هاليك أن تلك الشجرة تعبير عن واقعه وواقع المتفائلين الجديدين. كلانا غريب هنا. أخذوا وقتًا طويلًا في اتخاذ قرارهم داخل السييتش، لكنهم يحتاجون إلى رجال مقاتلين بارعين مثله، الرجال الجيدون دائمًا مطلوبون لدى المهريين.

ولكن هاليك لم يتخضع بهم. لم يكن مهربو هذا العصر هم المهربون الذين وفروا له المأوى قبل سنوات عديدة عندما فرّ بعد انهيار إقطاعية دوقه. لا، كانت هذه سلالة جديدة، تبحث عن الربح السريع.

مرة أخرى ركز على شجرة الصفصاف. أدرك هاليك حينها أن الرياح العاصفة في واقعه الجديد قد تمزق هؤلاء المهريين وجميع أصدقائهم. دمر ستيلجار حياده الهش، وأخذ معه كل القبائل التي ظلت موالية لعالية. سيصبحون جميعًا شعوبًا مستعمرة. كان هاليك قد رأى ذلك من قبل، ويعلم مذاقه المر في كوكبه. رأى ذلك بوضوح وهو يتذكر سلوكيات فرمن المدينة، ونمط الضواحي، والأساليب

الجلية للسيتش القروي المنعكسة حتى في مخبأ المهربين هذا. كانت الأحياء الريفية مستعمرات للهراكر الحضرية.

تعلموا كيفية ارتداء ثياب مبطنة، يقودهم جشعهم إلى ذلك إن لم تكن خرافاتهم. حتى هنا، وخاصة هنا، كان لدى الناس موقف السكان الخاضعين، وليس موقف الرجال الأحرار. كانوا دفاعيين وكتومين ومراوغين. كان أي مظهر من مظاهر السلطة يُقابل بالاستياء -أي سلطة سواء سلطة الوصية على العرش، أم سلطة ستيلجار، أم مجلسهم الخاص...

فكر هاليك: لا أستطيع الوثوق بهم. يمكنه فقط استغلالهم وتغذية عدم ثقتهم بالآخرين. كان ذلك محزنًا. ولّى قانون الأخذ والعطاء القديم الذي كان شريعة الرجال الأحرار. اختزلت الأساليب القديمة إلى كلمات طقوسية، ونُسيت أصولها.

أدت عالية عملها بإتقان، وعاقبت المعارضة وكافأت الذين ساعدوها، وغيّرت تشكيلات القوات الإمبراطورية بعشوائية، وأخفت العناصر الرئيسية لقوتها الإمبراطورية. الجواسيس! بحق الآلهة! الجواسيس الذين لا بد أنهم تحت إمرتها!

كاد هاليك يرى الإيقاع المميت للحركة والحركة المضادة التي كانت عالية تأمل من خلالها إبقاء خصمها مختل التوازن.

فكر: إن بقي الفرمن متفرجين، فسوف تنتصر عالية.

سمع هاليك صوت الأقفال وهي تفتح خلفه. ظهر خادم سييتش يدعى ميلديس. كان رجلاً قصير القامة ذا جسم يشبه القرع يتضاءل وصولاً إلى أرجل طويلة، ولم يخفف من قبحة إلا بذلة التقطير التي يرتديها.

قال ميلديس: «قُبلت في السييتش».

سمع هاليك الخداع الماكر في صوت الرجل. ما كشفه هذا الصوت أخبر هاليك أن هناك ملاذاً له هنا لكن لمدة محدودة فحسب.

فكر: حتى أتمكن من سرقة إحدى ثوبراتهم.

قال: «شكراً لكم على كرمكم». وفكر في أسمر* تويك، الذي سمي هذا السييتش باسمه. أسمر، الذي مات منذ زمن طويل بسبب خيانة أحدهم، كان سيقطع رقبة ميلديس هذا في التو واللحظة.

قد يصبح أي مسار يقلص من الاحتمالات المستقبلية
نقاً مميّاً. البشر لا يشقون طريقهم عبر متاهة؛ بل
يستكشفون أفقاً واسعاً مليئاً بالفرص الفريدة. لا بد أن
وجهة النظر الضيقة للمتاهة ليست جذابة إلا للمخلوقات
التي تدفن أنوفها في الرمال. الفرادة والاختلافات المنتجة
بالتناسل هي ضمان لاستمرار الأنواع.

- كتيب نقابة الفضاء.

«لماذا لست حزينة؟» وجهت عالية سؤالها إلى سقف
قاعة استقبالها الصغيرة، غرفة يمكنها قطعها بعشر خطوات
في اتجاه وخمس عشرة في الآخر. كانت للقاعة نافذتان
طويلتان وضيقتان تطلان عبر أسطح أراكين على الجدار
الحامي.

كان الوقت ظهراً تقريباً. سقط هيب الشمس على
المنخفض الأرضي الذي شُيدت المدينة فوقه.

أخفضت عالية نظرها إلى بوير أغارفيس الفرمي الذي
كان من سييتش تبر، والآن أصبح مساعد زيا قائدة
حراس المعبد. جلب أغارفيس نبأ وفاة جاقيد وآيداهو.
وقد جاء معه حشد من المتملقين والمساعدين والحراس
وازدهمت المنطقة بالخارج، ما كشف أنهم يعرفون بالفعل
فحوى رسالة أغارفيس.

انتشرت الأخبار السيئة بسرعة في أراكس.

كان أغارفيس رجلاً ضئيلاً، ذا وجه مستدير وملامح

فرمينة شبه طفولية في استدارة وجهه. كان إحدى السلالات الجديدة التي تميل إلى السمنة المائية. رأته عالية في صورتين متناقضتين: إحداهما بوجه جاد وعينين نيليتين معتمتين، وتعاير قلقة حول فمه، والصورة الأخرى حساسة وعاطفية، عاطفية بشكل مثير. راق لها شفتاه السميگان على نحو خاص.

رغم أن الظهر لم يحن بعد، شعرت عالية حولها بشيء من الصمت المذهول الذي يصاحب غروب الشمس. قالت لنفسها: كان من المفترض أن يموت آيداهو مع غروب الشمس.

سألته وهي تلاحظ الفطنة اليقظة التي علت ملامح وجهه: «لماذا أنت يا بوير من يحمل إلي هذا الخبر؟»

حاول أغارفيس بلع ريقه، وتحدث بصوت أجش هامس: «ذهبت مع جاقيد، هل نتذكرين؟ وعندما.. أرسلني ستيلجار إليك، قال لي أن أخبرك أنني أحمل ولاءه الكامل.»

رددت كلماته: «ولاءه الكامل. ماذا كان يقصد بذلك؟»

قال متوسلاً: «لا أعرف يا سيدة عالية.»

أمرت: «أخبرني مرة أخرى ماذا رأيت»، وتعجبت من مدى برودة جلدها.

«رأيت ...» أمال رأسه بعصبية، ونظر إلى الأرضية أمام عالية. «رأيت زوج قداستك ميتاً على الأرض في الممر المركزي للسييتش، وجاقيد يرقد ميتاً قرب ممر جانبي. كانت النساء بالفعل يجهزنها للهوانوي».

«واستدعاك ستيلجار إلى هذا المشهد؟»

«هذا صحيح، يا سيدتي. استدعاني ستيلجار. أرسل موديو رسوله في السييتش لإحضاري. لم يحذرني موديو من شيء. أخبرني فحسب أن ستيلجار يريدني».

«ورأيت جثة زوجي هناك على الأرض؟»

نظر إليها نظرة خاطفة، ثم أعاد بصره إلى الأرض أمامها وهز رأسه: «نعم يا سيدتي. وجاقيد ميت بجواره. أخبرني ستيلجار. أخبرني أن زوج قداستك قتل جاقيد».

«وزوجي، أنت تقول إن ستيلجار...».

«قالها لي بأم فمه، يا سيدتي. ستيلجار قال إنه فعل هذا. قال إن زوج قداستك أثار غضبه».

كررت عالية: «غضبه. كيف فعل دانكن ذلك؟»

«لم يقل. لم يقل أحد. سألت ولم يرد أحد».

«وأرسلوك إليّ بتلك الأنباء؟»

«نعم يا سيدتي».

«ألم تستطع فعل شيء؟»

بَلَّ أغارفيس شفّتيه بلسانه، ثم قال: «أمر ستيلجار يا سيدتي. كان هذا سييتشه».

«أرى. وأنت تطيع ستيلجار دائماً».

«لطالما أطعته يا سيدتي حتى حررتني من عهودي نحو السييتش».

«عندما أرسلك إلى خدمتي، تقصد؟»

«لا أطيع سواك يا سيدتي».

«هل هذا صحيح؟ أخبرني يا بوير، لو أمرتك بقتل ستيلجار نائبك العجوز، هل ستفعل ذلك؟»

رمقها بحزم شديد: «إن أمرتني بذلك، يا سيدتي».

«آمرك بذلك. هل لديك أي فكرة أين ذهب؟»

«إلى الصحراء، هذا كل ما أعرفه، يا سيدتي».

«كم رجلاً أخذ معه؟»

«ربما نصف الرجال المهرة في القتال».

«وغنيمة وإيرولان معه!»

«نعم يا سيدتي. أولئك الذين تركوا في السييتش مثقلون بنسائهم وأطفالهم وأمتعتهم. أعط ستيلجار الجميع خياراً- إما الذهاب معه وإما تحريرهم من عهدهم. اختار الكثير حريتهم. سيختارون نائباً جديداً».

«سأختار أنا نائبيهم الجديد! وسيكون أنت يا بوير أغارفيس، في اليوم الذي تحضر فيه رأس ستيلجار لي».

وافق أغارفيس على الاختيار عن طريق المعركة، كانت طريقة فرمونية. قال: «كما تأمرين يا سيدتي. ما القوات التي يمكنني...».

«راجع ذلك مع زيا. لا أستطيع أن أعطيك ثوابت كثيرة للبحث. نحتاج إليها في مكان آخر. لكن سيكون لديك ما يكفي من الرجال المقاتلين. نجس ستيلجار شرفه. كثيرون سوف يخدمونك بكل سرور».

«سأتدبر الأمر إذن، يا سيدتي».

«انتظري!» تأملته لحظة، واستعرضت من يمكن أن ترسله لمراقبة هذا الطفل الضعيف. سيحتاج إلى المراقبة من كذب حتى يثبت نفسه. ستعرف زيا من ترسل.

«ألن تسمح لي بالانصراف يا سيدتي؟»

«ليس بعد. يجب أن أتناقش معك على انفراد مدة أطول حول خططك للقضاء على ستيلجار». وضعت يدها على وجهها. «لن أحزن على دانكن حتى تنفذ انتقامي. أعطني بضع دقائق لأجمع شتات نفسي». أخفضت يدها. «ستريك إحدى خادماتي الطريق». أعطت إشارة خفية بيدها إلى إحدى الخادومات، وهمست إلى شالوس، رئيسة خادمات الحجر الجديدة: «اجعليه يغتسل ويتعطر قبل أن تحضره، تفوح منه رائحة دودة».

«نعم يا سيدتي».

استدارت عالية حينها متظاهرة بحزن لم تشعر به حقًا،
وهرولت إلى غرفتها الخاصة. هناك في غرفة نومها، أغلقت
جنازير الباب، ولعنت وخبطت الأرض بقدمها.

اللعنة عليك يا دانكن! لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟!

شعرت باستفزاز متعمد من آيداهو. قتل جاقيد واستفز
ستيلجار. أشار ذلك إلى أنه عرف بأمر خيانتها له مع
جاقيد. يجب أن يؤخذ الأمر برمته على أنه رسالة من
دانكن آيداهو، رسالة أخيرة.

خبطت بقدمها الأرض مرة ثانية وثالثة، ذرعت حجرة
النوم ذهابًا وإيابًا في غضب.

اللعنة عليه! اللعنة عليه! اللعنة عليه!

انضم ستيلجار إلى المتمردين، وغنيمة وإيرولان معه أيضًا.
اللعنة عليهم جميعًا!

اصطدمت قدمها بشيء معدني حاد في أثناء مشيها على
الأرض؛ ما تسبب لها في ألم شديد. صرخت ونظرت
إلى أسفل، ورأت أنها قد جرحت قدمها بمشبك معدني.
انتزعته، ووقفت متجمدة عندما رأت ما في يدها. كان
مشبكًا قديمًا، أحد القطع الفضية والبلاطينية الأصلية من
كلادين التي منحها الدوق ليتو آتريديز الأول لمبارزه
دانكن آيداهو. رأت دانكن يرتديه في عدة مناسبات. وقد

تخلص منه هنا.

قبضت أصابع عالية بتشنج على المشبك. آيداهو تركه هنا
عندما.. عندما..

انهمرت الدموع من عينيها، مخالفةً تعاليم الفِرم من العظيمة
التي تحرم هدر الماء. انحنى فيها في تكشيرة جامدة من
الألم، وأحست أن المعركة القديمة تبدأ داخل جمجمتها،
وتمتد إلى أطراف أصابعها. شعرت كأنها شخصان، أحدهما
ينظر إلى تقلصات جسدها بدهشة، والآخر يطالب
بالاستسلام للألم الذي يملأ صدرها. تدفقت الدموع الآن
من عينيها، وسألها كائن مدهوش داخلها متذمرًا: «من
الذي يبكي؟ من الذي يبكي؟ من الذي يبكي الآن؟»

لم تتوقف دموعها، وشعرت بالألم الذي اشتعل في
صدرها يدفعها إلى السرير.

مع ذلك ظل الكائن داخلها يسألها مدفوعاً بدهشته
العميقة: «من يبكي؟ من الذي..»

بهذه الأفعال، استأصل ليتو الثاني نفسه من مسار التطور المتعاقب. فعل ذلك بقرار حازم مقصود، قائلاً: «استقلالك يعني استئصال نفسك من ذلك المسار». رأى كلا التوأمين ما وراء احتياجات الذاكرة كعملية قياس، وهي طريقة اتباعها لتحديد مدى بعدهما عن جذورهما البشرية. ولكن ليتو الثاني كان من بادر بالخطوة الجريئة، مدركاً أن الخليقة الحقة مستقلة عن خالقها. رفض تكرار التسلسل التطوري مجدداً، قائلاً، «هذا أيضاً يأخذني أبعد وأبعد عن الإنسانية». رأى تداعيات هذا: لا يمكن أن توجد أنظمة مغلقة حقاً في الحياة.

- التحول المقدس (خرق العادة)

راحت طيور نتغذى على الحشرات التي غزت الرمال الرطبة خلف القناة المكسورة: ببغاوات، وطيور العقعق، وأبو زريق. كانت هذه دجديداً، آخر المدن الجديدة، المبنية على أساس من البازلت المكشوف. هُجرت الآن. استغلت غنيمة ساعات الصباح لدراسة المنطقة الواقعة خارج المزروعات الأصلية للسيتش المهجور، رصدت حركة ورأت سحلية أبو بريص مخططة. كان هناك نقار خشب جيلا في الماضي، يعيش في أحد جدران دجديدا الطينية.

فكرت فيه على أنه سيتش، لكنه في الحقيقة كان مجموعة من الجدران المنخفضة المصنوعة من الطوب الطيني المثبت، والمحاطة بالمزروعات لكبح امتداد الكثبان

الرملية. كانت تقع داخل تانزروفت، على بعد ستمئة كيلومتر جنوب تل سيهيا. دون الأيدي البشرية اللازمة للحفاظ عليه، بدأ السييتش في التفكك مرة أخرى في الصحراء، وتآكلت جدرانها بفعل الرياح الرملية، وماتت نباتاته، وتصدعت مزارعه بفعل الشمس الحارقة.

مع ذلك، كانت الرمال خلف القناة المنهارة رطبة، مما يشير إلى أن معظم أجزاء مصيدة الرياح ما زالت تعمل.

في الأشهر التي تلت فرارهم من تبر، احتفى الهاربون في جماعات صغيرة هذه الأماكن التي جعلها شيطان الصحراء غير صالحة للسكن. لم تؤمن غنيمة بشيطان الصحراء، على الرغم من الدليل المرئي على تخريب القناة.

من حين إلى آخر وصلتهم أخبار من المستوطنات الشمالية من خلال مقابلات مع صيادي الاسپايس المتمردين. كان هناك عدد قليل من الثوبترات - قيل إنها لم تتجاوز ست طائرات - تؤدي مهام استطلاعية بحثاً عن ستيلجار، لكن أراكس كانت شاسعة، وصحراؤها صديقة للهاربين. وقيل إن قوات البحث والتدمير كانت مكلفة بإيجاد عصبة ستيلجار، لكن القوة التي يقودها الفرمني السابق من سييتش تبر، بوير أغارفيس، كانت لها مهام أخرى، وعادت كثيراً إلى أراكين.

قال المتمرّدون إن بعض المناوشات نشبت بين رجالهم وقوات عالية. جعلت عمليات النهب العشوائية لشيطان

الصحراء حراسة البيوت والمؤسسات أولوية لعالية والنواب. حتى المهربون تضرروا من هجمات الشيطان، لكن قيل إنهم كانوا يجوبون الصحراء بحثاً عن ستيلجار، ويريدون الثمن المرصود على رأسه.

أتى ستيلجار بعصبته إلى دجديدا في اليوم السابق قبل غروب الشمس مباشرة، متبعاً حاسة شمه الفرمنية القديمة للرطوبة. وعد بأنهم سيذهبون جنوباً إلى منطقة النخيل قريباً، لكنه لم يحدد موعداً لهذه الخطوة.

وعلى الرغم من أن الثمن المرصود على رأسه كان يكفي لشراء كوكب في يوم من الأيام، فإن ستيلجار بدا أسعد الرجال وأكثرهم راحة بال.

قال مشيراً إلى مصيدة الرياح التي لا تزال تعمل: «هذا مكان جيد لنا. ترك لنا أصدقاءنا بعض الماء».

كانوا جماعة صغيرة الآن، ستين شخصاً في الجمل. أرسل العجائز والمرضى والصغار جنوباً إلى منطقة النخيل، حيث استقبلتهم عائلات موثوقة. لم يبق سوى الأقوى والأصلب، وكان لديهم أصدقاء كثيرون في الشمال والجنوب.

تساءلت غنيمة عن سبب رفض ستيلجار مناقشة ما يحدث للكوكب. ألا يمكنه رؤيته؟ عندما تحطمت القنوات، تقهقر الفرمن مرة أخرى إلى الخطوط الشمالية والجنوبية التي كانت تمثل في يوم من الأيام حدود

أراضيهم. أعطى هذا التنقل المستمر صورة مصغرة عما يجري في الإمبراطورية. كان وضع كل منهما مرآة للآخر. مررت غنيمة يدها تحت ياقة بذلة تقطيرها، وأعدت إغلاقها. رغم مخاوفها، فقد شعرت بحرية هائلة هنا. لم تعد تعذبها الأرواح داخلها، مع أنها شعرت أحياناً بأن ذكرياتهم تتسلل إلى وعيها. عرفت من تلك الذكريات كيف كانت الصحراء ذات يوم، قبل أن تمتد إليها يد التحول البيئي. كانت على الأقل أجف.

لا تزال هذه المصيدة التي لم تُصلح بعد تعمل إذ تعالج الهواء الرطب، وتستخلص منه الماء.

غامرت كائنات عديدة تجنبت الصحراء سابقاً بالعيش هنا الآن. لاحظ كثير من الناس في جماعتهم كيف تكاثر البوم في وضع النهار. حتى الآن، يمكن أن ترى غنيمة طيور نمل. كانوا يقفزون ويرقصون على امتداد خطوط الحشرات التي احتشدت في الرمال الرطبة في طرف القناة المحطم. كان يمكن رؤية قليل من الغرير هنا، وفي المقابل كان هناك أعداد لا حصر لها من قتران كنغر.

سيطر الخوف المتطير على الفرمن الجدد، ولم يكن ستيلجار أفضل حالاً من البقية. أُعيدت دجديدا إلى أحضان الصحراء من جديد بعد تحطيم قناتها للهرة الخامسة خلال أحد عشر شهراً. أصلحوا الخراب الذي تسبب فيه شيطان الصحراء أربع مرات، ثم لم يعد لديهم فائض من

المياه للمخاطرة بخسارة أخرى.

كان الوضع نفسه في جميع أنحاء المدن الجديدة، وفي كثير من السيتشات القديمة. هُجرت ثماني مستوطنات جديدة من أصل تسع. كانت مجتمعات السيتش القديمة أكثر ازدهاراً مما كانت عليه من قبل. وبينما دخلت الصحراء هذه المرحلة الجديدة، عاد الفرمن إلى أساليبهم القديمة. رأوا النذور المشؤومة في كل شيء. هل كانت أعداد الديدان تتراجع في كل مكان باستثناء تانزروفت؟ كان حكم الشي هولود وعقابها! وشوهدت ديدان ميتة دون ذكر سبب موتها. تحللت إلى غبار رملي بسرعة بعد الموت، لكن تلك الهياكل العملاقة المتهاككة التي صادفها الفرمن أثارت رعبهم.

صادفت جماعة ستيلجار هيكل دودة مماثلاً في الشهر الفائت، واستغرق الأمر أربعة أيام حتى يتخلصوا من الشعور بالشر الذي صاحبه. فاحت من الهيكل رائحة حامضة وتعفن سام، وقد عثروا على الهيكل المتعفن رابضاً فوق قمة هبة أسپايس عملاقة، وكان الاسپايس فاسداً في الغالب.

عزفت غنيمة عن مراقبة القناة ونظرت إلى الدجديدا. أمامها مباشرة كان جدار مكسور، كان يحمي ذات يوم مشتملاً*؛ ملحق حديقة صغيراً. استكشفت المكان، يقودها فضولها العارم، ووجدت مخزوناً من خبز اسپايس عويص (دون نجميرة) مخبأ في صندوق حجري.

دمره ستيلجار قائلاً: «لم يترك الفِرمِن طعاماً صالحاً للأكل وراءهم قط».

اشتبهت غنيمة في أنه أخطأ التقدير، لكن الأمر لم يكن يستحق المحاجة أو المخاطرة. كان الفِرمِن يتغيرون. أخذوا ينتقلون بحرية في البيداء ذات يوم، مدفوعين بحاجاتهم الطبيعية: الماء، والاسپايس، والتجارة. وكانوا يعرفون الوقت من مراقبة أنشطة الحيوانات. لكن الحيوانات انتقلت الآن إلى إيقاعات وعادات جديدة غريبة بينما كان معظم الفِرمِن يتجمعون بالقرب من مساكنهم- كهوفهم القديمة داخل ظلال الجدار الحامي الشمالي. وكان صيادو الاسپايس في تانزروفت نادرين، ووحدها عصبة ستيلجار تحركت وفقاً للأساليب القديمة.

وثقت غنيمة بستيلجار، وخوفه من عالية. عززت إيرولان مبرراته الآن، وعادت إلى تأملات البني چيسيريت الغريبة. لكن في سالوسا البعيدة، ما زال فارادين على قيد الحياة. لا بد من حسابٍ وعقاب في يوم ما.

نظرت غنيمة إلى سماء الصباح الرمادية الفضية، وبحثت في ذهنها. أين تجد المساعدة؟ من يستمع إليها عندما تروي ما تراه يحدث حولها؟ بقيت الليدي چيسيكاف في سالوسا، إن صدقت التقارير. وكانت عالية أشبه بمخلوقة فوق قاعدة شاهقة، وقد أصابها جنون العظمة بينما كانت تبتعد أكثر

فأكثر عن الواقع.

لم يُعثر على جبرني هاليك في أي مكان، رغم أنه أُبلغ عن رؤيته في كل مكان. كان الواعظ قد اختبأ، وباتت خطبه الغاضبة المهترقة مجرد ذكرى لتلاشي.

وستيلجار.

نظرت عبر الجدار المكسور إلى حيث كان ستيلجار يساعد في إصلاح الخزان. كان ستيلجار مستمتعاً بأنه ينفذ إرادة الصحراء، وارتفع ثمن رأسه شهراً بعد شهر.

لا شيء يبدو منطقياً بعد الآن. لا شيء.

من هذا الشيطان الصحراوي، هذا المخلوق القادر على تدمير القنوات كأنها أصنام مزيفة يجب إسقاطها في الرمال؟ هل هو دودة مارقة؟ هل هو قوة ثالثة متمردة - ثلة من الناس؟ لا أحد يصدق أنه دودة. فالماء يقتل أي دودة تجرؤ على دخول قناة. يظن كثير من الفِرمن أن شيطان الصحراء في الحقيقة عصابة ثورية تريد الإطاحة بمهدية عالية، وإعادة أراكس إلى طرقها القديمة. أولئك الذين صدقوا هذا قالوا إنه سيكون شيئاً حسناً. التخلص من تلك الخلافة الرسولية الجشعة التي لم تفعل شيئاً سوى التمسك بضعفها ورداءتها، والرجوع إلى الدين الحقيقي الذي كان يعتنقه المؤدب.

هزّت غنيمة تنهيدة عميقة. فكرت: آه، يا ليتوا أكاد اكون مسرورة لأنك لم تعش حتى ترى هذه الأيام

الجسام. كنت لأنضم إليك بنفسي، لكن لدي سكيناً لم نلطح بالدماء بعد. عالية وفارادين. فارادين وعالية. البارون العجوز شيطانها، وهذا لا يمكن السماح به.

خرجت حارة من الدجديدا، واقتربت من غنيمة بخطى ثابتة تبتلع الرمال. توقفت حارة أمام غنيمة، وسألت: «ماذا تفعلين وحدكِ هنا؟»

«هذا مكان غريب يا حارة. ينبغي أن تغادر.»

«ستيلجار ينتظر مقابلة أحدهم هنا.»

«أوه؟ لم يخبرني بذلك.»

«لماذا عليه أن يخبرك بكل شيء؟» صفت حارة جراب الماء الذي نفخ الجزء الأمامي من رداء غنيمة وقالت بمرح: «هل أنتِ امرأة بالغة حتى تكوني حاملاً؟»

قالت غنيمة: «كنت حاملاً مرات عديدة لا يمكن حصرها. لا تلعي معي ألعاب الأطفال-البالغين!»

تراجعت حارة خطوة إلى الوراء بسبب الغلّ في صوت غنيمة.

قالت غنيمة وهي تشير بيدها إلى الدجديدا وما يفعله ستيلجار ورفاقه: «أنتم جماعة من الأغبياء، ما كان يجب أن آتي معكم من البداية.»

«كنت ميتة الآن لو لم تأتني.»

«ربما، لكنكم لا ترون ما هو أمام وجوهكم مباشرة! من الذي ينتظر ستيلجار لقاءه هنا؟»

«بوير أغارفيس».

حدقت إليها غنيمة.

شرحت حارة: «سيحضره إلى هنا سرًا أصدقاء لنا من سييتش الهوة الحمراء».

«بوير لعبة عالية الصغيرة؟»

«سيحضرونه إلى هنا معصوب العينين».

«هل يثق ستيلجار به؟»

«طلب بوير التحاور ووافق على جميع شروطنا».

«لماذا لم تخبروني بذلك؟»

«كان ستيلجار يعلم أنك ستعارضين هذا».

«أعارض.. هذا جنون!»

عبست حارة: «لا تنسي أن بوير..».

انفعلت غنيمة: «من العائلة.. حفيد ابن عم ستيلجار. أعرف. وفارادين الذي سأقتله يوماً قريباً لي بالقدر نفسه. هل تعتقدين أن ذلك سيمنعني من إشهار سكينتي في وجهه؟»

«وصلنا مكود.. لا أحد يتبع جماعته».

تحدثت غنيمة بصوت خافت: «لا خير في هذا يا حارّة.
علينا أن نغادر في الحال».

سألت حارّة: «هل رأيت نذير شؤم؟ تلك الدودة الميتة
التي رأيناها! هل كانت هي-»

احتدت غنيمة: «احشري ذلك في رحمك وأنجبيه في
مكان آخر! أنا أكره هذا الاجتماع وهذا المكان. ألا يكفي
ذلك؟»

«سأقول لستيلاجار ما قلته...»

«سأخبره بنفسه!» مشيت غنيمة متجاوزة حارّة التي
رسمت علامة قرون الدودة على ظهرها لدرء الشر.

لكن ستيلاجار ضحك على مخاوف غنيمة، وأمرها بالبحث
عن يرقات رملية كأنها طفلة. هربت إلى أحد منازل
دجديدا المهجورة، وجلست القرفصاء في ركن تداري
غضبها. مرت العاطفة بسرعة وتلاشت. شعرت بإثارة
الأرواح داخلها، وتذكرت أحدهم يقول: «إذا تمكنا من
شل حركتهم، فستسير الأمور كما نخطط».

يا لها من فكرة غريبة.

لكنها لم تستطع أن تتذكر من قال تلك الكلمات.

حُرْم المؤدب من حقوقه الطبيعية، ونادى بحقوق
المظلومين في كل زمان ومكان. صرخ في وجه الظلم
العميق الذي يبعد الفرد عما تعلم أن يؤمن به، عما تراءى
أنه حق أصيل له.

- المهدية، تحليل (خرق العادة)

جلس جيرني هاليك فوق هضبة في شولوك، وبالبايست
ملقى بجانبه على بساط من ألياف الاسپايس. وفي
الأسفل، كان الحوض الرملي المُسجج مليئاً بالعمال الذين
يزرعون المحاصيل. انسد المنحدر الرملي الذي استدرج
المطاريد الديدان إليه عبر درب الاسپايس، بقناة جديدة.
وامتدت المزروعات أسفل المنحدر لتثبيته.

حان الوقت تقريباً لتناول وجبة الظهر، وكان هاليك
فوق الهضبة أكثر من ساعة، ينشد خصوصية تسمح
له بالتفكير. فالبشر كانوا يضطعون بالعمل الشاق في
الأسفل، لكن كل ما رآه كان من عمل المزاج فعلياً.
كان تقدير ليتو الشخصي أن إنتاج الاسپايس سينخفض
قريباً إلى معدل مستقر يعادل عشر الذروة التي بلغها في
سنوات الهراكنة. تضاعفت قيمة المخزونات الاحتياطية
من الاسپايس في جميع أنحاء الإمبراطورية. قيل إن
ثلاثمئة وواحدًا وعشرين لتراً من الاسپايس اشترت نصف
كوكب نوفبرونس من عائلة متيولي.

عمل المطاريد كأن شيطاناً يقودهم، وربما كان الأمر

كذلك. قبل كل وجبة، واجهوا تانزروفت، ودعوا إلى
الشي هولود المتجسدة في شخص ليتو. كانت هذه الطريقة
التي رأوا بها ليتو، ورأى هاليك في أعينهم مستقبلاً شارك
فيه معظم البشر هذا الرأي. لم يكن هاليك متأكداً أنه
أحب هذا الاحتمال.

رسخ ليتو تعاليمه بعد أن أحضر هاليك والواعظ إلى هنا
على متن ثوبتر هاليك المسروق. أحدث ليتو صدعاً في قناة
شولوك بيديه العاريتين، مُلقياً حجارة ضخمة لمسافة تزيد
عن خمسين متراً. عندما حاول المطاريد التدخل، قطع
ليتو رأس أول من وصل إليه، بحركة سريعة غامضة من
ذراعه. ألقى بالآخرين على رفاقهم وسخر من أسلحتهم. زار
فيهم بصوت شيطاني: «لن تمسني النار بسوء! سكا كينكم لن
تؤذيني! أنا أرتدي جلد الشي هولود!»

عرفه المطاريد حينها ثم تذكروا هروبه قفزاً عن الهضبة
«مباشرة إلى الصحراء». سجدوا أمامه.

وأصدر ليتو أوامره: «أحضرت إليكم ضيفين. سوف
تحرسونهما وتكرمونهما. ستعيدون بناء قناتكم وتبدؤون
زراعة حديقة واحدة. ذات يوم سأخذ منزلاً هنا. سوف
تجهزون بيتي. لن تبيعوا مزيداً من الاسپايس لكنكم
ستخزنون كل ذرة تجمعونها منه».

استمر في إلقاء تعليماته، سمع المطاريد كل كلمة، وهم
ينظرون إليه بأعين مذعورة ورهبة مخيفة.

ها هو ذا الشيء هولود يصعد من الرمال أخيراً!!

لم يكن هناك أي إشارة لهذا التحول عندما وجد ليتو هاليك مع غادين القالي في أحد السييتشات الصغيرة المتمردة في غار رودين. جاء ليتو من الصحراء مع رفيقه الأعمى على طول درب الاسپايس العتيق، مسافراً بالدودة عبر منطقة أصبحت فيها الديدان شحيحة الآن. تحدث عن اتخاذ بعض الطرق الالتفافية التي اضطر إليها بسبب الرطوبة في الرمال، مياه كافية لتسميم دودة. وصلا بعد الظهر بقليل وأحضرهما الحراس إلى غرفة مشتركة ذات جدران حجرية.

طاردت الذكرى هاليك الآن.

قال: «إذن هذا الواعظ».

سار هاليك حول الأعمى، يتأمله بعمق، مستحضراً الحكايات التي سمعها عنه. لم يخف قناع بذلة تقطير ملاح الوجه العجوز في السييتش، وكانت الملاح واضحة بما يكفي لتعقد الذاكرة مقارناتها. نعم، كان الرجل يشبه الدوق القديم الذي سُمي ليتو على اسمه. هل كان هذا التشابه محض مصادفة؟

همس هاليك لليتو وقد انفرد به جانباً، بعيداً عن مسامع الواعظ: «هل تعرف الروايات التي تقول إن هذا الرجل هو والدك العائد من الصحراء؟»

«سمعت القصص»

استدار هاليك ليواجه الصبي. تأمله. كان ليتويرتدي زياً غريباً للتقطير، محاطاً بأطراف ملتفة حول وجهه وأذنيه، ومغطى بعباءة سوداء وحذاء رملي يلتف حول قدميه. كانت هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات حول وجوده هنا - وكيف استطاع الهروب مرة أخرى.

سأل هاليك: «لماذا أحضرت الواعظ إلى هنا. في چاكوروتو يقولون إنه يعمل لصالحهم».

«ليس بعد الآن. أحضرته لأن عالية ترغب في موته».

«إذن؟ هل تعتقد أن هذا المكان ملجأ؟»

«أنتم ملجؤه».

ظل الواعظ واقفاً بجانبها طوال الوقت، يستمع دون أن يظهر أي اهتمام بمجريات حديثهما.

قال ليتو: «لقد خدمتني بإخلاص يا جيرني. لم تفقد عائلة آريديز بوصلة الالتزام نحو من يخدمها».

«عائلة آريديز؟»

«أنا عائلة آريديز».

قال هاليك بصوت بارد: «هربت من چاكوروتو قبل أن أتمكن من إكمال الاختبار الذي أمرت به جدتك. كيف نتوقع...».

«يجب حراسة حياة هذا الرجل كأنها حياتك». قال ليتو

منهياً النقاش مواجهاً نظرات هاليك الحادة دون أن يرف له جفن.

دربت چيسيكا هاليك على مهارات البني چيسيريت في الملاحظة، لكنه لم يلاحظ أي شيء في ليتو يدعو للشك، فقد تحدث بثقة وهدوء. لكن تظل أوامر چيسيكا قائمة. «جدتك كلفتني بإكمال تعليمك، والتأكد من أنك لست ممسوساً».

«أنا لست ممسوساً». كانت إجابة ليتو واضحة وخالية من أي عاطفة.

«لماذا هربت؟»

«نمري تلقى أوامر بقتلي مهما فعلت. كانت أوامره من عالية».

«هل أنت عراف حقيقة إذن؟»

«أنا عراف حقيقة». كانت إجابة ليتو مليئة بالثقة والجزم.

«وغنيمة أيضاً؟»

«لا».

كسر الواعظ صمته حينئذ، وجهه محجري عينيه الفارغين نحو هاليك لكن متحدثاً إلى ليتو: «هل تظن نفسك قادراً على اختباره؟»

أجاب هاليك دون النظر إلى الواعظ: «لا نتدخل فيما لا تفهمه أو تقدر عواقبه».

قال الواعظ: «أوه، أنا أعرف العواقب بما فيه الكفاية. اختبرتي ذات مرة امرأة عجوزة اعتقدت أنها تعرف ما تفعله. ولكن اتضح أنها لم تكن تعرف».

نظر هاليك إليه حينها: «أنت عراف حقيقة آخر؟»

قال الواعظ: «يمكن لأي شخص أن يكون عراف حقيقة، حتى أنت. إنها مسألة صدق مع ذاتك بشأن طبيعة مشاعرك. يتطلب أن يكون لديك توافق داخلي مع الحقيقة ما يسمح لك بالتعرف الفوري».

سأل هاليك، واضعاً يده على سكينه العاجية: «لماذا نتدخل؟»

من كان هذا الواعظ؟

قال الواعظ: «إنني أتجاوب مع هذه الأحداث. يمكن لأي أن تضع دمه على المذبح، لكن لدي دوافع أخرى. وأنا أرى مشكلتك».

«وماذا ترى؟» كان هاليك فضولياً حقاً الآن.

«أمرتك الليدي چيسيكاً بالتمييز بين الذئب والكلب*.
بحسب تعريفها، الذئب شخص ذو سلطة يسيء استخدامها.
لكن ثمة مدة في البداية، قد يصعب التمييز فيها بين الذئب والكلب».

قال هاليك، وقد لاحظت تزايد تجمع أهل السييتش في
الغرفة حتى يستمعوا إلى الحديث: «كلامك قريب من
الحقيقة، كيف تعرف هذا؟»

«لأنني أعرف هذا الكوكب. أنت لا تفهم؟ فكر كيف
هو. يوجد تحت السطح صخور، وأوساخ ورواسب ورمال.
كلها تشكل ذاكرة الكوكب وتسجل تاريخه. الشيء نفسه
مع البشر. الكلب يتذكر الذئب. يدور كل عالم حول جوهر
كينونته، ومن هذا الجوهر تتدفق الذكريات إلى السطح».

قال هاليك: «هذا مثير للاهتمام. ولكن كيف يساعدني
ذلك في تنفيذ الأوامر التي كُلفت بها؟»

«راجع صورة تاريخك التي في داخلك. تواصل معها كما
تواصل الحيوانات».

هز هاليك رأسه مدركاً الصدق الجلي في كلمات الواعظ،
وهي صفة عرفها جيداً في عائلة آترديدز، وكان هناك أكثر
من أمانة بسيطة إلى أن الرجل استخدم قوى الصوت.
شعر هاليك أن قلبه بدأ يخفق بقوة. هل هذا ممكن؟

قال الواعظ: «أرادت جيسكا اختباراً نهائياً يكشف
المعدن الحقيقي لشخصية حفيدها. ولكن هذا المعدن
موجود دائماً، متاح للعيان إذا ما نظرت بعمق».

استدار هاليك نحو ليتو، مدفوعاً بقوة داخلية لا يمكن
مقاومتها.

واصل الواعظ كلامه كأنه يعظ تلميذاً متمرّداً: «هذا الشاب يحيرك لأنه ليس مجرد فرد، بل هو مجتمع بأكمله. وكما في أي مجتمع معرض لضغط رهيب، قد يبرز أحد أفراده ليتولى القيادة. وليست كل قيادة بالضرورة حميدة، ومن هنا تأتي قصصنا عن الشُّنعة. لكنك، يا جبرني هاليك، قد ألحقت الأذى بهذا المجتمع بما فيه الكفاية. ألا ترى أن التغيير قد حدث بالفعل؟ لقد حقق هذا الشاب تعاوناً داخلياً قوياً لا يمكن هزيمته. أستطيع رؤية ذلك دون عينين. في السابق، كنت أعارضه، ولكني الآن أنفذ أوامره. إنه الشافي».

سأل هاليك: «من تكون أنت؟»

«لست أكثر مما تراه. لا تُصَوِّبْ نظرك نحوي. انظر إلى هذا الشخص الذي أمرت بتعليمه واختباره. صقلته الأزمات ونجا من بيئة مميتة. هو الآن بيننا».

أصر هاليك: «من تكون أنت؟»

«أدعوك لتركيز اهتمامك على هذا الشاب الآتريديزي! إنه النتيجة النهائية التي يعتمد عليها بقاء سلالتنا البشرية. سيعيد تزويد النظام بنتائج تجارب ماضيه. لا يوجد من يمكنه فهم تجارب الماضي كما يفهمها هو. وأنت تفكر في تدمير مثل هذا الكائن!»

«قد أمرت باختباره ولم...»

«لكنك اختبرته!»

«هل هو سُنة؟»

هزت ضحكة مرهقة جسد الواعظ: «أنت تصرُّ على هراء النبي چيسيريت. كيف يخلقن الأساطير التي تُعمي الرجال!»

سأل هاليك: «هل أنت پول آترديز؟»

«بول آترديز لم يعد موجودًا. حاول أن يكون رمزًا أخلاقيًا عظيمًا فيما نبذ كل الادعاءات الأخلاقية. أصبح قديسًا بلا إله، وكل كلمة منه كانت كفرًا. كيف تظن أنني...»

«لأنك تتحدث بصوته.»

«هل ستختبرني الآن؟ احذر، يا جيرني هاليك.»

بلغ هاليك ريقه، وأجبر انتباهه على العودة إلى ليتو بملامحه المجردة من أي عاطفة، الذي كان يقف مراقبًا بهدوء.

سأل الواعظ: «من الذي يُختبر هنا؟ هل من الممكن أن الليدي چيسيكًا تختبرك أنت يا جيرني هاليك؟»

وجد هاليك هذه الفكرة مزعجة جدًا، وتساءل لماذا ترك كلمات هذا الواعظ تهزه. لكن خدام آل آترديز فطروا على طاعة ذلك الغموض الاستبدادي دونما سؤال. وقد جعلت چيسيكًا من خلال شرحها، الأمر أكثر غموضًا. شعر هاليك الآن بشيء يتغير داخل ذاته، شيء لم يتأثر إلا

بتدريب النبي چيسيريت الذي فرضته چيسیکا عليه. تولد غضب مبهم داخله. لم يرغب في أن يتغير!

سأل الواعظ: «من منكم يلعب دور الإله؟ ولأي غاية؟ لا يمكنك الاعتماد على المنطق وحده للإجابة عن هذا السؤال».

رفع هاليك انتباهه من ليتو إلى الأعمى ببطء متعمد. ظلت چيسیکا تقول إنه يجب أن يحقق توازن الكايريتس - «يجب أن تفعل.. يجب ألا تفعل». وصفته بأنه نظام بلا كلمات وعبارات ولا قواعد ولا حجج. كانت الحافة الحادة لحقيقته الداخلية تستولي على انتباهه تمامًا. أشعل شيء معين في صوت الأعمى ونبرته وأسلوبه الغضب الذي احترق في هدوء شديد داخل هاليك.

قال الواعظ: «أجب عن سؤالي».

شعر هاليك أن الكلمات تزيد من تركيزه على هذا المكان، على هذه اللحظة بالتحديد ومتطلباتها. كان موقعه في الكون محددًا من خلال تركيزه فقط. لم يبق شك في داخله. كان هذا پول آترديز، لم يمت، بل عاد. وهذا البالغ في هيئة طفل، ليتو. نظر هاليك مرة أخرى إلى ليتو، وراه حقًا. رأى علامات الإجهاد حول عينيه، والإحساس بالآتزان في وقفته، والنم الجامد الذي يعكس حس دعابة غريب. برز ليتو من الظلال كأنه في بؤرة ضوء ساطع. وجد الانسجام من خلال قبوله البسيط

للواقع.

قال هاليك: «أخبرني يا پول. هل تعلم أمك؟»

تنهد الواعظ: «بالنسبة إلى الأخوية، أنا ميت. لا تحاول إعادةتي إلى الحياة».

سأل هاليك وهو لا يزال ينظر إليه: «لكن لماذا فعلت أمك..»

«هي تفعل ما عليها فعله. تبني حياتها الخاصة، معتقدة أنها تحكم أرواحاً عديدة. وهكذا نلعب جميعاً دور الإله».

همس هاليك، وقد استولت عليه الآن حقيقة اكتشافه: «لكنك حيّ»، واستدار أخيراً ليواجه هذا الرجل، الذي كان أصغر منه سنًا، ولكنه شاخ كثيراً بفعل الصحراء لدرجة أنه بدا أنه عاش ضعف سنوات هاليك.

سأل پول: «ما معنى حيّ؟»

حذق هاليك حوله إلى الفرمن المتفرجين الذين كانت وجوههم عالقة بين الشك والرغبة.

«أمي لم تكن مضطرة إلى تعلم درسي قط. كان صوت پول! أن تكون إلهًا يمكن أن يصبح في النهاية مملاً ومهينًا. وستجد مبررًا كافيًا للسعي وراء الإرادة الحرة! قد يرغب الإله في الركون إلى السبات والبقاء على قيد الحياة فقط في الإسقاطات اللا-واعية لأحلام مخلوقاته».

«لكنك على قيد الحياة!» تحدث هاليك بصوت أعلى

الآن.

تجاهل پول الإثارة في صوت رفيقه القديم، وسأل: «هل كنت ستعرض هذا الفتى على أخته في اختبار المشهد*؟ يا له من هراء مروع! كان كل منهما سيقول: «لا! اقتلني أنا! ودع الآخر يعيش!» إلى أين يقود هذا الاختبار؟ إذن ما معنى أن تكون حيًّا، يا جيرني؟»

احتج هاليك قائلاً: «لم يكن هذا هو الاختبار». لم يكن مرتاحاً لكيفية اقتراب الفرمن منهم، أعينهم مرگزة على پول متجاهلة ليتو.

لكن ليتو تدخل الآن: «انظر إلى الجوهر يا أبي».

«نعم.. نعم..» رفع پول رأسه عالياً كأنه يستنشق الهواء. «إنه فارادين، إذن!»

قال ليتو: «ما أسهل أن نتبع أفكارنا بدلاً من حواسنا».

لم يكن هاليك قادراً على اتباع هذه الفكرة، وعندما كاد يسأل، قاطعته يد ليتو التي أمسكت بذراعه.. «لا تسأل يا جيرني. ربما تعود إلى الظن أنني شُعبة. لا، دعه يحدث فحسب يا جيرني. لو حاولت فرضه، فستدمر نفسك فحسب».

لكن هاليك شعر بالشكوك تستبد به. حذرته چيسيكاً.

«يمكن أن يكونوا مخادعين جداً، هؤلاء الواعون ما قبل

الولادة. لديهم حيل لم تحلم بها قط».

هز هاليك رأسه ببطء. وپول! بحق الآلهة! پول على قيد الحياة ويتواطأ مع ليتو - علامة الاستفهام - الذي أنجبه!

لم يعد من الممكن كبح جماح الفرمن المحيطين بهم. انضغطوا في المسافة بين هاليك وپول، بين ليتو وپول، دافعين الاثنين إلى الخلف. امتلاً الهواء بأصوات جمهورية تسأل: «هل أنت المؤدب؟ هل أنت حقاً المؤدب؟ هل صحيح ما تقول؟ أخبرنا!»

قال پول وهو يدفع جسده مقابلهم: «يجب أن تفكروا فيّ على أنني الواعظ فحسب. لا يمكنني أن أكون پول آترديز أو المؤدب مرة أخرى أبداً. أنا لست خليل تشاني أو إمبراطوراً».

خوفاً مما قد يحدث إن لم تُقابل هذه الأسئلة المحبّطة بإجابة منطقية، كان هاليك على وشك التصرف عندما تقدم ليتو أمامه. هناك رأى هاليك لأول مرة التغيير الرهيب الذي طرأ على ليتو. زأر صوت مززل: «تنحوا جانباً!» وتحرك ليتو إلى الأمام مُزيحاً الفرمن البالغين جانباً بقوة، ومُسقطاً إياهم أرضاً، ضربهم بكفيه، وانتزع السكاكين من أيديهم ممسكاً بنصاها بيديه العاريتين.

في غضون دقيقة واحدة، ضغط الفرمن الذين لا يزالون واقفين، أجسادهم مقابل الجدران في ذعر صامت. وقف ليتو بجانب والده. قال ليتو: «عندما يتكلم الشي هولود، يجب أن تطيعوا».

وحينما بدأ بعض الفرمن بالاعتراض، انتزع ليتو قطعة صخرية من جدار الممر بجوار مخرج الغرفة وسحقها بيديه العاريتين، مُحافظًا على ابتسامته طوال الوقت.

قال: «سأهدم سييتشكم فوق رؤوسكم».

همس أحدهم: «شيطان الصحراء».

وافق ليتو: «وقنواتكم. سوف أحطمها. لم نأت إلى هنا قط، هل تسمعونني؟!»

أومأت الرؤوس من جانب إلى آخر في خضوع ورعب.

قال ليتو: «لم يرنا أحد هنا. همسة واحدة منكم وسأعود لأقودكم إلى الصحراء حيث لا يوجد ماء».

رأى هاليك الأيدي ترتفع في إشارة درء الخطر، إشارة الدودة.

قال ليتو: «سندهب الآن، والدي وأنا، برفقة صديقنا القديم. جهزوا ثوبترنا».

قادهم ليتو إلى شولوك حينها، موضحًا في الطريق أنه يجب عليهما التحرك بسرعة، لأن «فارادين سيصل أراكس قريبًا جدًا. وكما قال والدي، حينها سترى الاختبار الحقيقي يا جيرني».

نظر هاليك إلى الأسفل من فوق هضبة شولوك، وسأل نفسه مرة أخرى، كما فعل كل يوم: «أي اختبار؟ ماذا يقصد؟»

لكن ليتو لم يعد في شولوك، ورفض پول الإجابة.



الكنيسة والدولة، والمنطق العلمي والإيمان، والفرد ومجتمعه، وحتى التقدم والتقاليد - كل هذه الأمور يمكن التوفيق بينها في تعاليم المؤدب. علمنا المؤدب أنه لا توجد أصداد مطلقة إلا في معتقدات الرجال. يمكن لأي شخص أن يمزق حجاب الزمن. يمكنك اكتشاف المستقبل في الماضي أو في خيالك. عندئذ، تسترد وعيك بكيانك الداخلي. وتعلم أن الكون كلُّ متماسك، وأنت لا تنفصل عنه.

- الواعظ في أراكين (عن خرق العادة)

جلست غنيمة بعيداً خارج دائرة الضوء المنبعث من مصابيح الاسپايس، وراقبت بوير أغارفيس. لم يعجبها وجهه المستدير وحاجبيه المتوترين وطريقته في تحريك قدميه وهو يتكلم، كأن كلماته موسيقى خفية يرقص عليها. قالت غنيمة لنفسها: ليس هنا للتفاوض مع ستيل، ورأت أن هذا يتأكد في كل كلمة وإيماءة تصدر عنه. تحركت إلى الورا بعيداً عن دائرة المجلس.

كان في كل سييتش غرفة مثل هذه الغرفة، لكن قاعة الاجتماع الجديدة المهجورة بدت لغنيمة ضيقة لأنها كانت منخفضة جداً. ستون شخصاً من جماعة ستيلجار بالإضافة إلى التسعة الذين أتوا برفقة أغارفيس ملؤوا جانباً واحداً فقط من القاعة. انعكست أضواء مصابيح زيت الاسپايس على الأعمدة المنخفضة التي تدعم السقف. ألقى

الضوء ظللاً متراقصة على الجدران، وملاً الدخان اللاذع
المكان برائحة القرفة.

بدأ الاجتماع عند الغسق بعد أداء صلوات الرطوبة،
وتناول وجبة العشاء. استمر أكثر من ساعة حتى الآن،
ولم تستطع غنيمة فهم المقاصد الخفية في سلوك أغارفيس.
بدت كلماته واضحة جداً، لكن جسده وعينه كانوا
ينطقون بلغة أخرى.

كان أغارفيس يجيب الآن عن سؤال من إحدى
مساعديات ستيلجار، ابنة أخت حارة التي تدعى راجية*.
كانت شابة متدينة سمراء، فيها مترهل عند الزوايا، ما
أضفى عليها مظهراً دائماً من عدم الثقة. أعجبت غنيمة بهذا
التعبير في ظل هذه الظروف.

قال أغارفيس: «أنا متأكد من أن عالية ستمنحك جميعاً
عفواً كاملاً. وإلا ما كنت هنا الآن مع هذه الرسالة».

تدخل ستيلجار قبل أن تتحدث راجية مرة أخرى:
«لست قلقاً كثيراً بشأن ثقتنا بها بقدر ما أقلق حيال ثقتها
بك». كان صوت ستيلجار ممتعضاً. لم يكن مرتاحاً لهذا
الاقتراح بأن يعود إلى وضعه القديم.

قال أغارفيس: «لا يهم إذا كانت تثق بي أم لا. لأكون
صريحاً بشأن ذلك، أعتقد أنها لا تثق بي. قضيت وقتاً
طويلاً في البحث عنك دون جدوى. لكنني شعرت دائماً
أنها لا تريد حقاً أن يقبض عليك. كانت...».

قال ستيلجار: « كانت زوجة الرجل الذي قتلته. أقر بأنه طلب ذلك وسعى إليه. وربما كان ليسقط على سكينه. لكن هذا الموقف الجديد تفوح منه رائحة...».

تمهل أغارفيس في وقفته، وبدا الغضب واضحاً على وجهه. «إنها تسامحك! كم مرة يجب أن أقولها؟ جعلت الكهنة يعرضون عليها الإرشاد الإلهي من...».

«طرحت قضية أخرى فحسب». تحدثت إيrolان وهي تميل إلى الأمام متجاوزة راجية، ورأسها الأشقر يبرز مقابل سُمرة راجية: «أقنعتك، لكن قد يكون لديها خطط أخرى».

«الكهنوت...».

قالت إيrolان: «لكن هناك كثير من القصص.. أنك أكثر من مجرد مستشار عسكري، وأنت...».

«كفى!» أفقد الغضب أغارفيس سيطرته على نفسه. كانت يده تحوم بالقرب من سكينه. تحركت العواطف المتحاربة تحت جلده مباشرة مشوهة ملامحه: «صديقي ما تشائين، لكن لا يمكنني الاستمرار مع تلك المرأة! إنها تسيء إلي! تنجس كل شيء تلمسه! استغلتي. أنا قدر. لكنني لم أرفع السكين على عشيرتي. انتهى ذلك الآن».

فكرت غنيمة وهي تراقب المشهد: على الأقل كان ينطق بالحقيقة.

ضحك ستيلجار بشكل مفاجئ، وقال: «آه يا ابن العم. سامحني، لكن ثمة حقيقة في غضبك».

«إذن، أنت توافق؟»

«لم أقل ذلك». رفع يده وهو يواجه انفجاراً غاضباً آخر من أغارفيس، وأكمل: «ليس من أجل مصلحتي، يا بوير، ولكن هؤلاء الآخرين». أشار حوله. «إنهم مسؤوليتي. دعنا نفكر لحظة في التعويضات التي تقدمها عالية».

«تعويضات؟ لم أذكر كلمة عن أي تعويضات. عفواً، لكن لا-».

«فماذا تقدم ضماناً لكلامها؟»

«ستستردون سييتش تبر، وتعود نائباً مستقلاً استقلالية كاملة ومحايداً. إنها نتفهم الآن كيف...».

حذر ستيلجار: «لن أعود إلى حاشيتها ولن أمدّها برجال مقاتلين. هل هذا مفهوم؟»

شعرت غنيمة أن ستيلجار بدأ يضعف وفكرت: لا يا ستيل! لا!

قال أغارفيس: «لا حاجة إلى ذلك. لا تريد عالية سوى عودة غنيمة إليها، وتنفيذ وعد الخطبة الذي منحتة...».

قال ستيلجار مقطباً حاجبيه: «الآن ظهرت الحقيقة! غنيمة ثمن عفوها عني. هل تعتقد عالية أنني...».

جادل أغارفيس عائداً إلى مقعده: «إنها تعتقد أنك عاقل».

فكرت غنيمة بابتهاج: لن يفعل ستيلجار ذلك. لا تهدر وقتك على قضية خاسرة. لن يفعل ذلك.

وبينما كانت تفكر في ذلك، سمعت غنيمة صوتاً خافتاً خلفها وإلى يسارها. حاولت أن تستدير لكنها شعرت بأيد قوية تمسك بها. غطت وجهها قطعة قماش ثقيلة تفوح منها رائحة منوم قبل أن تستطيع الصراخ. وبينما يتلاشى وعيها، شعرت بأنها تُحمل نحو باب في أحلك أركان القاعة. وفكرت: كان عليّ أن أحنن ذلك! كان يجب أن أكون مستعدة! لكن الأيدي التي أمسكت بها كانت بالغة وقوية. لم تستطع التملص منها.

كان آخر ما شعرت به غنيمة هو الهواء البارد، فيما وقعت عيناها على النجوم، ووجه مقنّع نظر إليها، ثم سأل: «لم تصب بأي جرح، أليس كذلك؟»

ضاعت الإجابة فيما كانت النجوم تدور وتندفع أمام عينيها. غرقت في وهج ضوء كان النواة الداخلية لذاتها.

أنعم علينا المؤدب بمعرفة خاصة عن البصيرة النبوية،
عن السلوك الذي يحيط بمثل هذه البصيرة وتأثيرها في
الأحداث التي تعدّ «متسقة». (أي الأحداث التي تحدث
في نظام متصل يكشفه النبي ويفسره). كما لوحظ في
أماكن أخرى، تكون هذه البصيرة شركاً غريباً للنبي
نفسه. يمكن أن يصبح النبي ضحية لما يعرفه - وهو خطأ
بشري شائع نسبياً. والخطر أن ينسى الذين يتنبؤون
بأحداث حقيقية تأثير الاستقطاب الناتج عن الانغماس
المفرط في حقيقتهم. يميلون إلى نسيان أنه لا يمكن أن
يوجد شيء في كون مستقطب دون نقيضه.

- الرؤية الاستبصارية (خرق العادة)

كانت الرياح العاصفة معلقة مثل الضباب في الأفق،
حاجبة الشمس المشرقة. وكانت الرمال باردة في ظلال
الكثبان الرملية. وقف ليتو خارج حلقة النخيل المطلة
على الصحراء. شم رائحة الغبار وعطر النباتات الشوكية،
وسمع أصوات الناس والحيوانات الصباحية. لم يحتفظ
الفرمن بأي قناة في هذا المكان. لم يكن لديهم سوى الحد
الأدنى من الزراعة اليدوية التي ترويه النساء اللواتي يحملن
الماء في جرابات جلدية. كانت مصيدة الرياح شيئاً هشاً،
من السهل تدميرها بفعل الرياح العاصفة، ولكن يمكن
إعادة بنائها بسهولة. كانت المشقة وقسوة تجارة الاسپايس
والمغامرة أسلوب حياة هنا. ظل هؤلاء الفرمن يؤمنون
بأن اللجنة صوت مياه جارية، لكنهم اعتزوا بمفهوم الحرية

القديم الذي شاركه ليتو.

فكر: الحرية حالة من الوحدة.

عدل ليتو طيات رداءه الأبيض الذي يغطي بذلة تقطيره الحية. كان يشعر كيف غيره غشاء اليرقات الرملية، وكما هي الحال دائماً مع هذا الشعور، اجتاحه إحساس عميق بالخسارة. لم يعد بشرياً كلياً، سبحت أشياء غريبة في دمه. اخترقت أهداب اليرقات الرملية كل عضو فيه، تعدل من نفسها وتتغير. وكانت اليرقات نفسها تتمحور وتتأقلم. مع علمه بذلك، شعر ليتو بأنه ممزق بين الخيوط القديمة لإنسانيته المفقودة، حياته عالقة في كرب بدائي مع تحطّم استمراريته القديمة. كان يعرف نغ الانغماس في مثل هذه المشاعر المشوبة بالحنين. كان يعرفه جيداً.

فكر: المستقبل يحدث من تلقاء نفسه. القاعدة الوحيدة التي تحكم الإبداع هي فعل الخلق نفسه.

كان من الصعب أن يرفع بصره عن الرمال والكثبان - ذاك الفراغ الشاسع. هنا على حافة الرمال كانت توجد بعض الصخور، لكنها دفعت خياله نحو الرياح، والغبار، والنباتات والحيوانات النادرة والوحيدة، والكثيب الرملي الذي يندمج في كثيب آخر، والصحراء التي تلتحم بصحراء أخرى.

وخلفه سمع صوت ناي يعزف في صلاة الفجر، ترنمة الرطوبة التي أصبحت الآن لحنًا مختلفًا قليلاً من أجل الشيء

هولود الجديد. أعطت هذه المعرفة في عقل ليتو الموسيقا
إحساساً بالوحدة الأبدية.

فكر: يمكنني السير بعيداً داخل تلك الصحراء فحسب.

كل شيء سيتغير عندئذ. كل الاتجاهات جيدة. تعلم
بالفعل أن يعيش حياة خالية من التملك. صقل تصوف
الفرمن بداخله إلى حد بعيد: كل ما أخذه معه كان
ضرورياً، وكان هذا كل ما أخذه. لم يحمل شيئاً سوى
رداء على ظهره، وخاتم صقر آترديدز مخبأ في ثناياه، والجلد
الذي لم يكن جلده.

سيكون من السهل الابتعاد عن هنا.

لفتت حركة مرتفعة في السماء انتباهه: كان نسرًا كما يبدو
من أطراف أجنحته المشدوفة. ملأ المشهد صدره بالألم.
عاشت النسور مثل الفرمن في هذه الأرض لأنهم ولدوا
فيها. لم يعرفوا مكاناً أفضل. جعلتهم الصحراء ما كانوا
عليه.

ظهرت سلالة أخرى من الفرمن في أعقاب المؤدب
وعالية. كانوا السبب في أنه لم يستطع السماح لنفسه بالسير
بعيداً في الصحراء كما فعل والده. تذكر ليتو كلمات آيداهو
من الأيام الأولى على كثيب: «هؤلاء الفرمن! إنهم حقاً
رائعين. لم ألتق قط بفرمني جشع».

كث الفرمن الجشعون الآن.

عبرت سحابة من الحزن فوق ليتو. كان ملتزمًا بمسار يمكن أن يغير كل ذلك، ولكن ثمنه باهظ. وأصبحت إدارة هذا المسار تزداد صعوبة مع اقترابهم من الزوبعة.

الكراليزيك، صراع الإعصار، يقبع أمامه.. لكن الكراليزيك أو ما هو أسوأ سيكون ثمن زلّة قدم.

علت الأصوات خلف ليتو، ثم سمع صوت طفل حادًا وواضحًا يتكلم: «ها هو ذا».

استدار ليتو.

كان الواعظ قد خرج من وسط النخيل يقوده طفل.

تساءل ليتو: لماذا ما زلت أراه على أنه الواعظ؟

تكنم الإجابة هناك على اللوح الطاهر لعقل ليتو: لأنه لم يعد المؤدب أو پول آتريديز. أعادت الصحراء تشكيله وجعلته ما هو عليه. الصحراء ومتواطئو چاكوروتو بجرعات الاسپايس المفرطة التي دسوها له، وخياناتهم المستمرة. كان الواعظ شيخًا قبل زمانه، عجوزًا ليس رغبًا عن الاسپايس بل بسببه.

قال الواعظ بينما توقف مرشده الطفل: «قالوا إنك تريد رؤيتي الآن».

نظر ليتو إلى طفل منطقة النخيل. كان طوله يضاهي طول ليتو تقريبًا، وفضوله الشديد يخفف من رعبه. لمعت عيناه الصغيرتان بريق داكن فوق قناع بذلة تقطيره

لوح ليتو بيده: «اتركنا».

تردد الطفل للحظة، ثم تمنع في كتفيه، ثم سيطرت عليه
الرغبة واحترام الفرمن الفطري للخصوصية، فانصرف.

سأل ليتو: «هل تعلم أن فارادين هنا على أراكس؟»

«أخبرني جبرني عندما طار بي الليلة الماضية».

فكر الواعظ: كم أن كلماته موزونة وهادئة. يشبه ما كنت
عليه في الأيام الخوالي.

قال ليتو: «أواجه خياراً صعباً».

«اعتقدت أنك قد حسمت بالفعل كل الخيارات».

«نحن نعرف ذلك الفخ يا أبي».

تنحج الواعظ. شعر بالتوتر ينذر بقرب الأزمة الماحقة.
الآن لن يعتمد ليتو على الرؤية البحتة، بل على إدارتها.

سأل الواعظ: «هل تحتاج إلى مساعدتي؟»

«نعم. سأعود إلى أراكس وأود أن أكون مرشدك».

«لأي غاية؟»

«هل ستعظ مرة أخرى في أراكين؟»

«ربما. هناك أمور لم أقلها لهم».

«لن تعود إلى الصحراء يا أبي».

«إن ذهبت معك؟»

«نعم».

«سأفعل ما تقرر».

«هل فكرت ملياً؟ مع وجود فارادين، ستكون أمك

برفقته».

«لا شك في ذلك».

تتخنع الواعظ مرة أخرى، علامة على القلق الذي لم يكن
ليسمح المؤدب بظهورها قط. كان جسده بعيداً عن نظام
الانضباط الذاتي القديم، وكثيراً ما خذله قوم چاكوروتو
وقادوه إلى الجنون. راود الواعظ شك في حكمة العودة إلى
أراكين

قال ليتو: «ليس عليك العودة معي إلى هناك. لكن أختي
هناك ويجب أن أعود. يمكنك الذهاب مع جيرني».

«وأنت ستذهب إلى أراكين وحدك؟»

«نعم. يجب أن أقابل فارادين».

تنهد الواعظ: «سأذهب معك».

شعر ليتو بلمسة من جنون الرؤية القديمة في سلوك
الواعظ، وتساءل: هل كان يمارس لعبة الاستبصار؟ لا،
لن يسلك ذاك الطريق مجدداً. كان يعرف مخاطر الالتزام
الجزئي. أكدت كل كلمة من كلمات الواعظ أنه سلم

الرؤى إلى ابنه، عالماً أن كل شيء في هذا العالم متوقع.
كانت الأقطاب المتعارضة القديمة تسخر من الواعظ
الآن؛ فقد هرب من تناقض إلى آخر.

قال ليتو: «سنغادر بعد بضع دقائق. هل ستخبر جيرني».

«جيرني لن يذهب معنا؟»

«أريد أن ينجو جيرني».

ثم فتح الواعظ ذاته على التوترات وحاول استيعاب
مغزاها. كانت تعبق في الهواء حوله، وتنبض في الأرض
تحت قدميه، كأن يكاناً متحركاً تركز فوق جسد الطفل
البالغ الذي كان ابنه. صرخة رؤاه الغابرة كانت تترقب في
حنجرته.

هذه القداسة الملعونة!

لم يستطع تفادي مخاوفه. كان على دراية بما ينتظرهم
في أراكس. سيخوضان مجدداً تلك اللعبة مع قوى مرعبة
وفتاكّة. لعبة لا يمكن أن تجلب إليهما السلام قط.

الطفل الذي يرفض السير على خطى والده، هو رمز
مقدرة الإنسان الفريدة. «يجب ألا أكون نسخة من أبي.
لست مضطراً إلى الامتثال لقواعده أو حتى الإيمان بكل
ما آمن به. تلك قوتي بصفتي إنساناً؛ أن أتمكن من اتخاذ
خياراتي الخاصة بشأن ما أؤمن به وما لا أؤمن به، وما
أكون وما لا أكون.

- من سيرة ليتو آترديدز الثاني (خرق العادة)

رقصت نساء الحج في ساحة المعبد على إيقاع الطبول
والناي، بلا غطاء للرأس أو أساور تزين أعناقهن. كانت
أثوابهن الرقيقة تكشف ما تحتها، وشعورهن السوداء
الطويلة تتطاير إلى الأمام ثم تنسدل على وجوههن مع كل
دورة.

أطلت عالية من مخبئها في أعلى المعبد، متأملة المشهد
بمشاعر متضاربة. كان الوقت منتصف الصباح، حيث
بدأت رائحة قهوة الاسپايس تفوح في الساحة من الباعة
الجوالين تحت الأقواس المظلمة. ولم يكن يفصلها سوى
وقت قصير عن الخروج للقاء فارادين وتقديم الهدايا
الرسمية والإشراف على لقائه الأول مع غنيمة.

كان كل شيء يسير وفق الخطة المرسومة. ستقتله غني،
وفي خضم الفوضى التي ستعقب الحادث، سيكون هناك
شخص واحد فقط جاهزاً لجمع الأشلاء. ترقص الدمى عند
شد الحيوط. قتل ستيلجار أغارفيس كما كانت تأمل.

وقاد أغارقيس الخاطفين إلى دجديدا دون علمه، بفضل جهاز إرسال الإشارات السري المنجأ في الحذاء الجديد الذي أهدته إياه. الآن ينتظر ستيلجار وإيرولان في زنازين المعبد. ربما سيموتان، لكن قد يكون لهما استخدامات أخرى. لا ضير في الانتظار.

لاحظت أن رجلين من الفرمن يراقبان راقصات الحج أسفلها بنظرات حادة وثابتة. انبثقت من الصحراء مساواة بين الجنسين امتدت إلى بلدات الفرمن ومدنهم، لكن الفروق الاجتماعية بين الجنسين بدأت تتجلى بوضوح الآن. هذا، أيضاً، كان جزءاً من الخطة؛ فالانقسام يؤدي إلى الضعف. شعرت عالية بالتغيير الدقيق في نظرة الفرمن إلى تلك النساء الغريبات ورقصهن العجيب.

دعهم يشاهدون. دعهم يملأون عقولهم بالغفلة.

فتحت عالية نوافذها، فشعرت بالحرارة المتصاعدة التي بدأت مع شروق الشمس وستصل إلى ذروتها بحلول منتصف النهار. ستكون أرضية الساحة الحجرية أشد حرارة. كان من المؤكد أن الراقصات يشعرن بعدم الراحة، لكنهن واصلن الدوران والانحناء، والتأرجح بأذرعهن وشعرهن في تفانٍ. كرسن رقصهن لعالية، رحم الجنة. جاءت إحدى المساعدات لتخبر عالية بذلك، مستهزئة بالنساء الأجنبية وطرائقهن. وأوضحت المساعدة أن النساء كن من كوكب إيكس، حيث لا تزال بقايا العلم والتكنولوجيا المحرمة موجودة.

نظرت عالية إليهن بتعالٍ. كنَّ جاهلات ومؤمنات بانحرافات ومتخلفات مثل فرمن الصحراء.. تمامًا كما قالت المساعدة المتهاكمة، التي حاولت كسب رضاها بإخبارها أن الرقص مكرس لها. ولم تكن المساعدة ولا الإيكسيون يعرفون أن إيكس كان مجرد رقم في لغة مندثرة.

بينما كانت تضحك في سرها، فكرت عالية: «اتركهن يرقصن. فالرقص يستنزف طاقة قد تُستخدم في أغراض أكثر هدمًا. وكانت الموسيقى عذبة، نغمات حزينة تنسجم مع إيقاع متواصل من طبول اليقطين وتصفيق الأيدي».

فجأة خفت الموسيقى تحت هدير أصوات عديدة قادمة من الجانب البعيد من الساحة. تعثرت الراقصات، ثم استعدن توازنهن في ارتباك قصير، لكن تناغمهن الحسي تلاشى، وشرد انتباههن نحو البوابة البعيدة للساحة، حيث يمكن رؤية الغوغاء ينتشرون فوق الأرضية الحجرية مثل موجة تجتاح قناة مفتوحة.

حدقت عالية إلى تلك الموجة القادمة.

بدأت تميز الكلمات الآن، علت كلمة محددة فوق الكلمات الأخرى كلها: «الواعظ! الواعظ!»

ثم رآته يخطو مع الطليعة الأولى للموجة، إحدى يديه فوق كتف مرشده الشاب. تخلت راقصات الحج عن موقعهن، وتراجعن نحو الدرجات الحجرية أسفل موقع عالية، وانضم إليهن الجمهور. شعرت عالية بالرهبة تسري في

المتفرجين. اعترافها بالخوف.

كيف يجرؤ!

كادت تستدير لتستدعي الحراس، لكنها توقفت عندما أعادت التفكير. كان الحشد قد ملأ الساحة بالفعل. وكان من الممكن أن يصبحوا عنيفين إذا أحبطت رغبتهم الشديدة في سماع البصيرة من الأعمى.

شدت عالية قبضتها.

الواعظ! لماذا يفعل پول هذا؟ بالنسبة إلى نصف سكان كثيب، كان «مجنون الصحراء» وبالتالي مقدساً. همس آخرون في الأسواق والمتاجر أنه المؤدب. وإلا فلماذا تركته المهديّة عالية يتكلم بمثل هذه الهرطقة الغاضبة؟

أبصرت عالية لاجئين وسط الغوغاء، بقايا السييتشات المهجورة، أرديتهم ممزقة. سيكون المكان في الأسفل خطراً، مكان يمكن أن تُرتكب فيه الأخطاء.

«سيدتي».

جاء الصوت من خلف عالية. استدارت ورأت زيا واقفة في المدخل المقنطر للغرفة الخارجية. كان حراس القلعة المسلحون خلفها على مقربة.

«نعم يا زيا؟»

«سيدتي، فارادين هنا في الخارج يطلب مقابلتك».

«هنا؟ في غرفتي؟»

«نعم يا سيدتي».

«هل هو وحده؟»

«معه حارسان شخصيان والليدي چيسيك».

مدت عالية يدها إلى حلقها متذكّرة لقاءها الأخير مع أمها. تغيرت الأزمنة. حكمت علاقتهما ظروف جديدة.

«كم هو متهور. لأي سبب أتى؟»

«سمع عن...» أشارت زيا إلى النافذة المطلة على الساحة.

«يقول إنهم أخبروه أنك تحظين بأفضل إطلالة على

المشهد».

عبست عالية: «هل تصدقين هذا يا زيا؟»

«لا، يا سيدتي. أعتقد أنه سمع الشائعات. يريد أن يشاهد

ردة فعلك».

«أمي حرصته على ذلك!»

«من المحتمل جدًا يا سيدتي».

«زيا، يا عزيزتي، أريدك أن تنفذي مجموعة محددة من

الأوامر الهامة جدًا من أجلي. تعالي إلى هنا».

اقتربت زيا حتى صارت على بعد خطوة واحدة منها.

«اسمحي لفارادين وحراسه وأمي بالدخول. ثم استعدي

لإحضار غنيمة. يجب أن تجهزها مثل عروس فرمنية مع
مراعاة كل التفاصيل.»

«بسكينها يا سيدتي؟»

«بسكينها.»

«سيدتي، هذا...»

«غنيمة لا تشكل أي تهديد لي.»

«سيدتي، هناك سبب للاعتقاد بأنها هربت مع ستيلجار
لحمايته أكثر من أي سبب آخر.»

«زيا!»

«سيدتي؟»

«غنيمة التمسست بالفعل الصفح عن حياة ستيلجار، ولهذا
ما زال ستيلجار على قيد الحياة.»

«لكنها الوريثة المفترضة!»

«فقط نفذي أوامري. جهزي غنيمة. وبينما تشرفين على
تنفيذ ذلك، أرسلني خمسة خدام من كهنوت المعبد إلى
الساحة. عليهم دعوة الواعظ إلى هنا. اجعلهم ينتظرون
فرصتهم ويتحدثون إليه، ليس أكثر من ذلك. عليهم
عدم استخدام القوة. أريدكم أن يوجهوا دعوة لبقة. لا
استخدام للقوة على الإطلاق. وأيضاً يا زيا.»

«سيدتي؟» كم بدت متجهمة.

«يجب إحضار الواعظ وغنيمة إلى هنا في التوقيت نفسه.
عليهما أن يدخلوا معاً بناءً على إشارتي. هل تفهمين؟»
«أنا أعرف الخطة، يا سيدتي، لكن...».

«افعلي ذلك! يجب أن يدخلوا معاً». أومأت عالية برأسها
حتى تصرف مساعدتها الأمازونية. عندما استدارت زيا
حتى تغادر، قالت عالية: «في طريقك للخروج، استدعي
جماعة فارادين، وتأكدني من مرافقة عشرة من حراسي
الموثوقين لهم».

نظرت زيا إلى الخلف لكنها واصلت مغادرة الغرفة:
«سأنفذ ما طلبت، يا سيدتي».

استدارت عالية حتى تنظر من النافذة. في غضون دقائق
قليلة ستؤتي خطتها ثمارها الدموية. سيكون بول هنا ليرى
ابنته وهي توجه الضربة القاضية لمزاعمه المقدسة. سمعت
عالية دخول كتبية حراس زيا. سينتهي هذا قريباً. نظرت
إلى الأسفل بشعور متضخم بالانتصار حيث وقف الواعظ
فوق الدرجة الأولى من السلم. جلس مرشده الشاب
إلى جانبه. رأت عالية أردية كهنة المعبد الصفراء تنتظر
إلى اليسار، يمنع تقدمهم الحشود الكثيفة. لكنهم، كانوا
خبراء في التعامل مع الحشود، سيجدون طريقة للاقتراب
من هدفهم. دوى صوت الواعظ فوق الساحة، وترقب
الغوغاء كلماته باهتمام شديد. دعيتهم يستمعون! قريباً
سُحرف كلماته بحيث يكون لها معانٍ أخرى غير تلك

المقصودة. ولن يكون الواعظ موجوداً ليعترض.

دخلت جماعة فارادين، وسمعت صوت چيسيكاً:
«عالية؟»

قالت عالية دون أن تلتفت: «أهلاً وسهلاً بالأمرير فارادين وأمي. تعاليا واستمتعا بالعرض». استدارت عندئذ، ورأت الساردوكار الضخم، تيكانيك، عابساً في وجوه حراسها الذين كانوا يسدون الطريق. قالت عالية: «لكن هذا ليس من حسن الضيافة. دعوهم يقتربون». دنا اثنان من حراسها منها، بناءً على أوامر زيا كما هو واضح، ووقفوا بينها وبين الآخرين. تحرك الحراس الآخرون جانباً. تراجعت عالية إلى الجانب الأيمن من النافذة، وأشارت إليها. «هذه حقاً أفضل إطلالة»

نظرت چيسيكاً التي كانت ترتدي رداءها الأسود التقليدي إلى عالية، ورافقت فارادين إلى النافذة، لكنها وقفت بينه وبين حراس عالية.

قال فارادين: «هذا لطف كبير منك يا ليدي عالية. سمعت كثيراً عن هذا الواعظ».

قالت عالية: «وها هو ذا بلحمه وشحمه». كان فارادين يرتدي الزي الرمادي لقائد ساردوكار دون زينة. تحرك بسمو رشيق أعجب عالية. ربما تكون هناك أكثر من تسلية عابرة في أمير كورينو هذا.

انبعث صوت الواعظ داخل الغرفة عبر مكبرات الصوت

بجانب النافذة. شعرت عالية باهتزازته في عظامها، وبدأت تستمع إلى كلماته بانبهار متزايد.

صرخ الواعظ: «وجدت نفسي في صحراء زان في تيه هذه البرية الصاخبة. وأمرني الرب أن أظهر ذلك المكان. خبرنا في الصحراء الغضب والحزن، وواجهنا الإغراءات في تلك البرية حتى نتخلى عن أساليبنا».

فكرت عالية: صحراء زان. كان هذا الاسم الذي أُطلق على مكان المحاكمة الأولى للرحالة الزنسنين الذين انبثق منهم الفرمن. لكن كلماته! هل كان ينسب إليه الفضل في الدمار الذي لحق بمعاقل القبائل الموالية للسييتش؟

صاح صوت الواعظ مدوياً في الساحة: «الوحوش البرية تستوطن أراضيكم، والمخلوقات الأليفة تملأ بيوتكم. أنتم الذين هجرتم دياركم، لم تعودوا تضاعفون أيامكم فوق الرمال. نعم، أنتم يا من نبذتم أساليبنا، ستموتون في عشٍ فاسد إن واصلتم السير على هذا الدرب. ولكن إن استمعتم إلى تحذيري، سيهديكُم الرب عبر أرض الحفر إلى جبال الإله. نعم، الشيء هولود سيقودكم».

علت تأوهات خافتة من الحشد. سكت الواعظ هنيهة، وهو يميل بمجريه الخالين من جانب إلى آخر مُتَبِعاً الأصوات من حوله. ثم رفع ذراعيه، وبسطهما بأقصى اتساعهما، وصرخ: «اللهم إن جسدي يشواق إلى سبيلك في أرض جافة وعطشى!»

توسلت امرأة عجوز أمام الواعظ، كانت لاجئة كما هو واضح من ثيابها المرقعة والبالية، رفعت يديها إليه قائلة: «أغثنا أيها المؤدب. أغثنا!»

شعرت عالية بانقباض مفاجئ يعتصر صدرها، وتساءلت إن كانت المرأة العجوز تدرك الحقيقة. ألقت نظرة إلى أمها، لكن چيسيكاً ظلت ثابتة، توزع انتباهها بين حراس عالية وفارادين والمشهد المطلة عليه النافذة. وقف فارادين مشدوهاً، مأخوذاً بالمشهد الدائر أمامه.

ألقت عالية نظرة خاطفة من النافذة، محاولة تحديد موقع كهنة المعبد. لم تتمكن من رؤيتهم، واشتبهت في أنهم شقوا طريقهم أسفلها بالقرب من أبواب المعبد، بحثاً عن طريق مباشر أسفل السلام.

أشار الواعظ بيده اليمنى إلى رأس المرأة العجوز، وصرخ: «أنتم العون الوحيد المتبقي! لقد كنتم متمردين، جلبتم الرياح الجافة التي لا تطهر ولا تبرد. أنتم تحملون عبء صحرائنا، ومن هناك تأتي الزوبعة، من تلك الأرض الرهيبة. كنتُ في تلك البرية، حيث يجري الماء فوق الرمال من القنوات المحطمة، وتندفق الجداول فوق الأرض، وتسقط الأمطار من السماء على حزام كثيب. يا أصدقائي، لقد أمرني الرب؛ شق طريقاً رئيساً في الصحراء من أجل مولانا، لأنني أنا الصوت الآتي إليكم من البرية.»

أشار بإصبعه المتصلب والمرتجف إلى الدرجات تحت

قدميه: «هذه ليست دجديدا ضائعة لم تعد مأهولة إلى الأبد! هنا أكلنا خبز السماء. وهنا علا ضجيج الغرباء يُخرجنا من بيوتنا! ينتجون لنا خراباً، أرضاً لا يسكنها إنسان ولا يمر بها بشر».

تحرك الحشد، من اللاجئيين وفر من المدينة، باضطراب بينما يحدقون حولهم، وينظرون إلى الحجاج الذين وقفوا وسطهم.

فكرت عالية: قد يتسبب في اندلاع أعمال شغب دموية! حسناً، دعيه. يستطيع كهنتي أن يمسكوا به في أثناء الهرج والمرج.

ثم رأت الكهنة الخمسة، مجموعة متراسة من الأردية الصفراء، يهبطون الدرجات خلف الواعظ.

قال الواعظ وهو يلوح بذراعيه: «المياه التي سكبتها على الصحراء تحولت إلى دماء. دماء على أرضنا! انظروا إلى صحرائنا التي كان يمكن أن تكون مورقة ومزدهرة. استدرجت الغريب وأغوته في وسطنا. يأتون طلباً للعنف! وجوههم مقنعة لا تبوح بأي شيء كأنها ريح كرايزيك الأخيرة! يجمعون غنائم الرمال. يستنزفون ثرواتها، الكنز المختبئ في الأعماق. انظروا إليهم وهم يمضون في شرورهم. إنه مكتوب: (ووقفت على الرمال، ورأيت وحشاً ينبثق من تلك الرمال، وعلى رأس ذلك الوحش كان اسم الرب!)»

علت تمتمات غاضبة من الحشد. ارتفعت القبضات
واهتزت.

همس فارادين: «ماذا يفعل؟»

قالت عالية: «ليتني أعرف». وضعت يدها فوق صدرها،
وشعرت بتوتر ممزوج بالخوف من هذه اللحظة. سينقلب
الحشد على الحجاج إن واصل هذا!

لكن الواعظ دار نصف استدارة، ووجهه محجريه
الهامدين نحو المعبد، ورفع يده مشيراً إلى النوافذ الشاهقة
حيث مقر عالية. صرخ: «يبقى كفر واحد! كفر! واسم
هذا الكفر عالية!»

خيم صمت مذهول على الساحة.

وقفت عالية متجمدة في مكانها، لا تستطيع الحركة من
فرط الذعر، كانت تعلم أن العامة لا يمكنهم رؤيتها، لكنها
شعرت بإحساس الفضيحة والضعف يغمرها. تعارضت
أصداء الكلمات المهدئة داخل رأسها مع دقات قلبها
المتسارعة. كان بإمكانها فقط التحديق إلى تلك اللوحة
الحية المدهشة. ظل الواعظ يشير بيده إلى نوافذها.

لكن في تلك اللحظة تجاوزت كلمات الواعظ حدود صبر
الكهنة. اخترقوا الحشد بصيحات غاضبة، وهاجموا الدرج
متدافعين ومزيجين الناس جانباً. مع تحركهم، تفاعل
الحشد، وتدافعوا مثل موجة تعلو فوق السلام، مكتسحين
الصفوف الأمامية من المتفرجين، ودفعوا الواعظ أمامهم.

تعثر الواعظ بتهور، وانفصل عن مرشده الشاب. ثم ظهرت ذراع ترتدي الأصفر من بين الجموع، ملوحة بسكين في الهواء. شاهدت عالية السكين وهي تهوي للأسفل، وتنغرس في صدر الواعظ.

أفاقت عالية من صدمتها على صوت الجلبة المدوية لإغلاق أبواب المعبد الضخمة. كان من الواضح أن الحراس قد أغلقوا الأبواب في وجه الغوغاء. لكن الناس بدؤوا فعلاً بالتراجع، مخلفين مساحة مفتوحة حول جسداً ملقى على الدرجات. خيم هدوء غريب على الساحة. رأت عالية جثثاً كثيرة، لكن هذا الجسد بالذات كان ممدداً بمفرده.

ثم صرخ صوت بين الجموع: «المؤدب! قتلوا المؤدب!»

ارتجفت عالية: «بحق الآلهة، بحق الآلهة».

قالت چيسیکا: «فات الأوان قليلاً على ذلك، ألا

تعتقدين؟»

دارت عالية، وقد لاحظت ردة فعل فارادين المدعورة

المفاجئة، والغضب يتطاير من وجهها.

صرخت عالية: «لقد قتلوا پول. إنه ابنك! هل تدركين

ماذا سيحدث عندما يتأكدون من ذلك؟»

وقفت چيسیکا متجمدة في مكانها مدة طويلة، وهي

تفكر في أنها قد علمت للتو بشيء كانت تعرفه بالفعل.

وضع فارادين يده على ذراعها متجاوزاً هول اللحظة. وقال: «سيدتي»، وكان في صوته شفقة بالغة لدرجة أن چيسيكا شعرت أنها قد تموت منها في التو واللحظة. انتقلت نظراتها من الغضب البارد الصارخ على وجه عالية إلى البؤس المتعاطف على ملامح فارادين، وفكرت: ربما أدت عملي مع فارادين على أكمل وجه.

لا شك في صدق كلمات عالية. تذكرت چيسيكا كل نبرة في صوت الواعظ، وسمعت فيها حيلها الخاصة، سنوات طويلة قضتها في تعليم وتوجيه شاب كان من المفترض أن يصبح إمبراطوراً، والآن يرقد كومة ممزقة من الخرق الدموية على درجات المعبد.

فكرت چيسيكا: لقد أعمتني الغفلة*.

أشارت عالية إلى أحد مساعديها قائلة: «أحضروا غنيمة الآن». أجبرت چيسيكا نفسها على استيعاب هذه الكلمات. غنيمة؟ لماذا غنيمة الآن؟

استدار المساعد نحو الباب الخارجي مشيراً بيده ليفتح، لكن قبل أن ينبس بينت شفة، اندفع الباب إلى الداخل، وانفجرت مفاصلاته. انهار العمود وتهاوى الباب، الهيكل الضخم من الفولاذ المصمم لتحمل طاقات وقوى هائلة، إلى داخل الغرفة. قفز الحراس جانباً لتفاديه، مستلين أسلحتهم.

أحاط الحراس بچيسيكا وفارادين أمير كورينو.

لكن الفجوة التي خلفها الباب المنهار كشفت عن طفلين فقط: غنيمة على اليسار، مرتدية عباءة الخبطة السوداء، وليتو على اليمين، ببذلة التقطير الرمادية الناعمة تحت رداء أبيض ملطخ برمال الصحراء.

حدقت عالية من الباب المنهار إلى الطفلين، وشعرت بالرعدة تسري في جسدها رغماً عنها.

قال ليتو: «العائلة هنا لتحيتنا. جدتي». أوماً برأسه إلى چيسيك، ثم حول انتباهه إلى أمير كورينو. «ولا بد أن هذا الأمير فارادين. مرحباً بك في أراكس، يا أمير».

بدت عينا غنيمة فارغتين. أبقّت يدها اليمنى فوق السكين العاجية على خصرها، وبدأ أنها تحاول التملص من قبضة ليتو فوق ذراعها. هز ليتو ذراعها ورجف جسدها كله مع اهتزاز ذراعها.

قال ليتو: «انظروا إليّ، يا عائلي. أنا آري، أسد آريديز. وهنا...». مرة أخرى هز ذراع غنيمة بقوة وسهولة جعلت جسدها كله يرتعش. «هنا آريا، لبوة آريديز. أتينا حتى نضعكم على سيشر نبيو، الصِّرَاط الذهبي».

شعرت غنيمة، وهي تستوعب الكلمات المحفزة، سيشر نبيو، بوعيا المنغلق يسري داخل عقلها. راح يتدفق بلطف خطّي، الوعي الداخلي لأما يحوم هناك خلفها، حارساً عند البوابة، وعرفت غنيمة في تلك اللحظة أنها تغلبت على الماضي الصاحب. كانت تمتلك الآن بوابة يمكنها من

خلالها أن تنظر إلى ذلك الماضي عند الحاجة. شيدت لها
شهور من قمع وعيها من خلال التنويم الذاتي مكاناً آمناً
يمكنها منه ترويض جسدها. بدأت تستدير نحو ليتو شاعرة
بالحاجة إلى شرح ذلك له عندما أدركت أين تقف ومع
من.

حرر ليتو ذراعها.

همست غنيمة: «هل نجحت خطتنا؟»

قال ليتو: «أجل، بالقدر الكافي».

بعد أن تعافت عالية من صدمتها، صرخت في مجموعة من
الحراس على يسارها: «اعتقلوهما!»

لكن ليتو انحنى، وأمسك الباب الساقط بيد واحدة،
ودفعه عبر الغرفة نحو الحراس. اصطدم اثنان منهم
بالجدار. وسقط الآخرون في حالة من الذعر. كان هذا
الباب يزن نصف طن متري، وقد قذفه هذا الطفل.

أدركت عالية، وقد بدأت تستوعب ما يحدث بأن
الممر خلف المدخل يحتوي على حراس مطروحين أرضاً،
وأن ليتو قد تعامل معهم، وأن هذا الطفل قد حطم بابها
المنيع.

رأت چيسیکا أيضاً الأجساد المتساقطة، ورأت القوة
الهائلة في ليتو، واستنتجت النتائج نفسها، لكن كلمات
غنيمة لمست جوهر انضباط بني چيسيرت، وأجبر چيسیکا

على الحفاظ على رباطة جأشها. تحدثت هذه الحفيدة عن خطة.

سألت چيسیکا: «أي خطة؟»

قال ليتو: «الصِّرَاطُ الذهبي، خطتنا من أجل إمبراطوريتنا». أوماً برأسه إلى فارادين، وأكمل: «لا تحمل لي ضغينة يا ابن العم. أنا أيضاً أتصرف لصالحك. كانت عالية تمنى أن تقتلك غنيمة. أفضل أن تعيش حياتك بسعادة».

صرخت عالية في حراسها المنكشيين في الممر: «آمركم باعتقالهما!»

لكن الحراس رفضوا دخول الغرفة.

قال ليتو: «انتظريني هنا يا أختي. لدي مهمة بغیضة يجب أن أؤديها». وتحرك عبر الغرفة نحو عالية.

تراجعت عالية بعيداً عنه إلى الزاوية، وجثمت على الأرض، وسحبت سكينها. تلالأت الجواهر الخضراء لمقبضها في الضوء المتسلل من النافذة.

واصل ليتو تقدمه، يدها فارغتان، لكنهما مفرودتان وجاهزتان.

اندفعت عالية بالسكين.

قفز ليتو تقريباً إلى السقف، وضرب بقدمه اليسرى. ارتطمت ركلته برأس عالية في ضربة خاطفة، وقذفها

بعيداً مع علامة دموية على جبهتها. فقدت قبضتها على
السكين التي انزلت فوق الأرضية. اندفعت عالية وراء
السكين، لكنها وجدت ليتو واقفاً أمامها.

ترددت عالية، واستدعت كل ما كانت تعرفه عن
تدريب النبي چيسيريت. هبت عن الأرض، جسدها مرن
ومتوازن.

مرة أخرى انقض ليتو عليها.

انحرفت عالية يساراً لكن كتفها اليمنى ارتفعت وانطلقت
قدمها اليمنى في ركلة يمكنها أن تنزع أحشاء إنسان إن
أصيب بها بدقة.

تلقى ليتو الضربة بذراعه، وأمسك بقدمها، ورفعها منها،
وأرجمها حول رأسه. كانت سرعة دورانها تصدر صوت
وزيز عبر الغرفة بينما كان رداؤها يضرب جسدها.

تفرق الآخرون.

صرخت عالية وصرخت، لكنها استمرت في التأرجح
والدوران حول نفسها حتى صمتت.

قلل ليتو ببطء من سرعة دورانها، وأسقطها برفق على
الأرض حيث تكومت لاهثة.

انحنى عليها ليتو. قال: « كان بإمكانني أن أقذف بك
عبر الجدار. ربما كان ذلك أفضل، لكننا الآن في قلب
الصراع. تستحقين فرصتك.»

اندفعت عينا عالية مسعورتين من جانب إلى آخر.
قال ليتو: «لقد انتصرتُ على تلك الأرواح الداخلية.
انظري إلى غني. هي أيضا تستطيع...».

قاطعته غنيمة: «عالية، أستطيع أن أريك كيف...».

لكن عالية قاطعتها بصرخة مفاجئة: «لا!». ارتفع
صدرها وبدأت الأصوات تتدفق من فيها. كانت الكلمات
غير مترابطة، خليطاً من اللغات والتوسلات: «أرأيت!
لماذا لم تستمعي إلي؟» ومرة أخرى: «لماذا تفعلين هذا؟
ماذا يحدث؟» وصوت آخر: «أوقفهم. أجبرهم على
التوقف».

غطت چيسیکا عينيها وشعرت أن يد فارادين تهدئها.

واصلت عالية صراخها: «سأقتلك!» انطلقت منها شتائم
بذيئة. «سأشرب دمك!» بدأت أصوات بلغات متعددة
تتدفق منها، وكلها مختلطة ومشوشة.

رفع الحراس المحتشدون في الممر الخارجي علامة الدودة
لدرء الشر، ثم أمسكوا بقبضاتهم بجانب آذانهم. كانت
ممسوسة!

وقف ليتو وهو يهز رأسه. خطا إلى النافذة وبثلاث
ضربات سريعة حطم الزجاج المقوى بالكريستال الذي
يُفترض أنه لا يمكن كسره من إطاره.

ظهرت نظرة خبيثة على وجه عالية. سمعت چيسیکا

شيئاً يشبه صوتها يخرج من ذلك الفم الملتوي، في محاكاة
ساخرة لتحكم البني چيسيريت: «كلكم! ابقوا حيث أنتم!»
أخفضت چيسیکا يديها ببطء، واكتشفت أنهما مبللتان
بالدموع.

زحفت عالية على ركبتيها وتمايلت وهي تحاول الوقوف.
سألت: «ألا تعرفون من أنا؟» كان صوتها القديم،
الصوت العذب والإيقاعي لعالية الشابة التي لم يعد لها
وجود. «لماذا تنظرون جميعاً إليّ بهذه الطريقة؟» نظرت
بعينين ثوسلان الرحمة إلى چيسیکا. «أمي، اجعلهم
يوقفوه».

لم تستطع چيسیکا سوى أن تهز رأسها يمينا ويساراً،
مشلولة بالرعب. كانت جميع تحذيرات البني چيسيريت
القديمة صحيحة. نظرت إلى ليتو وغني الذين يقفان
متجاورين بالقرب من عالية. ماذا تعني تلك التحذيرات
لهذين التوأمين المسكينين؟

قال ليتو بصوت مليء بالرجاء: «جدتي، هل يجب أن
نعقد محاكمة استحواذ؟»

ردت عالية بصوت غليظ، صوت رجل متدمر
ومتعجرف، مغرق في الشهوانية: «من أنت حتى تتحدث
عن المحاكمة؟»

عرف ليتو وغنيمة الصوت جيداً. كان صوت البارون

هاركونن العجوز. سمعت غنيمة الصوت يتردد في رأسها،
لكن البوابة داخلها كانت مغلقة ومنيعة، وكانت تشعر
بوجود والدتها هناك تحرسها.

ظلت چيسیکا صامته.

قال ليتو: «إذن القرار قراري. والخيار لك يا عالية.
محاكمة استحواذ، أو...». أشار نحو النافذة المفتوحة.

وجهت عالية سؤالها بصوت البارون العجوز: «من أنت
حتى تُخَيِّرني؟!»

صرخت غنيمة: «أيها الشيطان! دعها تختار بنفسها!»

ناشدت عالية بنبرات طفلة صغيرة: «أمي. أمي، ماذا
يفعلون؟ ماذا تريدون مني أن أفعل؟ ساعديني.»

أمر ليتو: «ساعدني نفسك»، ولبرهة قصيرة، لمح في عينيها
شظايا وجود عمته، يشع يأساً ملتبهاً قبل أن يختفي. لكن
جسدها تحرك كأنه عصا، ومشى مدفوعاً إلى الأمام.
تأرجح وتعثرت، تنحرف عن مسارها ثم تعود إليه، وتقرب
أكثر فأكثر من النافذة المفتوحة.

جأر صوت البارون العجوز من بين شفيتها: «توقفي!
توقفي، أقول! أنا أمرك! توقفي عن ذلك! اشعري بهذا!»
أمسكت عالية برأسها، وتعثرت مقتربة أكثر من النافذة.
اتكأت على عتبة النافذة بركبتها حينها، بينما استمر الصوت
بالهذيان: «لا تفعلي هذا! توقفي عن ذلك وسأساعدك.

لدي خطة. اسمعي إلي. أقول لك، توقفي. انتظري!»
لكن عالية سحبت يديها بعيداً عن رأسها، وأمسكت بإطار
النافذة المكسور. وفي حركة سريعة، دفعت نفسها فوق
العتبة واختفت. لم يسمع لها صوت وهي تهوي من هذا
العلو.

في الغرفة سمعوا صرخات الحشد، وصوت الارتطام
المكتوم حين اصطدمت عالية بالدرجات البعيدة بالأسفل.

نظر ليتو إلى چيسیکا: «قلنا لك أن تشفقي عليها»

استدارت چيسیکا، ودفنت وجهها في سترة فارادين.

إن الاقتراض القائل بإمكانية تحسين نظام بأكله عبر التدخل في عناصره الواعية ينم عن جهل خطر. هذا النهج الجاهل كان دائماً مسلك من يسمون أنفسهم علماء وتقنيين.

- الجهاد البطلري (خرق العادة).

قالت غنيمه: «هو يركض يا ابن العم. هل رأيت يركض؟»

قال فارادين: «لا».

انتظرا معاً غنيمه وفارادين خارج قاعة الاستقبال الصغيرة في الحصن حيث دعاهما ليتوا إلى الحضور. وقف تيكانيك جانباً منزجاً من وجود الليدي چيسيك، التي بدت منعزلة، كما لو أن عقلها يعيش في مكان آخر. لم تمر سوى ساعة على تناول الوجبة الصباحية، وقد حدثت بالفعل أمور عديدة -إرسال استدعاء إلى النقابة، ورسائل إلى تشوم ومجلس اللاندراد.

وجد فارادين صعوبة في فهم آل آتريديز هؤلاء. حذرتة الليدي چيسيك، لكن كانت هناك حقيقة ما زالت تحيره. ما زالوا يتحدثون عن الخطبة، رغم أن معظم الأسباب السياسية لها بدت كأنها تلاشت. ليتو سيتولى العرش؛ لا يوجد شك في ذلك. يجب إزالة جلده الحي الغريب بالطبع.. لكن في الوقت المناسب..

قالت غنيمه: «يركض حتى يُجهد نفسه. إنه تجسيد

الكراليزيك. لم تجر ریح قط كما يجري. إنه كالبرق فوق الكشبان الرملية. رأيتہ. یركض ویركض. وعندما یركض قواه أخيراً، يعود ویتوسد برأسه حضي. ویتوسل: (اطلي من أمانا أن تجد طريقة لي حتى أموت)».

نظر فارادين إليها بإمعان. في الأسبوع الذي تلا أحداث الفوضى في الساحة، انتقلت أجواء الحصن إلى إيقاعات غريبة، حيث كان الناس يأتون ويذهبون بطريقة غامضة، وصلته إشاعات عن معارك ضارية خارج الأسوار الدفاعية من خلال تيكانيك، الذي طلب منه مشورته الحربية.

قال فارادين: «لا أفهمك! أن تجد طريقة له حتى يموت؟»

قالت غنيمه: «طلب مني أن أجهزك». لم تكن هذه المرة الأولى التي تُصدم فيها غنيمه بسداجته العجيبة. هل كان ذلك من فعل چيسیکا أم خاصية متأصلة فيه؟

«تجهزينني لماذا؟»

قالت غنيمه: «لم يعد ليتو بشراً. أمس سألته متى سيزيل الجلد الحي؟ لن يحدث ذلك أبداً. لقد أصبح جزءاً منه الآن، وهو جزء منه. ويتوقع ليتو أن يعيش ربما أربعة آلاف سنة أخرى قبل أن يؤدي تحوله إلى هلاكه».

حاول فارادين ابتلاع ريقه الجاف.

سألت غنيمة: «هل تفهم لماذا يركض؟»

«ولكن إن عاش طويلاً وهو بهذه الحالة..».

«ذلك لأن ذاكرته الإنسانية لا تزال حية في داخله. تأمل في كل تلك الأرواح يا ابن عمي. لا، لا يمكنك أن تتصور ماهيتها لأنك لم تجربها. لكنني أعرف. يمكنني أن أتخيل معاناته. إنه يقدم توضيحات أكبر مما قدمها أي شخص من قبل. لقد سار والدنا في الصحراء محاولاً الفرار من هذا المصير. وأصبحت عالية شُنة بسبب خوفها منه. جدتنا تمتلك ذكري طفولية غامضة عن هذه الحالة فحسب، ومع ذلك، عليها أن تستخدم كل مهارات البني چيسيريت للتكيف معها - وهذا يعادل في النهاية تدريب أم موقرة. أما ليتو، فهو وحيد تماماً في هذا الأمر، ولن يتكرر مثله أبداً».

شعر فارادين بالذهول من كلماتها. إمبراطور لأربعة آلاف سنة؟

قالت غنيمة وهي تنظر إلى جدتها: «چيسیکا على علم بذلك. أخبرها الليلة الماضية. يقول إنه أول مُخَطَّط استراتيجي حقيقي في تاريخ البشرية».

«ما الذي.. يخطط إليه؟»

«الصِّرَاطُ الذهبي؛ سوف يشرحه لك لاحقاً».

«ولديه دور لي في هذه.. الخطة؟»

قالت غنيمة: «لأنك خليلي. سيدير بنفسه برنامج تناسل

الأخوية. أنا واثقة أن جدتي أطلعتك على حلم النبي
چيسيريت بإنجاب ذكر موقر له قدرات خارقة. إنه...»
«تقصدین أننا سنكون فقط...»

«ليس فقط». أخذت ذراعه، واعتصرتها بألفة
دافئة: «سيكون لدينا مهام جسام عديدة. طالما لا تنجب
الأطفال».

قال فارادين وهو يحمر ذراعه من قبضتها: «لكنك ما
زلت فتاة صغيرة».

قالت: «لا ترتكب هذا الخطأ مرة أخرى». كان هناك
برودة جليدية في نبرتها.

جاءت چيسیکا إليهما برفقة تيكانيك.

قالت چيسیکا: «أخبرني تيك أن القتال قد انتشر خارج
الكوكب. المعبد المركزي في بياريك تحت الحصار».

ظن فارادين أنها كانت هادئة بشكل غريب عند إبلاغها
بهذا. راجع التقارير مع تيكانيك خلال الليل. انتشر التمرد
كالنار في الهشيم في أرجاء الإمبراطورية. سوف يُنحَد،
بالطبع، لكن أمام ليتو إمبراطورية بأسة لاستردادها.

قالت غنيمه: «ها هو ذا ستيلجار الآن. كانوا ينتظرونه».
ومرة أخرى أمسكت ذراع فارادين.

كان النائب الفرمني العجوز قد دخل من الباب البعيد
برفقة اثنين من رفاقه من مغاوير الموت من أيام الصحراء

الغابرة. كانوا جميعاً يرتدون ملابس رسمية سوداء مع
أشرطة بيضاء وعصابات رأس صفراء للحداد. تقدموا
بخطوات ثابتة، لكن ستيلجار أبقى انتباهه على چيسيكاً.
توقف أمامها، وأوماً برأسه بحذر.

قالت چيسيكاً: «أرى أنك ما زلت قلقاً بشأن وفاة
دانكن آيداهو». لم يعجبها هذا الحذر في صديقها القديم.

قال: «أيتها الأم الموقرة».

فكرت چيسيكاً: إذا سيكون الأمر بتلك الطريقة! رسمياً
ووفقاً لقانون الفرمن، مع وجود دم بينهما يصعب محوه.

قالت: «من وجهة نظرنا، لعبت يا ستيلجار دوراً كلفك
به دانكن. ليست المرة الأولى التي يضحى فيها رجل بحياته
من أجل آل آترديز. لماذا يفعلون ذلك يا ستيل؟ كنت
مستعداً لها أكثر من مرة. لماذا؟ هل لأنك تعرف مقدار
ما يقدمه آل آترديز في المقابل؟»

قال: «أنا ممتن لأنك لا تسعين وراء الانتقام. لكن هناك
أمور عليّ مناقشتها مع حفيدك. قد تبعدنا هذه الأمور
عنكم إلى الأبد».

سألت غنيمه: «هل تقصد أن تبرن يدينوا له بالولاء؟»
«أحتفظ بحكمي إلى نفسي». نظر بيروود إلى غنيمه.
وقال: «لا يعجبني ما أصبح عليه الفرمن. سنعود إلى
الأساليب القديمة. دونكم إن لزم الأمر».

قالت غنيمة: «ربما لبعض الوقت، لكن الصحراء تحتضر
يا ستيل. ما الذي ستفعله حين تنفق الديدان وتختفي
الصحراء؟»

«لا أصدق ذلك!»

قالت غنيمة: «في غضون مئة عام، لن يتبقى أكثر
من خمسين دودة، وستكون ضعيفة ومحتجزة في محميات
مُدارة بعناية. سيكون الاسپايس الذي ينتجونه حكراً على
نقابة الفضاء فقط، والتمن...». هزت رأسها: «لقد رأيت
تقديرات ليتو. جال الكوكب بأسره. هو يعلم الحقيقة.»

«هل هذه خدعة أخرى لجعل الفرمن تابعين لكم؟»

سألت غنيمة: «متى كنت تابعي؟»

عبس ستيلجار. بغض النظر عما قاله أو فعله، يلقي هذان
التوأمان دوماً اللوم عليه!

اندفع ستيلجار قائلاً: «أخبرني الليلة الماضية عن هذا
الصِّراطِ الذهبي. لا يروق لي!»

قالت غنيمة وهي تنظر إلى جدتها: «هذا غريب. معظم
الإمبراطورية سترحب به.»

تمم ستيلجار: «بتدميرنا جميعاً.»

قالت غنيمة «لكن الجميع يتوق إلى العصر الذهبي. أليس
كذلك يا جدتي؟»

وافقتها چيسيكاً: «الجميع».

قالت غنيمه: «يتوقون إلى الإمبراطورية الفرعونية التي سيعطيها ليتو لهم. يتوقون إلى سلام مزدهر مع حصاد وفير، وتجارة رائجة، والمساواة بين الجميع باستثناء الحاكم الذهبي».

اعترض ستيلجار: «هذا سيعني نهاية الفرمن».

«كيف تقول ذلك؟ ألا نحتاج إلى جنود ورجال شجعان لمواجهة أي تمرد عرضي؟ ستكون أنت ورجال تيك الأشاوس تحت ضغط شديد للتصدي لهذه المهمة».

نظر ستيلجار إلى ضابط الساردوكار، وتبادلا نظرات تفاهم غامضة.

ذكرتهم چيسيكاً: «وسيتحكم ليتو في الاسپايس».

قالت غنيمه: «سيسيطر عليه بكل تأكيد».

لاحظ فارادين، الذي كان يستمع بالوعي الجديد الذي علمته چيسيكاً إياه، التمثيلية المعدة مسبقاً بين غنيمه وجدتها.

قالت غنيمه: «سيدوم السلام ويدوم ويدوم. ستمحي ذاكرة الحروب من الوجود. سيقود ليتو البشرية عبر بستان خصب مدة أربعة آلاف عام على الأقل».

نظر تيكانيك إلى فارادين بتساؤل، وتنح.

قال فارادين: «نعم يا تيك؟»

«أود أن أتحدث معك على انفراد، يا أميري».

ابتسم فارادين مدرِّكًا السؤال الذي يدور في ذهن تيكانيك العسكري، وعلم أن هناك اثنين آخرين على الأقل من الحضور أدركوا أيضًا هذا السؤال. قال فارادين: «لن أبيع الساردوكار».

قالت غنيمة: «لا حاجة إلى ذلك».

سأل تيكانيك: «هل تسمع إلى هذه الطفلة؟» كان غاضبًا. فهم النائب العجوز عندها المشكلات التي يثيرها كل هذا التآمر لكن لم يعرف أحد شيئًا واحدًا عن الوضع!

ابتسمت غنيمة بتجهم وقالت: «أخبره يا فارادين».

تنهد فارادين مدرِّكًا غرابة هذه الفتاة التي تجاوزت طفولتها بمراحل. تخيل حياته الزوجية معها، حياة مليئة بالتحفظات الخفية على كل فعل حميمي بينهما. لم يكن الأمر مغريًا إطلاقًا، لكنه بدأ يقبل حتمية هذا المصير. السيطرة المطلقة على إمدادات الاسپايس الآخذة في التضاؤل! لا شيء سيتحرك في العالم دون الاسپايس.

قال فارادين: «لاحقًا، يا تيك».

«لكن...».

«قلت، لاحقًا!»، لأول مرة، استخدم الصوت على

تيكانيك الذي رمش بدهشة، والتزم الصمت.

ابتسمت جيسكا ابتسامة مشدودة.

تمم ستيلجار: «يتحدث عن السلام والموت في آن واحد.
العصر الذهبي!»

قالت غنيمه: «سيقود البشرية عبر عبادة الموت إلى حرية الحياة الخصبه! يتحدث عن الموت لأنه ضروري، يا ستيل. الموت هو ما يجعل الأحياء يدركون أنهم على قيد الحياة. وعندما تسقط إمبراطوريته.. أوه، نعم، ستسقط. قد تظن أن ما يحدث الآن هو الكرايزيك، لكن الكرايزيك لم يأت بعد. وعندما يأتي، سوف ينعش البشر ذاكرتهم عما يعنيه أن يكون المرء على قيد الحياة. ستستمر تلك الذاكرة ما دام هناك إنسان واحد على قيد الحياة. ستمر بالبوتقة مرة أخرى يا ستيل، وسننهض منها، نحن دائماً نهض من رمادنا.. دائماً».

فهم فارادين، عند سماع كلماتها، ما قصدته بإخباره عن ركض ليتو. لن يكون بشراً.

لم يقتنع ستيلجار بعد، جأز: «لا مزيد من الديدان».

أكدت له غنيمه: «أوه، الديدان ستعود. سموت الديدان جميعها في غضون مئتي عام، لكنها ستعود».

«كيف..» قطع ستيلجار حديثه.

شعر فارادين أن عقله غارق في الاكتشافات المتتالية.

كان يعرف ما ستقوله غنيمة قبل أن تتحدث.

قالت غنيمة: «بالكاد ستنجو النقابة خلال السنوات العجاف، ولن يكون ذلك إلا بفضل مخزونها ومخزوناتنا. لكن ستكون هناك وفرة بعد الكرايزيك. ستعود الديدان بعد أن يذهب أخي إلى الرمال».

كما هي الحال مع كثير من الديانات الأخرى، تحول إكسير الحياة الذهبي للمؤدب إلى سحر خارجي. أصبحت علاماته الروحية مجرد رموز لعمليات نفسية أعمق. وقد تنامت هذه العمليات بلا قيود طبعاً. ما كانوا بحاجة إليه هو إله حي، ولم يكن لديهم واحد، حتى جاء ابن المؤدب وصحح الوضع.

- مقولة منسوبة إلى لو تونغ بين (لو، ضيف الكهف).

جلس ليتو على عرش الأسد ليقبل ولاء القبائل. وقفت غنيمة إلى جانبه على بعد خطوة واحدة. استمر الاحتفال في القاعة الكبرى ساعات. مر مندوبو القبائل الفرمنية ونوابها واحدة تلو الأخرى أمام ليتو. حملت كل مجموعة هدايا تليق بإله قوي ومرعب، إله الانتقام الذي وعدهم بالسلام.

أجبرهم ليتو في الأسبوع السابق على الخضوع له باستعراض قوته أمام مجلس عريفة جميع القبائل. شاهده القضاة وهو يعبر حفرة من النار ويخرج منها دون أذى، مثبتاً لهم أن جلده خالٍ من العلامات بدعوتهم لفحص جسده من كذب. أمرهم بطعنه بالسكاكين، وقد غطى الجلد الذي لا يمكن اختراقه وجهه فيما كانوا يحاولون جرحه دون جدوى. تدفقت الأحماض منه مع سخابة خفيفة من الدخان، ولم يكن هناك أكثر من ذلك! تناول سمومهم وسخر منها.

في النهاية استدعى دودة، ووقف في مواجهة فيها. ثم انتقل إلى ساحة الهبوط في أراكين، حيث أسقط بجرأة ترتقي إلى الوقاحة إحدى فرقاطات النقابة برفع إحدى زعانف هبوطها.

أبلغ مجلس العريفة عن كل هذه الأحداث برهبة مخيفة، والآن جاء مندوبو القبائل حتى يؤكدوا رضوخهم له.

تمتص القباب العالية للقاعة الكبرى الأصوات الحادة بفضل أنظمة كتم الصوت المتقنة، لكن حفيف الأقدام المتحركة ظل يتسلل إلى الأذن، مملأً بغبار الصحراء ورائحة حجر الصوان الآتية من العراء.

راقبت چيسيك، التي رفضت الحضور، من خلف العرش عبر فتحة تجسس كبيرة. لفت انتباهها فارادين وأدركت أن الأخوين قد تفوقا عليها وعلى فارادين في الدهاء. لقد أدرك ليتو وغنيمه خطة الأخوية بالفعل! يمكن للتوأمين أن يستشيرا في داخلهما مجموعة من البني چيسيريت أعظم من جميع اللاتي يعشن الآن في الإمبراطورية.

كانت تشعر بالمرارة لا سيما من الطريقة التي حاصرت بها أساطير الأخوية عالية. خوف مبني على خوف! ووسمتها العادات المتوارثة عبر الأجيال بمصير الشنعة. لم تعرف عالية الأمل قط. لذا استسلمت. جعل مصير عالية مواجهة إنجازات ليتو وغنيمه أكثر صعوبة. لم يكن هناك مخرج واحد من فخ الشنعة، بل مخرجان. كان انتصار غنيمه على

الصراع الداخلي وإصرارها على أن عالية لا تستحق سوى الشفقة من أمر الأشياء التي تجرعتها چيسيكًا. أنقذ غنيمة التنويم الذاتي والتحالف مع سلف طيب؛ أمها تشاني. ربما كان بوسعهم إنقاذ عالية أيضًا. لكن دون أمل، لم يحاولوا فعل شيء حتى فوات الأوان. انسكب ماء عالية فوق الرمال.

تنهدت چيسيكًا، وحولت انتباهها إلى ليتو الجالس على العرش. احتلت جرة عملاقة هرمية الشكل تحتوي على ماء المؤدب مكانًا شرفيًا بجوار مرفقه الأيمن. تفاخر أمام چيسيكًا بأن أباه داخله ضحك على هذه البادرة رغم إعجابه بها.

أكدت هذه الجرة والتباهي عزمها على عدم المشاركة في هذه الطقوس. طوال حياتها، عرفت أنها لن تقبل أبدًا أن يتحدث پول من خلال فم ليتو. ابتهجت لنجاة آل آتريديز، لكن الأشياء التي كان من الممكن أن تحدث كانت أكثر مما تستطيع تحمله.

جلس فارادين وقد وضع ساقًا فوق الأخرى بجانب جرة ماء المؤدب. كان هذا منصب الكاتب الملكي الذي منحه إياه ليتو مؤخرًا والذي قبله بكل نخر.

شعر فارادين أنه كان يتكيف بشكل جيد مع هذه الحقائق الجديدة، في حين كان تيكانيك لا يزال ساخطًا، متوعدًا بعواقب وخيمة وشيكة. كانت العلاقة بين تيكانيك

وستيلجار مبنية على عدم الثقة، وهو ما بدا أنه يروق لليتو.

خلال ساعات مراسم تقديم الولاء، تقلبت مشاعر فارادين بين الرهبة والملل ثم الرهبة مرة أخرى. كانوا تياراً لا نهاية له من البشر، مقاتلين لا مثيل لهم في الشجاعة. لا يمكن التشكيك في ولائهم المتجدد لآل آتريديز على العرش. وقفوا أمام ليتو في حالة من الرعب الخانع، خائفين تماماً مما نقله إليهم مجلس العريفة.

وأخيراً اقتربت المراسم من نهايتها. وقف النائب الأخير ستيلجار أمام ليتو في «مركز ساقه الجيش الشرفي». وبدلاً من السلال المليئة بالاسپايس أو الجواهر النارية أو أي من الهدايا الباهظة الأخرى التي تكدست حول العرش، قدم ستيلجار عصابة رأس من ألياف الاسپايس المضفورة مزينة بصقر آتريديز بألوانه الذهبية والخضراء.

أدركت غنيمة ذلك، وألقت نظرة خفية إلى ليتو.

وضع ستيلجار عصابة الرأس فوق الدرجة الثانية أسفل العرش، وانحنى. قال: «أقدم لك عصابة الرأس التي كانت ترتديها أختك عندما أخذتها إلى الصحراء لحمايتها».

كتم ليتو ابتسامته.

قال ليتو: «أعلم أنك مررت بأوقات عصيبة يا ستيلجار. هل هناك شيء بين هذه الهدايا الثمينة يمكن أن يعوضك؟» أشار إلى أكوام الهدايا الغالية.

«لا يا سيدي».

قال ليتو: «أقبل هديتك إذن». مال إلى الأمام، ورفع حاشية رداء غنيمة، ومزق منه شريطاً رفيعاً. «في المقابل، أعطيك هذا الجزء من رداء غنيمة، الرداء الذي كانت ترتديه عندما اختطفت من معسكر الصحراوي، ما أجبرني على إنقاذها».

قبل ستيلجار القماش بيد مرتجفة: «هل تسخر مني يا سيدي؟»

«أسخر منك؟ أقسم باسمي يا ستيلجار، لن أسخر منك أبداً. أعطيتك هدية دون ثمن. أنا أوصيك أن تحملها دائماً بجانب قلبك، تذكيراً بأن الخطأ من شيم البشر، وأن القادة ليسوا إلا بشرًا».

أفلت ضحكة مكتومة خافتة من ستيلجار: «أي نائب كنت ستصبحه!»

«أي نائب أكون! أنا نائب النواب. لا تنس ذلك!»

«كما تقول يا سيدي». بلع ستيلجار ريقه متذكراً تقرير مجلس العريفة. وفكر في نفسه: فكرت في قتله سابقاً. الآن فات الأوان. سقطت نظرتة على الجرّة، كانت من ذهب داكن فاخر يعلوه غطاء أخضر. «هذا ماء قبيلتي».

قال ليتو: «ومائي. أمرك أن تقرأ النقش على جانبها. اقرأه بصوت عالٍ حتى يسمعه الجميع».

ألقى ستيلجار نظرة مستفسرة إلى غنيمة التي ردت برفع
ذقنها ببرود، سرت قشعريرة عبر جسد ستيلجار. هل كان
عفريتاً آتريديز هذان عازمين على إرغامه على مواجهة عاقبة
تهوره وأخطائه؟

قال ليتو مشيراً إلى الجرة: «اقرأ».

صعد ستيلجار الدرج ببطء، وانحنى لينظر إلى الجرة. ثم
قرأ بصوت عالٍ: «هذا الماء هو الجوهر المطلق، مصدر
الإبداع المتدفق إلى الخارج. وعلى الرغم من سكونه، فهو
أساس كل حركة».

همس ستيلجار: «ماذا يعني هذا يا سيدي؟» شعر بالرهبة
من الكلمات، وقد لمست داخله، في بقعة لا يستطيع
فهمها.

قال ليتو: «جسد المؤدب قشرة جافة مثل تلك التي
تهجرها حشرة. أتقن العالم الداخلي واحترق العالم الخارجي،
وهذا أدى إلى كارثة. ثم أتقن العالم الخارجي واستبعد
العالم الداخلي، وسلم ذريته إلى الشياطين. سوف يختفي
الإكسير الذهبي من كتيب، ومع ذلك تستمر بذرة
المؤدب، ومياهه تحرك عالمنا».

أطرق ستيلجار رأسه، فقد كانت الأمور الروحية تُربكه
دائماً.

قال ليتو: «البداية والنهاية واحدة. أنت تعيش في الهواء،
ولكن لا تراه. انتهت مرحلة، ومن نهايتها تنمو بداية

نقيضها. وهكذا، سيأتي الكرايزيك. كل شيء يعود لكن متغيراً. شعرت بأفكار في رأسك. وسيشعر أحفادك بأفكار في بطونهم. ارجع إلى سييتش تبر يا ستيلجار. سينضم إليك جيري هاليك هناك مستشاراً لي في مجلسكم».

«ألا ثق بي يا سيدي؟» كان صوت ستيلجار خافتاً.

«ثقتي بك كاملة وإلا لما أوفدت جيرني إليك. سيشرع في تشكيل القوات الجديدة التي سنعتمد عليها قريباً. أقبل تعهدك بالولاء، يا ستيلجار. يمكنك الانصراف».

انحنى ستيلجار، وتراجع عن الدرجات، واستدار وغادر القاعة. تبعه النواب الآخرون متخذين خطوة إلى الخلف وفقاً لمبدأ الفرمن القائل بأن «الأخير يجب أن يكون الأول». كانت همسات استفساراتهم تتردد في القاعة في أثناء مغادرتهم.

«ما الذي دار بينكما هناك، يا ستيل؟ ماذا تعني تلك الكلمات عن ماء المؤدب؟»

تحدث ليتو إلى فارادين: «هل دونت كل ذلك، أيها الكاتب؟»

«نعم يا سيدي».

«أخبرتني جدتي أنها دربتك جيداً على تقنيات الاستذكار الخاصة بالبني چيسيريت. هذا جيد. لا أريدك أن تكتب بجانبني».

« كما تأمر يا سيدي ».

قال ليتو: « تعال وقف أمامي ».

أطاع فارادين، ممتناً أكثر من أي وقت مضى لتدريب
چيسيك. عندما تقبل حقيقة أن ليتو لم يعد بشراً، ولم يعد
يستطيع التفكير كما يفكر البشر، أصبح صراطه الذهبي مخيفاً
أكثر من أي وقت مضى.

نظر ليتو إلى فارادين. كان الحراس بعيدين بما يكفي
لعدم سماع الحديث. وكان مستشارو الإمبراطور يقفون في
مجموعات على أرضية القاعة الكبرى متراجعين إلى ما وراء
الدرجة الأولى. اقتربت غنيمة وأراحت ذراعها على ظهر
كرسي العرش.

قال ليتو: « لم توافق بعد على إعطائي ساردو كارك لكنك
ستفعل ».

قال فارادين: « أنا مدين لك كثيراً لكن ليس إلى هذه
الدرجة ».

« هل تعتقد أنهم لن ينسجموا جيداً مع الفرمن؟ »

« سينسجمون جيداً كما انسجم هذان الصديقان
الجديدان، ستيلجار وتيكانيك ».

« ومع ذلك أنت ترفض؟ »

« أنا في انتظار عرضك ».

«إذًا يجب أن أقدم عرضًا، مع العلم أنك لن تكرر ذلك أبدًا. أدعو أن تكون جدتي قد أعدتك جيدًا، وأنتك مستعد للفهم».

«ما الذي يجب أن أفهمه؟»

قال ليتو: «في كل حضارة، تسود ألغاز، وتبني نفسها كحواجز ضد التغيير، وهذا يترك دائمًا أجيال المستقبل غير مستعدة لغدر العالم. تتشابه هذه الألغاز في كونها تبني حواجز الغموض الديني، وغموض القائد البطل، وغموض المسيح، وغموض العلم والتكنولوجيا، وحتى غموض الطبيعة نفسها. نعيش في إمبراطورية تشكلت حول لغز مماثل، وها هي ذي تتهاوى الآن لأن الأغلبية لا تستطيع التمييز بين الغموض والواقع. كما ترى، الغموض مثل مس الشيطان؛ يميل إلى الاستيلاء على الوعي، حتى يصبح كل شيء بالنسبة إلى المراقب».

قال فارادين: «ألمح حكمة جدتك في هذه الكلمات».

«أحسنت يا ابن العم. سألتني إن كنتُ سُنة. وأجبت بالنفي. كانت تلك خيانتني الأولى. كما ترى، غنيمة نجت من هذا، لكنني لم أفعل. أُجبرت على موازنة الحياة الداخلية تحت ضغط كميات مفرطة من المزاج. كان عليّ أن أسعى إلى تعاون نشط مع تلك الأرواح التي ثور داخلي. وبذلك، تجنبت أكثر الأمور خبيثًا، واخترت مساعدًا مهيمناً فرضه عليّ وعيي الداخلي. كان ذاك المساعد

والذي. في الحقيقة أنا لست أبي أو هذا المساعد. لكنني،
لست أيضاً ليتو الثاني».

«وضح لي ذلك».

قال ليتو: «لديك صراحة لافتة. أنا مجتمع برمته يسيطر
عليه شخص قديم وقوي جداً. كان أباً لسلالة صمدت
ثلاثة آلاف سنة بمقياس سنواتنا. كان اسمه هاروم، وحتى
تدهورت سلالته بسبب الضعف الوراثي وخرافات أحد
أحفاده، عاش رعاياه في سمو متناغم. كانوا يعيشون دون
وعي بتغير الفصول، يربون أجيالاً تميل إلى حياة قصيرة
ومؤمنة بالخرافات، يمكن لملك إله أن يقودهم بسهولة.
كانوا، ككيان واحد، شعباً قوياً، وأصبح بقاؤهم كسلالة
مجرد عادة».

قال فارادين: «لا تعجبني وقع ذلك».

قال ليتو: «ولا أنا حقاً. لكنه العالم الذي سأخلقه».

«لماذا؟»

«لقد تعلمت درساً قيماً في كتيب. جعلنا الموت ينجم
كظلال مهيبة بين الأحياء. وبوجوده، أثر الأموات في
الأحياء. استسلم الناس في هذا المجتمع، وانبطحوا أمام
القدر. لكن حين يحين وقت النهوض، حين يستعيدون
قوتهم، سيصبحون ذوي عظمة وجمال».

اعترض فارادين قائلاً: «هذا لا يجيب عن سؤالي».

«أنت لا تثق بي يا ابن العم».

«لا أنا ولا جدتك تثق بك».

قال ليتو: «ولسبب وجيه. لكنها أذعنت لأنه عليها ذلك. البني چيسيريت عملیات في النهاية. أشاركها وجهة نظرهن عن العالم، كما تعرف. عليك أن ترتدي علامات ذلك العالم، وتحافظ على عادات الحكم، وتصنف كل من حولك على أساس التهديد أو القيمة المحتملة».

«وافقت على أن أكون كاتبك».

«أبهجك ذلك وأثنى على موهبتك الحقيقية، موهبة مؤرخ. لديك عبقرية واضحة في قراءة الحاضر من منظور الماضي. توقعت ما سأفعله في عدة مناسبات».

قال فارادين: «لا أحب تلهيحاتك المبطننة».

«جيد. أتيت من طموح لا متناهٍ إلى إرثك الحالي الأدنى. ألم تحذرك جدتي من اللا-متناهي؟ إنه يجذبنا مثل فيض من الضوء ليلاً، ويعمينا عن التجاوزات التي يمكن أن يفرضها على المحدود».

احتج فارادين: «مأثورات البني چيسيريت!»

قال ليتو: «لكنها أكثر دقة بكثير. اعتقدت البني چيسيريت أن بإمكانهن التنبؤ بمسار التطور. لكنهن تغاضين عن التغييرات التي ستطرأ عليهن في سياق ذلك التطور. اقترضن أنهم سيقفن ثابتهات فيما تتطور خطة تناسلهن».

لا أعاني من عمى التغيير (52) ذاك الذي تعانيه البني
چيسيريت. انظر إليّ بعناية يا فارادين لأنني لم أعد بشراً». «وهذا ما أكدته أختك لي». تردد فارادين ثم قال:
«أنت سُنة؟»

«حسب تعريف الأخوية، ربما. هاروم قاسٍ
واستبدادي. أنا أشاركه قسوته. ميزني جيداً: لدي قسوة
الفلاح، وهذا العالم البشري مزرعتي. احتفظ الفِرمِن
ذات مرة بنسور مروّضة كحيوانات أليفة، لكنني
سأحتفظ بفارادين مروّض».

امتقع وجه فارادين: «حذار من مخالي، يا ابن العم.
أعلم جيداً أن ساردو كاري سوف يسقطون قبل الفِرمِن
خاصتك. لكننا سنلحق بكم ضرراً بالغاً، وهناك ذئاب
تربص الفرصة المواتية للانقضاض على الضعفاء».

قال ليتو: «سأستفيد منك على أكل وجه، هذا ما أعدك
به». مال إلى الأمام، وأكل: «ألم أقل إنني لم أعد بشرياً؟
صدقني يا ابن العم. لن يولد أطفال من صلي لأنه لم يعد
لدي أعضاء تناسلية. وهذه خيانتني الثانية».

انتظر فارادين صامتاً، يتأمل حجة ليتو.

قال ليتو: «سأخالف كل تعاليم الفِرمِن. سيخضعون
لأنهم ليس لديهم خيار آخر. أغريتك بوهم الزواج، لكن
لن يكون هناك زواج بينك وبين غنيمة. ستكون أختي
زوجتي!»

«لكنك...».

«قلت زواجًا. يجب أن تكمل غنيمة نسل آل آترديز. هناك أيضًا مسألة برنامج تناسل البني چيسيريت الذي بات برنامجي الآن».

قال فارادين: «أنا أرفض».

«هل ترفض أن تكون أبا لسلالة آترديز؟»

«أي سلالة؟ ستحكم العرش آلاف السنين».

«وسأشكل ذريتكما في صورتني. سيكون البرنامج التدريبي الأكثر دقة وشمولًا على مر التاريخ. سنكون نظامًا بيئيًا مصغراً. كما ترى، أي نظام تختاره الكائنات الحية للبقاء يجب أن يعتمد على تعاون المجتمعات والاعتماد المتبادل والتصميم المشترك. وهذا النظام سوف يُنتج أكثر الحكام إلمامًا وخبرة على الإطلاق».

«تستخدم كلمات رائعة لوصف شيء بغضب جدًا...».

سأل ليتو: «من سينجو من الكرايزيك؟ أعدك، الكرايزيك آت».

«أنت مجنون! سوف تدمر الإمبراطورية».

«بالطبع سأفعل.. وأنا لست إنسانًا. لكني سأخلق وعيًا جديدًا في الناس جميعًا. أخبرك أن تحت صحراء كثيب مكانًا سرّيًا يحوي أعظم كنز في التاريخ. لا أكذب.

عندما تموت آخر دودة وتُحصَد آخر ذرة من المزاج على رمالنا، ستظهر هذه الكنوز العميقة في جميع أنحاء عالمنا. مع تلاشي قوة احتكار الاسپايس وترك المخزونات الاحتياطية المخفية بصماتها، ستنبثق قوى جديدة في ربوع مملكتنا. حان الوقت لأن يتعلم البشر مرة أخرى كيف يعيشون معتمدين على غرائزهم».

رفعت غنيمة ذراعها من خلف العرش، وعبرت إلى جانب فارادين، وأمسكت بيده.

قال ليتو: «بما أن أمي لم تكن زوجة، فلن تكون زوجاً يا فارادين. لكن ربما ينمو حب بينكما، وهذا يكفي».

قالت غنيمة: «كل يوم، كل لحظة تجلب تغييراً معها. يتعلم المرء من خلال التعرف على تلك اللحظات».

شعر فارادين بدفء يد غنيمة الضئيلة كأنها تمثل له شيئاً ضرورياً. أدرك تقلبات حجج ليتو، ولكن لم يستخدم الصوت مرة واحدة. كان يناشد الشجاعة فيه وليس العقل.

سأل: «هل هذا ما تعرضه عليّ مقابل الساردوكار؟»

«أكثر من ذلك بكثير، يا ابن العم. أقدم الإمبراطورية إلى نسلك. أقدم لك السلام».

«ماذا ستكون نتيجة سلامك؟»

أجاب ليتو بنبرة هادئة وساخرة: «النقيض تماماً»

هز فارادين رأسه. «أجد ثمن ساردو كاري مرتفعاً جداً. هل يجب أن أبقى كاتباً، الأب السري لسلاطتك الملكية؟»

«عليك ذلك».

«هل ستحاول أن تجبرني على عادتك في السلام؟»

«سأحاول».

«سأقاومك كل يوم في حياتي»

«لكن هذا ما أتوقعه منك، يا ابن العم. لهذا السبب اخترتك. سوف أجعل الأمر رسمياً. سأمنحك لقباً جديداً. من الآن فصاعداً، ستُعرف بـ «خرق العادة». هيا يا ابن العم، لا تكن بليداً. أمي علمتك جيداً. أعطني ساردو كارك».

كررت غنيمته: «أعطه إياهم. سيظفر بهم بطريقة أو بأخرى».

سمع فارادين خوفاً عليه في صوتها. الحب إذن؟ لم يطلب ليتو منه شيئاً منطقياً، بل طلب قفزة غريزية. قراراً مبنياً على الحدس. قال فارادين: «خذهم».

قال ليتو: «سأفعل».

نهض ليتو عن عرشه بحركة متقنة ومحسوبة، كأنه يحتفظ بقوته العظيمة تحت سيطرة محكمة. انخفض إلى مستوى غنيمته ودفعها بلطف لتواجه الجهة المقابلة له، ثم استدار

وألصق ظهره مقابل ظهرها.

«لاحظ هذا، يا ابن العم يا خرق العادة. هذه الطريقة التي ستكون بها علاقتنا دائماً. سنقف هكذا عندما نكون متزوجين. الظهر في الظهر، كل منا ينظر إلى الخارج بعيداً عن الآخر لحماية الشيء الوحيد الذي كنا عليه دائماً».

استدار ونظر بسخرية إلى فارادين، وأخفض صوته: «تذكر ذلك، يا ابن العم، عندما تكون وجهاً لوجه مع غنيمة. تذكر أنه عندما تهمس بالحب والكلمات العذبة، عندما تكون منجذباً بشدة إلى عادات سلامي ورضاي، سيظل ظهرك مكشوفاً لي».

بعد أن استدار بعيداً عنهما، سار على الدرج نحو حاشيته المنتظرة، تبعوه كأقمار تدور حول كوكبه، وغادروا القاعة. أمسكت غنيمة بيد فارادين مجدداً، ولكن عينيها ظلتا تحدقان إلى ما وراء الطرف البعيد للقاعة مدة طويلة بعد رحيل ليتو. قالت بصوت خافت: «كان لا بد لأحدنا أن يقبل بالعذاب، وكان ليتو دائماً الأقوى بيننا».

في أثناء كتابتي

كثيب

لم يكن في ذهني مكان للقلق بشأن نجاح الكتاب أو فشله. لم أكن مهتمًا إلا بالكتابة. كانت ست سنوات من البحث قد سبقت اليوم الذي جلست فيه لوضع القصة معًا، وكان تشابك طبقات الحبكة العديدة التي خططت لها يتطلب درجة من التركيز لم أختبرها من قبل.

كان من المفترض أن تكون قصة تستكشف أسطورة المسيح.

كانت من أجل إنتاج رؤية أخرى لكوكب يشغله الإنسان كآلة طاقة.

كانت من أجل اختراق طرائق عمل السياسة والاقتصاد المتشابكة. كان من المقرر أن تكون كثيب استكشافًا للتنبؤ المطلق ومخاطره.

كان من المفترض أن تكون هناك مادة كيميائية تؤثر في الوعي في القصة وتخبّرنا بما يمكن أن يحدث من خلال الاعتماد على مثل هذه المادة.

كان من المفترض أن تكون المياه الصالحة للشرب نظيرًا للنفط، والماء نفسه مادة ينخفض مخزونها كل يوم.

كان من المقرر أن تكون رواية بيئية، إذن مع كثير من الدلالات، وكذلك قصة عن الناس واهتماماتهم بالقيم

الإنسانية، وكان عليّ أن أراقب كل مستوى من هذه المستويات في كل مرحلة في الكتاب.

لم يكن ثمة متسع في رأسي للتفكير في أمور أخرى.

بعد النشر الأول، كانت التقارير الواردة من الناشرين بطيئة، واتضح أنها غير دقيقة. انتقد النقاد كتيب بشدة. وقد رفضها أكثر من اثني عشر ناشراً قبل نشرها. لم يكن هناك دعاية. مع ذلك كان شيء ما يحدث.

لمدة عامين، كنت غارقاً في شكاوى متاجر بيع الكتب والقراء من عدم تمكنهم من الحصول على الكتاب. أشادت به مجلة The Whole Earth Catalog. ظلت أتلقى هذه المكالمات الهاتفية من أشخاص يسألونني حول إن كنت أبدأ طائفة.

الجواب: بحق الرب لا!

ما أصفه هو الإدراك البطيء للنجاح. بحلول الوقت الذي أكملت فيه أول ثلاثة كتب من كتيب، لم يكن ثمة شك في أن هذا كان عملاً مشهوراً - أحد أشهر الكتب في التاريخ كما قيل لي، حيث بيعت نحو عشرة ملايين نسخة منه في جميع أنحاء العالم. الآن السؤال الأكثر شيوعاً الذي يطرحه الناس: «ماذا يعني هذا النجاح بالنسبة إليك؟»

فاجأني النجاح. لم أتوقع الفشل أيضاً. كان عملاً وأنجزته. كتبت أجزاء من مسيح كتيب وذريرة كتيب

قبل اكتمال كتيب. أضفت تفاصيل أكثر في الكتابة، لكن القصة الأساسية ظلت كما هي. كنت كاتبًا، وكنت أكتب. النجاح يعني أنه بإمكانني قضاء مزيد من الوقت في الكتابة.

بالنظر إلى الوراثة، أدرك أنني فعلت الشيء الصحيح غريزيًا. أنت لا تكتب من أجل النجاح. هذا يأخذ جزءًا من انتباهك بعيدًا عن الكتابة. إن أخلصت فيها، فهذا كل ما تفعله: الكتابة.

ثم اتفاق ضمني غير مكتوب بينك وبين القارئ. إن دخل أحدهم إلى متجر بيع كتب، وخصص أموالًا (وطاقة) كسبها بكٍ لشراء كتابك، فأنت مدين لهذا الشخص ببعض الترفيه، وما يزيد على الترفيه بقدر ما تستطيع.

كانت هذه حقًا نيتي طوال الوقت.

(فرانك هيرت)

(1) المتمسكون بعناد بطريقة واحدة محددة للتدريس أو التعلم. (المترجم).

(2) "إكسير الحياة الذهبي" هو مادة أسطورية يقال إنها تمنح الحياة الأبدية أو الخلود لمن يتناولها. وهو مفهوم ظهر في مختلف الثقافات والأساطير، يُعتقد أيضًا أنه يعالج جميع الأمراض، وأنه قادر على تحويل المعادن إلى ذهب.

في سياق سلسلة كتيب، يمكن أن يمثل "إكسير الحياة الذهبي" بشكل مجازي تأثير المؤدب العميق في الإنسانية والقوة التحويلية لتعاليمه. (المترجم).

(3) اسم الشهرة الذي أصبح فارادين كورينو ابن وينسيشيا كورينو، وحفيد الإمبراطور المخلوع شادام الرابع، معروفاً به بعد أن صار الكاتب الرسمي لإمبراطورية آترديز. يعني الاسم حرفياً كسر العادة. (المترجم).

(4) مبارزة لفظية تختبر ذكاء المشاركين وشجاعتهم ومعرفتهم، تتضمن إهانات خفية أو سخرية، بالإضافة إلى إشارات إلى تاريخ الفرمن وثقافتهم ودينهم. (المترجم).

(5) حلقات الماء هي حلقات معدنية تحتوي في داخلها على الماء المعالج من جسد فرمن ميت، ترتدى كأقراط أو زينة للشعر. (المترجم).

(6) نوع من الأبواب يمنع تسرب الرطوبة إلى البيئة الخارجية.

(7) اليرانا بيندو نظام تدريبي للتحكم المطلق في أعصاب الشخص وعضلاته، ويجمع بين التكييف الجسدي والعقلي لتحقيق قدرات خارقة، كان هذا التدريب حجر الأساس لأخوية البني چيسريت.

(8) حالة يمتلك فيها الكائن الحي نسخة واحدة من المادة الوراثية. (المترجم).

(9) في الثقافة الإسلامية ناخغ الصور هو إسرافيل وليس جبريل. (المترجم).

(10) عضو في معهد ديني مسؤول عن تدريب الكهنوت المبتدئين. (المترجم).

(11) جهاز صغير يمكن حمله باليد وينتج عنه شعاع من الطاقة الهائلة التي تدمر كل شيء في طريقها، قادر على تدمير أعين هؤلاء الذين ينظرون إليه مباشرة.

(12) تعبير مجازي. يشير إلى أنه من خلال التخلي عن الطريقة التقليدية (الدرج)، قد ينجح المرء بشكل غير متوقع أو يتقدم (يسقط نحو الأعلى) بطريقة غير تقليدية أو غير متوقعة. إنه يعني أن النجاح يمكن أن يأتي من المخاطرة أو تجربة أساليب مختلفة. تلعب العبارة على مفارقة "السقوط" (عادةً ما يكون حدثاً سلبياً) في الاتجاه "التصاعدي" (الذي يرتبط عادةً بالنجاح أو التحسن). (المترجم).

(13) باللاتينية في الأصل. (المترجم).

(14) الباهادا رواسب مثلثية الشكل من الحصى والرمل والرواسب الأخرى، تسمى الطمي، والتي تتراكم عند قاعدة سلاسل الجبال. وتتشكل عادةً عندما يتباطأ تيار قوي التدفق عند خروجه من وادٍ ضيق ودخوله إلى منطقة أكثر اتساعاً وأكثر استواءً؛ ما يتسبب في انتشار الرواسب التي يحملها واستقرارها في نمط يشبه المروحة. (المترجم).

(15) صفة تجعل الفرد منشغلاً ومنكباً على عالمه الخاص الداخلي. ويعتبر من يتمتعون بهذه الصفة أنفسهم وآراءهم أو اهتماماتهم هي الأكثر أهمية أو إقناعاً. (المترجم).

(16) أوفيد شاعر روماني معروف بعمله "التحولات"، وجون بارتليت كاتب مشهور بكتابه "اقتباسات بارتليت المألوفة"، وهي مجموعة من الاقتباسات الشهيرة، تشير هذه العبارة إلى كيفية اختزال الشخصيات التاريخية والأدبية في مجرد استشهادات أو اقتباسات، منفصلة عن سياقها ومعناها الأصليين. ينعكس هذا على موقف عالية، حيث تُعرض لشظايا من الذاكرة وأصوات دون سياق، غير قادرة على فهم المعنى الكامل. (المترجم).

(17) نوع شائع من الأشجار المزهرة التي تتميز بأزهارها الجميلة ذات اللون الأصفر. (المترجم).

(18) "زها" في هذا السياق يعني القيلولة أو النوم القصير الذي يأخذه المرء في الصباح بعد الاستيقاظ المبكر. أصل الكلمة مأخوذ من الجذر العربي الذي يتعلق بالنور والسطوع، وهو يشير إلى الفترة المشرقة والمهادنة من الصباح حيث يمكن للشخص أن يأخذ قسطاً من الراحة. (المترجم).

(19) في الأساطير المصرية، يرتبط أوزوريس بالموت والقيامة والطبيعة الدورية للحياة.

(20) إيزيس هي إلهة مصرية قديمة، كانت تُعبد تقليدياً باعتبارها الأم والزوجة المثالية، فضلاً عن كونها راعية الطبيعة والسحر. ومع ذلك، في سياق سلسلة كتيب، يُشار إليها على أنها "إلهة الموت الشيطانية".

(21) الشادوف: أداة قديمة يدوية لرفع المياه، تستخدم عادةً في الري. يتطلب جهداً شاقاً ومضنياً لاستخدامه، وفي ذلك يشير إلى أن خطتهم تتطلب كثيراً من بذل الجهد والعمل الشاق.

(22) عاصفة كوريوليس عاصفة شديدة على كوكب أراكس، تتميز برياح عنيفة وربما حتى القدرة على إعادة تشكيل المشهد الطبيعي، على كوكب الأرض، هي عاصفة قوية تتأثر بتأثير كوريوليس؛ ما يجعل العواصف تدور في اتجاه عقارب الساعة في نصف الكرة الجنوبي وعكس اتجاه عقارب الساعة في نصف الكرة الشمالي.

(23) تشير كلمة أبوكريفا إلى نصوص دينية غير موثقة ومعترف بها من الأكثرية الدينية، وتدرجياً اصطبغ المصطلح بمعانٍ سلبية مرادفة للتحريف. (المترجم).

(24) يجد الناس الراحة في يقين المعرفة، حتى لو كانت التوقعات

سلبية. (المترجم).

(25) التشريع الاستشاري نوع من التشريعات تكون بمثابة توجيهات أو مشورة بدلاً من أن تكون قوانين ثابتة وملزمة.

(26) مطرب شاعر. (المترجم)

(27) حُرِّفَت عالية هنا اسم عائلته من كادلَام Cadelam إلى كاد لامب Cade Lamb أي حَمَل مستأنس. (المترجم).

(28) مثل إنجليزي قديم يسخر من إعطاء أحدهم نصيحة لآخر في موضوع يعرفه الآخر بالفعل، وغالباً يعرف عنه أكثر من الناصح نفسه. (المترجم).

(29) Ruinal في الأصل والكلمة تتكون من حروف كلمة إيلولان Irulan نفسها، وهذا التلاعب اللفظي من باب الهجاء. (المترجم).

(30) يعدّ عبء الماء عند الفرمن التزاماً مميّثاً لا يجب الإخلال به. (المترجم).

(31) أمور فاتي Amor fati في الأصل: عبارة لاتينية ترى أن كل ما يحدث في حياة الشخص، بما في ذلك الفجائع والمعاناة أشياء إيجابية، أو على الأقل، أشياء مطلوبة. (المترجم).

(32) ما يضرب به الموتى الذين لا يستطيعون الرد بإجابات مرضية عن الأسئلة التي يجب أن يجيبوا عنها قبل دخول الجنة. (المترجم).

(33) نظام كتابة كل رمز (يعرف أيضاً بالرسم الفكري) فيه يمثل فكرة. وغاية هذا النظام خلق لغة مفهومة للأشخاص الذين يتحدثون أي لغة. (المترجم).

(34) الحرف الرسومي: رمز مكتوب أو منقوش. وأوضح مثال على

الحروف الرسومية الأبجدية الهيروغليفية. (المترجم).

(35) الديانا تعني التأمل. والكلمة مشتقة من كلمة سنسكريتية دياي وتعني التفكير. والديانا حالة تأمل يشعر بها المرء ويعيشها أحياناً للحظات قصيرة خلال جلسات التأمل، وفي عالم كثيب خلال نشوة الاسپايس. (المترجم).

(36) الداخنة: فتحة في قشرة الأرض تنبعث منها الغازات والأبخرة. (المترجم).

(37) اسم من أسماء الجنة. (المترجم).

(38) كلمة إغريقية تعني ورثة الرب. (المترجم).

(39) كلمة تعني في الفلسفة الإغريقية خالق أو صانع الكون المادي. (المترجم).

(40) كان كاهناً وراهباً دومينيكانياً إيطالياً. وكان فيلسوفاً ولاهوتياً مؤثراً وفتياً في التقاليد السكولاستية من مقاطعة أكينو في مملكة صقلية. (المترجم).

(41) إذا استطاع المرء إجبار أو إقناع شخص غريب أو عدو بشرب دمه، فقد أصبح ودكاس مع القبيلة. ينضم إليهم بصفته واحداً منهم، وفي مأمن من أخذ مياهه إلا إذا أساء إلى القبيلة. وبسبب هذه العادة، لن يحاول أي فرماني جرح العدو في قتال بالعض، حتى لو كان ذلك سيحقق له النصر. (المترجم).

(42) الإسبرط: سمكة صغيرة تستخدم عادة طعماً أو طعاماً. في عالم كثيب، يعد مصطلحاً مهنياً لشخص صغير أو شخص غير مهم، خصوصاً الشخص المتغطرس أو الذي لا يمكن التنبؤ بتصرفاته.

(43) متأنق المدينة: الشخص الذي يرتدي ملابس عصرية أو

ويعيش في مدينة أو مجتمع متحضر. في عالم كثيب، يعد هذا أيضاً مصطلحاً مهنياً للشخص المدلل أو التافه أو الجاهل بالحقائق القاسية للحياة الصحراوية.

(44) لبن: ماء الاسبايس مخلوط بدقيق عشبة اليوكا الصحراوية. (المترجم).

(45) الإسناد هو مصطلح فرمني يعني في لغتهم "المحاكمة بالقتال" أو "الحكم بالسكين". مبارزة طقوسية تُستخدم لتسوية النزاعات بين الفرمن، ويتقاتل المشاركون في الإسناد حتى الموت ويأخذ الفائز ماء الخاسر. (المترجم).

(46) المطلقات هي الحقائق أو المبادئ الثابتة والعالمية، التي لا تتغير حسب الظروف والمواقف.

(47) إشارة إلى الصراع الداخلي الذي شعر به موريس بعد أن أُجبر على شرب دم أسيره ليتو.

(48) الإقليم المناخي: منطقة من سطح الأرض تسم بمناخ متجانس إلى حد كبير (المترجم).

(49) القتلة (المترجم).

(50) بالفرنسية في الأصل. (المترجم).

(51) أصل كلمة كوآن يعني قصة أو حوار أو سؤال أو مسألة أو جملة أو لغز أو معضلة غالباً من تراث السلف البوذي في الصين القديمة يُستخدم في ممارسة بوذية زن لإثارة الذهن وتمارين أو اختبار تقدم الطالب في البوذية.

يمكن تعريف الكوآن على أنه تدريب ذهني على موضوع للتأمل يلقى المعلم البوذي على المتدرب المرید، ويطلب منه العودة بالإجابة بعد تأمل،

ليدفعه إلى ترك طرائق التفكير المعتادة مثل المنطق والمقارنة وتجربة طرائق أخرى للاتجاه إلى صلب الموضوع وهو الهدف النهائي للبوذية أي الاستنارة.
(المترجم).

(52) يحدث عمى التغيير أو عمى عدم الانتباه عندما يكون الشخص غير قادر على ملاحظة التغيرات البصرية في بيئته، رغم أنها عادة ما تكون واضحة إلى حد كبير. تعزى هذه الظاهرة إلى حدود قدرة الدماغ على تذكر الصور المعقدة في نطاق واسع. على سبيل المثال، قد نتذكر صور المتاجر في شارع مزدحم بالمحلات والمطاعم، ولكننا قد لا نلاحظ أن أسماء المتاجر قد تغيرت، وذلك لأن الدماغ لا يمكنه أن يعالج كل العناصر المدركة دفعة واحدة ولأن الانتباه يعطي الأولوية لما نعتقد أنه مهم. وقد تحدث هذه الظاهرة أيضا بسبب حدوث التغيير في المشهد بشكل تدريجي، وفي بعض الأحيان إذا امتلك الفرد شعوراً بالثقة الزائدة. (المترجم).

في ذرية كتيب - الجزء الثالث من سداسية كتيب المذهلة لفرانك هربرت - تستمر المغامرة الخيالية التي تحبس الأنفاس. بعد تسع سنوات من اختفاء بول أتريديز - المؤدب الأسطوري - في صحراء أراكس، يحمل نوء ماه ليتو وغنيمه ميراثه من القدرات الخارقة والمسؤولية الثقيلة. يحاولان إنقاذ كوكبهما من الانهيار البيئي والسياسي، في حين تسعى عمتهما عالية - التي تحكم الإمبراطورية باسم عائلتهما - إلى استغلال هواهما لصالح طموحاتها. لكن عالية ليست العدو الوحيد الذي يترصد بهما، فهناك مؤامرات وثورات وخطط انتقامية تهدد استقرار عائلة أتريديز ومستقبل كتيب.

هل يستطيع النوء مان مواجهة كل هذه التحديات والخطر المجهول المسمى "الضراط الذهبي"؟ اكتشف ذلك في هذه الرواية الملحمية التي تجمع بين الخيال العلمي والفلسفة والدين والسياسة.

«ذرية كتيب» حدث عظيم...

- Los Angeles Times

«بداية من مكائد القصر ومطاردات الصحراء إلى التكهّنات الدينية والمواجهات مع الذكاء الفائق لقوى العالم، يوجد شيء هنا في ذرية كتيب من أجل عشاق الخيال العلمي كلهم بمختلف هئاتهم».

- Publishers Weekly

«يضيف هربرت ما يكفي من التقلبات والانعطافات الجديدة إلى ملحمة كتيب المستمرة بما يضيف على الإثام بتفاصيل الجزأين الأول والثاني متعة خالصة. يُنهي هربرت فصلاً هاماً من كتيب ويهدد لفصل جديد، ربما (ذرية كتيب) أروع أجزاء السلسلة».

- Challenging Destiny

«(كتيب) متفردة في عمق شخصياتها الروائية وفي تفاصيل العالم الاستثنائي الذي خلقته. لا أعرف عملاً يمكن مقارنته بها غير سيد الخواتم».

- آرثر كلارك



9 789921 768657

kalemat
www.kalemat.com

خاتمة
t.me/twinkling4

